MILLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM
ESKİ KAYIT No. K. Carullah 60
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

الجزء الثالث من تفسير القرآن

تأليف الفقيه الامام القاضي ابو
محمد عبد الحق ابن عطيه
رحمة الله عليه

٢٤٩
٢٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله

قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا

يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا

سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين المعنى

سامنع واصد وقال سفيان ابن عيينة الاباء هنا كل كتاب منزل **قال**

القاضي فالمعنى اعرض فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الاباء المعلامات انزاله

على الوجه الذي **قال** القاضي المعنى انظر فيها والتفكر والاستدلال بها

واللفظ يعم الوجهين والمتكبرون بغير حق هم الكفرة والمعنى في هذه الاية ساجعل

الصرف عن الايات عقوبة للمتكبرين **وقوله** وان يروا كل اية لا يؤمنوا

بها حتم من الله عز وجل على الطائفة ان لا تؤمن وقرأ الجمهور يروا بفتح

الياء فراها ابن كثير ونافع وعاصم و[illegible] بضم وشبه وشبل وابن وثاب

وطلحة ابن مصرف وسائر السبعة و[illegible] مضمومة الباء مالك ابن دينار وقرا

ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن [illegible] الرشد وقرا ابن عامر في بعض ما

روي عنه وابن البر بفتح الراء والشين وقرأ حمزة والكسائي الرشد

بفتحهما وقرا ابو عبد الرحمن فيما [illegible] حاتم الرشاد وجمهور الناس على ان الرشد

بضم الراء وسكون الشين والرشد بفتحهما بمعنى واحد قال ابو عمرو وابن العلا

الرشد بضم الراء الهدى الصلاح والرشد بفتحهما الدين واما قراءة ابن عباس

بضمهما فاتبعت الضمة الضمة وقرا ابن ابي عبلة لا يتخذوا ويتخذوها على تانيث

السبيل والسبيل يونث وتذكر وقوله ذلك اشارة الى الصرف اي صرفنا

اياهم وعقوبتنا لهم بتكفرهم وتكذيبهم وغفلتهم عن النظر في الايات والوقوف

عند حججها ويحتمل ان يكون ذلك حتما ابتداء بتقديره الامر ذلك ويحتمل ان يكون في

موضع نصب بتقدير فعلنا ذلك **وقوله** والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة

الاية لفظ يتضمن تهديدا اي هنالك تفتضح لهم حالهم وحبطت اعمالهم وسقطت

وفسدت فاضل الحبط فيما قد تقدم صلاحه ولكنه قد يستعمل في الذي كان منذ

اول امره فاسدا ادمان الكفر واحد **وقولا** هل الحرور استفهام بمعنى

التقرير اي استوجبوا بسوء فعلهم الاعقوبة وساغ ان يستعمل حبطت هنا

اذ كانت اعمالهم في معتقداتهم جارية في طريق صلاح فكان الحبط فيها انما هو بحسب

معتقداتهم وانما حبس ما هي عليه في انفسها ففاسده منذ اول امرها ومن

هذه اللفظة قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما يستدل به على حبطا او يتكم

اي فسادا الكثرة الاكل بعد الاصلاح الذي كان اولا وقرا ابن عباس وابو السماك

حبطت بفتح الباء **قوله تعالى** واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا

جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين

الحلي اصله اتخذ وزنه افتعل من تحلى هذا قول ابي علي الفارسي والضمير في بعده

عائد على موسى اي بعد مضيه الى الميقات واضاف الحلي الى بني اسرائيل وان

كان مستعارا من القبط اذ كانوا قد ملكوه اما بان نقلوه كان على يحيى

ابن سلام عن الحسن انه قال استعار بنو اسرائيل حلي القبط يوم الزينة

فلما امر موسى ان يسري بهم ليلا تعذر عليهم رد العواري وايضا فخشوا ان يفتضح

سر القوم ان الله تغلبهم اباه ويحتمل ان يضاف الحلي الى بني اسرائيل من حيث تصرفت

ايديهم فيه بعد غرق ال فرعون ويروى ان السامري واسمه موسى ابن ظفر

ينتسب الى قريه يقال لها سامره قال للهارون حين ذهب موسى الى المناجاة يا هارون

ان بني اسرائيل قد بروا الحلي الذي استعير من القبط ونصر فوا فيه وانفقوا

منه فلو جمعته حتى يرى موسى فيه رايه قال فجمعها هارون وهم اجمع قال

للسامرى انت أولى الناس ان يحترز عن مثل فاحذه السامرى وكان صايغا فصاغ منه صورة عجل ولهذا قيل لولد البقرة حسدا اى جثة وجسدا وقيل كان جسدا بلا راس ولهذا تعلق بان الجسد فى اللغة ما عدا الراس وقال ان الله جعل له لحما ودما

قال القاضى رضى الله عنه وهذا ضعيف لما لا اثر ان موسى برده بالمبارد يكذب ذلك والخوار صوت البقر وترى ان هذا العجل انما خار مرة واحدة وذلك لحيله صاغها فيه من السامرى او بسحر تركب له من قبضة القبضة من اثر الرسول او بان الله اخار العجل ليفتتن بنى اسرايل وقرا ابن قد له جؤار بالجيم وهو الصياح قال ابو حاتم وشدة الصوت وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وابو عمرو والحسن وابو جعفر وشيبة من حليهم بضم الحاء وكسر اللام وهو جمع حلى مثل ندى وندى وأصله حلوى قلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة فكسرت اللام لتناسب الياء وقرا حمزة والكسائى من حليهم بكسر الحاء على ما قدمناه من التعليل قال ابو حاتم الاضم كسر والحا اتباعا لكسرة اللام قال ابو على وفى التغيير الذى دخل الجمع على هذا التغيير الاخير قال ومما يولد لكسر القاف هذا هو من الجمع فولهم قيثى قال ابو حاتم وقرا هارون الاعور من حليهم بفتح الحاء وطلحة والاعمش واصحاب عبد الله وقرا الحقوب الحضرمى من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام فاما ان يكون مفردا يراد به الجميع واما ان يكون جمع حلية كثمرة وثمر ومعنى الحلى ما تحمل به من ذهب وفضة ثم بين الله تعالى سوء نظرهم وقرر فساد اعتقادهم بقوله لهم بقوله الم يروا انه لا يكلمهم الاية ودل ان الصانع الجماد لا يتصف بما يضاده والذى لا يرشد الى خير ولا يكسب عادة لذلك والضمير فى الجدوه عايد على العجل وقوله وكانوا اخبار عن جميع احوالهم ماضيا وحالا واستقبالا ويحتمل ان يكون الواو واو الحال وقد مر فى البقرة سبب

الحاد العجل وسقط ذلك الحال مما اغنى عن اعادته هاهنا وقرا جمهور الناس بكسر القاف وضم السين سقط فى ايديهم وقرات فرقة سقط بفتح السين والقاف حكاه الزجاج وقرا ابن ابى عبله اسقط وهى لغة حكاها الطبرى بالهمزة المضمومة وسين ساكنة والعرب تقول لمن ندم تندما وساعيا لوجه او طالبا غايبا مما فعرضه ما غلبه وصده عن وجهه واوقفه موقف العجز عن بغيته ويتقن انه قد عجز سقط فى يد فلان وقال ابو عبيده يقال لمن ندم على امر وعجز عنه سقط فى يده

قال القاضى والندم عندى عرض يعرض صاحب هذه الحال وقد لا يعرضه فليس الندم باصل فى هذا اما ان اكثر اصحاب هذه الحال يصحبهم الندم ولذلك صحب بنى اسرايل المذكورين فى الايه والوجه الذى يصل بين هذه الالفاظ وبين المعنى الذى ذكرناه هو ان السعى او الصرف او الدفاع سقط فى يد المنسار اليه فصار فى يده لا يجاوزها ولا يلوى له خارجا ناتيز وقال الزجاج المعنى ان الندم سقط فى ايديهم ويحتمل ان يراد ان الحسران والخيبه سقط فى ايديهم

قال القاضى وعلى هذا احتمل ان يلزم ان يكون سقط تتعدى فان سقط تتضمن معنى فعل وفرقا بينها المصدر الذى يقع الاسقاط كما يقال ذهب يزيد وفى هذا عندى [illegible] اقراه سقط على بناء الفعل للفاعل او اسقط على التعدية بالهمزة فيرجع فى الاسناد عن التعدى ويحتمل ان يقال سقط فى يديه على التشبيه بالاسير الذى يكتف يداه فكان صاحب هذه الحال يتناسر ويقع مطروحا لا يقدر على حركة يده او كان المراد سقط بالغلبة والقهر فى يديه وحذف ذكر الفاعل كما يقال فى زوال ابن سواح انه كان بقول قول العرب سقط فى يديه مما اعيا معناه وقال الجرجانى هذا مما دثر استعماله مثل ما دثر استعمال قوله تعالى فضربنا على اذانهم

قال القاضى وفى هذا الكلام ضعف والسقاط فى اللغة لثغة الحطاء والندم عليه ومنه

ومنه قول ـــــــ شويد ابن ابى كاهل

كيف ترجوز سخاطى بعد ما لفح الرأس مشيبى وصلع

وقول بنى اسرايل ليس هذا ربنا انما هو بعد رجوع موسى وتغييره عليهم وروتهم انهم قد خرجوا عن الدين ووقعوا فى الكفر وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم والحسن والاعرج وابو جعفر وشيبة ابن نصاح ومجاهد وغيرهم ليس هذا ربنا بالياء واسناد الفعل الى الرب تعالى وتعفر بالياء وقرأ حمزه والكسائى والشعبى وابن وثاب والحذرى وطلحة ابن مصرف والاعمش وايوب ترحمنا ربنا بالتاء الى ترحمنا ونصب لفظ ربنا على جهة النداء وتغفر بالتاء من فوق وفى مصحف ابى قالوا ربنا ان لم ترحمنا وتغفر لنا لنكونن من الخاسرين **قوله تعالى**

ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى اعجلتم امر ربكم فالقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن عباس لما رأى القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين يوبخ من المخاصمة وروى انه لما قرب من محلة بنى اسرايل سمع اصواتهم فقال لهرون اصوات قوم لاهين يحقق علوهم على عباده العجل داخله الغضب والاسف الى ابن عباس قال السحق وقال الذى اخبره الله تعالى قبل رجوعه انهم قد فتنوا بالعجل فلذلك رجع وهو غاضب والاسف قد يكون بمعنى الغضب الشديد والحزن ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان يحتملان ههنا وما المتصلة بئيس مصدر به هذا قول الكسائى وفيها احتمالات قد تقدم فى سورة البقرة ما يبس خلافتكم من بعدى وبقال حلفه بخير وبشر اذا فعله بمن ترك من بعده وبقال عجل فلان الامر اذا سبق فيه فقوله اعجلتم معناه أسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم اتيانى قبل الوقت الذى قدر به **وقوله** والقى الالواح الاية قال سعيد ابن جبير عن ابن عباس سبب القاء الالواح غضب على قومه فى عبادتهم العجل

وغضب

وغضب على اخيه فى ان لم ينههم وقال قتادة ان صح ذلك عنه بل ذاد ذلك لما رأى فيها من فضيلة امة محمد ورغب ان يكون ذلك لامته فلما علم انه لغير ما غضب

قال القاضى رحمه الله وهذا قول ردئ لا سبيل ان يوصف به موسى عليه السلام والاول هو الصحيح وبالجملة كان فى خلق موسى عليه السلام ضيق وذلك مستقرئ من غير موضع وروى انها كانت لوحين وجمع اذ التثنية جمع وروى انها كانت وقر سبعين بعيرا يقرأ منها الجزء فى سنة **قال القاضى** وهذا اضعف مفرط وقاله الربيع ابن انس وقال ابن عباس ان موسى عليه السلام تكسرت فرفع اكثرها الذى هو تفصيل كل شئ وبقى الذى فى نسخة الهدى والرحمة وهو الذى اخذ بعد ذلك وقد تقدم القول فى اى شئ كانت الالواح واخذه برأس اخيه ولحيته من الخلق المذكور وهذا الظاهر اللفظ وروى ان ذلك انما كان لمسائرة فحشى هارون ان يتوهم الناظرون اليهما انه لعصيب فلذلك تهاه ورغب اليه **قال القاضى** رحمه الله وهذا صحيح والاول هو الصحيح لقوله فرقت بين اسرائيل ولم ترقب قولى وقوله ابن ام استعطاف برحم الام اذ هو الصق القرابات وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم ابن ام بفتح الميم فقال الكسائى اراد ابن امه فحذف تخفيفا وقال سيبويه هما اسمان بنيا على الفتح كاسم واحد عشر ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم فى رواية ابى بكر وحمزه والكسائى ابن ام بكسر الميم فكان الاصل أن أمى فحذف الياء اما عند بعضهم من لا ابال ولا ارم تخفيفا واما كانهم جعلوا الاول والاخر اسما واحدا لهم اضافوا فقولك يا احد عشر أقبلوا قاله سيبويه وهذا اقيس من الحذف تخفيفا والمعنى يما اضافوا الى ياء المتكلم حذفت الياء من ابن أمى على لغة من يقول يا غلام محدها من المنادى ولو لم يقدر جعل الاول والاخر اسما واحدا لم يحذف الا الالف ليست

نمناداه واستضعفوني معناه اعتقدوا اني ضعيف وقوله كادوا معناه قاربوا ولم يفعلوا وقراهم الناس فلانشمت لي الاعداء بضم التاء وكسر الميم ونصب الاعداء وقرا مجاهد فيما حكاه ابو حاتم فلا تشمت بي الاعداء بفتح التاء من فوق والميم ورفع الاعداء اي لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله انت بي وقرا حميد ان قيس تسمت بتاء مفتوحه وميم مكسورة ورفع الاعداء حكاها ابو حاتم وقرا مجاهد ايضا فيما حكاه ابو الفتح فلا تشمت بي الاعداء بفتح التاء والميم ونصب الاعداء هذا على ان يعدى شمت بنفسه وقد روى ذلك قال ابو الفتح المعنى فلا تشمت بي يا رب وجاز هذا كما قال الله يستهزئ بهم ونحو ذلك ثم عاد الى المراد فاضمر فعلا نصب به الاعداء كانه قال لا تشمت بي الاعداء كقراءة الجماعة **قال القاضي** وفي كلام ابي الفتح هذا تكلف وحكى المهدوي عن ابن محيصن تشمت بفتح التاء وكسر الميم الاعداء بالنصب والشماتة فرحة العدو بمصاب عدوه وقوله ولا تجعلني مع القوم الظالمين يريد عبدة العجل **قوله تعالى** قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين استغفر موسى من فعله مع اخيه ومن عجلته في القاء الالواح واستغفر لاخيه من فعله في الصبر بني اسرايل ويمكن ان الاستغفار كان لغير هذا مما لا نعلمه والله اعلم وقوله ان الذين اتخذوا العجل يحاطبه من الله عز وجل لموسى عليه السلم اي قوله سينالهم ووقع ذلك النيل في عهد موسى عليه السلام والغضب والذلة من امرهم بقتل انفسهم بعد انهوا الظاهر وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب والذلة بقيت في عقب لهارون لا المقصودين بها اولا وكان المراد سبيا لاعقابهم وقال ابن جريج الاشارة في قوله الذين اتخذوا من بعد الى من مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل

الانفس والى من قدر فلم يكن حاضرا وقت القتل **قال القاضي** وحمد الله والغضب على هذا والذلة هو عذاب الاخرة والغضب من الله عز وجل ان اخذ بمعنى الارادة فهو صفة فعل وان اخذ بمعنى العقوبة فهو صفة ذات **وقوله** وكذلك نجزي المفترين المراد اولا اولئك الذين افتروا على الله في عبادة العجل ويكون قوله اللفظ ثم حل مفتريا الى يوم القيامة وقد قال سفيان ابن عيينة وابو قلابة وغيرهما حل صاحب بدعة او فريه فهو ذليل واستدلوا بالاية **وقوله** تعالى والذين عملوا السيات الاية تضمنت هذه الوعد بان الله عز وجل يغفر للتايبين والاشارة الى من مات من بني اسرايل وفي الاية ترتيب الايمان بعد التوبة والمعنى في ذلك انه اراد وامنوا ان التوبة نافعة لهم منجية فتمسكوا بها فهذا ايمان خالص بعد الايمان على الاطلاق ويحتمل ان يريد بقوله وامنوا اي وعملوا عمل المومنين حتى وافوا على ذلك ويحتمل ان يريد بالتاكيد فذكر التوبة والايمان ادخلهما مثلا زمان الا ان التوبة على بعد الملون من كفر ولا بقي وهو توبة الكفر مثلا زمان **وقوله** ان ربك من بعدها لغفور رحيم **قال القاضي** ويحتمل قوله تابوا من بعدها وامنوا ان يكون لم يقصد ترتيب الفعلين على عرف الواو وفي انها لا توجب ترتيبا بل هو واو امنوا بمعنى وهم مؤمنون قبل وبعد فكانه قال ومن صفتهم ان امنوا **قوله تعالى** ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون معنى هذه الاية ان موسى عليه السلام لما سكت غضبه اخذ الالواح التي كان القى وقد تقدم ما روي انه رفع اكثرها او ذهب بالتكسير وقوله سكت لفظة مستعارة شبه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته قال يونس مر حي يقول الخبر سال الوادي بين

ثم سكت وقال الزجاج وغيره مصدر قولك سكت الغضب سكت ومصدر
قولك سكت الرجل سكوت وهذا يقتضي انه فعل على حذه ليس من سكوت
الناس وقيل ان في المعنى قلب والمراد لما سكت موسى عن الغضب
بأدخلك فمي في الحر وادخلت القلنسوة راسي وفي هذا ايضا استعارة
ان الغضب ليس بتكلم فيوصف بالسكوت وقرأ معاوية ابن قرة ولما سكت وفي
مصحف حفصة ولما أسكت وفي آخر مسعود ولما صير عن موسى الغضب
قال النقاش وفي مصحف ابي ولما اسكن عن موسى الغضب **وقوله** وفي نسخها
محاه وفيما ينسخ منها ويقرأ باللام في قوله لربهم يحتمل وجوها فذهب
المبرد انها تعلق بمصدر كانه قال الذين رهبتهم لربهم ويحتمل انه لما تقدم
المفعول ضعف الفعل فقوي على التعدي باللام ويحتمل ان يكون المعنى لهم لاجل
طاعة ربهم او خوف ربهم يرهبون العقاب والوعيد **وقوله** تعالى
واختار موسى قومه لقد العده ليذهب بهم الى عبادة وابتهال ودعاء فيلزمه
منه ومنهم اعتذار الى الله من خطاء بني اسرائيل في عبادة العجل وطلب لكمال
العفو عنهم وروي عن علي ابن ابي طالب ان اختيارهم انما كان بسبب قول
بني اسرائيل ان موسى قتل هارون حسد بذهب معه ولم يرجع فاحضارهم
فيكلمهم هارون بانه مات باجله وقوله لميقاتنا يؤيد القول الاول وينافر
هذا القول لانه يقتضي ارادة عن توقيت من الله عز وجل وعده في الوقت
والموضع ويقدر الكلام واختار موسى من قومه فلما الحذف الخافض لعلك
الفعل فنصب وهذا كثير في كلام العرب **واختلف** العلماء في سبب الرجفة
التي حلت بهم فقيل كانت عقوبة لهم على سكوتهم واغضابهم على عبادة العجل
وقيل كانت على عبادة العجل اياسهم وخفي ذلك عن موسى في وقت الاختيار

حتى اعلمه الله فالرجفة السدي وقيل كانت عقوبة لهم لانهم لما دنوا وعلموا ان موسى
يسمع كلام الله قالوا لن نؤمن لك حتى نرى ربك فاخذتهم الرجفة وقيل كانت عقوبة لتشطيطهم
في الدعاء بان قالوا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الغافرين فقالوا ان كانت الا فتنتك فاغفر لنا وارحمنا وانت خير من
اعطى ما لم تعط احدا قبلنا ولم تعطه احدا بعدنا فاخذتهم الرجفة وقيل انما اخذتهم الرجفة لما سمعوا كلام هارون وهو ميت وذلك ان
موسى رد هارون الى التعبد ونحوه فمات هارون فدفنه موسى وجاء
فقالت له سوا اسرائيل ابن هارون فقال مات فقالوا بل قتلته لانك احسن منا
على حسن خلقه وعشرته فاختار السعير لينظر ما معه حتى يروا ابن هارون ما
قاله لهم فلما وصلوا قال له موسى يا هارون اقتلت ام مت فناداه من القبر
بل مت فاخذ القوم الرجفة **قال القاضي** رضي الله عنه روي انهم ماتوا
في رجفتهم هذه ويحتمل ان كانت تلك لاغماء ونحوه والرجفة الاهتزاز والتقلقل
للهول العظيم فلما راى موسى ذلك اسف عليهم وعلم ان امر بني اسرائيل
سيتشعب عليه اذا لم يات بالقوم فجعل يستعطف ربه اي يا رب لو
اهلكتهم قبل هذه الحال واياي لكان اخف علي وهذا وقت تعلاهم فيه مفسدة
على موسى ثم استفهم على جهة الرغبة والتضرع والتذلل يحتمل قوله
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي ان يريد وقت اعتصامهم على عبادة
العجل او وقت عبادتهم على القول بذلك في نفسه وهو وقت قتله القبطي
اي فانت قد سترت وغفرت حينئذ فكيف الان اذ رجوعي ورجوعهم فساد
لبني اسرائيل فمحى الكلام على هذا محض استعطاف وعلى هذا التاويل محاه
الاداة بالجحد في صيغة استعطاف واذ قلنا ان سبب الرجفة كان
عبادة العجل كان الصغير في قوله انهلكتني والسفهاء اشارة الى
العبدة من بني اسرائيل ولذلك انما كان سبب قول بني اسرائيل قتلت هارون

واذا كان سبب الرجفة طلبهم الرويه او تبسطهم في ادعائها وعنادهم بسببهم العجل فالضمير في قوله اتهلكنا يرجع به نفسه ونبي اسرائيل اي بالقتل والكفر والعصيان يكون هلاكهم ويكون قوله السفهاء اشارة الى السبعين وروي ان السبعين لم يكن فيهم من زاد على الاربعين ولا نقص من العشرين وروي عن علي ابن ابي طالب انهم احيوا وجعلوا انبياء لهم وقالت فرقة ان موسى عليه السلام لما اعلمه الله ان السبعين عبدوا العجل يجب وقال ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء اي الامر بيدك تفعل ما تريد وقيل ان الله تعالى لما اعلم موسى بعباده بني اسرائيل العجل وبصفته قال موسى اي رب ومن اخباره قال انا قال موسى فانت اضللتهم ان هي الا فتنتك ويحتمل ان يسند هي الى قوله انا الله اذ كانت فتنة من الله اوجبت الرجفة وفي هذه الاية رد على المعتزلة واعتبر معناه استر **قوله تعالى** واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الكتب معناه اثبت واقض والكتب مستعمل في كل ما يخلد وحسنة لفظ عام في كل ما يحسن في الدنيا من عافية ورزق وطاعة لله تعالى وغير ذلك وحسنة الاخرة الجنة لا حسنة دونها ولا مرمى وراءها وهدنا بضم الهاء معناه تبنا وقرأ ابو وجره هدنا بكسر الهاء ومعناه حركنا انفسنا وجذبناها للطاعة وهو من الهيد وهو الاسراع ذاهبين **وقوله** قال عذابي اصيب به من اشاء الاية قال الله عز وجل ان الرجفة التي نزلت بالقوم هي عذابي اصيب به من شئت ثم اخبر عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام تقدم الخبر عن عذابه وعن رحمته من اول ما ابتدأ وبدئ به من اصر الرجفة في عموم قوله عذابي اصيب به من اشاء

وقرأ الحسن ابن ابي الحسن وطاوس وعمرو ابن فايد من اشاء من الاشاءة اي من عمل غير صالح وللمعتزلة بهذه القراءة تعلق من وجهين احدهما انفاذ الوعيد والاخرى خلق المرء افعاله وان الله لا يفعل فيه الله تعالى وهذا ان التعلقان احتمال ينفصل عند كاتفصل عن سائر الطوائف الا ان القراء اطبقوا على التحفظ من هذه القراءة وقال ابو عمرو الداني لا يصح هذه القراءة عن الحسن وطاوس وعمرو وابن فايد رحمهم الله وذكر ابو حاتم ان سفيان ابن عيينة قرأها مرة واستحسنها فقام اليه عبد الرحمن المقرئ وصاح به واسمعه فقال له سفيان لم أرد ولم افطن لما تقول أهل البدعة وهذا افراط من المقرئين وحملهم على ذلك تخوفهم على الدين وطعنهم بان الانفصال عن تعلق المعتزلة متعذر ثم وصف تعالى رحمته بانها وسعت كل شيء والمراد ما قد سبق في علم الله ان يرحمه دون من سواهم وقال بعضهم هو عموم في رحمة الدنيا لان الكافر والمؤمن والحيوان كله متقلب في رحمة الله الدنيا ويده وقالت فرقة قوله ورحمتي يريد به النبوة وهي خاصة على هذا في الرحمة وفي الاشياء لان المراد من قد وقع عند النبوة وقال نوف البكالي ان ابليس لما سمع قول الله سأكتبها وتعالى ورحمتي وسعت كل شيء طمع في رحمة الله فلما سمع فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة يئس ابليس لما سمع قوله تعالى ويتقيت اليهود والنصارى فلما نادى الصفة تبين ان المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم ويئس اليهود والنصارى من الاية قال نحوه قتادة **وقوله** فساكتبها أقدرها وافصيها وقال نوف البكالي ان موسى عليه السلام قال يا رب جعلت وفادتي لامة محمد وقال نوف البكالي الا فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني اسرائيل لكم وقوله ينقون في هذه الاية قال الفرقة معناه يتقون الشرك وقال القاضي

رحمه الله ومن قال الشرك لا عد خرج الى قول المرجئه ويرد عليه من الايه
شرط الأعمال بقوله ويولون الزكوه ومن قال انه عاص فلا يدخرج الى
قول المعتزله والصواب ان تكون اللفظه عامه ولكن ليس بان نقول ولا
بد من انفا المعاصى بل بان نقول ان مواقع المعاصى مشيده الله عز وجل
ومعنى يتقون الحلول بينهم وبين المتقى وقايه وحجابا فذكر الله تعالى الرتبه
العاليه لبسابق السامعون اليها وقوله ويولون الزكاه الطاهر من قوله
ويولون الزكاه انها الزكاه المختصه بالمال وحصرها هنا لا لذكر تشريفا لها
وجعلها منا لا لجميع الطاعات وقال ابن عباس فيما روى عنه معناه ويولون
الاعمال التى يتركون بها انفسهم **قوله تعالى** الذين يتبعون الرسول النبى
الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل
معه اولئك هم المفلحون بعده الالفاظ اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك
الذى يطرء فى قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العده لامه محمد
قال ابن عباس وابن جبير وغيرهما ويتبعون معناه فى شرعه ودينه والرسول
والنبى اسمان لمعنيين فان الرسول اخص من النبى بعدا فى النبيين لاشتراك الملك
فى لفظه الرسول والنبى ما نود من النباء وقيل لما كان طريقا الى رحمه الله
عز وجل وسببا شبه بالى الذى هو الطريق واسدوا
لاضح رثماد قاق الحصا مكان التى من الكاتب ع واصله الهمز ولكنه خفف
كذا قال سيبويه كتخفيفهم خابيه ونحو من خبا واستعمل الخفيفه حتى قد
روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تنبوا اسمى وقد الرسول انما

لمضى

لمعنى الرساله عند المحققين بالقران والاخبار عن النبوه هو المتقدم ولذلك رد
الرسول صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب حين امنت بكتابك الذى انزلت
وبرسولك الذى ارسلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ونبيك الذى
ارسلت ليترتب الكلام كما ترتب الامر فى نفسه لانه نبى ثم ارسل واضافتى
الحباره المردودة تكرار الرساله وهو معنى واحد والامى بضم الهمزه قيل
نسب الى ام القرى وهى مكه قال القاضى رحمه الله واللفظه على هذا
مختصه بالنبى عليه السلام وغير مضمنه معنى عدم الكتابه وقيل هو منسوب
لعدم الكتابه والحساب الى الامى اى هو على حال الصدر عن الام فى عدم الكتابه
وقالت فرقه هو منسوب الى الامه وهذا ايضا مضمن عدم الكتابه لان
الامه تحملها غير كاتبه حتى تحدث فيها الكتابه كسائر الصنايع وقراء
بعض القراء فيما ذكر ابو حاتم الامى بتغيير النسب والضمير فى قوله تجدونه
لبنى اسرائيل والمعانى منه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد صفته ونعته وروى
ان الله عز وجل قال لموسى قل لبنى اسرائيل اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا واجعل
لكم السكينه معكم فى بيوتكم واجعلكم تقرون القرآن على طهر قلوبكم فامر موسى
بنى اسرائيل فقالوا انا نريد ان نصلى فى الكنايس وان تكون السكينه حاضرات فى التابوت
وان لا نقرا التوراه الا نظرا فقيل لهم فسكتبها للذين يتقون يعنى امه محمد
صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله بن عمرو فى البخارى وغيره ان فى التوراه
صفه محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب فى الاسواق ولا تجزى السيئه السيئه ولكن يعفو ويصفح
ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها قلوبا

خابيه

قال

صحح الهمزه ومنسوب الى الام وهو المقصد اى لان
هذا النبى مقصد للناس وموضع امهم يومون به فى المحافل
وسد عليهم قال ابن حبى وتحتمل هذه القراءه ان
يريد الاى الذى لا يحسن

غلفًا وأدانًا صمًا واعينًا عميًا وفي البخاري فتفتح به عيونًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ونصر كعب الاحبار بخو لهذه الالفاظ الا اندفال قلوبًا غلوفًا وآذانًا صمومًا قال الطبري وهي لعبد جمتربه وقد روبت علوفيًا وصموم قال القاضي رحمه الله واطرادهما أوعجة وقوله تعالى يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يحتمل أن يريد به استدا وصف الله تعالى النبي عليه السلم ويحتمل ان يحمل منعلقًا بمحذوف في موضع الحال على تحو راى يجدونه في التوراه امرًا بالشرط وجوده فالمعنى الاول لا يقتضي انهم علموا من التوراه انه يامرهم وينهاهم ويحل ويحرم والمعنى الثاني يقتضي ذلك فالمعنى الثاني على هذا دائم لهم ويحا الى هذا أبو اسحق الزجاج وقال ابو علي في الاعقال يامرهم عندي بفسر لما كتب من ذكره كان قوله تعالى خلقه من تراب تفسير للمثل ولا يحوز ان يكون حالًا من الضمير في يجدونه لان الضمير للذكر والاسم والذكر والاسم لا يامران قال القاضي رحمه الله وما قد قدمته من التحوز وشرط الوجود يقرب ما منع منه ابو علي والطبري والمعروف ما عرف بالشرع وكل معروف من جنس هذا المروه فهو معروف بالشرع فقد قال عليه السلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق والمنكر مقابله والطيبات قال فيها بعض المفسرين انها اشاره الى انها البحيره ونحوها ومذهب مالك رحمه الله انها المحللات فيما نذه وصفها بالطيب اذ هي لفظه بمعنى مدحًا وتشريفًا وبحسب هذا يقول في الخبائث انها المحرمات ولذلك قال ابن عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا وغيره وعلى هذا حلل مالك المتقذرات كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها ومذهب الشافعي رحمه الله ان الطيبات هي من جنس الطعم الا ان اللفظه عنده ليست على عمومها لان عمومها هذا الوجه من الطعم [illegible] سبيل ايرانها مختصه فيما حلله الشرع ويرى

الخبائث

الحبائث لفظها عامًا في المحرمات بالشرع وفي المتقذرات فحرم العقارب والحنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى والناس على هذين القولين الا ان في تعيين الخبائث اختلافًا ليس هذا موضع تقتضيه وقوله تعالى ويضع عنهم اصرهم الايه يضع كان قياسه ان يكون يوضع بكسر الضاد لكن رده حرف الحلق الى فتح الضاد قال ابو حاتم وادغم ابو عمرو ونافع عنهم العين في العين واشمها الرفع واسكنها ابو جعفر ونسبه ونافع وقرا طلحه ويذهب عنهم اصرهم والاصر الثقل وبه فسر ابن عباس فسرنا فاده وابن جبير ومجاهد والاصر ايضا العهد وبه فسر ابن عباس والضحاك والحسن وغيرهم وقد جمعت هذه الايه المعنيين فان بني اسرائيل قد كان اخذ عليهم عهد ان يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم محمد صلى الله عليه وسلم ذلك العهد ونقل ذلك الاعمال وحكى ابو حاتم عن ابن جبير قال الاصر شدائد العباده وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وحمزه والكسائي والناس اصرهم وقرا ابن عامر وحده آصارهم لما كانت الاعمال كثيرة كانت ثقالها متغايره ومن وحد الاصر فانما هو مفرد اسم جنس يراد به الجمع قال ابو حاتم في كتاب عن بعض العلماء اصرهم واحد مفتوح الهمزه عن نافع وعيسى والزيات وذلك غلط وذكرها مكي عن ابي بكر عن عاصم وقال هي لغه والاغلال التي كانت عليهم عباره مستعاره ايضا لتلك الاثقال كقطع الجلد من اثر البول وان دية ولا بد من قتل القاتل وترك الاستغال يوم السبت فانه روي ان موسى عليه السلم راى رجلا يوم السبت يحمل قصبًا فضرب عنقه هذا قول جمهور المفسرين وهذا مثل قولك طوق فلان كذا اذا لزمه ومنه قول [illegible] الشاعر

ادهب بها اذهب بها طوق الحمامه ای لزمك عارها

ومن هذا المعنى قول [illegible]

مسراج الاسلام وابو حفص عمر

«فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل»

«وعاد الفتى كالكهل ليس يقايل سوى الحق شيئا واستراح العواذل»

بريدا وامر الاسلام ولوازم الايمان الذى قيد الفتك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد انما المراد بالاغلال قول الله عز وجل فى اليهود غلت ايديهم فمن آمن بمحمد زالت عنه الدعوه وتعلقها بهم اخبر عز وجل عن حال المومنين به فقال فالذين امنوا به وعزروه ونصروه وقرا الحذرى وسليمان التيمى وقتاده وعيسى وعزروه بالتخفيف وجمهور الناس على التشديد فى الزاء ومعناه فى القراتين وقروه والتعزير والنصر مساهده حاصله للصحابه واتباع النور مستركل فيه معهم المومنون الى يوم القيامه والنور كايه عن حمله الشرع وقوله معه فيه حذف مضاف والتقدير مع بعثه او نبوته او نحو هذا وشبه الشرع والهدى بالنور اذ القلوب تستضئ به كما يستضئ البصر بالنور والمفلحون معناه الفايزون بمغيتهم وهذا اعم معانى الفلاح فان من بقى فقد فاز ببغيته **قوله تعالى** قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون هذا امر من الله عز وجل لمحمد بالتبرى من الدعوى والحض على الدخول فى الشرع ودلك انه لما رجى الامه المتبعه النبى الامى التى كتب له رحمته عقب دلك بدعا الناس الى الاتباع الذى معه تحصل تلك المنازل وهذه الايه خاصه لمحمد صلى الله عليه وسلم بين الرسل فان محمد صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافه والى الحمر قاله الحسن وتعصصه الاحاديث وكل نبى انما بعث الى قومه دون العموم بمعنى انه لما اعلن بالرساله من عند [illegible] نصبه الله الى يقضى الاوعان له ولى انه ملك

السموات

السموات والارض بالخلق والاختراع والاحياء والاماته لا اله الا هو ولا معبود سواه **وقوله** تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يومن بالله وكلماته الايات المتراله من عنده التوراه والانجيل وقراجمهور الناس كلماته بالجمع وقرا عيسى ابن عمر وكلمته بالافراد الذى يراد به الجمع وقرا الاعمش الذى يومن بالله وابانه بدل كلماته وقال مجاهد والسدى المراد كلماته او كلمته عيسى ابن مريم وقوله لعلكم تهتدون اى على طمعكم وحسب ما ترونه وقوله واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات الشريعه جعلنا الله من متبعيه على ما يجب عنده ورحمته **قوله** ومن قوم موسى امه يهدون بالحق ومعناه يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف المومنين المتقين من بنى اسرايل على عهد موسى وما والاه من الزمن واخبر انه كان فى بنى اسرايل على عتوهم وخلافهم من يقتدى واتقى وعدل ويحتمل ان يريد الجماعه التى امنت بمحمد صلى الله عليه وسلم من بنى اسرايل على جهد الاستحلال لايمان جميعهم ويحتمل ما روى من ان بنى اسرايل لما تقطعوا اثنتى عشره امه منهم واعتزلت ودخلت تحت الارض فمشت فى سرب تحت الارض سنه ونصف سنه حتى خرجوا وراء الصين فهم هنالك حلف واد من نهد يقيمون الشرع ويهدون بالحق قاله السدى وابن جريج وروى بعضهم عن ابن عباس **قال القاضى** رضى الله عنه وهذا حديث بعيد وقراجمهور الناس وقطعناهم بشد الطاء وقرا ابو حيوه وابن ابى عبله وقطعناهم بتخفيف الطاء وروياها ابان عن عاصم ومعناها فرقناهم من القطع وقراجمهور الناس عشره بسكون الشين وهى لغه الحجاز وقرا الحسن ابن وثاب والاعمش وطلحه ابن سليمان بخلاف عنه عشره بفتح الشين وقرات هذه الجماعه [illegible] من مصر وابو حيوه

عشره بكسر الشين وهي لغه تميم قال ابو حاتم والعجب ان تميما تخففون
ما كان من هذا الوزن وان اهل الحجاز تثبعون وتناقضوا في هذا الحرف
وقوله اسباطا بدل من اثنتي والتمييز الذي به العدد محذوف مقدر
اثنتي عشرة فرقة او قطعه اسباطا وام ان يزول عن التمييز ويقدر
وقطعناهم فرقا اثنتي عشره ثم ابدل اسباطا والاول احسن وابين
ولاحوران يكون اسباطا تمييزا لان التمييز لا يكون الا مفردا نكره وايضا
فالتبنيط مذكر وهو قد عد مؤنثا على ان هذا العدد لو اريد لما منعت
التمييز اذا السبط بمعنى الاسد قال الطبري وقال بعض الكوفيين لما كان السبط
بمعنى الامه غلب اليائيت وهو مثل قول الشاعر
فان كلانا هذه عشر ابطن وانت برئ من قبائلها العشر
قال القاضي رحمه الله واغفل هذا الكوفي جمع الاسباط وانما ذهب
اليه اماما ان يجوز لو كان اثنتي عشره سبطا والسبط في ولد اسحق كالقبيله
في ولد اسماعيل وقد قال الزجاج وغيره ان السبط من السمط وهو الشجر
قال القاضي والاظهر قد انه عبراني عربه **وقوله** واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر وقد تقدم في سور البقرة
امر الحجر والاستسقاء وان كان وامر التظليل وانزال المن والسلوى وذكرنا
ذلك مما يغني عن اعادته هنا وانبجست بمعنى انفجرت الا ان الانبجاس اخف
من الانفجار وقرا الاعمش وعيسى الهمداني كلوا من طيبات ما رزقكم بتوحيد
الضمير **وقوله** واذ قيل لهم اسكنوا هذه القريه وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطه وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين
المعنى واذكروا اذ قيل لسلف من بني اسرائيل وذلك انهم لما خرجوا

من التيه قيل لهم اسكنوا هذه القريه والقريه في كلام العرب المدينه مجتمع المنازل
والاشاره هنا الى بيت المقدس قاله الطبري وقيل الى اريحا وحيث شئتم هي
ونعمها لكم مباحه وقاله السبعه والحسن وابو رجا ومجاهد وغيرهم حطه
بالرفع وقرا الحسن ابو الاسمر حطة بالنصب الرفع على خبر الابتدا تقديره
طلبتنا حطة وقد قال قوم انما كلفوا قولا حسنا مضمنه الايمان وشكر الله
ليكون حطه لذنوبهم فالكلام على هذا الامر له قال خبرا وتوفيه هذا مذكوره في
سوره البقره وقرا ابن كثير وعاصم وحمزه والكسائي نغفر لكم خطاياكم بالياء
نحو قضايا كم وهي قراءه الحسن والاعمش وقرا نافع تغفر بتا مضمومه خطيتكم واحده
مهموزه مرفوعه قال ابو حاتم وقرا الاعرج وفرقد تغفر على معنى ان الخطيه
تغفر اذا هي سبب للغفران وبدل معناه غير اللفظ دون ان يذهب بحجبه وابدل
اذا ذهب به وحاب بلفظ اخر والاشاره بالقول الى قول بني اسرائيل حبه في شعره
او حنطه في شعيره والرجز الذي ارسل عليهم طاعون يقال مات به في يوم واحد
سبعون الفا وتقدم ايضا استيعاب تفسير هذه الايه **وقوله** تعالى واسالهم
عن القريه التي كانت حاضره البحر الايه قال بعض العلماء ولين ان اليهود المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما امروا
به فقولت هذه الايه موبخه لهم ومقرره ما كان من فعل اهل هذه القريه فسؤالهم
اياها كان على جهه التوبيخ والقريه هنا مدين قاله ابن عباس وقيل انكه قاله ابن
عباس ايضا وعبد الله ابن كثير وعكرمه والسدي والثوري وقال قتاده هي
مقنى بالقاف ساكنه وقال ابن زيد هي مقناة ساحل مدين ويقال فيها مغنى
بالغين مفتوحه ونون مشدده وقيل لها طبريه قاله الزهري او حاضره يحتمل
ان يريد محنى الحضاره على جهه التعطف

معناه ادخالهم الشرع من عدا يعدوا وقرا شهر ابن حوشب وأبو نهيك يعدون
قال ابو الفتح اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها الى العين
فصار يعدون بفتح العين وشد الدال المضمومة والاعتداء منهم في السبت هو
نفس العمل والاشتغال كان صيدا أو غيره الا ان الله تعالى في هذه النازلة ما لصيد
وكان الله عز وجل ابتلاهم في امر الحوت ما لم يبتل عنهم سائر الجمعة فاذا كان
يوم السبت حالهم في الماء شارعا اي مقبلا اليهم مصطفا كما يقول اسرعت الرماح
اذا مدت مصطفة وهذا يدل على ان يفتح من الحوت ما ارسال من الله كارسال
السحاب او يوحي والهام كالوحي الى النحل وما شعار في ذلك اليوم على نحو ما يشعر
الله الدواب يوم الجمعة ما من الساعة حسب ما يقتضيه قول النبي صلى الله
عليه وسلم وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة حتى تطلع الشمس فرقا من
الساعة ويحتمل ان يكون ذلك من الحوت شعورا ما لسلامة في ذلك اليوم على نحو
شعور الحرم بالسلامة قال رواة القصص فيقرب الحوت ويكثر
حتى يمكن اخذه باليد فاذا كان ليلة الاحد غاب بجملته وقيل غابت كثرته ولم يبق
منه الا القليل الذي يتعب صيده قال قتادة ففتنهم ذلك واضرهم فنظروا
الى المعصية بان حفروا حفرا تخرج اليها ما الجحر على الاخدود فاذا جاء الحوت
يوم السبت وحصل في الحفرة القوا في الاخدود وجروا لمعد الخروج الى البحر
فاذا كان الاحد اخذوه فجاء هذا أول التطرق وروى اشهب عن مالك قال
زعم ابن دوما ان انهم كانوا ما خذ الرجل حيطا ويصنع فيه ولعقة والقاها في
دبر الحوت وفي الطرف الاخر من الحيط وتد مضروب وتركه كذلك الى
الاحد أو طرق الناس جزاء ومن صنع هذا لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت وفشى
ذلك في الاسواق واعلن [illegible] وقالوا قد هتكت حرمة السبت فقامت

فرقة من بني اسرايل ونهت وجاهرت بالنهي واعتزلت والعامل في قوله
ويوم لا يسبتون قوله لا ما تيهم وهو ظرف مقدم وقرا عمر ابن عبد العزيز
حيتانهم يوم اسباتهم وقرا نافع وابو عمرو والحسن وابو جعفر والناس
يسبتون بكسر التاء وقرا عيسى ابن عمر وعاصم بخلاف عنه يسبتون بضمها
وقرا الحسن ابن ابي الحسن وعاصم بخلاف عنه يسبتون من أسبت يسبت
اذا دخل في السبت ومعنى قوله لا تاتيهم كذلك اشاره الى امر الحوت وفتنتهم به
هذا على من وقف على تاتيهم ومن وقف على ذلك فالاشاره الى كثره الحيتان
شرعا اي فما أتانا منها هو قليل ونبلوهم اي نمتحنهم بفسقهم وعصيانهم قال
القاضي وفي قصص هذه الاية رواية وتطويل اختصرته واقتصرت منه على ما
لا تفهم الاية الا به قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما
نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب
بيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
قال جمهور المفسرين ان بني اسرايل افترقت ثلاث فرق فرقة عصت وصادت
وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه وان هذه
الفرقة لما رات تجاهرت الناهية ولحيان العاصية وعتوها قالت الناهية
لم تعظون قوما يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم على غلبة الظن
وما عهد من فعل الله بمثل الامم الماضية فقالت الناهية موعظتنا
معذرة الى الله ان احتلف بعد هذا فقالت فرقة ان الطايفة التي لم تعص ولم
تنه هلكت مع العاصية معذبة على ترك النهي والله اعلم وقال ابن عباس
ارى ما فعل بهم وقال فرقد بل نجى [illegible] ولم تعص ولا رضيت قال الله

عكرمه والحسن وغيرهما وقال ابن الكلبي فما استدعنه الطهرى ان بنى اسرائيل
لم تفرق الا فرقتين فرقه عصت وجاهرت وفرقه نهت وغيرت واعتزلت
وقالت للعاصيه ان الله مهلكهم ومعذبهم فقالت الناهيه من العاصين للناهين
على جهه الاستهزاء لم تعظون قوما قد علمتم ان الله مهلكهم او معذبهم **قال**
القاضي رحمه الله والقول الاول اصوب وتؤيده الصابرى وموله الى ربكم
ولعلكم تتقون لانه يقتضى محاطبا ومحاطبا ومعتنيا عنه وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وابن عامر وحمزه والكسائى معذره اى اقامه عذر وقرا عاصم
فى بعض ما روى عنه وعيسى ابن عمر وطلحه ابن مصرف معذرة بالنصب اى
وعظنا معذرة قال ابو على حجتها ان سيبويه قال لو قال رجل لرجل معذرة
الى الله واليك من كذا لنصب **قال القاضي** الرجل القايل فى هذا المثال
معذور فى نفسه وليس كذلك الناهون من بنى اسرائيل فتامل معنى من هلكهم
فى الدنيا ومعذبهم فى الاخره وقوله ولعلهم يقتضى الترجى المحض لانه من قول
الادميين والضمير فى قوله نسوا للمنهيين وهو ترك سمى نسيانا مبالغة اذا
قوى منازل الترك ان يسمى المتروك وما فى قوله ما ذكروا معنى الذى ويحتمل ان
يراد به الذكر نفسه ويحتمل ان يراد يوما كان فيه الذكر والسوء لفظ عام
فى جميع المعاصى الا ان الذى يختص بنا بسبب قصص الايه صيد الحوت والدين
طلموا هم العاصيون **وقوله** بعذاب بيئس معناه مولم موجع شديد وقرا
نافع واهل المدينه وابو جعفر وشيبه وعبرها بئس بكسر الباء وسكون
الياء وكسر السين وتنوينها وهذا على انه فعل سمى به لقوله عليه السلام انا اكم
عز وجل وقال وقرا ابن [illegible] الحسن بيس على وزن ميت الرجل وضعفها ابو
حاتم قال ابو عمرو [illegible] الباء والسين وقرا نافع فيما روى

عنه حارحة بيئس بفتح الباء وسكون الياء وكسر السين منونة وروى مالك ابن
دينار عن نصر ابن عاصم بيس بفتح الباء وهمزه مكسورة وسين منونه مكسورة
على وزن فعل ومنه قول ــــــ عبد الله ابن قيس ابن الرقيات
"لبتنى التى رقيدى جاره من غير ما بيس" وقال ابو عمرو الدانى هى قراءة
نصر ابن عاصم وطلحه ابن مصرف وروى عن نصر بياء مكسوره من غير همز قال
الزهراوى وروى عن الاعمش بيس الف مفتوحه والهمزه مكسوره مشدده
والسين مكسورة منونه وقرات فرقه بيس كالتى قبل الا فتح السين وكسرها
ابو عمرو الدانى عن ما حكى يعقوب وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى
ونافع فى رواية ابن قرة عنه وعاصم فى رواية حفص بيس بياء بين الهمزة مكسوره
والسين منونه على وزن فعيل وهذا وصف بالمصدر كقولهم غدير الحى والنذير
والنكير ونحو ذلك وهى قراءة الاعرج ومجاهد واهل الحجاز وابى عبد الرحمن ونصر
ابن عاصم والاعمش وهى التى رجح ابو حاتم ومنه قول ــــــ فى الاصبع
العدوانى "حنقا على ولا ارى لى منهم شرا بيسا" وقرا اهل مكه بيس كالاول
الا كسر الباء على وزن فعيل قال ابو حاتم هما لغتان وقرا عاصم فى رواية ابى بكر
عنه بيس بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزه على وزن فعل ومعناه شديد
ومنه قول ــــــ امرى القيس ابن عابس الكندى
"كلا هما كان زبيسا بيسا تضرب فى يوميهما الهياح القونسا"
فهى صفة كضيغم وحيدر وهى قراءة الاعمش وقرا عيسى ابن عمر والاعمش
بخلاف عنه بيس كالتى قبل الا كسر الهمزه على وزن فعل وهذا شاذ لانه
لا يوجد فيعل فى الصحيح وانما يوجد فى المعتل [illegible] ومسيد وقال الزهراوى
روى نصر عن عاصم بئيس على وزن [illegible] انه من البوس لا اصل

له في الهمز قال ابو حاتم زعم عصمة ان الحسن والاعمش قرآ ابيس الباء مكسوره
والهمزة ساكنة والياء مفتوحه على مثل خديم وضعفها ابو حاتم وقرأ ابن
عامر من السبعة بيس بكسر الباء وسكون الهمزه وتنوين السين المكسورة
وقرأت فرقة باس بفتح الباء وسكون الالف وقرأ ابو رجاء باس على وزن فاعل
وقرأت فرقة بئس بفتح الباء والسين على وزن فعل وقرأ مالك ابن
دينار باس بفتح الباء والسين وسكون الهمزه على وزن فعل غير مصروف
وقرأت فرقة بائس مصروفا وحكى ابو حاتم بئس قال ابو جعفر هي قراءة نصر
ابن عاصم وحكى الزهراوي عن ابن كثير واهل مكه بيئس بكسر الباء وهمز خفيفا

قال القاضي رحمه الله ولم يسن اهل الهمزه مكسوره او ساكنه وقوله بما
كانوا يفسقون اي لاجل ذلك وعقوبة عليه والعتو الاستعصاء وقلة الطاعة
وقوله قلنا لهم يحتمل ان يكون قولا ملفوظا من ملك اسمعهم ذلك فصار ارفق في الاغراب
والهول والاصغار ويحتمل ان يكون عبارة عن القدرة المكونه لهم قردة خاسئين
معناه مبعدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترصاد احسانا كما يقال
للكلب اخسأ فخاسئين خبر بعد خبر هذا اختيار ابو الفتح وضعف الصفة
وكذلك هو لان القصد ليس التسمية بقرده مبعدات قال القاضي رحمه
الله ويجوز ان يكون خاسئين حالا من الضمير في كونوا والصفة ايضا موجهة مع
ضعفها وروي ان مسخهم كان بعد المعصية في صدر الحوت ثلاثين وقال ابن الكلبي
ان اهلاكهم كان في زمان داود وروي ان الناهين قسموا المدينة بينهم وبين العاصين
بجدار فلما اصبحوا البلد اهلك العاصون لم يفتح مدينة العاصين حتى ارتفع
النهار فاستراب الناهون اهلك فطلع احدهم على السور فرآهم ممسوخين
قردة تتواثب فصاح في [illegible] الرجل فراسته ويعرف القرد ايضا

وروي ان السباع مسخوا مع القرد

لذلك وتطرون الى قراباتهم ويتحشرون قال الزجاج وقال قوم يجوز ان تكون هذه
القرده من نسلهم قال القاضي رحمه الله وتعلق بهذا ولا يقول النبي صلى الله عليه وسلم
ان امة من الامم فقدت وما ارى الا الفارة اذا قرب لها لبن لم تشرب وبقوله
صلى الله عليه وسلم في الضب لا قصص لهذا الامر اكثر من هذا لكن احتصرته واقتصرت
على عيونه قوله تعالى واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم يتنه تاذن
هي التي يقتضي التكسب من اذن اي علم ومكن وأذن اي أعلم مثل كرم فاكرم وتكرم
الا ان تعلم وما جرى مجرى هذا الفعل اذا كان مسندا الى الله عز وجل لم يحفه معنى
التكسب الذي يلحق الخلق فانما يترتب بمعنى علم صفة لا يتكسب بل هي قايمه الذات
والى هذا المعنى نحا الشاعر بقوله

تعلم أبيت اللعن أنك لا تزال ... زعيم الذي تقضي حياته

وانما اراد ان يوقفه على قوة علمه ومنه قول زهير

تعلم ان شر الناس حي ... ينادى في شعارهم يسار

فمعنى هذه الايه واذ علم الله ليبعثن وتقتضي قوة الكلام ارد لك العلم منه
مقترن بانفاذ وامضاء كما تقول في امر قد عزمت عليه غاية العزم علم
الله لافعلن كذا نحا اليه ابو علي الفارسي وقال الطبري وغيره تأذن معناه
أعلم وهو قلق من جهة التصريف اذ نسبة تأذن الى الفاعل غير نسبة
أعلم وبين ذلك من التعدي وغيره وقال مجاهد تأذن معناه قال وروي عنه
ان معناه امر وقال قتاده تأذن تألى قال القاضي رحمه الله وقادهم
الى هذا القول دخول اللام في الجواب واما اللفظ فبعيد عن هذا والضمير في علهم
لمن بقي من بني اسرايل لا للضمير في لهم وقوله من يسومهم [illegible] اشاره
الى العذاب وقال ابن عباس هي الجزية [illegible] قال القاضي

رضى الله عنه والصحيح انها عامة فى كل من حال اليهود محمد هذا الحال وسوهم معناه
كلفهم وتحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انها الجزية والاذلال وقد ختم عليهم
هذا وحفظ ملكهم فليس فى الارض رايه ليهودى وقال ان المسيب يستحب ان يتعب
اليهودى فى الجزية ولقد حدثت ان طايفة من الروم أسلفت فضعفها فباعت اليهود
المجاورة لهم والساكنة معهم وتملكوهم ثم حشر فى آخر هذه الايه لتضمنها الايقاع
بهم والوعيد ان ينبه على سرعة عقاب الله ويخوف بذلك خوفا عاما لجميع
الناس ثم رجا بعد ذلك لطفا منه تبارك وتعالى وتعطفا معناه فرقنا لهم
فى الارض قال الطبرى عن جماعة من المفسرين ليس فى الارض بقعة الا وفيها معشر
من اليهود والظاهر فى المشار اليهم فى هذه الايه انهم الذين بعد سليمان وقت زوال
ملكهم والظاهر انه قبل مدة عليه السلام لانه لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم لعيسى
عليه السلام وفى التاريخ فى هذا الفصل روايات مضطربة والصالحون ودون
ذلك الفاظ محتملة فان اريد صلاح الايمان فدون معنى غير ان اذيها الكفر وان
اريد بالصلاح العبادة والخير وتوابع الايمان فدون ذلك يحتمل ان يكون فى مومنين
وبلوناهم معناه امتحناهم والحسنات الصحة والوجاهة بحسب راى ابن ادم ونظره
والسيات مقابلات لهذه وقوله لعلهم اى بحسب رايكم لو سالهم دلك والمعنى
لعلهم يرجعون الى الطاعة ويتوبون من المعصية **قوله تعالى** فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا
الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون خلف معناه
حدث خلفهم وراءهم خلف باسكان اللام تستعمل فى الاشهر من الذم ومنه قول لبيد

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم ... وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وقد تستعمل فى المدح ومنه قول حسان

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا ... لاولنا فى طاعة الله تابع

والخلف بفتح اللام تستعمل فى الاشهر فى المدح قال ابو عبيد والزجاج وقد
تستعمل فى الذم ومنه قول الشاعر

الا ذلك الخلف الاغور

وقال مجاهد المراد الخلف هنا النصارى وضعفه الطبرى وقرا جمهور الناس
ورثوا الكتاب وقرا الحسن ابن ابى الحسن ورثوا الكتاب بضم الواو وشد الراء
وقوله ياخذون عرض هذا الادنى اشاره الى الرشا والمكاسب الخبيثة والعرض
ما عرض ويعن ولا يثبت والادنى اشاره الى عيش الدنيا وقوله يقولون سيغفر
لنا ذم لهم باغترارهم وقولهم سيغفر مع علمهم بما فى كتاب الله من الوعيد على
المعاصى واصرارهم عليها وانهم بحال لو امكنتهم تابيده ان يكبوا عليها ولا يحجزه
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
وقوله تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الايه سديد فى لزوم قول الحق على الله
فى الشرع والاحكام بين الناس وان لا تميل الرشا بالحكام الى الباطل والكتاب يريد
به التوراه وميثاقها الشدايد التى فيها فى هذا المعنى وقوله الا يقولوا على الله
الا الحق يحتمل ان يريد بذلك قولهم الباطل فى حكومه مما يقبح من ايديهم ويمكن ان
يريد قولهم سيغفر لنا وهم قد علموا الحق فى نهى الله عن ذلك وقرا جمهور الناس
يقولون بياء من تحت وقرا الحذرى تقولوا بالتاء وقوله ودرسوا معطوف
على قوله الم يوخذ لانه بمعنى المضى يقدر اليس فلا خذنا عليهم ميثاق الكتاب
ودرسوا ما فيه وهذه من الفعلين يقوم الحجة عليهم فى قولهم الباطل وقرا عبد
الرحمن السلمى واذ ارسوا ما فيه وقال الطبرى وغيره قوله ودرسوا معطوف
على قوله ورثوا الكتاب **قال القاضى** رحمه الله وفى هذا نظر لبعد المعطوف

علمه ولان قوله ودرسوا ما فيه يدل على معناه اقامه الحجة بالتقرير الذي في قوله الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون
أفلا تعقلون بالتاء من فوق وقرأ ابو عمرو واهل مكة يعقلون بالياء من أسفل
وقوله والدين عطف على قوله للذين يتقون وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص وابو عمرو والباقون بسكون التاء وفتح الميم وشد السين وقرا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابو العالية وعاصم وحده في رواية ابي بكر بسكون
السين وكلهم خففوا ولا تمسكوا بعصم الكوافر الا ابو عمرو
فانه قرأ ولا تمسكوا بفتح الميم وشد السين وقرأ الاعمش والدين استمسكوا وفي
حرف أبي والدين مسكوا يقال مسك وأمسك وهما بمعنى واحد قال كعب بن زهير

«فما تمسك بالعهد الذي زعمت الا كما تمسك الماء الغرابيل»

اما أن شد السين يمشي مع التعدي بالباء **قوله تعالى** وادا نتقنا الجبل
فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه
لعلكم تتقون نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا ومكان النتق اقتلاع الشيء يقول
العرب نتفت الريشة من فم القربة ومنه قول الشاعر

«ونتقوا احلامنا الاثقالا» والناتق الرحم الذي يقتلع الولد من الرحل

«ومنه قول النابغة»

«لم يجزموا حسن الجوار وانهم حقت عليك بنايق مدكار»

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بروح الابكار فانهن
انتق ارحاما والطف افواها الحديث وقد جاء في القرآن بدل هذه اللفظة
في هذه القصة ورفعنا لكن نتقنا فوقهم اعلم الرفع بزيادة قرينة هي ان الجبل
اعلقته الملائكة او امر الله اياه وروي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة

فقال عز الله تعالى لهذا كتاب انقبلونه بما فيه فاعزفوه بيان ما احل لكم وحرم عليكم
وما امركم وما نهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرايضها يسيرة وحدودها
خفيفة قبلناها فقال اقبلوها بما فيها قالوا لا فراجعهم موسى فراجعوه ثلاثا
فاوحى الى الجبل فاذا تحته فارتفع فوق رؤوسهم فقال لهم موسى عليه السلام الا ترون
ما تقول لي لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لارمينكم بهذا الجبل قال الحسن البصري
فلما راوا الجبل خر واحد منهم ساجدا على جانبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى
الجبل فرقا ان يسقط عليه فهو لذلك يسجد الى اليوم على جانبه الايسر يقولون لهذه السجدة
الى ارتفعت عنا بها العقوبة والظلة ما اظل ومنه سمي يوم الظلة
عذاب يوم الظلة ومنه قول انس بن حضير للنبي صلى الله عليه وسلم قرأت البارحة
فغشيتني الدار مثل الظلة فيها امثال المصابيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلك السكينة نزلت للقرآن فان قيل فاذا كان الجبل ظلة فما معنى كأنه فالجواب
ان البشر انما اعتادوا هذه الاجرام الارضية ظللا اذا كانت على عمد فلما كان
الجبل على غير عمد قيل كأنه ظلة اي كأنه على عمد وظنوا قال المفسرون معناه
ايقنوا **قال القاضي** وليس الامر عندي كذلك بل هو موضع غلبة
الظن مع بقاء الرجاء وكيف يوقنون بوقوعه وموسى عليه السلام يقول لهم
ان لم تقبلوا فهو شرط ان لا تقبلوا النزول والظن انما يصح ويستعمل في النفس
متى كان ذلك اليقين لم يخرج الى الحواس وقد سبق هذا فيما سلف من هذا الكتاب
ثم قيل لهم في وقت ارتفاع الجبل خذوا ما اتيناكم بقوة فاخذوها والتزموها
جميع ما تضمنته من شدة وزخا فما وفوا وقرأ جمهور الناس واذكروا وقرأ الاعمش
فيما حكى ابو الفتح واذكروا ولعلكم ترجيهم وهذا مشكل عليهم في حفظها والتهم
بامرها وقوله تعالى واذ اخذ ربك الاية التقدير واذكر اذ اخذ ربك وقوله من

ظهورهم قال النحاة هو بدل اشتمال من قوله من بني آدم والفاظ هذه الآية تقتضي
ان الاخذ انما كان من بني آدم من ظهورهم وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظ
ونوافق الاحاديث في تفسير هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عمر
ابن الخطاب وعبد الله ابن عباس وغيرهما ان الله عز وجل لما خلق آدم وفي بعض
الروايات لما اهبط الى الارض في دهنا من ارض الهند قال له ابن عباس وفي بعضها
ان ذلك سنعان وهي عرفة وما يليها قاله ايضا ابن عباس وغيره مسح على ظهره
وفي بعض الروايات ضرب منكبه فاستخرج منه اي من المسحة او الضربة نسم بنيه
ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد ابن كعب انها الارواح
خلقت لهما مثالات وروي عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اخذ من ظهره كما يوخذ بالمشط من الرأس وجعل الله لهم عقولا كاملة
سلمان واخذ عليهم العهد انه ربهم وان لا الدغيره فاقروا بذلك والتزموه
واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض وقال
ابي ابن كعب اشهد عليهم السموات السبع فليس من احد يولد الى يوم القيامة الا
وقد اخذ عليه العهد في ذلك اليوم والمقام وقال السدي اعطا الكفار العهد
يومئذ كارهين على وجه التقية **قال القاضي** رحمه الله هذه جملة
مجموع الروايات المطولة وكان الفاظ هذه الاحاديث لا تلتئم مع الفاظ الآية
وقد اكثر الناس في رسوم الجمع بينهما فقال قوم ان الآية منبهة الى هذا التناسل
الذي في الدنيا واخذ بمعنى اوجد على المعهود وان الاشهاد هو عند بلوغ المكلف
وهو قد اعطى الفهم ونصبت له الصنعة الدالة على الصانع وحي الى هذا المعنى
الزجاج وهو معنى يحتمله الالفاظ لكن عليه تفسير عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
وابن عباس الآية بالحديث المذكور ورواتهما ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وطول
الحرجاني في هذه المسالة ومنع كلامه على ان المسح واخراج الذرية هو من ظهر

آدم حسب الحديث وقال في الآية اخذ من ظهورهم اذ الاخراج من ظهر آدم الذي
هو اصل الاخراج من ظهور بنيه الذين هم الفرع اذ الفرع والاصل شيء واحد الى الكلام
كثير لا يثبت للعقل وقال غيره اتى جميع ما في الحديث من مسح بيمينه وضرب منكبه
ونحو هذا انما هي عبارة عن ايجاد ملك النسم منه والمعنى عبارة عن القدرة او يكون
المسح ملكا ما مر الله عز وجل فتضمن الحديث صدر القصة واخذ النسم من آدم
وبعده وزاده على ما في الآية مما حرى بعد هذا من اخذ العهود والنسم
وحصول موجودون وهي محتملة معينة احدها ان يكون اخذا عاما لما في عهد وميثاق
تقرره بعد قوله ذرياتهم ويكون قوله من ظهورهم لبيان جنس البنوة اذ المراد
من الجميع التناسل وتسلسل في لفظ بني آدم بنوة لصلبه وبنوة بالحنان والشفقة
ويكون قوله ذرياتهم بدلا من بني آدم والمعنى الاخر لما كانت كل نسمة هنالك لها
نسبة الى التي هي في ظهرها كان بعين ذلك النسبة كانه اخذ من الظهر اذ قد
يستخرج منه في المستانف فالمعنى واذ عينوا بهذه النسبة وعرفوا بها فذلك
اخذ ما واخذ واخذ على هذا عامل في ذرياتهم وليس بمعنى مسح واوجد بل قد تقدم
الجاد هم فتقدم الحديث المذكور فالحديث تنزيل معنى على الآية وهو ذكر آدم
واول الحاد النسم كيف كان وقال الطوسي ان هذا الوعد يلزم البشر وان
كانوا لا يدركونه في بعد الحياة كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وهو قد نسبه
الى غير هذا مما ليس بتفسير ولا من طريقه وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ذرياتهم
جمع جمع وقرا ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ذريتهم والافراد هنا جمع وتقدم
القول على لفظ الذرية في سورة آل عمران ويروى في قصص هذه الآية ان الانبياء
عليهم السلام كانوا ابين تلك النسم امثال السرج وان آدم عليه السلام راى داود فاعجبه
فقال من هذا فقيل له من ذريتك فقال كم عمره قال ستون سنة قال زده من
عمري اربعين فزيد قال وكان عمر آدم الفا فلما اكمل تسع مائة وستين جاءه ملك

الموت فقال له ادم بقي من عمري اربعون سنه فرجع ملك الى ربه فاخبره
فقال قل له انك اعطيتها لابنك داود فتوفي ادم عليه السلام بعد ان خاصم
في الاربعين قال الضحاك ان مزاحم من مات صغيرا فهو على العهد الاول
وسن بلغ فقد اجده العهد الثاني يريد الذي في هذه الحياه المعقوله الان
وحكى الزجاج عن قوم انهم قالوا ان هذه الايه عباره عن ان كل نسمه اذا
ولدت وبلغت فطرها في الادله المنصوبه عهد عليها في ان يومن ويعرف
الله وقد يتقدم هذا القول وهو قول ضعيف منكب عن الاحاديث الماثوره
مطرح لها وقوله شهدنا يحتمل ان يكون من قول الله تعالى لبعض اي شهدنا عليكم
لئلا تقولوا يوم القيامه غفلنا عن معرفه الله والايمان به فتكون مقاله
مرهاً ولا لهما ولا دليل الطبري وعلى هذا الاحسن الوقف على قوله بلى قال السدي
المعنى قال الله وملائكته شهدنا ورواه عبد الله ابن عمر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم وقرا السبعه غير ابن عامر وابو عمرو ان يقولوا على المخاطبه الحاضرين وقرا
ابو عمرو وحده وان يقولوا على المخابه عن الغايبين وهي قراءه ابن عباس وابن
جبير وابن محيصن والقراءتان تتفسر باحد المعنيين المذكورين وان في موضع
نصب على التقدير مخافه ان قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباونا
من قبل وكنا ذريه من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات
ولعلهم يرجعون المعنى في هذه الايه ان الكفر لو لم يوخذ عليهم عهد ولا حاجم
رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعباده لكانت لهم حجتان
احدهما كانا غافلين والاخرى كنا اتباعا لاسلافنا فكيف تهلكنا والذنب انما هو
لمن طرقنا واضلنا فوقع شهاده بعضهم على بعض او شهاده الملائكه عليهم

لما تم الكلام على الموت

لتسقط لهم هذه الحجج والاحتجاج في ان يقولوا او يقولوا بحسب الاول وقوله
تعالى وكذلك نفصل الايات تقديره وكما فصلنا هذه الامور وابنا هذه
المقادير فكذلك نفصل هذه الايات ونبينها لمن عاصرك ونعيدها اليهم لعلهم
على ترجيهم وترجيا وبحسب نظر البشر يرجعون الى طاعه الله ويدخلون في
توحيده وعباده وقرات فرقه يفصل بالياء وقوله تعالى واتل عليهم
الايه اتل معناه قص واسرد والضمير في عليهم عايد على حاضري محمد صلى الله
عليه وسلم من الكفار وغيرهم واختلف المتاولون في الذي اوتي الايات
فقال عبد الله ابن مسعود هو رجل من بني اسرايل يعني موسى عليه السلام
الى ملك مدين داعيا الى الله تعالى والى الشريعه وعلمه من ايات الله ما يمكن
ان يدعوا به واليه فلما وصل رشاه الملك واعطاه على ان يترك دين موسى
ويتابع الملك على دينه ففعل وفتن به الملك الناس واضلهم وقال ابن عباس
هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعام ابن عابور او قال ابن دابر وقيل
غير هذا مما ذكره بطول وكان في جمله الجبارين الذين عزائهم موسى عليه السلام
فلما قرب منهم موسى لجوا الى بلعام وكان صالحا مستجاب الدعوه وقيل
كان عنده علم من صحف ابراهيم ونحوها قال مجاهد كان رشح للنبوه واعطيها
فرشاه قومه على ان يسكت ففعل قال القاضي رحمه الله وهذا قول مردود
لا يصح عن مجاهد ومن اعطي النبوه فقد اعطي العصمه ولا بد ثبت هذا الشرع
وقد نص محناما قلته ابو المعالي في كتاب الشامل وقد كان يعلم اسم الله الا
عظم قاله ابن عباس ايضا وهذا الخلاف المراد بقوله ايانا فقال له قومه ادع
الله على موسى وعسكره فقال لهم وكيف ادعوا على نبي اسرايل فيهم الوابه حتى
فتنوه فخرج حتى اشرف على جبل فراى منه عسكر موسى وكان قد قال لقومه

لا افعل حتى استامر ربى ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا ان الله لم يدع نبيك
الا وقد اراد لك فخرج فلما اشرف على العسكر جعل يدعو على موسى فتحول
لسانه بالدعا لموسى والدعا على قومه فقالوا له ما تقول فقال انى لا املك
هذا وعلم انه قد اخطأ فروى انه خرج لسانه على صدره فقال لقومه انى
قد هلكت ولكن لم اسولكم الا الحيلة فاخرجوا النسا الى عسكر موسى على جهة
التجر وغيره ومروهن ان لا تمتنع امراة من رجل فانهم اذا زنوا هلكوا ففعلوا
فخرج النسا فزنى بهن رجال من بنى اسرايل وجاء فنحاص ابن العيزار ابن هارون
فانتظم برمحه رحلا وامراة من بنى اسرايل ورفعهما الى اعلا اعلا الربح فوقع
فى بنى اسرايل الطاعون فمات منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا ذكر المعتمر عن
ابيه ان موسى عليه السلام قتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من ايات الله قال
المهدوى روى انه دعا على موسى ان لا يدخل مدينة الجبارين فاجيب ودعا
عليه موسى صلى الله عليه وسلم اينسى اسم الله الاعظم فاجيب قال الزجاج وقيل
ان الاشارة الى منافقى اهل الكتاب **قال القاضى** رضى الله عنه وصواب
هذا ان يقال الى كفار اهل الكتاب لانه لم يكن منهم منافق انما كانوا مجاهرين
وفى هذه القصة روايات كثيرة اختصرنا التعديل صحيحها واقتصرت منها على
ما يحصل الغاط الايه وقال فرقد المشار اليه فى هذه الايه رجل كان قد اعطى
ثلاث دعوات مستجابات فترك ان يدعو بها فى مصالح العباد فدعا بواحدة ان
يرجع امراته اجمل الناس فجاز ذلك فلما زالت نفسها الى ذلك بمعصيته واخفقه
فدعا عليها فانبه فمسخها كلبة فشفع لها فاعادها عندة فانصرف الى حالها الاول
فذهبت الدعوات وقال عبد الله ابن عمرو ابن العاص المشار اليه فى الايه
اميه ابن ابى الصلت وكان قد اوتى علما وروى امية يزيل الاسلام فوصل الى

بدر بعد الوقعة بيوم او نحوه فقال من قتل قتلا ولا فقيل محمد قال فلا حاجة
لى بدين من قتل قتلا ولا فارتد ورجع وقال الان حلت لى الخمر وكان قد حرمها على
نفسه فمر حتى اتى على قوم من ملوك حمير فاقام بهم حتى مات واسلخ عبارة عن
البراة منها والانفصال والبعد كالمنسلخ من الثياب والجلد واتبعه تابعا
كذا قال الطبرى اما اضلاله وسهاله واما لنفسه وقرا الجمهور فاتبعه
بقطع الالف وسكون التا وهى واحدة لانها تضمر انه لحقه وصار معه
وكذلك فاتبعه سهاب ثاقب وفاتبعهم فرعون وقرا الحسن فيما روى عنه
هارون فاتبعه بصله الالف وشد التا وكذلك قرا طلحة ابن مصرف
بخلاف وكذلك الخلاف عن الحسن على معنى لازمه واتبعه بالاغراء اى اغراه
ومن الغاوين اى من الضالين **وقوله** ولو شينا لرفعناه بها الايه يقول
الله عز وجل ولو شينا لرفعناه بها فالت فرقه معناه لاخذناه كما يقول اخذ
الظالم اذا اهلك والضمير فى بها عاد على المعصية فى الانسلاخ وابتدا وصف
حاله بقوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض فهى عباره عن امهاله واملاء الله
له وقال ابى لو شينا لرفعناه معناه لتبعنا فيناه فعل ان يقع فى المعصية ورفعناه
عنها والضمير على هذا عاد على الايات ثم ابتدا وصف حاله وقال ابن عباس
وجماعة معنا لرفعناه اى لشرفناه بذكرنا ورفعنا منزلته لدينا بهذه الايات
التى اتيناه ولكنه اخلد الى الارض والكلام متصل ذكر فيه السبب الذى من
اجله لم يرفع وشرف كما فعل بغيره ممن اراد تعالى رفعه واخلد معناه لازم
والتعاس وثبت والجلد الذى يثبت شبابه فلا يغشاه الشيب ومنه
الجلد ومنه قول ـــــــ زهير
لمن الديار غشيتها بالفرقد كالوحى فى حجر المسيل المخلد وقوله

تعالى الى الارض يحتمل ان يريد الى شهواتها ولذاتها وما فيها من الملاذ قاله السدى
وغيره ويحتمل ان يريد به العباره عن الاسفل والاخس كما يقال فلان في
الحضيض ويشهد لذلك من جهة المعنى المعقول ودلائل الارض وما اركن
فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان من اخلد اليه فقد حرم خطه الاخره الباقيه
وقوله عطشان فمثله كمثل الكلب قال السدى ان هذا الرجل عوقب في دنياه بانه
كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صوره ونفسه وقال الجمهور انما شبه
به فانه كان ضالا قبل ان يوتى الايات ثم اوتيها فكان ضالا لم ينفعه فهو
كالكلب فانه لا يفارق اللهث في حال حمل المشقه عليه او تركه دون حمل عليه
وتحرير المعنى فالسبب الذي تتصوره النفوس من حال الكلب كالذي يصوره في حال
اللهث وهذا التقدير يحسن دخول الكاف على مثل واللهث تنفس بسرعه وتحرك
اعضاء الفم معه وامتداد اللسان واكثر ما يعتري ذلك مع الحر والتعب
وهو في الفرس ضعيف وخلقه انه يلهث على كل حال وذكر الطبري ان معنى ان تحمل
عليه ان تطرده وحكاه عن مجاهد وابن عباس **قال القاضي** رحمه
الله وذلك داخل في جمله المشبه التي ذكرنا وقوله ذلك مثل القوم اي هذا
المثل بمحمد مثل لهاؤلاء القوم الذين كانوا من قبل ان تاتيهم هداي والرساله
ثم جيئتهم بذلك فبقوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب وقوله
فاقصص القصص اي اسرد عليهم ما يتعلمون انه من العيوب التي لا يعلمها
الا اهل الكتب الماضيه ولبست منهم لعلهم يتفكرون في ذلك فيومنون
وقوله ساء مثلا قال الرماح التقدير ساء مثلا القوم لان الذي بعد بيس
ونعم وساء ما تفسر من نوعه كما تقول بيس رجلا زيد ولما الحذف مثل اقيم
القوم مقامه والرفع في ذلك بالابتداء والخبر فيما تقدم وقرا الحدري

سائل القوم ورفع المثل على بعده القراء بسا ولا يجري بئس الا
اذا كان ما بعدها منصوبا قال ابو عمرو الداني مثل بكسر الميم ورفع اللام
وقرا الاعمش مثل بفتح الميم والثاء ورفع اللام **قال القاضي** رحمه الله
وهذا خلاف ما ذكره ابو حاتم فانه قال قرا الحدري والاعمش ساء مثل
بالرفع وختمت هذه الايات التي تضمنت ضلال اقوام والغول فيه بان
ذلك كله من عند الله الهدايه منه وبخلقه واختراعه ولذلك الاضلال
وفي الايه تحذير من حال المذكورين ومن افعل فقد حتم عليه بالخسران والعواب
والعقاب متعلق بكسب ابن ادم وقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من
الجن والانس خبر من الله تعالى انه خلق ليسكن جهنم والاحتراق فيها كذا
وفي ضمنه وعيد للكافرين وذرا معناه خلق وا وجد مع بث ونشر
وقالت فرقه اللام في قوله لجهنم هي لام العاقبه اي ليكون امرهم ومالهم
قال القاضي وليس هذا بصحيح ولام العاقبه انما تصور اذا كان
فعل الفاعل لم يقصد به ما يصير الامر اليه واما هنا فالفعل قصد به
ما يصير الامر اليه من سكناهم جهنم وهذه اللام هي التي في قول الشاعر
"لدوا للموت وابنوا للخراب" "فكلكم يصير الى ذهاب"
وحكى الطبري عن سعيد بن جبير انه قال اولاد الزنا مما ذرا الله لجهنم ثم
اسند فيه حديثا من طريق عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله
كثيرا وان كان ينصرف ان الكفار اكثر من المومنين فهو ناظر الى ذلك في قول النبي
صلى الله عليه وسلم قال الله يا ادم اخرج بعث النار فاخرج من كل الف تسع
مايه وتسعه وتسعين **قوله تعالى** لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم

العاقلون وصفت هذه الصنيفة الكافره المعرضه عن ايات الله بان
قلوبهم لا تفقه الفهم واعينهم لا تبصر وادانهم لا تسمع وليس
العرض من ذلك نفي هذه الادراكات عن حواسهم جملة وانما العرض
نفيها في وجه ما كما تقول أصم عن الخنا ومنه قول [illegible] مسكين الدارمي
أعمى اذا ما جارتي خرجت حتى تواري جارتي الخدر
واصم عن ما كان بينهما عمدا وما بالسمع من وقر ومنه قول الاخر
وبادرة وزعت النفوس عنها وقد ثقبت من الغضب الضلوع
ومنه قول [illegible] الاخر في وصاة من يدخل الدار
ملك وادخل اذا ما دخلت أعمى واخرج اذا ما خرجت أخرس
فكان نفاولا القوم لما لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوا
من الايات والمواعظ استوجبوا الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون
ولا يسمعون وفسر مجاهد اذان قالهم قلوب لا تفقهون بها شيأ من امر
الاخره واعين لا يبصرون بها الهدى وادان لا يسمعون بها الحق واولئك
اشارة الى من تقدم ذكره من الكفره وشبههم كالانعام في ان الانعام لا تفقه
قلوبها الاشيا ولا تعقل المقاس ولذلك ما تبصره لا تتحصل لها كما يجب
فيها ولا ما يبصرونه ويسمعونه لا تتحصل لهم علم على ما هو به حتى ابصر
وسمع بهم حكم عليهم بانهم اضل لان الانعام ملكت بنيتها وخلقتها لا تقصر
في شيء ولها سبيل الى غير ذلك وهم اولا معذورون للفهم وقد خلقت لهم
قوى يبصرون بها واعطوا طرقا في النظر فهم بغفلتهم واعراضهم يلحقون
انفسهم بالانعام فهم اضل على هذا ثم بين بقوله اولئك هم الغافلون الطريق
الذي به صار وا به اضل من الانعام وهو الغفله والتقصير وقوله تعالى

وقوله تعالى اشارة الى ما تقدم

ولله الاسما الحسنى الاية السبب في هذه الاية على ما روى ان اباجهل سمع بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرا فيذكر الله في قراءته ومرة يقرا فيذكر
الرحمن ونحو ذلك فقال يحمد يزعم ان الاله واحد وهو انما يعبد الها كثيرة فنزلت
هذه الاية والاسما هنا بمعنى التسميات احتراسا من المنا ولن لا يعلم غيره
والحسنى مصدر وصف به ويجوز ان تقدر الحسنى فعلى مؤنثة احسن فافرد
وصف جمع ما لا يعقل كما قال يا بقاع حرى وكما قال باجال اوى معه ولهذا
كثر وحسن الاسما انما تؤخذ من تحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف
الى ذلك ايضا انها انما تضمنت معاني حسان شريفة واختلف الناس
في الاسم الذي يقتضي مدحا خالصا ولا تعلق به شبهه ولا استراك الا انه
لم يرد منصوصا هل يطلق ويسمى الله به فنصر ابن الباقلاني على جواز ذلك
ونص ابو الحسن الاشعري على منع ذلك والفقها والجمهور على منع ذلك
وهو الصواب ان الاسم الله تعالى الاباسم فد اطلقته الشريعه ووقفت عليه
نصا فان بعده الشريطه التي في جواز الحلاقه من ان يكون مدحا خالصا
لا سبهه فيه ولا استراك امر لا يحسنه الا الاقل من اهل العلم فاذا اتبع
ذلك تسور عليه من يطرئ الاحسان وهو لا يحسن فادخل في اسما الله
ما لا يجوز اجماعا واختلف ايضا في الافعال التي في القران مثل قوله الله
يستهزئ بهم ومكر الله ونحو ذلك هل يطلق منها اسم الفاعل فقالت فرقه
لا يطلق ذلك بوجه وجوزت فرقه ان يقال ذلك مقيدا بسببه فيقال الله
مستهزئ بالكافرين ومكر بالذين يمكرون بالدين واما الخلاق ذلك دون تقييد
فممنوع اجماعا وبالقول الاول اقول ولا ضرورة تدفع للقول الثاني لان صيغة
الفعل الواردة في كتاب الله تعالى ومن اسما الله تعالى ما ورد في القران ومنها

ما ورد في الحديث وتواتر وهذا هو الذي ينبغي ان يعتمد عليه وقد ورد في الترمذي
حديث عن ابي هريرة ونص فيه تسعة وتسعين اسما وفي بعضها شذوذ ودلك
الحديث ليس بالمتواتر وانما المتواتر منه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسما مايه الا واحدا من احصاها دخل الجنة ومعنى احصاها
عدها وحفظها وتضمن ذلك الايمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة
في معانيها وهذا حديث البخاري والمتحصل منه ان لله تعالى هذه الاسما
مباحا اطلاقها وورد في بعض دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يا منان يا منان
ولم يقع بهذا ان الاسمان في تسمية الترمذي وقوله فادعوه بها اباحة
اطلاقها وقوله وذروا الذين قال ابن زيد معناه اتركوهم ولا تحاجوهم ولا
تعرضوا لهم فالاية على منسوخة بالقتال وقيل معناه الوعيد كقوله تعالى
ذرني ومن خلقت وحيدا وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويقال الحد واللحد
بمعنى حار ومال والحرف والحذا شهر ومنه قول الشاعر

ليس الاءمام بالشحيح الملحد

قال ابو علي ولا بحاد يسمع لاحد وفي القراءات
ومن يرد فيه بالحاد ومنه لحد القبر المايل الى احد شقيه وقرا ابن عمر وابن
كثير ونافع وعاصم وابن عامر يلحدون بضم الياء ولكسر الحاء ولدلك في النحل والسجدة
وقراحمزة في الاحرف الثلاثة يلحدون بفتح الياء والحاء ولدلك في الاعراف وطه
وعسى والاعمش ومعنى الالحاد في اسماء الله تعالى ان يسموا اللات تطيرا الى
اسم الله تعالى قاله ابن عباس والعزى تطيرا الى العزيز وقال مجاهد يسمون
الله زنا وانهم ارباب ونحو هذا وقوله سيجزون ما كانوا يعملون وعيد
محض بعذاب الاخرة وذهب الكسائي الى ان الفرق بين الحد واللحد ورغم ان
الحد مال والحرف والحذ بمعنى وكن وانصوى قال الهجري وكان الكسائي

يقرا جميع ما في القران بضم الناء وكسر الحاء الا التي في النحل فانه كان يقرا ويعانيه
الناء والحاء ويزعم انها بمعنى الركون وكذلك ذكر عنه ابو علي **قوله تعالى**
ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون هذه الاية تضمن الخبر عن قوم مخالفين لمن تقدم ذكرهم في
انهم اهل ايمان واستقامة وهداية وظاهر لفظ هذه الاية يقتضي لفظ كل
مؤمن من لدن ادم عليه السلام الى قيام الساعة قال الخاسر فلا تخلوا الدنيا
في وقت من الاوقات من مراع يدعوا الى الحق **قال** القاضي سواء بعد صوته
او كان خاملا وروي عن كثير من المفسرين انها في امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي
في ذلك حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الاية لكم وقد تقدم
مثلها لقوم موسى وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا الاية وعيد والاشاره
الى الكفار وسنستدرجهم معناه سنسوقهم شيئا بعد شيء ودرجه بعد
درجة بالنعم عليهم والامهال لهم عقوبة من الله على التكذيب بالايات لما حتم
عليهم بالعذاب املي لهم ليزدادوا اثما وقراس وثاب والنحوي سنستدرجهم
بالياء وقرا حميد واملي معناه اؤخر ملاوة من الدهر اي مدة وفيها لغات
بفتح الميم وضمها وكسرها وقال ابو الحمد عن ابن عامر ان كيدي على معنى لاجل
ان كيدي وقرا الناس وساير السبعة ان كيدي على القطع والاستيناف
ومتين معناه قوي وهو المتن الذي يحمل عليه ومنه قول الشاعر

لاءم علينا وانت لا يضيعنا متين قراه عن منكب الجمل

وروى ابن اسحق في هذا امتن قوة وهو المتن الذي يحمل عليه لقوته ومنه قول الشاعر
وهو امرؤ القيس ويجري على صم صلاب ملاطس سلهبات عقد لبان مثان
ومنه الحديث في غزوة بني المصطلق فمتن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس

قوله تعالى أولم يتفكروا

أى سارعهم سيرا شديدا لينقطع الحديث لقول ابن ابى سلول لئن رجعنا الى المدينه
الايه وقوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه الايه تقرير لتعاند توبيخ
للكفار والوقف على قوله اولم يتفكروا ايما لئلا القول بنفى ما ذكروه ما بصاحبهم
من جنه اى بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى اولم يتفكروا انه ما
بصاحبهم من جنه **سبب** نزول هذه الايه فيما روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صعد ليلا على الصفا فجعل يدعو قبايل قريش بنى فلان بنى
فلان يحذرهم ويدعوهم الى الله تعالى فقال بعض الكفار حين اصبحوا هذا المجنون
بات يصوت حتى الصباح فنفى الله عز وجل ما قالوا وامر ذلك فى هذا الموطن المذكور
وغيره فان الجنون بعض ما رموه حتى اظهر الله نوره ثم اخبر انه نذير محذر من
العذاب ولفظ النذارة اذا جاء مطلقا فانما هى فى الشر وقد يستعمل فى الخير
مقيدا به ويظهر من وصف الايه انها باعثة لهم على التفكر فى امر محمد صلى الله
عليه وسلم وانه ليس به جنه كما احالهم بعد هذه الايه على النظر بين المنظور
فيه لان الحال بعضها على التفكر ثم بين التفكر فيه وقوله تعالى اولم ينظروا فى
ملكوت السموات والارض الايه هذا ايضا توبيخ للكفار وتقرير والنظر هنا
بالقلب عبرة وفكرا وملكوت بناء عظمه ومبالغه وقوله وما خلق الله
من شئ لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من هذا الصنعه الدالة على الصانع
فى نفس الانسان وحواسه ومواضع رزقه والسى واقع على الموجودات
وقوله وان عسى عطف على قوله فى ملكوت وان الناسه فى موضع رفع بعسى
والمعنى توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر فى شئ من هذا ولا فى اى قريبا اجالهم
فما توافقان اوان الاستدراك ووجب عليهم الجحود برم وقتهم باى حديث
اوامر يقع ايمانهم وتصديقهم اذا لم يقع بامر فيه [illegible] ودخول الخبر

وعلى اى نفس بعد نفسى اقاتل والضمير فى قوله
بعده يراد به القران وقيل المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقصته وامره
اجمع وقيل يعود على الاجل اى بعد الاجل الذى لا عمل بعد الموت **قوله تعالى**
من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون هذا شرط وجوابه
مضمنه اليأس منهم والقنوط لهم لان المراد بهذا قد نزل بهم وانهم امثال لهذا
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والحسن وابو جعفر وشيبه وابو عبد الرحمن
وقتاده وندرهم بالنون ورفع الراء ولذلك عاصم فى رواية ابى بكر وروى عنه
حفص ويذرهم بالياء والرفع وقرا الجمهور بالجزم عطفا على موضع الفاء من قوله فلا هادى له وهذا على اضمار مبتدا ونحن ندرهم
او على قطع الفعل واستيناف القول وقراءه والكسائى وابو عمر فيما ذكر
ابو حاتم بالياء والجزم وقراها كذلك طلحه ابن مصرف والاعمش ويذرهم بالياء
والجزم عطفا على موضع الفاء من قوله فلا هادى له فانه فى موضع جزم
ومنه قول ابى داود فاقبلوني يلتئم لعالى اصالحكم واستدرج نويا
ومنه قول الاخر انى سلكت فانثنى لك كاشح وعلى التقاضى فى الحياه
قال ابو على ومثله فى الحمل على الموضع لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين لانك لو لم تجزم لقلت اصدق وروى حارصه عن نافع وابن عامر
بالنون والجزم والعصيان الافراط فى الشئ وكانه مستعمل فى الصلاح والعمه
الحيره **قوله تعالى** يسالونك عن الساعه الايه قال قتاده ان دعامه
المراد بسالونك كفار قريش وذلك ان قريشا قالت يا محمد انا قرابتك فاخبرنا
بوقت الساعه قال ابن عباس المراد بالايه اليهود وذلك ان جبل ابن ابى قشير
وسمويل ابن زيد قالا له ان كنت نبيا فاخبرنا بوقت الساعه فانا نعرفها فان
صدقت امنا بك والساعه القيامه موت كل من كان حيا حينيذ وبعث الجميع

والاعمش هم

وما بعد لهما

عمرو

وهو كله يقع على اسم الساعه واسم القيامه وأيان معناها متى وهو
سؤال عن زمان ولتضمنها المعنى ثبت وقرأ جمهور الناس ايان بفتح الهمزه
وقرأ السلمى إيان بكسر الهمزه وبشبه ان يكون أصلها اى ان ولى مبنيه على
الفتح وقال الشاعر: أيان نقضى حاجتى أيانا أما ترى لفعلنا
أيانا؟ قال ابو الفتح وزن ايان بفتح الهمزه فعلان وبكسرها فعلان والنون
فيها زايده ومرساها رفع بالابتدا والخبر ايان ومذهب المبردان مرساها
مرتفع باضمار فعل ومعناه منتهاها متى تحود من أرساى يرسى ثم أمر
الله عز وجل بالرد اليه والتسليم لعلمه وجليها معناه يظهرها والجلا البينه
السهود وهو مراد زهير فى قوله بمن او نهارا وجلا وقوله ثقلت فى السموات
والارض قال السدى ومعمر عن بعض اهل التاويل معناه ثقل ان يعلم ويوقف
على حقيقته وقيها قال الحسن ابن ابى الحسن معناه ثقلت هيبتها والفزع منها
على اهل السموات والارض كما تقول خيف العدو فى بلد كذا وكذا وقال
قتاده وابن جريج معناه ثقلت على السموات والارض أن تفسرها لمطر السموات
وتبدل الارض وتنسف الجبال ثم اخبر تعالى خبرا بدخل فيه الكل فقال لا ياتى
الا بغته اى فجاه دون ان تتقدم منها علامه يوقتها عند أحد من الناس وبغتة
مصدر فى موضع الحال وقوله تعالى يسالونك كانك حفى عنها الآيه قال ابن
عباس وقتاده ومجاهد يسالونك كانك حفى اى متحف ومتبهل وهذا نحو الى
ما قالت قريش انا قرابتك فاخبرنا وقال مجاهد ايضا والضحاك وابن زيد
معناه كانك حفى فى المساله عنها والاستخبار بها حتى حصلت علمها وقرا ابن
عباس فيما ذكر عنه ابو حاتم كانك حفى بها وحفى معناه مرتبل مجتهد فى السوال
ومنه قول الشاعر: فلما التقينا بين السيف بيننا لسائله

عنا حفى سؤالها؟ ومن المعنى الاول الذى لا يحى فيه حفى وصفا للسائل قول الاحمر
سؤال حفى عن أخيه كانه بدكرته وسنان أو متوانس
سؤال حفى عن أخيه كانه بدكرته وسنان أو متوانس
ثم امره ثانيه ان يسلم العلم تاكيدا للامر وتهما اذ هو من الغيوب الخمسه التى
قوله عز وجل ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآيه
وقيل العلم الاول علم قيامها والثانى علم كنهها وحالها ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قال الطبرى معناه لا يعلمون ان هذا الامر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما
تعلمه البشر قوله تعالى قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير
لقوم يؤمنون هذا امر بان يبالغ فى الاستسلام وتجرد من المشاركه فى قدره
الله وغيبه وان يصف نفسه لها ولا السائلين بصفه من كانت هذه صفته
الا ما شاء الله وشايشتر وهذا الاستثنا منقطع واخبر انه لو كان يعلم
الغيب لتعلل بحسب ما يأتى ولاستعد لكل شى استعداد من يعلم قدر ما يستعد
له وهذا اللفظ عام فى كل شى وقد خصص الناس هذا فقال ابن جريج ومجاهد
لو كنت اعلم أجلى لاستكثرت من العمل الصالح وقالت فرقه اوقات النصر لنوجتها
وحكى مكى عن ابن عباس انه قال لولا حتى لولا انى اعلم السنه الجديده لاعددت لها من
الخصب قال القاضى رضى الله عنه والفاظ الآيه تعم هذا وغيره وقوله
وما مسنى يحتمل وجهين وبكليهما قيل أحدهما ان ما معطوفه على قوله لاستكثرت
أى لما مسنى السوء والثانى ان يكون الكلام مقطوعا مما فى قوله لاستكثرت من
الخير وابتدا الخبر بنفى السوء عنه وهو الجنون الذى رموه به قال صاحب السدوسى
السوء الجنون ثم اخبر بجمله ما هو عليه من الانذار والبشاره

والقوم يومنون بحمل معنيين احدهما انه يريد بشيرٌ ونذيرٌ لقوم بطلت منهم الا
يمان ويدعون اليه ولقاولاء الناس اجمع والثاني الخبر انه نذيرٌ ويتم الكلام و
يبتدئ بالخبر انه بشيرٌ للمومنين به ففي هذا وعدٌ لمن حصل ايمانه **وقوله**
تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة قال جمهور المفسرين اراد بالنفس الواحدة
ادم عليه السلم وبقوله وجعل منها زوجها حوا وقوله من بعد ما تقدم ذكره
من ان ادم نام فاستخرجت قصرى اضلاعه وخلقت منها حوا وقوله ليسكن اليها
اى ليانس ويطمن وكان هذا كله في الجنة ثم انتقل الى حالة اخرى يعني في الدنيا
بعد نبوطها فقال فلما تغشاها اى غشيها وهي كناية عن الجماع والحمل الخفيف
هو المني الخفيف الذي تحمله المراة في فرجها وقرا جمهور الناس حملا بفتح الحا وقرا
حماد بن سلمة عن ابن كثير حملا بكسر الحا، وقوله فمرت به اى استمرت به
قال ابو عبيد سالت الحسن عن قوله فمرت به فقال لو كنت امرأ عربيا لعرفت ما هي انما
المعنى فاستمرت به **قال القاضي** رحمه الله وقدره قوم على القلب كان
المعنى فاستمرت بها كما تقول ادخلت القلنسوة في راسي وقرا ابن ابي عبلة وابن عباس
وما ذكر النقاش مرت به بتخفيف الراء، ومعناه فشكت بما اصابها هل هو حمل او
مرض ونحو هذا وقرا ابن عباس فاستمرت به وقرا ابن مسعود فاستمر بها بحملها
وقرا عبد الله ابن عمرو ابن العاص فمارت به اى جاءت وذهبت وتصرفت كما تقول
مارته الريح مورا واتقلت دخلت في الثقل كما تقول اصبح فلان غنيا وصارت
دان تفعل كما تقول ثمر الرجل والبن اذا صار دانما ولبن والضمير في دعوا عايد على
ادم وحوا وروى في قصص هذه الاية ان حوا لما حملت اول حمل لم تدر ما هو
وهذا يقوى قراءة من قرا فمرت به بتخفيف الراء فخرجت لذلك فوجدا بلس
الها السبيل فقال لها ما يدريك ما في جوفك ولعله خرج على وجه او سمه

في الحمل

في الحمل وما يدريك من اين يخرج اشق له بطنك فتموت او على فمك او انفك
ولكني ارى طعتيني وسميه عبد الحارث **قال القاضي** رحمه الله والحارث
اسم ابليس فسمياه له ذلك واجعلا بشرا سويا فان ايت لم تفعلي قتلت ذلك
قال فاخبرت حوا ادم فقال لها ذلك صاحبنا الذي اغوانا في الجنة لا طيعيه
فلما ولدت سمياه عبد الله فمات الغلام وروى ان ابليس على قتله
فحملت باخر فقعل بها مثل ذلك فحملت بالثالث فلما ولدته اطاعا ابليس فسمياه
عبد الحارث حرصا على حياته فهذا هو الشرك الذي جعلا لله اى في التسمية
فقط وصالحا قال الحسن معناه غلاما قال ابن عباس وهو الاظهر بشرا
سويا ونصبه على المفعول الثاني وفي المشكل لمكي انه نعت لمصدر اى ايتا
صالحا وقال قوم ان المعنى في هذه الاية التبيين عن حال الكافرين فعدد النعم
التي نعم الكافرين وعبر لهم قرن ذلك بفعل المشركين التي قامت عليهم
الحجة ووجب العقاب وذلك انه قال مخاطبا لجميع الناس هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يريد ادم وحوا اى استمر حالكم
واحدا واحدا لذلك فهذه نعمة تحصل كل واحد لجزء منها ثم قال فلما
تغشاها الى اخر الاية وصف حال الناس واحدا واحدا اى هكذا يفعلون
فاذا اتاهم الله ولدا صالحا سليما كما اراداه صرفاه عن الفطرة الى الشرك
فهذا فعل المشركين الذين قامت عليهم الحجة فيه باقترانه مع النعمة العامة
وقال الحسن ابن ابي الحسن فيما روى عبد الطبري معنى هذه الاية هو الذي
خلقكم من نفس واحدة اشاره الى الروح الذي ينفخ في كل احد **قال القاضي** اى
خلقكم من نفس واحدة وجعل الاناث منكم كما قال فلما تغشاها الى اخر
الاية وصف حال الناس واحدا واحدا على تقدم من الترتيب الذي في القول

قراه ابن عباس وابو جعفر وشيبه وعكرمه ومجاهد وعاصم وابان بن ثعلب
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه والكسائى وعاصم فى روايه حفص شركا
على الجمع وهى بدل على بعد التاويل الاخير وقلقه على من يقول ان الايه الاول
فى ادم وحوا وفى مصحف ابى بن كعب فلما اتاهما صالحا اشركا فيه وذكر
الطبرى فى قصص حوا وادم وابليس فى التسميه بعبد الحارث وفى صوره مخالفتهم
اشياء طويله لا يقتضى الاحتفال بذكرها وقرا نافع والحسن وابو جعفر وابو
عمرو وعاصم عما يشركون بالياء فيهما وقرا ابو عبد الرحمن عما تشركون
بالتاء من فوق اتشركون ما لا يخلق شيئا والايه وروى بعض من قال ان الايات
فى ادم وحوا ان ابليس جا الى ادم وقد مات له ولد اسمه عبد الله فقال
ان شئت ان يعيش لك الولد فسميه عبد شمس وولد له ولدا فسماه كذلك
فاياك عنى بقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون على ادم وحوى والابن
المسمى عبد شمس ومن قال بالقول الاخر قال ان هذه فى مشركى الكفار
الذين يشركون الاصنام فى العباده واياها اراد فى قوله ما لا يخلق وعبر
عنها بما لانها تعقل على اعتقاد الكفار فيها وحسب اسمائها ويخلقون
معناه ينحتون ويصورون ويحتمل على قراه ايشركون بالياء من يحتمل ان يكون
المعنى وهم لا يشركون يخلقون اى فكان قولهم ان يعبدوا بانهم مخلوقون
فيحملون الهتهم خالقا لامن لا يخلق شيئا وقوله تعالى ولا يستطيعون الايه
كرح على تاويل من قال ان المراد ادم وحوا والشمس على ما تقدم ولكن يقلق
وتعسف من تاول فى المعنى وانما تتسق هذه الايات ويروق نظمها ويتناظر
معناها على الباب الاخر ولا ينصرون انفسهم من امر الله واراده ومن
لا يدفع عن نفسه فاحرى ان لا يدفع عن غيره وقوله تعالى وان تدعوهم

فبله قوله تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى
الله عما يشركون اشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون
لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون من قال ان الايه المتقدمه فى ادم وحوا
وان الضمير فى قوله اتاهما عايد عليهما قال الشرك الذى جعلاه هو فى الطاعه
اى اطاعا ابليس فى التسميه بعبد الحارث كما كانا فى غير ذلك مطيعين له واسند
الطبرى فى ذلك حديثا من طريق سمره ان حديثا ويحتمل ان يكون الشرك ان
جعلا معبودته بالاسم لغيره وقال السدى والطبرى قوله تعالى فتعالى الله
عما يشركون انه كلام منفصل ليس من الاول وان خبر ادم وحوا تم فى قوله فيما
اتاهما وان بعد الكلام تراه مشركوا العرب قال القاضى رضى الله عنه
هذا الحكم لا ساعده اللفظ وتجده ان يقال تعالى عن ذلك البسير المبوهم من
الشرك فى عبوديه الاسم ويبقى الكلام فى جهه أبوينا ادم وحوا عليهما السلام
وجا الضمير فى يشركون ضمير جمع لان ابليس مدبر معهما تسميه الولد عبد
الحارث ومن قال ان الايه المتقدمه انما الغرض منها تقرير النعمه فى الازواج
وفى تسهيل النسل والولاده ثم ذكر شرف فعل المشركين بعقب ذلك فى هذه
الايه الاخيره انها على ذلك الاسلوب وان قوله تعالى الله عما يشركون المراد
بالضمير فيه المشركون والمعنى فى هذه الايه فلما اتى الصالح من الانسانين
صالحا اى بسلما دهيا به الى الكفر وجعلا لله فيه شركا واخرجاه عن
الفطره ولفظه الشرك يقتضى نصيبا من المعنى وجعلا لله ذا شرك لان
ابليس او اصنام المسولين هى المجهوله والاصل ان الحال لله تعالى وبهذا حمل
الزجاج اعتراض من قال ينبغى ان يكون الكلام جعلا لغيره شركا وقرا نافع
وعاصم فى روايه ابى بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وهى

قراه

ان الهدى الايه من قال ان الايات فى آدم عليه السلام قال ابن عباس مخاطب للنبى
عليه السلام وامته مستانفه فى امر الكفار المعاصرين للنبى عليه السلام ولهم الهاء
والميم فى يدعوهم ومن قال بالقول الاخر قال بعده مخاطبه للمؤمنين والكفار
على قراءه من قرأ اسركون بالباء بمعنى تحت والكفار فقط على قراءه من قرأ بالتاء بمعنى
فوق على جهه التوقيف اى بعده حال الاصنام يعلم ان دعوتموهم لم يجيبوكم
اد ليس لهم حواس ولا ادراكات وقرا نافع وحده لا يتبعوكم بسكون التاء وفتح
الباء وقرا الباقون لا يتبعوكم بشديد التاء المفتوحه وكسر الباء والمعنى واحد
وفى قوله تعالى أدعوتموهم ام انتم عطف الاسم على الفعل اد التقدير ام صمتم
ومن هذا قول الشاعر: سواء عليك الفقر او بت ليلة بأهل
القباب من نمير ابن عامر: وقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين قراهما الناس ان الذين بتثقيل
ان ورفع عباد وهى محالطه للكفار فى تحقير شان اصنامهم عندهم اى ان هذه
الاصنام مخلوقه محدثه ادهى اجساد واجرام فهى متعبده اى متملكه وقال
مقاتل ان المراد بهذه الايه لحايفه من العرب من خزاعه كانت تعبد الملائكه
فاعلمهم الله انها عباد امثالهم لا آلهه وقراسعيد ابن جبير ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف النون من ان على ان ما هى ما ونصب
قوله عبادا وامثالكم والمعنى بهذه القراه تحقير شانهم ونفى مماثلتهم البشر
بل هم اقل واحقر اد هى جماد ان لا تفهم ولا تعقل وسيبويه يرى ان ان
اذا كانت بمعنى ما فانها تضعف عن رتبه ما فيبقى الخبر مرفوعا وتكون
داخله على الاسم والخبر كما نصبه فكان الوجه عنده فى هذه القراه ان الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم وابو العباس المبرد لحيزها تعمل ما فى نصب

الخبر وزعم الكسائى أن ان بمعنى ما التى الاولى بعدها الا لقوله تعالى ان
الكافرون الا فى غرور ثم بين تعالى الحجه بقوله فادعوهم اى اخبروهم فان لم
يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بلسان قريش وقوله تعالى ألهم ارجل يمشون بها الايه الغرض
من هذه الايه التهكم بهم حواس الحى واوصافه فاذا قالوا لا حكموا انها جماد ات
محات هذه التفصيلات له الى المحل الذى اريد التقرير عليه فاذا وقع
الاقرار بتفصيلات القضيه لزم الاقرار بعمومها وكان سياقها اقوى ولم
يبق بها استرابة قال الزهراوى المعنى انتم افضل منهم بهذه الجوارح النافعه
فكيف تعبدونهم قال القاضى رحمه الله وتتعلق بهذا التاويل قراءه سعيد
ابن جبير ادعتموهم ان الاوثان يستعاد بها كالبشر وقوله فى الايه أم أم اضراب
بكل واحده على الجمله المتقدمه لها وليست ام المعادله للالف فى قولك
اعندك زيد ام عمرو ولان المعادله انما تكون فى السؤال عن شيئين احدهما
حاصل فاذا وقع التقرير على شيئين كلاهما منفى فأم اضراب عن الجمله الاول
قال القاضى رحمه الله فهذا عندى فرق معنوى واما من حيث اللفظ
والصناعه النحويه فهى بمعنى وقرا نافع والحسن والاعرج تبطشون بكسر الطاء
وقرا نافع والبزى وشيبه بضم الصاد ربصرهم امر الله تعالى نبيه
عليه السلام ان يحزنهم بقوله قل ادعوا شركاءكم اى استنجدوهم واستنصروهم
الى ضرارى وكيدى ولا تؤخرونى المعنى فان كانوا الهه فسيظهر فعلكم وسماهم
شركاء من حيث لم تعبدهم بتسميتهم اياهم الهه وشركاء الله وقرا ابو عمرو
ونافع كيدونى باثبات الياء فى الوصل وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزه
والكسائى كيدون بحذف الياء فى الوصل والوقف قال ابو على اذا ابتدا بالام

المنفصل او كان منفصلا اشبه القافيه وهم يحذفون الياء في القافيه كثيرا
قد التزموا ذلك كما قال ـــــــــ الشاعر ؎ الاعشى فهل مغنى

؎ يلمس الاخلام في منزله بيديه كاليهودي المصل ؎

وقوله فلا تنظرون اي لا تؤخرون ومنه قوله تعالى فنظره الى ميسرة
وقوله تعالى ان ولي الله الايه لما احالهم على الاستدلال بالمتهم في صحة
واراهم ان الله هو القادر على كل شئ لا تلك عقب ذلك بالاسناد الى الله
والتوكل عليه والاعلام بانه وليه وناصره وقرا الجمهور القراه والناس ان
ولي الله بياء مكسوره مشدده واخرى مفتوحه وقرا ابو عمرو فيما روى
عنه ان ولي الله بياء واحده مشدده ورفع الله قال ابو علي لا خلو الهمزه
القراه من ان تدغم الياء التي هي لام الفعل في ياء الاضافه لانه اذا فعل ذلك
انفك ادغام الاولى فليس الا ان تحذف لام الفعل وادغم ياء فعل في ياء
الاضافه وقرا ابن مسعود الذي نزل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين
وقرا الحذري فيما ذكر ابو عمر الداني ان ولي الله على الاضافه وفسر ذلك
بان المراد جبريل عليه السلام ذكر الفراء غير منسوبه ابو حاتم وانكرها وان
كانت لغاط هذه الايه تلايم هذا المعنى وتصلح له فان ما قبلها وما بعدها
يدفع ذلك **قوله تعالى** والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون الضمير في قوله من دونه عايد على اسم الله تعالى وهذا
الضمير مصرح بما ذكرناه من ضعف قراءة من قرا ان ولي الله على انه جبريل
صلى الله عليه وسلم وهذه الايه ايضا بيان لحال تلك الاصنام وفساد فعلها
وعجزها عن نصرة انفسها فضلا عن غيرها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى

الايه

الايه قالت فرقه المخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والهاء والميم في قوله
تدعوهم للكفار ووصفهم بانهم لا يسمعون ولا يبصرون اذ لم تحصل لهم عن النظر
والاستماع فايدة لاخلوا منه بطايل قاله السدي ومجاهد وقال الطبري
المراد بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابله
وما فيها من تخييل النظر كما تقول دار فلان تنظر الى دار فلان ومعنى الايه
على هذا تبيين جمود هذه الاصنام وصغر شانها وذهب بعض المعتزله الى ان
تحتاج بهذه الايه على ان العباد ينظرون الى ربهم ولا يرونه ولا حجه لهم في
الايه لان النظر الى الاصنام مجاز محض **قال القاضي** وانما تكرر القول في
هذا وترددت الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا في نفوس
العرب في ذلك الزمن ومستوليا على عقولها فادعت القول في ذلك لطفا
من الله تعالى لهم **وقوله** تعالى خذ العفو الايه وصيه من الله تعالى لنبيه
عليه السلام بجميع امته واحذ بجميع مكارم الاخلاق قال الجمهور في قوله خذ
العفو ان معناه اقبل من الناس في اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتاعفوا
دون تكلف والعفو هنا هو الفضل والصفو الذي تيسر دون تحرج قاله
عبد الله بن الزبير في مصنف البخاري وقال مجاهد وعبده ومعه قول حاتم الطايي

؎ خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ؎

وقال ابن عباس والضحاك والسدي هذه الايه في الاموال وهي قبل فرض
الزكاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سهل من اموال الناس وعفا اي
فضل وزاد من قولهم عفا النبات والشعر اذا كثر ثم نزلت الزكاه وحدودها
فنسخت هذه الايه وذكر مكي عن مجاهد ان خذ العفو معناه خذ الزكاه المفروضه
قال القاضي وهذا شاذ وقوله وامر بالعرف معناه كل ما عرفت

العوس مما لا ترذه الشريعه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
ما هذا العرف الذي أمرت به فقال لا ادري حتى أسأل العالم فرجع الى ربه
فساله ثم جاء فقال له يا محمد هو ان يعطي من حرمك وتصله وتعفو
عمن ظلمك قال القاضي رضي الله عنه فهذا نصت غايات والمراد فما
دون هذا من جعل الخبر وقرا عيسى الثقفي فيما ذكر ابو حاتم بالعرف بضم الراء
والعرف بمعنى المعروف ايضا وقوله واعرض عن الجاهلين حكم مرتب محكم
مستمر في الناس ما بقوا هذا قول الجمهور من العلماء وقال ابن زيد في قوله
تعالى خذ العفو الاية انما أمر النبي صلى الله عليه وسلم مداراة الفرس ثم
نسخ ذلك بايه السيف قال القاضي رحمه الله وحديث الحرين قيس
حين ادخل عليه عيينة ابن حصن على عمر دليل على انها محكمة مستمرة لان
الحر احتج بها على عمر فقررها ووقف عندها وقوله تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ الاية وصيه من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لعم امته
احلا وامرا ة والنزغ حركة فيها فساد وقل ما تستعمل الا في فعل الشيطان
لان حركاته مسرعه مفسده ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم
منكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان في يده والمعنى في هذه الاية واما
تلمن بك لمة من الشيطان فاستعذ بالله ونزغ الشيطان هو ما يقع في النفس من الغضب
وتحسين المعاصي واكتساب الغوايل وعبر ذلك وفي مصنف الترمذي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان للملك لمة وللشيطان لمة قال القاضي رضي
الله عنه وعبر هاتين اللمتين في الخواطر من الخير والشر فالاخذ بالواجب يلقى
لمه الملك بالاستدامة او الامتثال ولمه الشيطان بالرفض والاستعاذة
بالله واستعاذ هنا طلب ان يعاذ ويعاذ معناه يلاذ وانتهوى واستجار

وسمع

وسمع في هذه الاية يصلح مع الاستعاذة ويصلح اضامع ما تقول الكفار
من الاقاويل فيغضبه الشيطان لذلك وعلم ذلك وهذه الاية تعلق ابن
القاسم في قوله ان لا استعاذة عند القراءة اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي لا يقصرون اتقوا ها هنا عامة
في اتقاء الشرك واتقاء المعاصي بدليل ان اللفظة انما جاءت في مدح لهم فلا
وجه لقصرها على اتقاء الشرك وحده وايضا فالمتقي العايد قد تمسه
طيف من الشيطان اذ ليست العصمة الا للانبياء وقرا نافع وعاصم وابن
عامر وحمزه طايف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف وقرا سعيد
ابن جبير طيف واللفظة انما من طاف يطوف واما من طان يطيف بضم الياء
وهي بابته عن العرب وانشد ابو عبيدة في ذلك

أتى أم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشعوف

فطايف اسم فاعل كقايل من قال يقول او كبايع من باع يبيع وطيف اسم
فاعل ايضا كميت من مات يموت او كبيع ولين من باع يبيع ولان يلين وطيف
ايضا يكون اسما من طان كميت من مات وان اقدرنا اللفظة من طاف يطوف
فطيف مصدر والى هذا مال ابو علي الفارسي وجعل الطايف كالخاطر والطيف
كالخطرة وقال الكسائي الطيف اللمم والطايف ما طاف حول الانسان قال
القاضي وكيف هذا وقد قال الاعشى

وتصبح عن غب السرى وكأنما ألم بها من طايف الجن أولق

ومعنى الاية اذا مسهم عقب وزين الشيطان معه ما لا ينبغي وقوله تذكروا
اشاره الى الاستعاذه المامور بها قبل والى ما لله عز وجل من الاوامر والنواهي

فى النازله التى يقع لعرض الشيطان فيها وقوا ان الزمير من الشيطان تاملوا وقال
النماز العصب جند من جنود الجن اما تروز حرة العنبر وانتفاخ العروق
فاذا اتاك ذلك فالارض الارض وقوله مبصرون من ابصر اى فاذا هم تبينوا
الحق ومالوا اليه **وقوله** تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغى الايه فى نقده
الضمايراحتمالات قال الزجاج هذه الايه منفصله فى المعنى لقوله ولا يستطيعون
لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون **قال القاضى** فى هذا نظر وقال الجمهور
ان الايه فى مقدره موضعها الا ان الضمير فى قوله واخوانهم عايد على الشياطين
والضمير فى قوله يمدونهم عايد على الكفار وهم المراد بالاخوان والسيطان
فى الايه قبل هذه للحشر فلذلك عاد عليهم تعالى ضمير جمع والتعديل على هذا
التاويل واخوان الشياطين يمدونهم الشياطين فى الغى وعلى هذا فسر الطبرى
وقال قتاده ان الضمير فى الهاء والميم للكفار **قال القاضى** فتحمل الايه على
هذا المعنا معادله للتى قبلها اى ان المتقين حالهم كذا وكذا وتعالوا الكفار
يمدهم اخوانهم من الشيطان ثم لا يقصرون وقوله فى الغى يحتمل ان تعلق بقوله
يمدونهم وعليه يترتب التاويل الذى ذكره اولا عن الجمهور ويحتمل ان يتعلق
بالاخوان فعلى هذا يحتمل ان يعود الضمير فى قوله واخوانهم على الكفار ذكرناه عن
قتادة ويحتمل ان يعود جميعا على الشياطين ويكون المعنا واخوان الشياطين
فى الغى بخلاف الاخوه فى الله يمدون الشياطين بطاعتهم لهم وقبولهم منهم ولا
يترتب هذا التاويل على ان يتعلق فى المعنا بالامداد لان الانس لا يغوون
الشياطين والمراد بهذه الايه وصف حالة الكفار مع الشياطين كما وصف
حالة المتقين معهم قيل وقرا جمهور السبعه غير نافع يمدونهم من امد وقال
وقال ابو عبيد وغيره مد الشى اذا كان الزياده من جنسه وامده سى اخر

قال القاضى وهذا غير مطرد وقال الجمهور هما بمعنا واحد الا ان
المستعمل فى المحبوب امد فمنه قوله تعالى انما نمدهم به من مال وبنين وقوله
وامددناهم بفاكهه وقوله امدونني بمال والمستعمل فى المكروه مد فمنه
قوله تعالى ونمدهم فى طغيانهم ومد الشيطان الكفره فى الشى وهو التزيين
لهم والاغواء المبالغ فمن قرا فى هذه الايه يمدونهم بضم الميم فهو على المنهاج
المستعمل ومن قرا يمدونهم فهو مقيد بقوله فى الغى كما تجوز بقتد البشاره
فيقول بشرته بشر وقرا الجحدرى يمادونهم وقوله ثم لا يقصرون عايد
على الجميع اى تعالوا لا يقصرون فى الطاعه للشياطين بالكفر بالله عز وجل
وقرا جمهور الناس يقصرون من اقصر وقرا ابن ابى عبله وعيسى ابن عمر
يقصرون من قصر **وقوله** واذا لم ياتهم بايه سببها فمارووا ان الوحى
كان يتاخر عن النبى صلى الله عليه وسلم احيانا فكان الكفار يقولون هلا اجتبيتها
ومعنى اللفظه فى كلام العرب لخيرتها واصطفيتها وقال ابن عباس وقتاده
ومجاهد وابن زيد وغيرهم المراد بهذه اللفظه هلا اخترعتها واختلقتها من
قبلك ومن عند نفسك والمعنا ادق كلامك كله كذلك على ما كانت قريش تزعمه
وقال ابن عباس ايضا والضحاك المراد بالايه لا تلقيتها من الله وتخيرتها عليه
اد تزعم انك نبى وانت تتلقى عنده منزله الرساله فامره الله عز وجل ان يحسم
بالتسليم لله تعالى وان الامر فى الوحى اليه ينزل منى شا لا معقب لحكمه فى
ذلك فقال قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى ثم اشار بقوله هذا الى القران
ثم وصفه بانه بصاير اى علامات هدى وانوار تضوى القلوب وقالت
فرقه المعنا هذا وبصاير وبصح الكلام دون ان يقدر حذف مضاف لان
المشار اليه بهذا انما هو سور وايات وحكم الاشاره اليه هذا من حيث اسمه

اسمه مذكور وجاز وصفه بيصابر من حيث هو شور وابان وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون اى لهما ولا حاصة قال الطبرى واما من لا
يومن فهو على عمى عن عقوبة من الله عز وجل **قوله تعالى** واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك
تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من
الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله
يسجدون ذكر الطبرى وغيره ان سبب هذه الاية هو ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا عكفا مطوفين بالمكتوبة بحوا لجهم ويصيحون
عند اية الرحمة والعذاب ويقول احدهم واذا انا لهم كم صليتم
وكم بقى فيحسبونه ونحو هذا فنزلت الاية امرا بالاستماع والانصات فى
الصلاة واما قول من قال انها فى الخطبة فضعيف لان الاية مكية والخطبة
لم تكن الا بعد بحجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ولذلك ما ذكره الزهرى
انها تركت بسبب فتى من الانصار كان يقرأ فى الصلاة والنبى صلى الله عليه وسلم
يقرأ فاما الاستماع والانصات عن الكلام فى الصلاة فاجماع واما الانصات
والامساك عن القراءة فى الصلاة فقالت فرقة يمسك المأموم عن القراءة
جملة قرأ الامام جهرا او سرا وقالت فرقة يقرأ المأموم اذا اسر الامام
ويمسك اذا جهر وقالت فرقة يمسك المأموم فى جهر الامام عن قراءة
السورة ويقرأ فاتحة الكتاب **قال القاضى** رضى الله عنه ومع هذا
القول احاديث صحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم فهذه الاية واجبة الحكم
فى الصلاة ان ينصت عن الحدث وما عدا القراءة واجبه الحكم ايضا
فى الخطبة من النسبة لا من هذه الاية ويجب من الاية الانصات اذا قرا

الخطيب القران اثنا الخطبة وحكم الاية فى غير الصلاة على الندب اعنى
فى نفس الانصات والاستماع اذا سمع الانسان قراءة خاب الله تعالى واما
ما تتضمنه الالفاظ ونعطيه من توقير القران وتعظيمه فواجب فى
كل حالة والانصات السلوت، ولعلكم ترجى البشر **قال القاضى**
ولم نستوعب اختلاف الناس فى القراءة خلف الامام اذ الفاظ الاية
لا تعرض لذلك لكن لما عن ذلك فى ذكر السبب ذكرنا منه نبذة وذكر الطبرى
عن سعيد بن جبير انه قال فى قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفى الجهر به الامام من
الصلاة **قال القاضى** وهذا قول جمع فيه ما اوجبته هذه الاية وغيرها
من السنة فى الانصات قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا
اعلموا انه فرض ولا تجاوزوه وقوله واذكر ربك فى نفسك الاية مخاطبة للنبى
صلى الله عليه وسلم ثم جميع امته وهو امر من الله بذكره وتسبيحه وتقديسه
والثناء عليه بمحامده والجمهور على ان الذكر لا يكون فى النفس ولا يراعى
الا حركة اللسان ويدل على ذلك من وجهه الاية قوله ودون الجهر من القول
فهذه مرتبة البين والخافتة بالنطق وتضرعا معناه تذللا وخضوعا
وخفية اصلها خوفة بدلت الواو ياء لاجل الكسرة التى قبلها وقوله
بالغدو والاصال معناه دائما وفى كل يوم وفى اطراف النهار وقالت فرقة
هذه الاية كانت فى صلاة المسلمين قبل فرض الصلاة وقال قتادة الغدو
صلاة الصبح والاصال صلاة العصر والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل
وهو العشى وقيل الاصال جمع اصيل دون توسط كاعاريب فى جمع عمر واصال
ايضا جمع اصائل فهو جمع جمع الجمع وقرا ابو بحلز والايصال مصدرا

كالإصباح والامساء ومعناه اذا دخلت في الاصيل وفي الطبري قال
أبو وايل لخلامة أصلنا بعد ولاكن من الغافلين تنبيه ولما قال عز وجل
ولاكن من الغافلين جعل بعد ذلك مثالا من اجتهاد الملايكه ليبعث على
الجد في طاعة الله تعالى وقوله الذين عند ربك الملايكه وقوله عند انما يريد
في المنزله والتشريف والقرب في المكانه لا في المكان فهم بد لك عنده ثم وصف
تعالى حالهم من تواضعهم وادمانهم العباده والتسبيح والسجود وفي الحديث
أطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قايم
أو راكع أو ساجد وهذا موضع سجده وقال النخعي في كتاب النقاش ان
شيت ركعت وان شيت سجدت والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **سورة الأنفال**

وهي مدنيه كلها كذا قال اكثر الناس وقال مقاتل هي مدنيه غير ايه واحده وهي
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الايه كلها وهذه الايه نزلت في قصه
وقعت بمكه ويمكن ان تنزل الايه في ذلك بالمدينه ولا خلاف في هذه السوره
انها نزلت في يوم بدر واثر غنايمه **قوله تعالى** يسالونك عن الانفال قل
الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله
ان كنتم مؤمنين النفل والنفل والنافله في كلام العرب الزياده على الواجب
وسميت الغنيمه نفلا لانها زياده على القيام بالجهاد وحمايه الحوزه والدعا
الى الله تعالى ومن ذلك قول لبيد
إن يقوى ربنا خير نفل وابق
وقول عنتره
إنا اذا احمر الوغا نروى القنا ونعف عند مقاسم الانفال
والسوال في كلام العرب يجيء لاقتضاء معنى في نفس المسول فقد يجيء سال ونحوه

والاكثر

والاكثر في هذه الايه ان السوال انما هو عن حكم الانفال فهو من الضرب الاول
وقالت فرقه انما سالوه الانفال نفسها ان يعطيهم اياها واحتجوا في ذلك بقراه
سعد ابن ابي وقاص وعبد الله ابن مسعود وعلي الحسين وابي جعفر محمد ابن علي
وطلحه ابن مصرف وعكرمه والضحاك وعطا يسالونك الانفال وقالوا في قراه
من قرا عن انها معنا من هذا الضرب الثاني من السوال **واختلف** الناس في
المراد بالانفال في هذه الايه فقال ابن عباس وعكرمه ومجاهد والضحاك وقتاده
وعطا وابن زيد هي الغنايم بجمله قالوا ودلك ان سبب الايه ما جرى يوم بدر
وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا ثلاث فرق فرقه اقاموا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش الذي صنع له وحمته وانسته وفرقه
احاطت بعسكر العدو واسلابهم لما انكشفوا وفرقه اتبعوا العدو وقتلوا
واسروا قال ابن عباس في كتاب الطبري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد حرض الناس قبل ذلك وقال من قتل قتيلا او اسر اسيرا فله كذا وله كذا
فسارع الشباب وبقي الشيوخ عند الرايات فلما الحلت الحرب واجتمع
الناس رات كل فرقه الفضل لنفسها وقالت نحن اولى بالغنم وساء اخلاقهم
فنزلت في ذلك الايه بان الحسام لله والرسول فكموا فقسمه حينيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على السوا واسند الطبري وغيره عن ابي امامه الباهلي
قال سالت عباده ابن الصامت عن الانفال فقال فينا اهل بدر نزلت حين
احتلفنا وساء اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله صلى الله
عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سوا **قال القاضي**
يريد عن سوا فكان في ذلك تقوى الله وطاعه رسوله وصلاح ذات البين
ومما جرى الصايغ ففيل انه سبب ما اسنده الطبري عن سعد ابن ابي

وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد ابن العاص واخذت
سيفه وكان يسمى ذات الكتيبة فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله هذا السيف قد شفا الله به من المشركين فاعطينه فقال ليس
هذا لي ولا لك فاطرحته في القبض فطرحته ورجعت الى ما لا يعلمه الا الله
من قتل اخي واخذ سلبي قال فما جاوزت الا قريبا حتى نزلت عليه سورة الانفال
فقال اذهب فخذ سيفك فانك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فهو لك
قال القاضي وفي بعض هذا الحديث قال سعد فقلت لما قال لي ضعه
في القبض اني اخاف ان تعطيه من لم يبل بلائي قال فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلفي قال فقلت اخاف ان يكون نزل في شيء فقال ان السيف قد صار
لي فاعطانيه ونزلت يسالونك عن الانفال واسند الطبري ايضا الخبر الى
اسيد مالك ابن ربيعة قال اصبت سيف ابن عايذ يوم بدر وكان يسمى المرزبان
فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يردوا ما في ايديهم من النفل
افتلت به والقيته في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا
يسالهه فراه الارقم المخزومي فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه اياه
قال القاضي فنحن من مجموع هذه الآثار ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع
فيها ما يقع في نفوس البشر من ارادة الاثرة لا سيما من اوتي فانزل الله تعالى
الاية فرضي المسلمون وسلموا واصلح الله ذات بينهم ورد عليهم غنائمهم
وقال بعض اهل هذا التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله لرفع الشغب
ثم رفع بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الاية وقال ابن زيد لم تنسخ في الاية
نسخ وانما اخبر ان الغنائم لله من حيث هي ملكه ورزقه وللرسول من حيث
هو مبين حكم الله والصادع فيها بالتسليم فهو امر الناس وحكم القسمة نازله

طرف ٩

خلال ذلك ولا شك في الغنائم وغيرها والدنيا باسرها لله وللرسول
وقال ابن عباس ايضا الانفال في الاية ما يعطيها الامام لمن راه من سيف او فرس
او نحوه قال القاضي رحمه الله وهذا ايضا حسن مع الاية ومع ما
ذكرنا من ايثار يوم بدر وقال علي ابن صالح ابن حي والحسن فيما حكى المهدوي الانفال
في الاية ما حوي به الشرايا خاصة قال القاضي وهذا القول بعيد عن الاية
غير ملتئم مع الاسباب المذكورة بل يحتاج خارجا عن يوم بدر وقال مجاهد
الانفال في الاية الخمس قال المهاجرون لم نحرم منا هذا الخمس فقال الله
تعالى قل لهم لله وللرسول وهذا ايضا قول قليل التناسب مع الاية وقال ابن
عباس وعطا ايضا الانفال في الاية ما ندر من اموال المشركين الى المسلمين
كالفرس الغابر والعبد الابق هو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء
وقال ابن عباس ايضا الانفال في الاية ما اصيب من اموال المشركين بعد قسمة
الغنيمة هو لله ولرسوله قال القاضي وهذا القول لا يخرج بها
الاية عن الاسباب التي روميت في يوم بدر ولا يخص الاية بيوم بدر على هذا
وكان بعض المقاتلين انما هي فيما نال الجيش دون قتال وبعد تمام الحرب وارتفاع
الخوف واولى هذه الاقوال واصحها الاول بظاهر الرواية باسبابه الذي
وناسبه الوقت الذي نزلت الاية فيه وحكى النقاش عن الشعبي انه قال
الانفال الاسارى قال القاضي رضي الله عنه وهذا انما هو على جهة
المثال فيغنى وكما يغنم ويحسن في تفسير هذه الاية ان نذكر اشياء من
اختلاف العلماء في تنفيل الامام لمن راه من النفد والغنا وما يحوز من ذلك
وما يمتنع وما لهم في السلب من الاختلاف فقالت فرقة لا نفل بعد النبي صلى الله
عليه وسلم وقال الجمهور النفل باق الى يوم القيامة ينفل امير الجيش ما رآه

لمن رآه بحسب الاجتهاد والمصلحة للمسلمين لخص الناس على النجدة ونشطهم
الى مكافحة العدو والاجتهاد في الحرب ثم اختلفوا فقال ابن القاسم عن مالك
في المدونة انما ينقل الامام من الخمس لا من جملة الغنيمة وينقل في اول الغنم
وفي آخره بحسب اجتهاده وقال فرقه انما يفعل الامام قبل القتال واما
اذا اجتمعت الغنائم فلا نفل قال القاضي وبهذا اعمالهم على هذا القول سلبه اولهم
بان يقول الامام من قتل قتيلا فله كذا ونقول لسريته اذا وصلتم الى موضع
كذا فلكم كذا قال الشافعي وابن حنبل لا نفل الا بعد الغنيمة قبل التخميس وقال
ابراهيم النخعي ينفل الامام متى شاء قبل التخميس وبعده وقال ابن مالك
ورجحان حبوه ومكحول والقاسم وجماعة منهم الاوزاعي واحمد واسحق وعلى
ان عمر لا نفل الا بعد اخراج الخمس ثم ينفل الامام من الاربعة الاخماس
ثم يقسم الباقي بين الناس وقال ابن المسيب انما ينفل الامام من خمس الخمس
قال مالك رحمه الله لا يجوز ان يقول الامير من يدلنا كذا من الحصن فله كذا
ومن بلغ الى موضع كذا فله كذا ولا احب لاحد ان يسفك دما على مثل هذا
قال سحنون فان لزم ذلك لزمه فانه مبايعه وقال رحمه الله لا يجوز
ان يقول الامام لسريته ما اخذتم فلكم نلثه قال سحنون يريد اسلافا
ترك مضى ولهم انصباؤهم في الباقي وقال سحنون اذا قال الامام لسريته ما
اخذتم فلا خمس عليكم فيه فهذا لا يجوز فان نزل رددته لان هذا حكم شاذ
ولا يجوز ولا يمضى وينبغي على مذهب مالك ان ينفل الامام ان ينفل ما يظهر
كالعمامة والقوس والسيف وقد منع بعض العلماء ان ينفل الامام ذهبا
او فضة او لؤلؤا او نحو هذا وقال بعضهم النفل جايز من كل شيء واما السلب
فقال مالك الاسلاب من المغنم تقسم على جميع الجيش الا ان يشترط الامام وقاله عمر

وقال الليث والاوزاعي والشافعي وابو ثور وابو عبيد وابن المنذر
السلب حق للقاتل بحكم النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعي واحمد وابو
عبيد وابن المنذر قاله الامام او لم يقله وقال مالك رحمه الله اذا قال
الامام من قتل قتيلا فله سلبه فذلك لازم ولكنه على قدر اجتهاد الامام
وحسب الاحوال والضيقات واستصراخ الانجاد وقال الشافعي
وابن حنبل الجرح الاسلاب من الغنيمة ثم يخمس بعد ذلك ويعطى الاسلاب
للقتلة وقال اسحق ابن راهويه ان كان السلب يسيرا فهو للقاتل وان
كان كثيرا خمس وفعله عمر ابن الخطاب مع البرا ابن مالك حين نازل الهرمزان
فقتله فمات فمه منطقته وسواريه ثلاثين الفا فخمس ذلك وروى في ذلك
حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعوف بن عوف ابن مالك الاشجعي في مصنف
ابي داود وقال مكحول السلب معنم وفيه الخمس وروى نحوه عن عمر ابن الخطاب
قال القاضي رحمه الله يريد يخمس على القاتل وحده وقال جمهور العلماء
لا يعطى القاتل السلب الا ان تقوم البينة على قتله قال اكثرهم ويجزئ شاهد
واحد يحكم حدثني قتادة وقال الاوزاعي يعطاه بمجرد دعواه قال القاضي
وهذا ضعيف وقال الشافعي لا يعطى القاتل الا اذا كان قتله مقبلا شجيعا
مبارزا واما ان قتل منهزما فلا وقال ابو ثور وابن المنذر صاحب الاشراف
للقاتل السلب منهزما كان المقتول او مقبلا قال القاضي وهذا
اصح لحديث سلمة ان الاكوع في اتباعه ربيئة الكفار في غزوة حنين واخذه
لخطام بعيره وقتله اياه وهو هارب فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلبه وقال ابن حنبل لا يكون للقاتل الا في المبارزة وقط واختلفوا في
السلب فاما السلاح وكل ما يحتاج اليه للقتال فلا احفظ فيه خلافا انه

من السلب وفرسه اذا قاتل عليه وضرع عنه وقال احمد بن حنبل في الفرس
ليس من السلب وكذلك ان كان في هميانه او منطقته دنانير او جوهر او نحو
ذلك مما بعده فلا احفظ فيه خلافا انه ليس من السلب واختلف فيما يتزين
به للحرب ويهول به فيه كالتاج والسوار والاقراط والمناطق الثقيلة
بالذهب والاحجار فقال الاوزاعي ذلك كله من السلب وقالت فرقة ليس
من السلب وهذا روي عن سحنون رحمه الله الا المنطقة فانها عنده من
السلب قال ابن حبيب الواضحة والسوار ان من السلب وبه قال الشافعي
هل هذا كله من السلب ام لا **قال القاضي** واذا قال الامام من قتل
قتيلا فله سلبه فقتل دون قتيلا فالمشهور ان لا شيء له وعلى قول اشهب
يرضخ لاهل الدمة من الغنيمة يلزم ان يعطى السلب وان قتل الامام قتيلا بيده
بعد هذه المقالة فله سلبه **قال القاضي** واما الصبي فمن خالفنا
في ذلك
في السبي عليه الحلم وقوله تعالى فاتقوا الله في الكلام اجعل بينك وبين المحذور
وقاية وقوله واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه اذا شجر بينكم اختلاف او
مالت النفوس الى التشاح وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته
والذي يفهم من بينكم هو معنى جميع الوصل والالتحامات والمودات
وذات ذلك هي المامور باصلاحها هي بفسد وعينه فحض بذكر الله عز وجل على
اصلاح تلك الاجزاء اذا صلحت ذلك حصل صلاح ما بعدها وهو البين الذي لهم
وقد تستعمل لفظة ذات على ما انها لزمة ما تضاف اليه وان لم تكن عينه
ونفسه وذلك في قوله عليم بذات الصدور وذات الشوكة فانها هنا موئنة
وقولهم الديب مغبوط بذي بطنه وقول ابي بكر الصديق انما هو ذو بطن بنت
خارجة ويحتمل ذات البين ان يكون هذه وقد يقال الذات ايضا معنى احرى ان

كان يعرب بن قحطان وهو قولهم فعلت كذا ايام ذات يوم ومنه قول الشاعر
لا ينبح الكلب فيها غير واحده ذات العشاء ولا تسري افاعيها
وذكر الطبري عن بعضهم انه قال ذات بينكم الحال التي لينكم كما ذات العشاء
الساعة التي فيها العشاء **قال القاضي** ورجح الطبري في هذا كله نظر
وقوله تعالى واطيعوا الله ورسوله لفظ عام وسبب الامر بالوقوف عند
ما ينتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنائم وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين
اي كاملي الايمان كما تقول للرجل ان كنت رجلا فافعل كذا اي ان كملت هذه الرجولية
وجواب الشرط في قوله المتقدم واطيعوا هذا عند سيبويه ومذهب ابي
العباس ان الجواب محذوف متاخر يدل عليه المتقدم تقديره ان كنتم مؤمنين
اطيعوا ومذهب في هذا انه لا يتقدم الجواب الشرط **قوله تعالى**
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون انما
لفظ لاتفاقه المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر فاذا
دخل في قصة وساعد معناها على الاختصاص صح ذلك وترتب لقوله انما
الهكم الله واحد وعبر ذلك من الامثلة واذا كانت القصة لا تتاتى للاختصار
بقيت انما للمبالغة والتاكيد فقط لقوله عليه السلام انما الربا في النسيئة
ولذلك الشحاج عشرة واما من قال انما هي للبيان الموصوف هي عبارة فاترة
اذ بيان الموصوف يكون في مجرد الاخبار دون انما وقوله هاهنا انما المؤمنون
ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد ووجلت معناه فزعت ورقت وخافت
وهذه المعاني فسر بها العلماء وقرا ابن مسعود فرقت وقرا ابي ابن كعب فزعت
يقال وجل يوجل وياجل ويحل وهي بناءة ويحل بكسر الياء الاولى ووجه

هذا اسم لما أبدلوا الواو ياء ولم تكن كذلك وجد قياس فكسروا الياء الأولى لتحيّ
يدل الواو ما لعله حكاه هذه اللغات الاربع سيبويه رحمه الله وثلثت معاً سردت
وقرئت والايات القرآن المتلو وزياده الايمان على وجوه كلما خارجه عن
نفس المتصدق منها ان المؤمن اذا كان لم يسمع حكماً من احكام الله في القرآن فنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه فآمن به فزاد ايماناً الى سائر ما آمن به اذا تحمل
حكم تصديق جاض وهذا يترتب فمن بلغه ما لم يكن عنده من الشرع الى يوم القيامه
ويترتب زياده الايمان بزياده الدلايل ولهذا قال مالك الايمان يزيد ولا ينقص
ويترتب بزياده الاعمال البتره على من يرى لفظه الايمان واقعه على التصديق
والطاعات وهما ولا يقولون يزيد وينقص قوله وعلى ربهم يتوكلون عباره جامعه
لصالح الدنيا والاخره اذا اعتبرت وعمل بحسبها في ان يمتثل الانسان ما أمر به
ويبلغ في ذلك اقصى جهده دون عجز وبسط تعدى ما كمل له من نصر او رزق وغيره
وهذه أوصاف جميله وصف الله بها فضلا المؤمنين فجعلها غايه للامه يستبق
اليها الأفاضل ثم اتبع بعد ذلك وعدهم ورسمهم باقامه الصلاه ومدحهم بها
حضاً على ذلك وقوله ومما رزقناهم ينفقون فال حاعد من المفسرين هي الزكوه
قال القاضي وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامه الصلاه والانفاق
لفظ عام في الفروض ونوافل وصلات المتحفين ولفظ ابن عباس في هذا المعنى
محتمل وقوله اولئك هم المؤمنون حقاً يريد كمل المومنين وحقاً مصدر مؤكد لكذا
نصر عليه سيبويه وهو المصدر غير المتنقل والعامل فيه احرز لك حقاً
وقوله لهم درجات طاهره وقول الجمهور ان المراد مراتب الجنه ومنازلها ودرجاتها
على قدر اعمالهم وحكى الطبري عن مجاهد انها درجات اعمال الدنيا وقوله ورزق
كريم يريد ما كمل الجنه ومشاربها وكرم صفه تقتضي رفع المذام كقولك ثوب كريم

وحسب كريم **قوله تعالى** حاء اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المومنين
لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون **اختلف**
الناس في الشيء الذي يعود عليه الكاف من قوله كما حسب ما بين من الاقوال التي
أنا اذكرها بعد بحول الله والذي يلتئم به المعنا وحسن سرد الالفاظ قولان وانا
ابدأ بهما قال الفرا امض لامرك في الغنايم ونقل من شيئت وان كرهت كما اخرجك
ربك هذا نص قوله في هذا به مكي رحمه الله والعباره بقوله امض لامرك
ونقل من بيت غير محرره وتحرير هذا المعنى عندي ان يقال ان هذه الكاف شبهت
هذه القصه التي هي اخراجه من بيته بالقصه المتقدمه التي هي سوالهم عن الانفال
كانهم سألوا عن النفل وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فحانت فيهم الخيره كما
كرهوا في هذه القصه اتباعك النبي صلى الله عليه وسلم فاخرجه الله من بيته
فحان في ذلك الخيره فتشاجروا في النفل بمثابه كراهيتهم لهما الخروج وكلم
الله في النفل بانه لله والرسول ودنهم هو بمثابه اخراجه نبيه صلى الله عليه وسلم
من بيته ثم كانت الخيره في القصتين فما صنع الله وعلى هذا التاويل أن يكون قوله
تجادلونك كلاماً مستانفاً يراد به الكفار اي يجادلونك في شريعه الاسلام
من بعد ما تبين الحق فيها كأنما يساقون الى الموت في الدعا الى الايمان **قال القاضي**
وهذا الذي ذكرت من ان يجادلونك في الكفار منصوص والقول الثاني قال مجاهد
والحسن وغيرهما المعنى في هذه الايه كما اخرجك ربك من بيتك لامه على كراهيه
من فريق منهم لذلك يجادلونك في قتال كفار مكه ويودون ان غير ذات الشوكه من
بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما أمرت به لامر يريدون هم **قال القاضي**
فالقدر على هذا التاويل يجادلونك في الحق مجادلة كراهيتهم اخراج ربك اياك
من بيتك والمجادله على هذا التاويل بمثابه الكراهيه ولذلك وقع في التشبيه

حاله وقوله وادبعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم الآيه فى بعده الايه
قصة حسنة انا اختصره اد هو مستوعب فى كتاب سيرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه
وقيل اوحى اليه ان ابا سفيان ابن حرب قد اقبل من الشام والعير التى فيها
تجارة قريش واموالهم فقال لاصحابه ان عيرا قريشا قد عنت لكم فاخرجوا اليها
لعل الله ان ينفلكموها فقال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج
واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلوى على من تخلف ولا يظن ان غاب
ظهره فسار فى تلاثة وثلاثين عشر من اصحابه بين مهاجرى وانصارى وقد
طن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكترثوا استعدادهم
وكان فى خلال ذلك يستقصى ويحذر فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث ضمضم ابن عمرو الغفارى الى مكة يستنفر اهلها ففعل ضمضم
فخرج اهل مكة فى الف رجل او نحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم
اوحى الله اليه وحيا غير متلو بعده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا ووددوا ان تكون لهم العير التى لا قتال معها
فلما علم ابو سفيان بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ طريق الساحل
وابعد وفات ولم يبق الا لقاء اهل مكة واشار بعض الكفار على بعض بالانصراف
وقالوا انما عير نا قد نجت فلننصرف فحرش ابو جهل وجد حتى كاد امر الواقعة
وقال بعض المؤمنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه ونهض بواديسمى دفران وقال اشيروا على ايها الناس فقام
ابو بكر فتكلم فاحسن وحرض على لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاشارة فقام عمر مثل ذلك فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشارة فتكلم

ابو سفيان ره

فى المعنا وقايل بقد المقابله يقول ان المجادلين هم المومنون وقايل المقاله
الاولى يقول ان المجادلين هم المشركون فهذان قولان مطردان يتم بهما المعنى
وحسن رصف اللفظ وقال الاخفش الكاف نعت لحقا والمعنى هم
المومنون حقا كما اخرجك قال القاضى والمعنا على هذا التاويل كما
تراه لا يتناسق وقيل الكاف فى موضع رفع والتقدير كما اخرجك ربك
فاتقوا الله كانه ابتداء وخبر قال القاضى وهذا المعنا وضعه هذا
المفسر وليس من الفاظ الايه فى ورد ولا صدر قال ابو عبيد هو قسم اى
لهم درجات ومغفره ورزق كريم كما اخرجك بتقدير والذى اخرجك فالكاف
فى معنى الواو وما معنى الذى وقال الزجاج الكاف فى موضع نصب والتقدير
الانفال ثابتة لك ثباتا كما اخرجك ربك وقيل الكاف فى موضع رفع والتقدير
لهم درجات عند ربهم ومغفره ورزق كريم هذا وعد حق كما اخرجك وقيل
المعنى واصلحوا ذات بينكم ذلك خير لكم كما اخرجك والكاف نعت لخبر ابتدا
محذوف وقيل التقدير قل الانفال لله والرسول كما اخرجك وهذا نحو
اول قول ذكرته وقال عليه واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين كما اخرجك
ربك انى الطاعة خير لكم كما ان اخراجك خير لكم وقوله من بيتك يريد من المدينة
يثرب قال جمهور المفسرين وقال ابن بكير المعنا كما اخرجك من مكه وقت الهجره
وقرا عبد الله ابن مسعود فى الحق بعد ما تبين بضم الباء من غير يا والضمير فى قوله
لجادلونك قيل هو للمومنين وقيل هو للمشركين فمن قال للمومنين جعل الحق
قتال مشركى قريش ومن قال للمشركين جعل الحق شريعة الاسلام وقوله الى
الموت اى فى سوقهم الى القتال على ان المجادلين المومنين او فى دعائهم الى الشرع
على انهم المشركون وقوله وهم ينظرون حال تزيد فى فرع المسوق وتقتضى سله

حاله

المقداد الكندى فقال لا نقول لك يا رسول الله اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
قاعدون ولكن نقول انا معكم مقاتلون والله لو اردت بنا برك الغماد
قال القاضى رضى الله عنه وهى مدينة الحبشة لقاتلنا معكم مرد وبهذا فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ودعا له بخير قال اشيروا على ايها الناس
فحمله سعد ابن معاذ وقيل سعد ابن عبادة قال القاضى ويمكن انهما جميعا
تكلما فى ذلك اليوم فقال يا رسول الله كانك تريدنا معشر الانصار فقال النبى
صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد امنا بك واتبعناك واعطيناك فامض لامر
الله فوالله لو خضت بنا البحر لخضناه معك فقال عليه السلام امضوا
على بركة الله فحانى انظر الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر وقرا
مسلمة ابن محارب وادنى لعزم الدال قال ابو الفتح ذلك لتوالى الحركات
وقرا ابن محيصن وادنى لعدكم الله احدى الطائفتين بوصل الالف من احدى وصله
الهاء بالحاء والشوكة عبارة عن السلاح والحده ومنه قولهم الاعور
ان العرف قد ادنى وقرا ابو عمرو فيما حكاه ابو حاتم الشوكة تكون بادغام
التاء فى التاء ومعنى الاية ويود ون العير وتابوا القتال وقوله ويريد الله
الخ معناه ويريد الله ان يظهر الاسلام ويعلى دعوة الشرع وقرا ابو جعفر وشيبة
ونافع بخلاف عنهم بكلمته على الافراد الذى يراد به الجمع والمعنى فى قوله بكلماته
التى سبقت فى الازل والمعنى قربت والدابر الذى يلى ادبار القوم اى يانى فى اخرهم
واذا قطع فقد اتى على اخرهم بسرعة ان يبدا الهلاك من اولهم وهى عبارة فى كل
ما اتى الهلاك عليه قوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين ليحق الحق
الحق اى ليظهره ما يجب اظهاره وهو الاسلام ويبطل الباطل اى الكفر ولو كره

اى وكراهتهم واقعة فى جملة فى موضع الحال وقوله اذ تستغيثون الاية
اذ متعلقة بفعل تقديره واذكر اذ وهو الفعل الاول الذى عمل فى قوله واذ
يعدكم وقال الطبرى هى متعلقة بيحق ويبطل قال القاضى ويصح ان تعمل فيها
يعدكم فان الوعد كان فى وقت الاستغاثة وقرا ابو عمرو بادغام الدال فى
التاء واستحسنها ابو حاتم وتستغيثون معناه تطلبون الغوث وليس
ببين من الغاظ لفظه الاية ان المؤمنين علموا ان القتال يكون الملائكة معهم
فان استحاب يمكن ان يقع فى غيبة تعالى وقد روى انهم علموا ذلك قبل القتال
ومعنى التانيس وتقوية القلوب يقتضى ذلك وقرا جمهور الناس انى بفتح
الالف وقرا ابو عمرو فى بعض ما روى عنه وعيسى ابن عمر بخلاف عنهما بكسر
الالف اى قال انى ممدكم اى مكثركم ومقويكم من امد وقرا جمهور الناس بالف
وقراعاصم بالف على مثال فلس وافلس فهو جمع الف والاشارة بها الى الالاف
المذكورة فى ال عمران وقراعاصم الجحدرى بالالف وضم الدال من مردفين
ان يراد بالمردفين المؤمنين اى ارداف الملائكة فمردفين على هذا حال من الضمير
فى قوله ممدكم ويحتمل ان يراد به الملائكة اى ارداف بعضهم بعضا وهذه القراءة
بفتح الدال وهى قراءة نافع وجماعة من اهل المدينة وغيرهم وقرا سائر السبعة
غير نافع مردفين بكسر الدال وهى قراءة الحسن ومجاهد والمعنى فيها تابع بعضهم
بعضا وروى عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التتابع يقال
ردف وارتدف اذا اتبع وجاء بعد الشى ويحتمل ان يراد مردفين المؤمنين
ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم بعضا ومن قال مردفين معناه متتابعين كل ملك
ارتدف ملكا وراءه فقول ضعيف لم ياتى بمقتضاه رواية وقرا رجل من اهل مكة
ورواه عبد الوليد مردفين بفتح الراء ولكسر الدال وشدها وروى عن الخليل

أنها بضم الراء كالتي قبلها في غير ذلك وقرأ بعض الناس بكسر الراء مثلها في غير
ذلك حكاه كذلك ابو عمرو عن سيبويه وحكاه أبو حاتم قال كأنه اراد مرتدفين
فادغم واتبع الحركة وحسن مع هذه القراءة كسر الميم ولا احفظ قراءة
وانشد الطبري شاهدا على ان أردف بمعنى حاثا تبعا قول الشاعر

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

والثريا تطلع قبل الجوزاء وروى في الأشعار ان الملائكة قاتلت يوم بدر وقيل
انما وقفت وحضرت وتعداد ضعيف وحكى الطبري عن علي ابن ابي طالب انه قال
نزل جبريل في الف من الملائكة على ميمنة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها ابو بكر ونزل
ميكائيل في الف ملك من الملائكة في الميسرة وانا فيها وقال ابن عباس كانوا في خمس
مائة خمس مائة وقال الزجاج قال بعضهم ان الملائكة حسد الاف وقال بعضهم
تسعة الاف وفي هذا المعنى احاديث مستوعبة في كتاب السيرة وقوله وما جعله
الله الا بشرى لكم الاية الضمير في جعله عائد على الوعد قال القاضي رحمه الله وهذا
عندي اسلم الاقوال من جهة المعنى وقال الزجاج ان الضمير عائد على المدد ويحتمل
ان يعود على الامداد ويحتمل ان يعود مع الامداد وهذا احسن مع قول من يقول
ان الملائكة لم تقاتل وانما أنست بحضورها مع المؤمنين قال القاضي وهذا
عندي قول ضعيف ترده الاحاديث الواردة بقتال الملائكة وما رأى من ذلك
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كابن مسعود وغيره ويحتمل ان يعود على الارداف
وهو قول الطبري وهذا ايضا حسن يجري القول قبله ويحتمل ان يعود على الالف
وهذا ايضا كذلك لان البشرى بالشيء انما هي عن ما لم يقع بعد والبشرى مصدر
من بشرت والطمأنينة السكون والاستقرار وقوله وما النصر الا من عند الله
يوقف على ان الأمر كله لله وان تكسب المرء لا يغني اذا لم يساعده القدر وارد

وأحلف في عمرة من مساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ادلاء يوم بدر

مطلوبا بالجيش حاطا هر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصر دعن وهذه القصة كلها
من قبل الحمار وغلبه المؤمنين لهم تليق بها من صفات الله العزة والحكمة اذا تؤمل
ذلك قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم
به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام العامل في
اذ نحو العامل الذي عمل في قوله واذ يعدكم ينقدر تكراره لان الاشتراك في العامل
الاول نفسه لا يكون الا بحرف عطف وانما المقصد ان يعدد نعمه على المؤمنين في
يوم بدر فقال واذكروا اذ يغشاكم كذا اذ فعلنا كذا اذ فعلنا كذا وقال الطبري
العامل فيه قوله ولتطمئن قال القاضي وهذا مع احتماله فيه ضعف ولو
جعل العامل في اذ شيئا قريبا مما قبلها لكان الاولى في ذلك ان يعمل في اذ
حكيم لان القاء النعاس عليهم وجعله امنة حكمة من الله تعالى وقرأ نافع
يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وفي قراءة الاعرج وابي حفص وابن نصاح
وقرأ عاصم وحمزة وابن عباس والحسن يغشيكم بفتح الغين وشد الشين
المكسورة وهي قراءة عروة ابن الزبير والحسن وابو رجاء وعلقمة وغيرهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويغشاكم بفتح الياء والف بعد الشين وهي قراءة مجاهد
وابن محيصن ولعله مكلة النعاس بالربع وحجة من قرأ يغشاكم احاعهم في ايه
أحد على يغشى طائفة منكم وحجة من قرأ يغشيكم ان مجيء الكلام منسقا مع
ينزل ومعنى يغشيكم يعطيكم به وينفرغه عليكم وهذه استعارة والنعاس
اخف النوم وهو الذي قد يصيب الانسان وهو واقف وماش وينصرف على ذلك
قصص هذه الاية انهم انما كان بهم خوف في الرؤوس وقول النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نعس احدكم في صلاته وتنصرف على ذلك قول الشاعر

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

عامر

الاولى

وقوله أمنة مصدر من أمن الرجل يأمن امنا وأمنة وأمانا والهاء فيها للتانيث
المصدر كما هي في المساة والمشقة وقرا ابن محيصن أمنة بسكون الميم وروى عن عبد
الله ابن مسعود انه قال النعاس عند حضور القتال أمان من العدو وهو من
الله وهو في الصلاة من الشيطان قال القاضي رحمه الله وهذا انما طريقه
الوحي فهو لا محالة تسنده وقوله وينزل عليكم من السماء ماء تعديد ايضا لهذه النعمه
في المطر فقال بعض المفسرين وحكاه الطبري عن ابن عباس وغيره وقاله الزجاج
ان الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين الى ماء بدر فنزلوا عليه ونعى المومنون لا
ماء لهم فوجست نفوسهم وعطشوا واجنبوا وصلوا الى الماء فقال بعضهم
نفوسهم بالقاء السبطان اليهم تزعم انا اولياء الله وفينا رسوله وقد حالنا
والمشركون على الماء فانزل الله المطر يوم بدر السابع عشر من رمضان حتى
سالت الاودية فشربوا لناس وتطهروا وسقوا الظهر وتدمثت السبخة
التي كانت بينهم وبين المشركين حتى تثبت فيها اقدام المومنين وقت القتال وكانت
قبل المطر تسوخ فيها الارجل فلما نزل المطر تلبدت فالوا فهذا قوله ليطهركم
به من الحنابه ويذهب عنكم رجز الشيطان عذابه بوساوسه المتقدمه الذكر
والرجز العذاب وقرا ابو العاليه رحس الشيطان بالسين اى وساوسه
التي عمقت وتقدر قراءه ابن محيصن وحز بضم الراء وقرا عيسى ابن عمر ويذهب
لحزم الماء وليربط على قلوبكم اى بتشجيعها وازاله الكسل عنها وتسجيعها على
العدو ومنه قوله ورابط الجاش اى ثابت النفس عند جاشيها في الحرب ويثبت
به الاقدام اى في الرمله الدهشه التي كان المشي فيها صعبا قال القاضي
والصحيح من الاقوال المروي في سير ابن اسحق وغيرها ان المومنين سبقوا
الى الماء ببدر وفي هذا وقع كلام حباب ابن المنذر الانصاري حين نزل رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم على اول الماء فقال له حباب اوحي هو يا رسول الله هذا المنزل
فليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو عندك الراى والمكيده الحديث
المستوعب في السير قال القاضي ولكن نزول المطر كان قبل وصولهم الى الماء
ودلك ان القوم من المومنين لحقتهم في سفرهم الخبابات وعدموا الماء قريبا من
بدر فصلوا الدلك فوقع في نفوسهم من دلك وسوس الشيطان لهم في دلك مع
خوفه لهم من كثره العدو وقلتهم ولعدا قبل التراي بالاعين وايضا فكانت
بينهم وبين ما بدر مسافه طويله من رمل ودهس لين يسوخ فيه الارجل
وكانوا يتوقعون ان سبقهم الكفار الى ما بدر ويحرضون ان يسبقوهم اليه فانزل
الله تلك المطره فسالت تلك الاوديه فاغتسلوا وطهرهم الله وذهب رجس
الشيطان وتدمثت الارض وتلبدت تلك الرمله فسهل المشي فيها وامكنهم الاسراع
حتى سبقوا الى الماء ووقع في السير ما اصاب المشركين من دلك المطر نعينه
صعب عليهم طريقهم فسار المومنون وبينوا من فعل الله بهم دلك قصد
المعونه لهم فطابت نفوسهم واجتمعت وتشجعت نفوسهم فدلك الربط على
قلوبهم وتثبيت الاقدام على الرمله اللينه فامكنهم لحاق الماء قبل المشركين
قال القاضي هذا احد ما يحتمله قوله ويثبت به الاقدام والضمير في به
عايد على هذا الاحتمال عايد على الماء ويحتمل ان يعود الضمير في به على ربط القلوب
فيكون تثبيت الاقدام عباره عن النصر والمعونه في موطن الحرب وبين ان
الرابط الجاش عند مكافحه الحول قال القاضي ونزول المطر كان الزمن
قبل تعنيه النعاس ولم يترتب دلك في الايه اذا الفصل فيها تعديد النعم
فقط وحكى ابو الفتح ان الشعبي قرا وينزل عليكم من السماء بالتشديد
بدل تسكين الطاء وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكه الايه العامل في اذ العامل

قال القاضي وقال الماء الذي ينزل من السماء

الأول على ما تقدم فيما قبلها ولو قدرناه قريبا لكان قوله وينيت على تاويل عود
الضمير على الربط واما على عوده الماء فيقلق ان تحمل وبنت في اذ ووحي الله تعالى
الى الملائكة اما بالمقام أو بارسال بعض الى بعض وقرا عيسى ابن عمر بخلاف عنه
اني معكم بكسر الالف على استيناف الخبر القصة وقراهمهور الناس انى بفتح
الالف على انها معموله ليوحى ووجه الكسر ان الوحى من معنى القول وقوله فثبتوا
يحتمل ان يكون بالقتال معهم على ما روى ويحتمل بالحضور في جيشهم والتانيس لهم بذلك
ويحتمل ان يريد فثبتوهم بافوال مونسه مقويه للقلوب وروى في ذلك ان بعض
الملائكة كان في صورة البشر فكان أحدهم يقول للذي يليه من المومنين لقد بلغني
ان الكفار قالوا لين حمل المسلمون علينا لنكشفن ويقول الاخر ما ارى العدو الا ظفر
الالنا ويقول الاخر اقدم يا فلان ونحو هذا من الاقوال المثبته قال القاضي
رضي الله عنه ويحتمل ان يكون التثبيت الذي امر به ما يلقيه الملك في قلب الا
الانسان ويلتمد من تو هم الظفر واحتقار الكفار ويجري عليه من خواطر تشجيعه
ويقوى هذا التاويل مطابقة قوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
وان كان القاء الرعب يطابق التثبيت على اي صورة كان التثبيت ولكنه اشبه
بما ادعى من جنس واحد وهذا على التاويل يحتمل قوله سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب مخاطبة للملائكة ثم يحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق لفظه الامر ومعناه
الخبر عن صورة الحال كانه قال اذا وصفت حربا لمن يخاطبه لقينا القوم وهزمناهم
فاضربوا بسيفك حيث شئت واقتل وخذ اسيرك اي لهذه كانت صفة
الحال قال القاضي ويحتمل ان يكون سالقي الى الاخر الاية خبرا لمخاطبيه
المومنين عما يفعله بالكفار في المستقبل كما فعل في الماضي ثم امرهم بضرب
الرقاب والبنان تشجيعا لهم وحرصا على نصرة الدين وقرا الاعرج الرعب بضم

العين والنابس على تسكينها واختلف الناس في قوله فوق الاعناق فقال
الاخفش فوق راسه وحكى الطبري عن بعضهم اضربوا الاعناق وقال غيره
هي بمعنى على وقال عكرمه مولى ابن عباس هي على بابها واراد الرؤس فوق الاعناق
قال المبرد وفي هذا اباحه ضرب الكافر في الوجه قال القاضي وبعد التاويل
أبلغها ويحتمل عندي ان يريد بقوله فوق الاعناق وصف ابلغ ضربات العنق
واحكمها وهي الضربه التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الراس في المفصل
نظرا الى هذا المعنى قول دريد ابن الصمه النصري حين قال له حد سيفي وارمح
به عن العظم واحفض به عن الدماغ فهكذا كنت أضرب اعناق الابطال ومنه
قول الشاعر جعلت السيف بين الجد منه وبين أسيل
خدية عذارا فيجيء على هذا فوق الاعناق متمكنا وقال ابن قتيبه فوق في هذه
الايه بمعنى دون وهذا خطا بين وانما دخل عليه اللبس من قوله بعوضة
فما فوقها اي فما دونها قال القاضي وليست هنا بمعنى دون وانما المراد
فما فوقها من القلة والصغر واشبه فوق دون والبنان قالت فرقه هي
المفاصل حيث كانت من الاعضاء والمعنى هنا هنا فاضربوا منهم في كل موضع
وقالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو القول الصحيح وعلى هذا التاويل وان
كان الضرب في كل موضع مباحا فانما قصد ابلغ المواضع لان المقاتل اذا قطع
بنانه استانس ولم ينتفع بشيء من اعضائه في مكافحه وقال قوله تعالى
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون داخلون فيه بالمعنى
والضمير في انهم عايد على الذين كفروا وشاقوا معناه اذا خالفوا ونابذوا وقطعوا
وقوما خوذ من الشق وهو القطع والفصل بين الشيئين وهذه مفاعلة فكان

الله تعالى لما شرع شرعا وأمر بامر وكد بوالهم وصدوا تباعد ما بينهم
وانفصل والشق ماخود من هذه الايه مع شقه الاخر تباعدا وانفصلا
وعبر المفسرون عن قوله ساقوا اى صاروا فى شق غير شقه **قال القاضى**
وهذا وان كان معناه صحيحا فحرير الاشتقاق انما هو ما ذكرناه والمثال الاول
انما هو الشق بفتح الشين واحمحوا على الاظهار فى شاقوا تباعا لخط المصحف
وقوله فان الله شديد العقاب جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا
وقوله تعالى ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار اى ذلكم الضرب والقتل ما
اوقع الله بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم وقال بعضهم يحتمل ان يكون
ذلك فى موضع نصب كقوله زيدا فاضربه وقراجمهور الناس وان بفتح الالف
فاما على تقدير وحتم ان فتقدر اسد الحروف تكون ان خبره وقال سيبويه
التقدير الامر ذلكم واما على تقدير واعلموا ان فهى على هذا فى موضع نصب
وروى سليمان عن الحسن ان ان الحسن وان على القطع والاستيناف **وقوله**
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الايه زحفا
متقابلى الصفوف والانحياز تزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف
الاندفاع على الالية ثم سمى كل ماش الى اخر الحرب وزونا زاحفا اذا فى
مشيته من التماهل والتباطى ما فى مشى الزاحف ومن الزحف الذى هو الاندفاع
قولهم كان العرف وماحرى محراه فى سرعة الانقياد تارا الزحفين ومن
التباطى فى المشى قول الشاعر

كانهن بايدى القوم فى كبد طير تكشف عن جون مزاحيف

ومنه قول القوذق على عامنا نلقى وارحلنا على مزاحف تحى محاربير
ومنه قول الاخر لمن الظعائن سيرهن تزاحف

ومن الزحف بمعنى التدافع قول الهذلى فى صفة منهل

كان مزاحف الحبات فيه قبيل الصبح اثنا السياطى

وامر الله تعالى فى هذه الايه ان لا يولى المومنون امام الكفار وهذا امر مقيد بالشرط
المنصوصة فى مثلى المومنين فاذا التقت فئة من المومنين فيه هى ضعف المومنة
من المشركين فالفرض ان لا يفروا امامهم والفرار هنا كبيره موبقه بظاهر
القران والحديث واجماع الاكثر من الامه والذى يراعى العدد حسبما فى كتاب
الله وهذا هو قول جمهور الامه وقالت فرقه منهم ابن الماجشون فى الواضحه
يراعى ايضا الضعف والقوة والعده فيجوز على اقوالهم ان يفر مايه فارس
امام مايه فارس اذا علموا انا عند المشركين من العده والنجده والبساله ضعف
ما عندهم وامام اقل واكثر بحسب ذلك واما على قول الجمهور فلا يحل فرار مايه
الا امام ما زاد على مايتين والعباره بالدبر فى هذه الايه ممكنه الفصاحه لانها
بشعة على الفار دائمه له وقرا الجمهور دبره بضم الباء وقرا الحسن ابن ابى الحسن
دبره بسكون الباء **واختلف** المتاولون فى المشار اليه بقوله يومئذ فقالت
فرقه الاشاره الى يوم بدر وما وليه من ذلك اليوم ورفع الوعيد بالغضب على من
فر ونسخ بعد ذلك حكم الايه باية الضعف وبقى الفرار من الزحف ليس بكبيره
وقد فر الناس يوم احد فعفا الله عنهم وقال فيهم يوم حنين ثم وليتم مدبرين ولم
يقع على ذلك تعنيف **قال القاضى** رحمه الله وقال الجمهور من الائمه الاشاره
بيومئذ الى يوم اللقاء الذى تضمنه قوله اذا لقيتم وحكم الايه باق الى يوم القيامه
بشرط الضعف الذى بينه الله فى ايه اخرى وليس فى الايه نسخ واما يوم احد فانما
فر الناس من اكثر من ضعفيهم مع ذلك عفا الله عنهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
وفرارهم عنه واما حنين فكذلك من فر انما انكشف امام الكثره ويحتمل ان عفو الله

عن فر يوم أحد كان عفوا عن كبيرة ومتحرفا لقتال مراد به الذي يرى ان فعله دلك انكى للعدو واعود عليه بالسر ونصبه على الحال ولذلك نصب متحرفا واما الاستثناء فهو من الموليين الذين يتضمنهم من وقال قوم الاستثناء من انواع التولي

قال القاضي ولو كان ذلك لوجب ان يكون الا متحرفا او متحرفا والفيئة ها هنا الجماعة من الناس الحاضرة للحرب بعدا على قول الجمهور ان الفرار من الزحف كبيرة واما على قول الاخر فتكون الفيئة المدينة والامام وجماعة المسلمين حيث ما كانوا وروى هذا القول عن عمر رض الله عنه انه قال انا فيئتكم ايها المسلمون

قال القاضي وهذا منه على جهة الحيطة للمؤمنين اذا كانوا في ذلك الزمان يثبتون لاضعافهم مرارا وفي مسند ابن ابي شيبة من طريق عبد الله بن عمران النبي عليه السلام قال للجماعة فئة من سراياه انا فيئة المسلمين حين قدموا عليه وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا السبع الموبقات وعد منها الفرار من الزحف والمعنى نهض متحملا للثقل المذكور في الكلام غضبا كان او نحوه والغضب من صفات الله تعالى اذا اخذ بمعنى الارادة فهي صفة ذات واذا اخذ بمعنى اظهار انعام العاصب على العبد فهي صفة فعل وهذا المعنى اشبه بهذه الاية والمأوى الموضع الذي يأوي اليه الانسان

قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم لما علم الله بحالة المؤمنين علم ان القتلة من المؤمنين ليس لهم مستبدين بالقتل لان القتل بالا قدار عليه في الخلق والاختراع في جميع حالات القاتل انما هي لله تعالى ليس للقاتل منها شئ وانما شارك الله بكسبه وقصده ولهذه الالفاظ نرد على من يقول بان افعال العباد خلق لهم

وسبب لهذه الاية فيما روى ان اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فقال قتلت كذا وفعلت كذا فحامن ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الاية

وقوله وما رميت اذ رميت بريد به ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله يوم بدر وذلك انه يوم اخذ قبضات من حصا وتراب فرمى بها وجوه الكفار وتلقاهم بلات مرات فانهزموا عند اخر رميه وروي انه قال يوم بدر شاهت الوجوه وهذا لعله انصا كانت يوم حنين بلا خلاف وروي ان التراب الذي رمى به لم يبق كافرا الا دخل في عينيه منه شئ وروي انه انما رمى ثلاثة احجار فكانت الهزيمة مع الحجر الثالث

قال القاضي فيحتمل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ما قلناه في قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وذلك منصوص في الطبري وغيره وهو حاج على معنى هم في كلام العرب وما رميت الرمي الذي اذ رميت ونحوه قول العباس بن مرداس فلم اعط شيئا ولم امنع اي اعط شيئا مرضيا وهذا اكثر ويحتمل ان يريد وما رميت الرعب في قلوبهم اذ رميت حصيانك ولكن الله رماه وهذا مصرح بانصا الى المدد وعبره ويحتمل ان يريد وما اعنيت اذ رميت حصيانك ولكن الله رمى اي اعانك والطعرك والعرب تقول في الدعاء رمى لك الله اي اعانك الله وصنع لك وحكا هذا ابو عبيدة في كتاب المجاز وفرق فرقه ولكن الله رمى بتشديد الواو وفرقه ولكن الله بتخفيفها ورفع الهاء وليبلي اي ليصيبهم ببلاء حسن وظاهر وصفه بالحسن يقتضي انه اراد الغنيمة والظفر والعزة وقيل اراد الشهادة لمن استشهد يوم بدر وهو اربعة عشر رجلا منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ومهجع مولى عمر ومعاذ وعمرو ابناء عفراء وعيرهم ان الله سميع لاستغاثتكم عليم بوجه الحكمة في جميع افعاله لا اله الا هو

قال القاضي وحكى الطبري ان المراد بقوله وما رميت اذ رميت رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة على ابي ابن خلف يوم احد فاقتلع

وهذا ضعيف لان الاية نزلت عقب بدر وعلى هذا القول يكون اجنبية مما
قبلها ومابعدها وذلك بعيد وحكى ايضا ان المراد السهم الذى رمى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حصن خيبر فشارك الهوى حتى اصاب
ابن ابى الحقيق قتله وهو على فراشه **قال القاضى** وهذا فاسد
وخيبر فتحها أبعد من احد بكثير والصحيح فى صوره قتل ابن ابى الحقيق عبر
هذا فهذان القولان ضعيفان لما ذكرناه وقوله ذلكم اشارة الى ما تقدم من
قتل الله ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب رفع قال سيبويه التقدير
والأمر ذلكم وقال بعض النحويين يجوز ان يكون فى موضع نصب بتقدير
فعل ذلكم وان مخفوض على ذلكم ويجعل ان يكون خبرا بتداء مقدر بتقديره
وحتم وسابق وثابت ونحو هذا وفرات فرقد وان بكسر الهمزه على القطع
والاستيناف ومُوهِنُ معناه مضعف مبطل يقال وهن الشئ يهن مثل
وعد يعد ويهن يهن مثل ولى يلى وقرئ مما وهنوا بكسر الهاء وقرا
حمزه والكسائى وابن عامر وابو بكر عن عاصم مُوهِنُ كيد مر اوهن وقرا ابن
كثير ونافع وابو عمرو وموهن كيد من وهن وقرا حفص عن عاصم مُوهِنُ
كيد بكسر الدال والاضافه وذكر الزجاج ان فيها اربعه اوجه وقد ذكر هذه القرات
الثلاث وزاد موهن بتشديد الهاء والاضافه الا انه لم ينص انها قراءة
قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وان
تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فيتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين قال
بعض المفاولين هذه الاية مخاطبه للمؤمنين الحاضرين يوم بدر قال الله لهم
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تطلبوا الفتح وهو الحكم بينكم وبين الكافرين
فقد جاءكم وقد حكم الله لكم وان تنتهوا عما فعلتم من الكلام فى امر الغنائم وما

سخرتم منكم فيها ومن تفاخركم بافعالكم من قتل وغيره فهو خير لكم وان تعودوا
لهذه الافعال نعد لتوبيخكم بما علمهم ان الفيئه وهى الجماعه لا تغنى وان كثرت
الا بنصر الله تعالى ومعونته ثم انسهم بقوله واعلموا انه مع المؤمنين وقال
اكثر المفاولين هذه الاية مخاطبه للكفار اهل مكه وذلك انه روى ان ابا جهل
كان يدعو ابدا فى محافل قريش اللهم من قطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاهلكه
واجعله المغلوب مر بنا محمدا صلى الله عليه وسلم واياهم وروى ان رسالما عزموا
على الخروج الى حمايه العير تعلقوا باستار الكعبه واستفتحوا وروى أن أبا
جهل قال يوم بدر اللهم انصر أحب الفيئتين اليك واطهر خير الدينين عندك اللهم
اقطعنا للرحم فاحنه العداه وعودلك فقال الله لهم ان تطلبوا الفتح فقد
جاءكم اى كائرونه عليكم لا لكم **قال القاضى** وهذا توبيخ ثم قال لهم وان
تنتهوا عن كفركم وعنادكم فهو خير لكم ثم اخبر انهم ان عادوا للاستفتاح عاد مثل
الواقعه يوم بدر ثم اعلمهم ان فيئتهم لا تغنى شيئا وان كانت كثيره ثم اعلمهم انه مع
المؤمنين وقالت فرقه من المفاولين قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وهو مخاطبه
للمؤمنين وسائر الاية مخاطبه للمشركين كانه قال وانتم ايها الكفار ان تنتهوا
فهو خير لكم وقرا ابن كثير وعاصم فى روايه ابى بكر وابو عمرو وحمزه والكسائى
وان الله بكسر الهمزه على القطع وقرا نافع وابن عامر وعاصم فى روايه حفص
وأن بفتح الالف فاما ان تكون فى موضع رفع على خبر ابتداء محذوف واما
فى موضع نصب باضمار فعل وما ذكر الطبرى من ان التقدير لكثرتها ولان الله
مع المؤمنين يحمل المعنى فى قراءه عبد الله ابن مسعود ولو كثرت والله مع المؤمنين
وشد ابقوى قراءه من كسر الالف من ان **وقوله** يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله الاية الخطاب للمؤمنين المصدقين جدد عليهم الامر بطاعه الله

والرسوله ونهوا عن التولى عنه وهذا قول الجمهور ويكون هذا متناصرا مع قول
من يقول ان الخطاب بقوله وانتم هو للمومنين فيحى الكلام من نمط واحد فى
معناه واما على قول من يقول ان الخاطب باية تنتهوا هو للكفار فمن ارهذه
الايه انما نزلت بسبب اختلافهم فى الفعل ومجادلتهم فى الحق وكراهيتهم خروج
رسول صلى الله عليه وسلم وتفاخرهم بقتال الكفار والنكاية فيهم وقال فرقد
الخطاب بهذه الايه انما هو للمنافقين والمعنا يا ايها الذين امنوا بالسنتهم فقط
قال القاضى رضى الله عنه هذا وان كان محتملا على بعد فهو ضعيف جدا
لاجل ان الله تعالى وصف من خاطب فى هذه الايه بالايمان والايمان التصديق
والمنافقون لا يتصفون من التصديق بشئ وقيل ان الخطاب لبنى اسرايل وهذا
اجنبى من الايه وتولوا اصله تتولوا الا ان الفعل دخلت عليه تا الخاطب الفعل
المستقبل فحذفت الواحده والمحذوفه هى تا تفعل والباقيه هى تا العلامه
لان الحاجه اليها هاهنا امس ليبقى الفعل مستقبلا **وقوله** وانتم تسمعون
يريد دعاه لكم بالقران والمواعظ والايات وقوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
من قريش يقولهم سمعنا ولو نشا لقلنا مثل هذا واما الكفار على الاطلاق الذين
يقولون سمعنا القران وعلمنا انه سحرا وسعرا واساطير بحسب اختلافهم
ثم اخبر الله عنهم خبرا نفى به انهم سمعوا اى فهموه ووعوا لايد لاخلاف انهم
كانوا يسمعون التلاوه بادانهم ولكن صدورهم مطبوعه لم يشرحها الله لتلقى
معانى القران والايمان به **قوله تعالى** ان شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
المقصود بهذه الايه ان يبين ان هذا الصنف الحاصل من الكفار هى شر
الناس عند الله وانها فى اخس المنازل لديه وعبر بالدواب ليناكد ذمهم وليفضل

عليهم

علمهم الكلب العقور والخنزير ونحوهما من السباع والحمر الفواسق ونحوها
والدواب كل ما دب فهو يجمع الحيوان لحملته وقوله الصم البكم عمى عما فى قلوبهم
وقله انشراح صدورهم وادراك عقولهم فلذلك وصفهم بالصم والبكم وسلب
العقل وروى ان هذه الايه نزلت فى طائفه من بنى عبد الدار وظاهرها العموم
فيهم وفى غيرهم ممن اتصف بهذه الاوصاف ثم اخبر تعالى ان عدم سمعهم وعقلهم
انما هو بما علمه الله منهم وسبق فى قضايه عليهم فحوج ذلك فى عبارة بليغه
فى ذمهم بقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم والمراد لاسمعهم اسماع تفهيم
وفهم ثم اشار الله تعالى الخبر بما هم عليه من حتمه عليهم بالكفر فقال ولو
اسمعهم اى ولو فهمهم لتولوا لحكم القضا السابق فيهم ولاعرضوا عما تبين لهم
من الهدى وحمل الطبرى عن فرقد انها قالت المعنا هذه الايات المنافقين وضعفه
الطبرى ولذلك هو ضعيف **قوله** يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
الايه هذا الخطاب للمومنين المصدقين واستجيبوا معناه اجيبوا ولكن عدف
اللام ان تتعدى استجاب بلام وبتعدى اجاب دون لام وقد يحى تتعدى استجاب
بغير لام والشاهد قول الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيب

وقوله لما يحييكم قال مجاهد والجمهور المعنا للطاعه وما تضمنه القران
من اوامر ونواهى وهذا احيا مستعار لانه من موت الكفر والجهل وحل
الاسلام وهذا الحد الاول وتضعف من حيث ان من امن لا يقال له ادخل فى الاسلام
وقيل لما يحييكم معناه للحرب وجهاد العدو وهو يحى بالعزه والغلبه والظفر
فيسمى ذلك حياه كما يقول حييت حال فلان اذا ارتفعت وتحى ايضا كما تحى
الاسلام والطاعه وعبر ذلك فانه تودى الى الحياه الدايمه فى الاخره وقال

النفائس المراد اذا دعاكم للشهادة **قال القاضي** رضي عنه فيه صلة حياة
الدنيا بحياة الاخرة وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل وجوها
منها انه لما امرهم بالاستجابة للطاعة وحضهم على المبادرة والاستعجال فقال
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اعلامهم ان قدرة الله واحاطته وعلمه
والحثه بين المرء وقلبه صلة لهما لحائل بينه وبين قلبه **قال القاضي**
فكان هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر وشبه
على هذا التاويل لهذا المعنى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد حكى
هذا التاويل عن قتادة ويحتمل ان يريد يخوفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا
لله وللرسول مما حال بالكفار الذين اراد بهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
بان ختم عليهم بانهم لو سمعوا وفهموا لم ينتفعوا بمقتضى ابد فكان بينهم وبين
قلوبهم فمانه قال للمومنين في هذه الاخرى استجيبوا لله وللرسول ولا تامنوا
ان لم تفعلوا ان يزيل عنكم ما تركه الكفار من الحول بينهم وبين قلوبهم فتبتلى على
ما جرى على الكفار بابلغ عباره واعلقها بالنفس ومنها ان يكون المعنى ترجيه
لهم في ان الله يبدل الخوف الذي هو في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جرأة وقوة
ويضد ذلك للكفار اي فان الله هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعض الناس ومنه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا حول عن معصية
ولا قوة على طاعة الا بالله وقال المفسرون في ذلك اقوال لا حاجة بنا الى ذكرها
الآية حكاها الطبري منها ان الله يحول بين المؤمن والكافر وبين الكافر والايمان
ونحو هذا وقرا ابن ابي اسحق بين المرء بكسر الميم ذكره ابو حاتم وقال ابو
الفتح وقرا الحسن والزهري بين المرء بفتح الميم وشد الراء المكسورة ويحشرون
اي يعثون يوم القيامة وروى مالك بن انس والنسائي ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم دعا ابي بن كعب وهو في الصلاة فلم يجب واسرع في بقية صلاته
فلما فرغ جاه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما سمعت فيما اوحى الي انا بها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فقال ابي لا جرم يا رسول
الله لا تدعوني ابدا الا اجبتك الحديث بطوله واختلاف الفاظه وفي البخاري
ومسلم ان ذلك وقع مع ابي سعيد ابن المعلا وروي انه وقع نحوه مع حارثة
ابن النعمان في غزوة الخندق **قوله تعالى** واتقوا فتنة الاية خصهم
بالمؤمنين خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب فهذه يحتمل تاويلات اسبقها
الى النفس ان يريد الله ان يحذر جميع المومنين من فتنة ان اصابت لم تخص الظلمة
فقط بل تصيب الكل من الظالم ويرى وهذا التاويل تاول فيها الزبير ابن العوام
رضي الله عنه فانه قال يوم الجمل ما علمت اني اردت بهذه الاية الا اليوم وما
كنت اظنها الا فيمن خوطب بها دلك الوقت ولذلك تاول الحسن البصري فانه قال
هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير ولذلك تاول ابن عباس وانه قال امر
الله المومنين في هذه الاية ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم العذاب وبينه
القتيبي فيما ذكر مكي عنه بيانا شافيا **قال القاضي** فعلى قوله لا تصيبن
على هذا التاويل صفة للفتنة فكان الواجب اذا قدرنا ذلك ان يكون اللفظ
لا يصيب وتلطف لدخول النون الثقيلة في الخبر عن الفتنة فقال الزجاج وغيره
بعض النحويين ان الكلام جرى فيه طرف من النهي قال ومثله قوله تعالى ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمان فالمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم فكذلك هذا ان تتقوا
لا يصيبن وقال قوم نفي خبر بمعنى الجزاء فلذلك لم يكن دخول النون وقال المهدوي
وقيل هو جواب قسم مقدر تقديره واتقوا فتنة والله لا يصيبن ودخلت
النون مع لا حملا على دخولها مع اللام فقط **قال القاضي** رضي الله عنه

وهذا القول قد تكره لان جواب القسم اذا دخلته لا او كان منفيا في الجملة
لم تدخل النون وان كان موجبا دخلته اللام والنون الشديدة كقولك
والله لايقوم زيد والله ليقومن زيد لهذا هو قانون الباب ولكن
معنى هذه الاية ان يستقيم مع النكرة التي ذكرناه والتاويل الاخر في
الاية هو ان يكون قوله واتقوا فتنة خطابا عاما لجميع المومنين مستقلا
بنفسه ثم الكلام عنده ثم ابتدا نهي الظلمة خاصة عن التعرض للظلم
فتصيبهم الفتنة خاصة واحراج النهي عن جهة المخاطبة للفتنة فهو
نهي محمول وللعرب مثل هذا كما قالوا لا ارينك ها هنا يريدون لا تقم ها هنا
فتقع مني رؤية ولم يريدوا نهي الانسان الرائي نفسه فكذلك المراد في
الاية لا تقع من ظلمكم ظلم فتقع من الفتنة اصابتهم بحى اليد الزجاج وهو قول
ابي العباس المبرد وحكاه النقاش عن الفراء نهي الظلمة ها هنا ملفظ مخاطبة الجمع
كما يقول القوم لا تفعل سفها وكم كذا وكذا وانما يريد نهي السفها فقط وخاصة
لعتلصدر محذوف تقديره اصابة خاصة فهي نصب على الحال لما الحذف
المصدر وهي من الضمير في تصيبن وهذا الفعل هو العامل ويحتمل ان يكون خاصة
حالا من الضمير في ظلموا ولا يحتاج الى تقدير مصدر محذوف والاول اكمل في المعنى
وقرأ علي ابن ابي طالب وزيد بن ثابت وابو جعفر محمد بن علي والربيع ابن انس
وابو العالية وابن جاز لتصيبن بالام على جواب قسم والمعنى على هذا وعيد
للظلمة فقط قال ابو الفتح يحتمل ان يراد بهذه القراءة لتصيبن بحذف الالف من
لا تخفيفا وانشاء الحركة تاما والله ويحتمل ان يراد بقراءة الجماعة لا تصيبن
فطلت حركة اللام فحذفت عنها الالف قال القاضي وهذا تطع في التحميل
وحكى النقاش هذه القراءة عن الزهري ان العوام وهذا خلاف لما حكاه الطبري

قال العلامة

وغيره

وغيره من تاويل الزبير في الاية وحكا النقاش عن ابن مسعود انه قرا وا تقوا فتنة
ان تصيب وقوله واعلموا ان الله شديد العذاب وعيد تلتئم مع تاويل الزبير
والحسن التاما حسنا وتلتئم مع سائر التاويلات بوجوه مختلفة وروى عن علي
ابن سليمان الاخفش ان قوله لا تصيبن هي على معنى الدعاء وذكره الزهراوي وقوله
واذكروا اذ انتم قليل الاية هذه اية تتضمن تعديد نعم الله تعالى على المومنين
واذ ظرف لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الحاضرة او الثابتة اذ
انتم قليل ولا يجوز ان يكون اذ ظرفا للذكر وانما يعمل الذكر في اذ لو قدرنا تعلقا
مفعوله واختلف الناس في الحال المشار اليها بهذه الاية فقال فرقة
هي الاكثر هي حال مكة في وقت بداءة الاسلام والناس الذي يخاف يخطفهم كفار مكة
والماوى على هذا التاويل المدينة والانصار والتاييد بالنصر وقعة بدر وما
الحرم بها في وقتها والطسات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به وقالت فرقة
الحال المشار اليها هي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في غزوة بدر
والناس الذي يخاف تخطفهم على هذا عسكر مكة وسائر القبائل المحاربة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان تخوف من بعضهم والماوى على هذا المدينة والتاييد
بالنصر وهو الامداد بالملائكة والتغلب على العدو والطسات الغنيمة
قال القاضي وهذان القولان مناسبان وقت نزول الاية لانها نزلت عقب
بدر وقال ابن منبه وقتادة الحال المشار اليها هي حال العرب قاطبة فانها
كانت اعرى الناس اجسادا واجوعهم بطونا واقلهم حالا ونعما والناس الذين
يخاف تخطفهم فارس والروم والماوى على هذا هو النبوة والشريعة والتاييد بالنصر
هو فتح البلاد بالنصر وعليه الملوك والطسات هي نعم المآكل والمشارب
والملابس قال القاضي وهذا التاويل يرده ان العرب كانت في وقت نزول

هذه الاية كافره الاقليل ولم تترتب الاحوال التي ذكرت هذا المتاول وانما كان
يمكن ان يخاطب العرب بهذه الاية في احر زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فان
مثل احد هذه الاية بحاله العرب فمتعلقه صحيح واما ان يكون حاله العرب هي
سبب الاية فبعيد لما ذكرناه **وقوله** لعلكم تشكرون ترج بحسب البشر متعلق
بقوله واذكروا **وقوله** تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول تخونوا
اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم
هذا خطاب لجميع المومنين الى يوم القيامة وهو يجمع انواع الخيانات كلها قليلها
وكثيرها قال الزهراوي المعنى لا تخونوا بعلول الغنايم وقال الزهراوي وعبد الله
ابن ابي قتادة سببها ان ابا لبابة ودلك انه اشار لبني قريظة حين سفر
على حكمه انه الحلقه يريد بذلك اعلامهم انه لس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا الذبح فلا تنزلوا ثم ندم فربط نفسه الى سارية من سواري المسجد حتى
تاب الله عليه الحديث المشهور وحكا الطبري انه اقام سبعة ايام لا يدوق
شيئا حتى تاب عليه وحكى انه لما نزل ابا لبابة عندهم اولاد فقال لهم نزلت واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة وقال عطا ابن ابي رباح عن جابر ابن عبد الله سببها
ان رجلا من المنافقين كتب الى ابي سفيان ابن حرب يخبره من اخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت الاية فقوله يا ايها الذين امنوا معناه اظهروا الايمان ويحتمل ان
يخاطب المومنون حقا ان لا يفعلوا فعل ذلك المنافق وحكا الطبري عن المغيرة ابن شعبة
انه قال نزلت هذه الاية في قتل عثمان رضي الله عنه **قال القاضي** رضي الله
عنه يشبه ان تمثل في الاية في قتل عثمان فقد كانت خيانة لله والرسول والامانات
والخيانة التنقص للشي باختفاء وهي مستعملة في ان يفعل الانسان خلاف ما ينبغي
من حفظ امر تاما لا كان امرا او غير ذلك والخيانة لله تعالى في تنقص

اوامره في سر وخيانة الرسول تنقص ما استحفظ فيه او ممن على دينه وعبادته
وحقوق الغير وقيل المعنى وتخونوا دوي اماناتكم واظن ابا علي الفارسي حكاه وقوله
وانتم تعلمون يريد ان ذلك لا يصدر منه لامانه كان عن تعمد وقوله فتنة يريد محنة وله
واختبارا وابتلاء ليرى كيف العمل في جميع ذلك وقوله وان الله عنده اجر عظيم يريد فوز الاخرة
فلا تدعوا حظكم منه للحيطة على اموالكم وابنائكم فان المدخور للاخرة اعظم قدرا
من مكاسب الدنيا وقوله تخونوا قال الطبري يحتمل ان يكون داخلا في النهي كانه قال
لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم فمكانه على هذا جزم ويحتمل المعنى هذا
لا تخونوا الله والرسول فذلك خيانات لاماناتكم فموضعه على نصب على تقدير
وان تخونوا اماناتكم كما قال ـــــــ الشاعر

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقرا مجاهد وابو عمرو وابن الحلا فما روي عنه ايضا وتخونوا اماناتكم على افراد
الامانة **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر
عنكم سياتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ايه وعد للمومنين بشرط
الاتقاء والطاعة له ويجعل لكم فرقانا معناه فرقانا بين حقكم وباطل من ناوءكم
اي بالنصر والتاييد عليهم والفرقان مصدر من فرق بين الشيين اذا حال
بينهما او خالف حكمهما ومنه قوله تعالى يوم الفرقان وعبر قتاده وبعض
المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة وقال السدي ومجاهد مخرجا ونحو
هذا مما يعم مما ذكرناه وقد يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون
ومن ذلك قول ـــــــ مزرد ابن ضرار

ما در الافق ان تغيب فلما الظلم الليل لم نجد فرقانا وقال ـــــــ اخر

مالك من طول الاسفار فرقان بعد قطين رحلوا وبانوا وقال ـــــــ اخر

وكيف ارجى الخلد والموت طالبى ومالى من كاس المنيه فرقان وقوله وادمكر
بك الذين كفروا الايه يشبه ان يكون قوله وادمعطوفا على قوله اذ انتم قليل
وهذا تذكير لحاله وضيقها مع الكفره وجميل صنع الله بحبها ويحتمل ان
تكون ابتداء كلام وقد اكاد على الايه مدنيه كساير السوره وهو اقوى الصواب
وحكى الطبرى عن عكرمه ومجاهد ان هذه الايه مكيه وحكى عن ابى زيد انها نزلت عقب
كفاه الله ورسوله المستهزئين بما احله بكل واحد منهم الحديث المشهور ويحتمل عندى
قول عكرمه ومجاهد هذه مكيه ان اشار الى القصه لا الى الايه والمكر المحاله والتوانى
يقول فلان يمكر بفلان اذا كان يستدرجه ويسوقه الى هوته وهو يريد جميلا وينشرا
ما يريد ويقال اصل المكر القتل ذكره ابن فورك ومكان الماكر بالانسان يقاله حتى
يوقعه ومن المكر الذى هو القتل قولهم للجاريه المعتدله اللحم ممكوره فمكر قريش
بالنبى صلى الله عليه وسلم تدبيرهم ما يسوءه وسعيهم فى فساد حاله واطفاء نوره وتدبير
قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخصال الثلاث لم يزل قديما منذ ظهوره
لكن اعلامهم لا تسمى مكرا وانما استسر واله هو المكر وقد ذكر الطبرى باسناده ان ابا
طالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد ما يدبر قبلك قومك قال يريدون ان اقتل
او اسجن او اخرج قال ابو طالب من اعلمك هذا قال ربى قال ان ربك لرب صدق
فاستوص به خيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا عم بل هو يستوصى بى خيرا

قال القاضى وهذا المكر الذى ذكره الله فى هذه الايه هو ما حاج من المفسرين
اشاره الى اجتماع قريش فى دار الندوه محضرا بليس فى صوره شيخ نجدى على
ما نص ابن اسحاق فى سيره الحديث بطوله وهذا الذى كان خروج النبى صلى الله عليه
وسلم من مكه بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت ابى طالب ففى القصه
ان ابا جهل قال الرأى ان ناخذ من كل بطن من قريش فتيا قويا جلدا فيجتمعون ثم
ياخذ كل واحد منهم سيفا ويأتون محمدا فى مضجعه فيضربونه ضربه رجل واحد

فلا

فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش باسرها فياخذون العقل ونحن منه فقال
الشيخ صدق الفتى هذا الرأى لا أرى غيره وافترقوا على ذلك فاعلم الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم واذن له فى الخروج الى المدينه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ليلته وقال لعلى ابن ابى طالب التف فى برد الحضرمى واضطجع فى مضجعى فانه
لا يصل اليك شئ تكرهه ففعل فبات على وحانت بات قريش فجعلوا يرصدون السحر ويتطرون
قيامه فيثورون اليه فلما قام راوا عليا فقالوا له ان صاحبك قال لا ادرى
وفى السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ولهم فى طريقه طمس الله
عيونهم عنه وجعل على راس واحد منهم ترابا ومضى لوجهه فجاهم رجل فقال
ما تنتظرون قالوا محمدا قال انى رايته الان جاء من ناحيتكم وهو لا محاله واضع
التراب على رؤوسكم فمد كل واحد يده على راسه وجاءوا الى مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدوا عليا فركبوا وراه حسد كل صعب وذلول وهو
بالغار ومعى ليثبتوك ليسجنوك فتثبت قال السدى وعطا ابن ابى كثير وقال
ابن عباس ومجاهد معناه ليوثقوك وقال الطبرى وقال اخرون يسخروك
وقرا يحيى ابن وثاب فما ذكرا بو عمرو الدانى ليثبتوك وهذه ايضا تعديه بالتضعيف
وحكى العباس عن يحيى ابن وثاب انه قرا ليبيتوك من البيات وهذا اخذ مع القتل
فيضعف من هذه الجهه وقال ابو حاتم معنى لينبتوك اى بالجراحه كما يقال انبته
الجراحه وحكاه الهوارى عن اهل اللغه ولم يسم احدا وقوله ويمكر الله معناه
يفعل افعالا منها تعذيبهم وعقوبتهم ومرها ما هو ابطال المكر بهم ورد لهم ودفع
فى صدره حتى لا سمح فسمى ذلك كله باسم الذنب الذى حاد لك من اجله ولا حسن
فى هذا المعنى الا هذا واما ان يضاف المكر الى الله على ما يفهم منه فى اللغه فغير
جايز ان يقال وقد ذكر ابن فورك فى هذا ما يقرب من هذا الذى ضعفناه وانما

قولنا وعكرا الله كما يقول في رجل شتم الامير فقتله الامير هذا هو الشتم
فسمى العقوبة باسم الذنب وقوله خير الماكرين اى اقدرهم واعزهم جانبا
قال القاضي وفي هذه الجمله يعني القدره والعزه نفع التفصيل
لان مكره الكفره لهم قدره متا فوقع التفضيل لمشاركتهم بها واما مرجعه
الصلاح فما يفعله الله تعالى فلا مشاركه للكفار بصلاح فيتعذر التفضيل
على مذهب سيبويه والبصريين الاعلى ما سماه في الفاظ العموم مثل خذ
واجب ونحوها اذ لا خلو امن اشتراك ولو على معتقد من فرقه او من
واحد قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشا لقلنا
مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين الضمير في عليهم عائد على الكفار والايات
هنا اياات القران حاصه بقرينه قوله تتلى وقد سمعنا يريد قد سمعنا هذا
المتلو لو نشا لقلنا مثله او قد سمعنا نظيره على ما روى ان النضر سمع احاديث
اهل الحيره من العباد فلو نشا لقلنا مثله من القصص والانباء فان هذه
انما هي اساطير من تقدم اى قصصهم المسطوره المكتوبه واساطير جمع اسطوره
ويحتمل ان يكون جمع اسطار ولا يكون جمع اسطر كما قال الطبري لانه كان يجئ
اساطرون بياء هذا هو قانون الباب وقد شذ منه سبكنصرف قالوا في
جمعه اعاريف والذي تواتر الروايات عن ابن جريج والسدي وابن جبير
ان قايل هذه المقاله هو النضر ابن الحارث ودلك انه لما قدم السفر الى فارس
والحيره وكان قد سمع من قصص البرهمان والاناجيل وسمع من اخبار رستم
واسبندیار فلما سمع القران ورای فيه اخبار الانبياء والامم قال لو
شيت لقلت مثل هذا وكان النضر من مردة قريش الذين كانوا يؤذون رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتزلت فيه ايات كثيره من كتاب الله وقتله رسول الله صلى

الله عليه وسلم صبرا بالصفرا منصرفه من بدر في موضع يقال له الاثيل وكان
اسره المقداد فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد
اسيري يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب
الله ما قد علمتم فاعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقالته حتى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذي
اردت فضربت عنق النضر وحكى الطبري عن سعيد ابن جبير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر صبرا ثلاثه نفر المطعم ابن عدي والنضر ابن الحارث
وعقبه ابن ابي معيط قال القاضي وهذا وهم عظيم في خبر المطعم فقد
كان مات يوم بدر وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المطعم حيا
وكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له يعني اسرى بدر وقوله تعالى واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الايه روى عن مجاهد وابن جبير وعطا والذي
ان قايل هذه المقاله هو النضر ابن الحارث الذي تقدم ذكره وفيه نزلت هذه
الايه قال القاضي وترتب ان يقول النضر مقاله ويسمها القران الى
جميعهم لان النضر كان فهم موسوما بالنبل والفهم مسكونا الى قوله فكان اذا
قال قولا قاله منهم كبيرا تبعوه عليه حسب ما يفعله الناس ايدا بعلمائهم
وفقهائهم والمشار اليه بهذا هو القران وشرع محمد صلى الله عليه وسلم والذي
حملهم على هذه المقاله هو الحسد ودلك انهم استبعدوا ان يلوم الله محمدا
هذه الكرامه وعميت بصايرهم عن الهدى وصموا على ان هذا ليس بحق فقالوا
هذه المقاله كما يقول الانسان لامر قد يحقق تزعم انه لم يكن اركدا وكدا فتقول
الله بي وصنع وحكى ابن فورك ان هذه المقاله خرجت مخرج العناد مع علمهم
بانه حق ودلك لزم بعضهم لمن معاويه ابن ابي سفيان القصه المشهوره

فى باب الاجوبه وحكاه الطبرى عن محمد ابن قيس وبزيد ابن رومان **قال القاضى**
وهذا بعيد من التاويل ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل ويجوز فى العربيه
رفع الحق على انه خبر هو والجمله حبر كان والرماح ولا اعلم احدا قراء
بهذا الحابر وقراه الناس انما هى بنصب الحق على ان يكون حبر كان ويكون هو
فصلا فهو حينئذ اسم وفيه معنى الاعلام بالذى بعده حبر وليس بصفه وامطر
انما استعمل فى المكروه ومطر فى الرحمه كذا قال ابو عبيده **قال القاضى**
ويعارض هذا قول الله اعارض ممطرنا لانهم ظنوها سحابه رحمه وقولهم من السما
مبالغه واعتراف وهذان النوعان للذان اقترحوهما السابقان فى الامم عافانا
الله وعفا عنا ولا أضلنا **قوله تعالى** وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون
عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون
قال قوم نزلت هذه الايه كلها بمكه وقالت فرقه نزلت كلها بعد وبعد بدر حكايه
عن ما مضى وقال ابن ابزى نزل قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الايه بمكه
اثر قولهم وانينا بعذاب اليم ونزل قوله وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون
عند حروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه فى طريقه الى المدينه وقد بقى بمكه
مومنون يستغفرون ونزل قوله ومالهم الا يعذبهم الى اخر الايه عند ظهور المعذبين عليهم
قال القاضى واجمع المتاولون على قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
ان الله لم يعذب امه ونبيها بين اظهرها فما كان ليعذب بعده وانت
فيهم بكرامتك لديه اعظم قال ارآه عن ابى زيد سمعت من العرب من يقول
ما كان الله ليعذبهم بفتح اللام وهى لغه غير معروفه ولا مستعمله فى القران
واختلفوا فى معنى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال ابن

بعد رسوله

ان معنى هم

عباس

عباس وابن ابزى وابو مالك والضحاك ما مقتضاه ان الضمير فى قوله معذبهم يعود
على كفار مكه والضمير فى قوله وهم عايد على المومنين الذين بقوا بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكه اى وما كان الله ليعذب الكفار والمومنين بينهم يستغفرون **قال**
القاضى ويدفع فى صدر هذا القول ان المومنين الذين ردا الضمير عليهم لم يجر لهم
ذكر وقال ابن عباس ايضا ما مقتضاه ان يقال الضمير ان عايدان على الكفار وذلك
انهم كانوا يقولون فى دعايهم غفرانك ويقولون لبيك لا شريك لك ونحو هذا مما
هو دعاء واستغفار فحمله الله امنه من عذاب الدنيا وعلى هذا تركب قول ابى موسى
الاشعرى وابن عباس ان الله تعالى جعل من عذاب الدنيا امانين لنبيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم معهم والاستغفار فارتفعت الواحده وبقى الاستغفار الى يوم القيامه
وقال قتاده الضميران للكفار وقوله وهم يستغفرون جمله فى موضع الحال ان لو
كانت فالمعنى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبه واستغفار من كفرهم ان لو وقع
ذلك منهم واختاره الطبرى حسن الرجز والتوقف بعد هذا بقوله ومالهم ان لا
يعذبهم الله قال الرماح ما معناه ان الضمير فى قوله وهم عايد على الكفار والمراد
بذلك من سبق له فى علم الله انه يسلم ويستغفر فالمعنا وما كان الله ليعذب الكفار
وفيهم من هو مومن ويستغفر فى ثانى حال وحكاه الطبرى عن ابن عباس وقال مجاهد فى
كان الزهراوى المراد بقوله وهم يستغفرون ذريه المشركين يومييذ الذين سبق فى
علم الله ان يكونوا مومنين فالمعنى وما كان الله معذبهم وذريتهم يستغفرون
ويومنون فتسب الاستغفار اليهم اذ ذريتهم وذكر مكى ولم ينسبه فى الطبرى وفرقه
ان معنى يستغفرون يصلون وعن اخرين يسلمون ونحو هذا من الاقوال التى يقارب
بعضها قول قتاده وقوله ومالهم ان لا يعذبهم الله توعد بعذاب الدنيا فتقديره وما
يهلكهم او يبدرهم ونحو هذا من الافعال التى توجب ان يكون ان فى موضع نصب وقال
الطبرى تقديره وما يمنعهم من ان يعذبوا والظاهر فى قوله وما انها استفهام على

منهم

يهلكهم

جهة التقرير والتوبيخ والسؤال وهذا افصح في القول واقطع لهم في الحجة ويصح ان
يكون ما نافيه ويكون القول اخبارا اى وليس لهم ان لا يعذبوا وهم يصدون وقوله
وهم يصدون على التاويل الذى حمله فى موضع الحال معناه ممنوعون غير لهم فهو منعدّ كما
قال صددت الكاس عنا ام عمرو وقد يكى صد غير متعد كما انشد ابو
على صدّت خلينا عنا ما تكلمنا والضمير فى قوله اولياءه عائد على الله تعالى من قوله لم
يعذبهم الله أو على المسجد الحرام دل دليل وروى الاخير عن الحسن والضمير فى الاخر
تابع للاول وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون معناه لا يعلمون انهم ليسوا باولياء بل
يظنون انهم أولياؤه وقوله اكثرهم بحد كلهم وهذا الصفة لفظ خارج اما على ان
تقول انه لفظ خصوص اريد به العموم وهذا كثير فى كلام العرب ومنه ما حكاه
سيبويه من قولهم ما من يقول ذلك وهم يريدون لا يقوله احد واما ان يقول انه
اراد بقوله اكثرهم ان لا يعلم وسعوا ان بينهم وفى خلالهم قوما قد حنحوا الى الايمان
ووقع لهم علم وان كان ظاهرهم الكفر فاستثناهم من الجميع لقوله اكثرهم ولذلك
كانت حال بكر وابى لما فقد كان فيهم العباس وامّ الفضل وغيرهما وحكى الطبرى
عن عكرمة قال الحسن ان الحسن ان قوله وما لهم الا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال القاضى وفى هذا نظر لانه خبر لا يدخله النسخ
قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قد وقف العلماء بما
كسم تكسرون قرأ الجمهور وما كان صلاتهم بالرفع عند البيت الا مكاء بالنصب وتصدوه
كذلك وروى عن عاصم انه قرأ صلاتهم بالنصب الا مكاء وتصدية بالرفع وروى عن
سليمان الاعمش الخلاف عنه فيما حكاه ابو حاتم وذكر ابو على عن الاعمش انه قال فى قراءة
عاصم افاين لحن عاصم تلحن انت قال ابو الفتح وقد روى الحرف كذلك عن ابان بن تغلب
قال قوم وهذه القراءة خطأ لانه جعل الاسم بكر والخبر معرفة قال ابو حاتم
فان قيل ان المكاء والتصدية اسم جنس واسم الجنس معرفة منكرا واحدا فى التعريف

قيل

قيل ان استعماله كذا الا فى ضرورة شعر كما قال حسان
كان سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
كان شبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
ولا يقاس على ذلك واما ابو الفتح فوجه هذه القراءة بما ذكرنا من تعريف اسم الجنس
وبعد ذلك ورجح قراءة الناس قال ابو على الفارسى وانما ذهب من ذهب الى تخطئة القراءة
لما رأى الصلاة مؤنثة ورأى الفعل المسند اليها ليس فيه علامة تانيث فاراد تعليقه
بمذكر وهو الماء واخطأ فى ذلك فان العرب تعلق الفعل لا علامة فيه بالمؤنث
ومنه قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ولفت
كان عاقبة المفسدين ونحو هذا مما اسند فيه الفعل دون علامة الى المؤنث والمكاء
على وزن الفعال الصفير قاله ابن عباس والجمهور فقد يكون بالفم وقد يكون بالاصابع
وقد يكون بالاصابع والكف فى الفم قاله مجاهد وابو سلمة ابن عبد الرحمن وقد يشارك
الانف فى ذلك يقال مكا يمكو اذا صفر ومنه قول عنترة
وحليل غانية تركت مجدلا تحمى ذمار يصيد كسيد الاعلم
ومنه قول الشاعر يصف رجلا فر وله حنين
كأنما يمكو باعصم عاقل ومنه قول الطرماح
فتحا لاولياها بطعنة محفظ يمكو اجوافها من الانبار
ومكت استه الذباب اذا صفرت ويقال مكوا استه مكسورة ومنه قيل
للاست مكوة قال ابو على والهمزة فى ماء منقلبة عن واو قال الفارسى
ومن هذا قيل للطابور الماء لانه يمكو اى يصفر فى تحريكه وورده قال الشاعر
العين كالخطاف والاصوات فى الاكرى على فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ
والدعاء والجوار والصياح ونحوه وروى عن قتادة ان المكاء ضرب الاذى ودلك
ضعيف وروى عن ابن عباس انه قرأ الامكا بالقصر والتصدية عبثهما اكثر الناس

بانها التصفيق وقاده بانها الضجيج والصياح وسعيد ابن جبير بانها الصد
والمنع ومن قال انها التصفيق قال انما كان للمنع عن ذكر الله ومعارضة لقراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والتصدية مما من ان يكون من صد يصد
اذا صوت والصدا الصوت ومنه قول الطرماح تصف الأدوية

لها كل ما ريعت صداة وذكرة بمصران أعلا اليس شمام البوائن

فيلتئم على هذا الاشتقاق وقول من قال هو التصفيق وقول من قال هو الضجيج
ولا يلتئم عليه قول من قال هو الصد والمنع الا ان يحمل التصويت انما يقصد
به اللفظ المقصود لا بما يحصه من معناه ويمكن ان يكون التصدية من صد يصد
استعمل الفعل ضعفا للمبالغة والتكثير لا ليتعدى فقيل صدد ودلك ان الفعل
الذي يتعدى اذا ضعف فانما يضعف للتكثير اذ التعدي حاصل قبل التضعف
ودلك نحو قوله وغلقت الأبواب والذي يصحف ليعدى لمفعول علم وعزم فاذا
قلنا في صد صدد ففعل في الصحيح حتى مصدره في الاكثر على يفعيل وفي الاقل
على يفعله مثل كبكبة وكبكبا وتكملة وغير ذلك بخلاف المعتل فانه يجيء في الاكثر
على يفعلة مثل عزى يعزيه وفي الشاذ على تفعيل مثل قول الشاعر

بات ينزيها دلوها تنزيا واذا دار فعل في الصحيح يتسوغ فيه المثلان وفض
فيه تفاعله مثل قولنا تصديه وصير الى تفعيل لتحول الثاني بين المثلين
كتحفيف وتشديد فلما سلكوا في مصدر صدد المسلك المرفوض اصلح ذلك
بان ابدل الحرف المثلين ياء كديدبهم في تظنيت ونحوه فما تصديه فعلى هذا الاشتقاق
يلتئم قول من قال التصدية الصد عن البيت والمنع ويمكن ان يكون التصدية من
من صد يصد بكسر الصاد لغة النحاس وذهب الكسائي المفسرين الى ان المكاء والتصدية
انما احدثها الكفار عند سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقطعوا على المؤمنين

قرأتهم

هذا اصل المثلين وهو مصدر وردت

بانها التصفيق وقاده بانها الضجيج والصياح وسعيد ابن جبير بانها الصد
والمنع ومن قال انها التصفيق قال انما كان للمنع عن ذكر الله ومعارضة لقراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والتصدية مما من ان يكون من صد يصد
اذا صوت والصدا الصوت ومنه قول الطرماح تصف الأدوية

لها كل ما ريعت صداة وذكرة بمصران أعلا اليس شمام البوائن

فيلتئم على هذا الاشتقاق قول من قال هو التصفيق وقول من قال هو الضجيج
ولا يلتئم عليه قول من قال هو الصد والمنع الا ان يحمل التصويت انما يقصد
به اللفظ المقصود لا بما يحصه من معناه ويمكن ان يكون التصدية من صد يصد
استعمل الفعل ضعفا للمبالغة والتكثير لا ليتعدى فقيل صدد ودلك ان الفعل
الذي يتعدى اذا ضعف فانما يضعف للتكثير اذ التعدي حاصل قبل التضعف
ودلك نحو قوله وغلقت الأبواب والذي يصحف ليعدى لمفعول علم وعزم فاذا
قلنا في صد صدد ففعل في الصحيح حتى مصدره في الاكثر على يفعيل وفي الاقل
على يفعله مثل كبكبة وكبكبا وتكملة وغير ذلك بخلاف المعتل فانه يجيء في الاكثر
على يفعلة مثل عزى يعزيه وفي الشاذ على تفعيل مثل قول الشاعر

بات ينزيها دلوها تنزيا واذا دار فعل في الصحيح يتسوغ فيه المثلان وفض
فيه تفاعله مثل قولنا تصديه وصير الى تفعيل لتحول الثاني بين المثلين
كتحفيف وتشديد فلما سلكوا في مصدر صدد المسلك المرفوض اصلح ذلك
بان ابدل الحرف المثلين ياء كديدبهم في تظنيت ونحوه فما تصديه فعلى هذا الاشتقاق
يلتئم قول من قال التصدية الصد عن البيت والمنع ويمكن ان يكون التصدية من
من صد يصد بكسر الصاد لغة النحاس وذهب الكسائي المفسرين الى ان المكاء والتصدية
انما احدثها الكفار عند سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقطعوا على المؤمنين

قرأتهم

هذا اصل المثلين وهو مصدر وردت

قرأتهم وصلاتهم ويخلط عليهم فكان المصلي اذا قام يقرأ من المؤمنين اكتنفه من
الكفار عن يمينه وشماله من يكوا ويصدى حتى يخلط عليه قراءته فلما نفى الله ولايتهم
عن البيت امكن ان يعترض معترض بان يقول ولم فلا تكون اولياءه ونحن نسكنه
ونصلي عنده فقطع الله هذا الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية وهذا كما تقول لرجل انا أفعل الخير فيقال له ما فعلك الخير الا ان تشرب
الخمر او تقتل اي هذه عادتك وخيرك وغايتك قال القاضي والذي يزيل
من أمر العرب في ما دين ان المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام
سلام على جهة التقرب به والتشرع ورايت عن بعض أقوياء العرب انه كان يكوا
على الصفا فيسمع من جبل حرا وبينهما اربعة أميال وعلى هذا استقام تعييرهم
وتنقصهم بان شرعهم وصلاتهم وعبادتهم لم تكن رغبة ولا رهبة انما كانت مكاء
وتصدية من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتزيدون فيها وقت النبي صلى الله عليه وسلم
ليشغلوه وامته عن الصلاة والقراءة وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون اشارة الى علاجهم ببدر بالسيف قاله الحسن وابن جريج والضحاك فيلزم
من هذا ان هذه الاية الاخيرة نزلت بعد بدر ولابد قال القاضي والاشبه ان
الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى والله ولي التوفيق بمحمد قوله تعالى ان
الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون قال بعض الرواة عنهم
ابن ابزى وابن جبير والسدي ومجاهد سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان
انفق في غزوة أحد على الاحابيش وغيرهم اربعين اوقية من ذهب ونحو هذا
وان الاية نزلت في ذلك وقال ابن شهاب ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن
قتادة والحصين ابن عبد الرحمن وابن عمرو بن سعد بن معاذ انه لما قتل من قتل
ببدر اجتمع ابناؤهم ورؤساؤهم فقالوا لمن خلص ماله في العير ان محمدا قد نال منا ما

ترون ولكن اعينونا بهذا المال الذي كان سبب الوقعة فلعلنا ان نال منه ثارا
فنزلت الآية في ذلك **قال القاضي** رضي الله عنه وعلى القولين فانما انفق المال
في عروة أحد فاخبر الله تعالى في هذه الآية خبرا لفظه عام في الكفار والاشارة
به الى المخصوصين انهم سينفقون اموالهم يقصدون بذلك الصد عن سبيل الله والرفع
في صدر الاسلام ثم أخبر خبرا يخص المشار اليهم انهم ينفقونها ثم يكون عليهم حسرة
اذ لا يتم لهم ارادة ويذهب المال باطلا والحسرة التلهف على الفائت ويحتمل ان تكون
الحسرة يوم القيامة والاول اظهر وان كانت حسرة العاقبة راتبة عليهم ثم
اخبر انهم يغلبون بعد ذلك طلبه بان تكون الدايرة عليهم وهذا من اخبار القرآن
بالغيوب لانه اخبر بما يكون قبل ان يكون فكان كما أخبر قال ابن سلام بين الله انهم
سيغلبون قبل ان يقاتلوا بسنده كما ذكره الزهراوي ثم أخبر تعالى عن الكافرين انهم
يحشرون الى جهنم والحشر جمع الناس الى المكان اوغيره لذلك مما يحضر ويجمع ومنه قوله
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ومنه في التفسير ان السلوى طاير كانت الجنوب تحشره على
بني اسرايل والقوم الذين جلبهم ابو سفيان وانفق المال عليهم هم الاحابيش من كنانة
ولهم يقول كعب ابن مالك

وحينا الى موح من البحر وسطه أحابيش منهم حاشر ومقبح
ثلاثة الاف ونحن نصية ثلاث مئين ان كثرت وأربع

وقال الضحاك وغيره ان هذه الآية نزلت في فقد المشركين الجارحين الى بدر كانوا
يذبحون يوما عشرا ويوما تسعا من الابل وكما نحو هذا التفاوت **قوله تعالى**
ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في
جهنم اولئك هم الخاسرون قرا ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر ليميز
بفتح الياء وكسر الميم وهي قراءة الاعرج والى جعفر وشيبة ابن نصاح وسئل والي
عبد الرحمن والحسن وعكرمة ومالك ابن دينار يقول ميزت الشيء والعرب تقول ميزته

الخبيث والطيب الصدر

فلم

فلم يتميز لي كذا حكاه يعقوب وفي سناد القراءة وانماز وا اليوم وانشد ابو زيد

لما تبين الله عني شر عدوته وانمزت لا منسيا دغرا ولا وجلا

وهو مضارع ماز وقرا حمزة والكسائي ليميز بضم الياء وفتح الميم وشد الياء وهي قراءة
عباده وطلحة ابن مصرف والاعمش والحسن ايضا وعيسى البصري يقول ميزت أميز
اذا فرقت بين شيئين فصاعدا وفي القرآن تميز من الغيظ وهو مضارع متيز ومعناه
تتفضل وقال ابن عباس رضي الله عنه والسدي المعنى بالخبيث الكفار وبالطيب المؤمنين
قال القاضي رضي الله عنه واللام على هذا التاويل من قوله ليميز متعلقة
بمغلوبون والمعنى ان الكفار ينفقون اموالهم فتكون عليهم حسرة ثم يغلبون مع
نفقتها وذلك ليميز الله الفريق من الخبيث والطيب فيجعل اهل الخبيث وبنصر اهل
الطيب وقوله معالى على هذا التاويل ويجعل الخبيث بعضه على بعض الآية مترتب
على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحشر يوم القيامة من الأموال ما
كان صدقة او قربة ثم يامر بسائر ذلك فيلقى في النار وحكى الزهراوي عن الحسن ان
الكفار يعذبون بذلك المال فهي لقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم قال
الزجاج وعلى التاويل قوله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله
في جهنم انما هي عباره عن جميع ذلك وضمه وتاليف اشتاته وتكاثفه بالاجتماع وبركه
في كلام العرب يكثفه ومنه سحاب مركوم وركام ومنه قول ابي الرمة
زغ بالزمام وجود المل مركوم وقوله ويجعل الخبيث بمعنى يلقى قال ابو العالية
واولئك هم الخاسرون على هذا التاويل يراد به المنفقون من الكفار ولفظ الخسارة
يلحق بهم من جهة المال ويخبر بذلك من الجهات **قوله تعالى** قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين امر من الله
تعالى لنبيه عليه السلام ان يقول للكفار هذا المعنى الذي يتضمنه الغاظ قوله ان

ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وسواء قاله النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الجهات
او غيرها ولو كان الكلام كما ذكر الكسائي لقد في مصحف ابن مسعود قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لكم لما نادت الرساله الا بتلك الالفاظ بعينها هذا
بحسب ما تقتضيه الالفاظ وقوله ان ينتهوا يريد به عن الكفر ولابد والحامل
على ذلك جواب الشرط بيغفر لهم ما قد سلف ومغفره ما قد سلف لا تكون
الا لمنتهٍ عن الكفر وقوله وان يعودوا يريد به الى القتال لان لفظه عاد يعود
اذا جاءت مطلقه فانما يتضمن الرجوع الى حاله قد كان الانسان عليها ثم ينتقل عنها
ولسنا نجد في هذه الايه لهم ولا لكفار حاله تشبه ما ذكرنا الا القتال ولا
يصح ان تتاول وان يعودوا الى الكفر لانهم لم ينتقلوا عنه وانما قلنا في عاد يعود
اذا جاءت مطلقه لانها قد تجئ في كلام العرب داخله على الاسداء والخبر بمعنى صار
وذلك كما تقول عاد زيد ملكا بمعنى صار ومنه قول ـــــ الى الصلت

"تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا"

وهذه لا تتضمن الرجوع الى حاله قد كان العابد اليها قبل لكنها مقيده بخبرها لا يجوز
الاقتصار دونه فحكمها حكم صار وقوله فقد مضت سنه الاولين عباره بمعنى الوعيد
والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب الله حين صد في وجه
نبيه وبمن قتل في يوم بدر بسيف الاسلام والشرع فالمعنى فقد رايتم ببدر وسمعتم
عن الامم ما حل قال القاضي رضي الله عنه والتحويل بقصه بدر انما تشل
اذ هي القريبه منهم والمعاينه عندهم وعليها نص ابن اسحق والسدي وقوله
وقاتلوهم حتى لا يكون فتنه الايه امر من الله تعالى فرضه على المومنين ان يقاتلوا
الكفار والفتنه قال ابن عباس وغيره معناها الشرك وقال ابن اسحق معناها حتى
لا يفتن احد عن دينه كما كانت قريش تفعله بمكه ممن اسلم كبلال وعمار وهو مقتضى

قول عروه ابن الزبير في جوابه لعبد الملك ابن مروان حين سأله عن خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكه مهاجرا وقوله ويكون الدين كله لله اي لا يشرك معه
صنم ولا وثن ولا يعبد غيره وقال قتاده حتى يستوسق كلمه الاخلاص لا اله
الا الله قال القاضي وهذه المعاني تتلازم كلها وقال الحسن حتى لا تكون بلاء
وهذا يلزم عليه القتال في فتن المسلمين الفئه الباغيه وعلى سايرما ذكرنا من
الاقوال يكون المعتزل في فسحه وعلى هذا حا تقول عبد الله ابن عمر رضي الله عنه
انا منحن فقد قاتلنا حتى لم تكن فتنه وانما انت واصحابك فتريدون ان تقاتل حتى
حتى تكون فتنه قال القاضي رضي الله عنه فمذهب ابن عمر ان الفتنه الشرك
في هذه الايه وهو الظاهر وفسر هذه الايه قول النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله ومن قال المعنا حتى لا يكون شرك قال الايه عنده يراد
بها الخصوص فمن لا يقبل منه جزيه قال ابن سلام وهي في مشركي العرب ثم قال تعالى
فان انتهوا اي عن الكفر فان الله بصير بعملهم مجازي عليه عنه ثوابه وجميل المعاوضه
عليه وقرا الجحدري ابن اسحق وسلام ابن سليمان بما تعملون بالتاء اي في قتالكم
وحدكم وجدالكم عن دينه وقوله تعالى وان تتولوا الايه معادل لقوله
فان انتهوا عن الكفر فالله مجازيهم اي مجازيكم على قراه تعملون وان تولوا وا ينتهوا
فاعلموا ان الله ناصركم عليهم وهذا وعد محض بالنصر والظفر اي فحدوده والمولى
هاهنا الموالي والمعين والمولى في اللغه على معان هذا اولها والذي ينبغي هذا الموضع
منها والمولى الذي هو السيد القاهر بالعبد نعم المومنين والكافرين قوله تعالى
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان

والله على كل شئ قدير موضع الثانيه رفع التقدير فحكمه ان فى موضع خبر الابتدا
والغنيمه فى اللغه ما ينال الرجل او الجماعه بسعى من ذلك قول الشاعر
"وقد طوفت فى الافاق حتى رضيت من الغنيمه بالاياب"
وقال الاخر
"ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم محروم"
ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الرهن له غنمه وعليه غرمه وقوله الصيام
فى الشتا غنيمه البارده فالشئ الذى يناله المسلمون من عدوهم بالسعى والجاف
الخيل والركاب غنيمه ولزم هذا الاسم المعنى حتى صار عرفا له والفئ ما اخذ من
فايفى اذا رجع فهو كل ما دخل على المسلمين من غير حرب ولا جاف لحراح الارض
وجزيه الجماجم وخمس الغنيمه ونحوها قال القاضى والركوات اصنافا
على حدته احكامه منفرده دون احكام هذين قال ابو سفيان الثورى وعطا
ان السلب الغنيمه ما اخذ عنوه والفئ ما اخذ صلحا وهذا قريب مما بيناه وقال
قتاده الفئ والغنيمه شئ واحد فيهما الخمس وهذه الايه الى الانفال ناسخه
لقوله فى سوره الحشر ما افاء الله على رسوله من اهل القرى وذلك ان تلك كانت
الحكم اولا ثم اعطاها الله اهلها الخمس فقط وجعل الاربعه اخماس فى المقاتلين
قال القاضى وهذا قول ضعيف نص العلما على ضعفه وان لا وجه له من حيث
منها ان هذه السوره نزلت قبل سوره الحشر بعد بدر وتلك فى بنى النضير وقرى
عربيه الا ان الايتين متفقتان وحكم الخمس وحكم تلك الايه واحد لانها نزلت
فى بنى النضير حين حلوا وحربوا واهل فدك حين دعوا الى الصلح ونال المسلمون منالم
دون الجاف وحكا ابن المنذر عن الشافعى ان فى الفئ الخمس وانه كان فى قرى غربيه
زمن النبى صلى الله عليه وسلم وان اربعه اخماسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصه دون المسلمين بضعها حيث شا قال ابو عبيد هذه الايه ناسخه لقوله فى
اول السوره قل الانفال لله والرسول الايه ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عام بدر فسخ حكمه فى ترك التخميس بهذه الايه قال القاضى ويظهر من قول بدر
على رضى الله عنه فى الخبارى كانت لى شارف من نصيبى من المغنم وشارف اعطانيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخمس حينيذ ان غنيمة بدر خمست فاركان كذلك
فسد قول ابى عبيد ويحتمل ان يكون الخمس الذى ذكره على رضى الله عنه من احدى
الغزوات التى كانت من بدر واحد فقد كانت غزوه بنى سليم وغزوه السويق
وغزوه ذى امر وغزوه بحران ولم يحفظ فيها قتال ولكن يمكن ان غلبت غنائم
والله اعلم وقوله فى هذا الايه من شرطها غانم ومعناه الخصوص فاما
الناض والمتاع والاطفال والنسا وما لا يوكل لحمه من الحيوان ولا يطلع تملكه
فليس للامام فى جميع ذلك ما كنومنه وما قل كالخايط والمخيط الا ان ياخذ الخمس
ويقسم الباقى على اهل الجيش واما الارض فقال فيها مالك لا يقسمها الامام ان
راى ذلك صوابا كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر ولا يقسمها ان اداه اجتهاده
الى ذلك كما فعل عمر بارض مصر وسواد الكوفه قال القاضى لان فعل عمر
ليس بمخالف لفعل النبى صلى الله عليه وسلم اذ ليست النازله واحده بحسب قران
الموجس وحاجه الصحابه وفاقتهم وهذا كله انعكس فى زمن عمر واما الرجال
ومن يشارف البلوغ من الصبيان فالامام عند مالك مخير فيهم على
حسب ما يوجد منها القتل وهو مستحسن فى اهل الشجاعه والنكايه ومنها الفدا
وهو مستحسن فى ذى المناصب الذى ليس بشجاع ولا يخاف منه راى ولا مكيده
لانتفاع المسلمين بالمال الذى يوخذ منه ومنها المن وهو مستحسن فيما يرجى ان
يحنوا على اسرى المسلمين ونحو ذلك من القرائن ومنها الاسترقاق ومنها ضرب الجزيه
والترك فى الذمه واما الطعام والغنم ونحوها مما يوكل فهو مباح فى بلد العدو
ياكله الناس فما فضل منه كان فى المغنم قال القاضى واما اربعه اجناس مما

عنهم فيقسمه الامام على الجيش ولا يخص بهذه الاية ذكر القسمة وانا اختصره
هنا واما الخمس واختلف العلماء فيه فقال مالك الرأى فيه للإمام يجعله
بيت الفئ ويعطى من ذلك البيت لقرابة الرسول ما يراه ما يعطى منه لليتامى
والمساكين وغيرهم وانما ذكر من ذكر على وجه التنبيه عليهم كانهم من أهم
من يدفع اليهم قال الزجاج مخمسا لذلك قال الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون
قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وللرجل اجماع ان سفين فى غير هذه الاصناف اذا رأى ذلك وقال فرقة كان
الخمس يقسم على ستة اقسام قسم لله وهو مردود على فقراء المسلمين وعلى بيت
المال وقسم للنبى عليه السلام وقسم لقرابته وقسم قسم لسائر من سمى حكاه
القول صدرا بن سعيد وورد عليه قال ابو العالية الرياحى منهم كان النبى صلى
الله عليه وسلم يقبض من خمس الغنيمة قبضة فيجعلها للكعبة فذلك لله ثم يقسم
الباقى على خمسة قسم له وقسم قسم لسائر من سمى وقال الحسن ابن محمد وابن عباس
وابراهيم النخعى وقتادة والشافعى قوله فان لله خمسه استفتاح كلام كما يقول
الرجل لعبده قد اعتقك الله واعتقتك على جهة التبرك وتفخيم الامر والدنيا كلها
لله وقسم الله وقسم الرسول واحد وكان الرسول عليه السلام يقسم الخمس على
خمسة أخماس كما تقدم وقال ابن عباس ايضا فما روى عنه الطبرى الخمس مقسوم
على اربعة اقسام وسهم الرسول لقرابته وليس لله ولا للرسول شئ وقالت فرقة
قسم الرسول بعد موته مردودا على اهل الخمس القرابة وغيرها وقالت فرقة هو
مردود على الجيش اصحاب الاربعة الاخماس وقال على ابن ابى طالب على الامام سهم
الله ورسوله وقالت فرقة هو موقوف لشراء العدد والكراع فى سبيل الله قال
ابراهيم النخعى وهذا اختاره ابو بكر وعمر فيه وقال اصحاب الرأى الخمس لعدد

النبى صلى الله عليه وسلم مقسوم ثلاثة اقسام قسم للنبى وقسم للمساكين وقسم
لابن السبيل ورسول الله صلى الله عليه لم يورث فسقط سهمه وسهم ذى القربى
وحجتهم فيه منع ابو بكر وعمر وعمار لذوى القربى **قال القاضى** رضى الله عنه
ولم يثبت المنع بل عورض بنو هاشم بان قريشا قربى وقبيل لم يكن فى مده ابى بكر منهم
وقال الشافعى يعطى اهل الخمس منه ولابد ويفضل الامام اهل الحاجة ولكن
لا يحرم منه صنفا آخر مأثبتا تاما وقول مالك رحمه الله ان للامام ان يعطى الاهم
وان حرم الغير **قال القاضى** وجار رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوص
من العموم سلاند أشيا كان له خمس الخمس وكان له سهم رجل من سائر الاربعة
الاخماس وكان له صفى يأخذه قبل القسمة دابة او سيف او جارية ولا صفى
لأحد بعده باجماع الامة قاله ابو ثور من ان الصفى كان للامام وهو معدود
فى شواذ الاقوال وود والقربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على ابن
الحسين وعبد الله ابن الحسين وابن عباس هم بنو هاشم فقط وقال مجاهد كان
الخمس لا آل الله صدقة فجعل لهم خمس الخمس وقال ابن عباس ولكنا ابا لك علينا
قومنا وقالوا قريش كلها قربى وقال الشافعى هم بنو هاشم وبنو المطلب فقط وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان ابن عفان وجبير ابن مطعم فى وقت قسمه سهم
ذى القربى من جبير على بنى هاشم وبنى المطلب انما سوا بهاشم وبنو المطلب شئ
واحد ما فارقونا فى جاهلية ولا اسلام **قال القاضى** كانوا مع بنى هاشم
فى الشعب وقالت فرقة قريش كلها بأسرها قربى وروى عن على ابن الحسين
وعبد الله ابن محمد ابن على انهما قالا الابد كلها فى قريش والمراد بنات قريش ومساكينها
وقالت فرقة سهم القرابة بعد النبى صلى الله عليه وسلم موقوف على قرابته وقد
تحتاليهم عمر ان عبد الخمس الى بنى هاشم وبنى المطلب فقط وقالت فرقة هو لقرابة
الامام القائم بالامر وقال ابن اباده حل سهم ذى القربى بعد رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما كان حيا فلما توفى جعل لولى الامر بعده وقال الحسن ابن ابى الحسن البصرى
وحكا الطبرى ايضا عن الحسن انه قال لما حلف الناس فى قسم بن العنبر من بعد وفاة
النبى صلى الله عليه وسلم فقال قوم سهم النبى صلى الله عليه وسلم للخليفه وقال قوم سهم
النبى صلى الله عليه وسلم لقرابه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قوم سهم القرابه لقرابه
الخليفه فاجمع رأيهم ان يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعده فكانا على ذلك
مده ابى بكر وعمر الحسن وعمر واليتامى الذين فقدوا آباءهم من الصبيان واليتم
فى بنى آدم من قبل الاب وفى البهائم من قبل الامهات والمساكين الذين لا شئ لهم وهو
ماخوذ من السكون وقيل الحراك وابن السبيل الرجل المجتاز الذى احتاج فى
سفره سواء كان غنيا فى بلده او فقيرا فانه ابن السبيل سمى بذلك لان السبيل
تبرزه فكانها تلده وانما لملازمه السبيل كما قالوا ابن ماء واخو سفر ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لحدث ان يسافر **قال القاضى** وقد اقتضت
فقه هذه الايه حسب الاختصار والله المستعان وما فى قوله ما غنمتم من شئ
الذكر فى قوله عنم ضمير يعود عليها وخلى عن الفرا انه جوز ان يكون ما شرطيه
مقدرا انه ما وحذف هذا الضمير لا يجوز عند سيبويه الا فى الشعر ومنه
ان من يدخل الكنيسه يوما وقرا الجمهور فان لله بفتح الالف وقرا الجحدرى عن
ابى بكر عن عاصم وحسن عن ابى عمرو فان بكسر الهمزه وقرا الحسن خمسه بسكون
الميم **وقوله** ان كنتم امنتم بالله الايه قال الرجاج عن فرقه فاعلموا ان لله
مولاكم ان كنتم فان متعلقه بهذا الوعد وقال ابن عباس عن فرقه انها متعلقه
بقوله واعلموا انما غنمتم **قال القاضى** رضى الله عنه وهذا هو الصحيح لان
قوله واعلموا يقتضى الامر بالانقياد وتسليم الامر لله فى الغنايم فعلق ان بقوله
واعلموا على هذا المعنى اى ان كنتم مؤمنين بالله فانقادوا وسلموا الامر لله فيما
اعلمكم به من حال قسمه الغنيمه وقوله وما انزلنا عطف على قوله بالله والمشار

اليه بما هو النصر والظهور الذى ابرله الله يوم بدر على نبيه واصحابه اى كنتم
مؤمنين بالله وبهذه الايات العظام الباهره التى انزلت يوم بدر ويحتمل ان تكون
الاشاره الى قرآن نزل يوم بدر او فى قصه يوم بدر على تكثره فى هذا التاويل الاخير
قال القاضى ويحتمل ان يكون المعنى واعلموا انما غنمتم يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان فان حسنه لهذا وكذا ان كنتم مؤمنين فانقادوا لهذا وسلموا وهذا
تاويل حسن فى المعنى ويعترض فيه الفصل بين الطرفين وبما يحتج به هذه الجمله
الكثيره من الكلام ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين الحق والباطل باعزاز الدين
واذلال الشرك والفرقان مصدر من فرق يفرق والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع
الكفار وهو يوم الوقعه التى قتل فيها صناديد قريش ببدر لا خلاف فى ذلك وعليه
نص ابن عباس ومجاهد ومقسم والحسن ابن على وقتاده وغيرهم وكانت يوم الجمعه
السابع عشر من رمضان فى السنه الثانيه من الهجره هذا قول جمهور الناس وقال
ابو صالح لتسع عشره وشذ فى ذلك عروه ابن الزبير فقال لتسع عشره او لسبع
عشره والصحيح ما عليه الجمهور وقوله والله على كل شئ قدير يعضد ان قوله
وما انزلنا على عبدنا يراد به النصر والظفر اى الايات العظام ومن غلبه القليل للكثير
وذلك بقدره الله تعالى الذى يقوى على كل شئ قدير **قوله تعالى** اذ انتم بالعدوه
الدنيا وهم بالعدوه القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد
ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه
وان الله لسميع عليم العامل فى اذ قوله التقا والعدوه شفير الوادى وحرفه
الذى تعدو المشى عليه منزله رحا البير لانها عدت ما فى الوادى من ماء ونحوه
ان يتجاوز الوادى اى متعدية ومنه قول الشاعر

"عدتنى عن زيارتك الموادى وحالت دونها حرب زبون"

ولانها ما عدى الوادى اى جاوره وتسمى الضفه والفضا المنسايرللوادى عدوه
للجاوزه ولقد سمى العدوه النبى فى الايه وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزه
والكسائى بالعدوه بضم العين وقرا ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين
وهما لغتان وقرا الحسن ابن ابى الحسن وقتاده وعمر بالعدوة بفتح العين ويمكن
ان يكون تسميه بالمصدر وقال ابو الفتح الذى يقوى عندا انها لغه ثالثه كقولهم فى
اللبن رُغوه ورِغوه وزَغوه وروى الكسائى كلمته بحضرة فلان وحُضَرته
وحِضرته الى سائر نظايرذكرابو الفتح كثيرا منها وقوله الدنيا والقصوى انما ذكر
بالاضافه الى المدينه وفى حرف ابن مسعود وانتم بالعدوه القُليا وهم بالعدوه
السفلى ووادى بدر اخذ بين الشرق والقبله منحرف الى البحر الذى يقرب من
ذلك الصفح والمدينه من الوادى من موضع الوقعه منه فى الشرق وبينهما
مرحلتان حدثنى ابى انه راى لهذه المواضع على ما وصفت وقال ابن عباس بدر بين
مكه والمدينه والدنيا من الدنو والقصوى من القصو وهو البعد وكان القياس
ان تكون القصيا لانه من الشاذ وقال الخليل فى العين شذت لقصنان وهما
القصوى والفتوى وكان القياس فيهما ايضا الدنيا والخليا والركب اجماع من
من المفسرين عير ابى سفيان ولا يقال ركب الا لراكبى الابل وهو من اسما الجمع
وقد يجمع راكب عليه كصاحب وصحب وتاجر وتجر ولا يقال ركب لما كثر جدا
من الجموع وقال القتبى الركب العسره ونحوها وهذا غير جيد لان النبى صلى الله
عليه وسلم قد قال والثلاثه ركب الحديث **وقوله** اسفل فى موضع خفض
لعدوه فى مكان اسفل كذا قال سيبويه قال ابو حاتم ثم نصب اسفل على الظرف
ويجوز الركب اسفل على معنى وموضع الركب اسعل اى والركب مستقر اسفل
قال القاضى وكان الركب مدبر امره ابو سفيان ابن حرب فذكر عن

بدر حين بدر بالنبى عليه السلم واخذ سيف البحر فهو اسفل بالاضافه الى اعلا
الوادى من حيث ياتى وقال مجاهد فى كتاب الطبرى اقبل ابو سفيان واصحابه من
من الشام تجارا ولم يشعر واباصحاب بدر ولم يشعر اصحاب بدر ولم يشعر اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم بمكان قريش ولا بمكان قريش محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
حتى التقوا على ماء بدر من يسقى لهم كلهم واقتتلوا فعليهم اصحاب محمد عليه السلم
فاسروهم **قال القاضى** وفى هذا تعقب وبان من هذه القرن شعور بين
يبين عجز الوقوف على القصد بما لفا وقوله ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد قال
الطبرى وغيره المعنى لو تواعدتم على الماء باجتماعكم علمتم كثرتهم وتعلتكم لخالفتم
ولم تجتمعوا معهم وقال المهدوى المعنى اى لاختلفتم بالقواطع والعوارض القاطعه
للناس **قال القاضى** رحمه الله وهذا اسل واصح واضاحه ان المقصد فى
الابد سن نعمه الله عليه وقدرته فى قصه بدر وتيسيره ما تيسر من ذلك
فالمعنا ادنقنا الله لكم لهذه الحال ولو تواعدتم لاختلفتم الامع تيسير الله الذى
تم ذلك وهذا ما تقول لصاحبك فى امر تعيا به الله دون تعب لتبر لو سا هذا
وسعينا فيه لم يتم بهكذا تم بين تعالى ان ذلك انما كان بلطف الله تعالى ليقضى امرا
اى لينفذ ويظهر امرا قد قدره فى الازل مفعولا لكم بشرط وجودكم فى وقت
وجودكم وذلك كله معلوم عنده **وقوله** ليهلك من هلك عن بينه قال الطبرى
المعنا ليقتل من قتل منهم قريش وغيرهم ببيان من الله واعذار بالرساله ويحى
ايضا ويعيش من عاش عن بيان منه ايضا واعذار لاحد لاحد عليه فالحياه
والهلاك على هذا التاويل حقيقتان وقال ابن اسحق وغيره معنا فيهلك اى ليكفر
ويحى اى ليومن فالحياه والهلاك على هذا مستعاران والمعنى ان الله تعالى جعل
قصه بدر عبره وايه ليؤمن من امن عن وضوح وبيان ويكفر ايضا من كفر عن

مثل دلك وقرا الناس ليهلك بكسر اللام الثانيه وقرا الاعمش ليهلك بفتح
اللام رواها عصمه عن ابى بكر عن عاصم والبيه صفه اى عن قصه بيته واللام
الاولى قوله ليهلك رد على اللام فى قوله ليقضى وقرا ابن كثير فى روايه قنبل وابو
عمرو وابن عامر وحمزه والكسائى وعاصم فى روايه حفص من حى بياء واحده
مشدده وقرا نافع وابن كثير فى روايه البزى وعاصم فى روايه ابى بكر من
حى باظهار الياءين وكسر الاولى وفتح الثانيه قال من قرا حى فلان الياء قد
لزمتها الحركه فصار الفعل بلزوم الحركه لها مشبها بالصحيح مثل غض وشم
وكر ونحوه الا ترى ان حذف الياء من جوار ونحوه فى الجر والرفع لا يطرد فى
حال النصب اذا قلت رايت جوارى لمشابهتها بالحركه ساير الحروف الصحاح
ومنه قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى وعلى نحو حى حا قول الشاعر
عيوا بامرهم كما عيت ببيضها الدجاجه ومنه قول لبيد
سالبسى جارتى عن امتى واذا ما عى دوا للبث سال ومنه قول المتلمس
فدعا اوان العرض حى ذبابه وتابيده والازرق المتلمس
ويروى حز ذبابه قال ابو على وغيره هذا ان كل موضع تلزم الحركه فيه ياء
مستقبله فالادغام فى ماضيه حاير الا ترى الى قوله تعالى على ان يحيى الموتى
لا يجوز الادغام فيه لان حركه النصب غير لازمه الا ترى انها تزول فى الرفع
ويذهب فى الجزم ولا يلتفت الى ما انشد بعضهم لانه بيت مجهول
وكانها بين النساء سبيكه تمشى بسره بيتها فتعيى
قال ابو على واما قراءه من قرا حيى فتن ولم يدغم قال سيبويه قال اخبرنا به
الخليل ويونس قال وسمعنا بعض العرب يقول احيا قال ابو حاتم القراءه
باظهار الياءين والادغام حسن فاقرا كيف بلغت ان اللغتين مشهورتان فى كلام

العرب والخط فيه يا واحده قال القاضى وفى هذه اللفظه اسوه ابو على
القول فيما تصرف منه من حى كالحى الذى هو مصدر منه وغيره قوله تعالى ان
يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله
سلم انه علم بذات الصدور قال المهدوى اذ نصبت تقديره واذكر قال
القاضى وبدل من اذ المتقدمه وهو احسن وتظاهرت الروايات ان هذه الايه
نزلت فى رويا راها رسول الله صلى الله عليه وسلم راى فيها عدد الكفار قليلا فاخبر
بذلك اصحابه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء هذا معنى قوله فى منامك
اى فى نومك قاله مجاهد وغيره وروى عن الحسن ان معنى قوله فى عينك اى فى
موضع النوم وعلى هذا التاويل يكون الرويه فى اليقظه قال القاضى وهذا القول
ضعيف وعليه فسر النقاش وذكره عن المازنى والضمير على التاويلين من قوله
يريكم عائد على الكفار من اهل مكه ومما يضعف ما روى عن الحسن ان معنى
هذه الايه سيكرر فى التى بعدها لان التى عليه السلام يخاطب فى الثانيه ايضا وقد
تظاهرت الروايه ان النبى صلى الله عليه وسلم انتبه وقال لاصحابه ابشروا
فقد بطرت الى مصارع القوم ونحو هذا وقد كان على انهم ما بين التسع مايه
الى الالف فكيف يراهم ببصره خلاف ما علم والظاهر انه راهم فى نومه قليلا
قدرهم وحالهم وباسهم منهزمين مضرعين ويحمل ان راهم قليلا عددهم فكان
تاويل رياه انهزامهم لقله والكثره على الظاهر مستعاره فى غير العدد كما قالوا
الماء لتيار باخيه الى غير ذلك من الامثله والفشل الخور من الامر اما بعد
التلبس به واما بعد العزم على التلبس به ولتنازعتم اى لتخالفتم وفى الامر
بريد فى اللقاء والحرب وسلم لفظ بعم حل يخوف اتصل فى الامر او عرض فى وجهه
فسلم الله من ذلك كله وعبر بعض الناس بان قال سلم لكم امركم ونحو هذا مما

يندرج فيما ذكرناه وقوله انه عليم بذات الصدور اى بايمانكم وكفركم مجاز بحسب
ذلك وقرأ الجمهور من الناس ولكن الله بتسديد النون ونصب المكتوبه وقرأت
فرقه ولكن الله برفع المكتوبه **وقوله** وادبركموهم اذا التقيتم الايد واد
عطف على الاولى وهذه الرويه هى فى اليقظه باجماع وهى الرويه التى كانت حين
التقوا ووقعت العين على العين والمعنى ان الله تعالى لما أراده من انفاذ قضايه
فى نصرة الاسلام واظهاره قلل كل طايفه فى عيون الاخرين فوقع الخلل فى
فى اليمين والحزم الذى يستعمله الناس لهذا التجسر كل طايفه على الاخرى
وبتسبب أسباب الحرب وروى فى هذا عن عبد الله بن مسعود انه قال لقد
قلت ذلك اليوم لرجل الى جنبى اتظنهم سبعين فقال لى لهم مايه ولما هزمناهم
أسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال كلنا القا **قال** القاضى رضى الله عنه ويرد
على هذا المعنى فى التقليل ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل
عمن يحرز كل يوم فاخبر انهم يحرزون يوما عشرا ويوما تسعا قال لهم ما
بين التسع مايه الى الالف فاما ان عبد الله وما جرى مجراه لا يعلم فقاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما ان يفرض التقليل فى الايه تقليل المهابه والقدر
المزله من النجده وتقدم القول فى مثل قوله ليقضى الله امرا كان مفعولا والامر المفعول
المذكور فى الايتين هو القصه باجمعها وذهب بعض الناس الى ان المعنيين من
معانى القصد والعموم اولى **وقوله** والى الله ترجع الامور تنبيه على ان الحول
باجمعه لله وان كل امر فهو له واليه وقرأ الحسن وعيسى وابن عمر والاعمش ترجع
بفتح التاء وكسر الجيم قال ابو حاتم وهى قراءة عامة الناس وقرأ الاعرج وابن كثير
وابو عمرو ونافع وغيرهم ترجع بضم التاء وفتح الجيم **قوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله

يحمها

ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين
هذا امر ما فيه داعية النصر وسبب العز وهى وصيه من الله متوجهه بحسب
التقييد الذى فى ايه الضعف وحرى مع محتا الايه قول النبى صلى الله عليه وسلم
لا تمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافيه فاذا لقيتموهم فاثبتوا **قال** القاضى
وهكذا ينبغى ان يكون المسلم فى ولايه الامارة والقضاء لا يطلب ولا يتمنى فان امتحن
صبر على اقامه الحق والفيئه الجماعه فيوه وهى من فاءت الشى اذا جمعت ثم
امر الله تعالى باكثار ذكره هنالك اذ هو عضد المستنجد ووزر المستعين
قال قتاده اقترض الله تعالى ذكره عند اشغل ما يكون عند الضراب بالسيوف
قال القاضى رضى الله عنه ولهذا الذكر خفى لان رفع الاصوات فى موضع
الحرب ردى مكروه اذا كان القالها فاما ان كان من الجمع عند الحمله فحسن فاتت
فى عضد العدو قال قيس ابن عباد كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يكرهون
الصوت عند ثلاثه عند قراءة القرآن وعند الجنازه وعند القتال وقال النبى صلى
الله عليه وسلم اطلبوا اجابه الدعا عند القتال واقامه الصلاه وبزول الغيث
وقال ابن عباس يكره التسليم عند القتال **قال** القاضى ولهذا والله اعلم يستحب
المرابطون طرحه عند القتال على ضنانتهم به وتفلحون تنالون بغيتكم وتبلغون
أمالكم وهذا مثل قول ـــــــ لبيد

اقلى بما شيت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب

وقوله واطيعوا الله ورسوله الايه استمرار على الوصيه لهم والاخذ على ايديهم
فى اختلافهم فى أمر بدر وتنازعهم وتفشلوا نصب بالفاء جواب النهى
قال أبو حاتم فى كتابه عن ابى عبيده فتفشلوا بكسر الشين وهذا غير معروف وقرأ
جمهور الناس وتذهب بالتاء من فوق ونصب الباء وقرأ الحسن فيما ذكره عباس عن عاصم

اصلها

وتذهب ريحكم بالتاء وحزم الباء وقرأ عيسى ابن عمر ويذهب بالياء من تحت
وجزم يذهب وقرأ ابو حيوه ويذهب بالياء من تحت ونصب الباء ورواها ابان
وعصمه عن عاصم والجمهور على ان الريح هنا مستعاره والمراد بها النصر والقوه
كما تقول الريح لفلان اذا كان غالبا في أمر ومن هذا المعنى قول الشاعر وهو عبيد بن الابرص

كأحيناك يوم الخفض من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد

وقال المجاهد والريح النصر والقوه وذهب ريح اصحاب محمد عليه السلام حين نازعوه
يوم أحد وقال زيد ابن علي وتذهب ريحكم معناه الرعب من قلوب عدوكم
قال القاضي رضي الله عنه وهذا احسن بشرط ان يعلم العدو ما التنازع
واذا لم يعلم فالذاهب هو المتنازعين فمهزوم وقال شاعر الأنصار

قد عوّدتهم طعانهم أن تكون لهم ريح القتال وأسلاب الذين لقوا

ومن استعاره الريح قول الآخر

اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل عاصفة سكون

وهذا كثير مستعمل وقال ابن زيد وغيره الريح على بابها وروي في ذلك ان النصر
لم يكن قط الا بريح تهب فتضرب في وجوه الكفار واسند بعضهم في هذه المقاله
حديثا الى قوله عليه السلام نصرت بالصبا وقال الحكم وتذهب ريحكم يعني الصبا
اذ بها نصر محمد عليه السلام وامته **قال** القاضي رضي الله عنه وهذا انما كان في
غزوه الخندق خاصة وقوله واصبروا الى آخر الايه تتميم في الوصيه وعده
مؤنسة **وقوله** تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الايه تتضمن الطعن
على المشار اليهم وهم كفار قريش وحرج ذلك على طريق النهي عن سلوك مسلم والاشاره
هي الى الكفار قريش باجماع والبطر الأشر وغمط النعم والتعلل بالمرح فيها عن
شكرها والرياء المباهاه والتصنع مما يراه غيرك وهو فعال من رأى يرأى سهلت الهمزه

وروى ان ابا سفيان لما احس بغيره الخوف من النبي عليه السلام واصحابه بعث
الى قريش وقال ان الله قد سلم غيركم التي وخرجتم الى نصرتها فارجعوا سالمين
قد بلغتم مرادكم فاتاه رأي الجماعه على ذلك فقال ابو جهل والله لا نفعل حتى نأتي
بدرا وكانت بدر سوقا من أسواق العرب لهم يوم موسم فتنحر عليها الابل وتشرب
الخمر وتعزف عليها القيان وتسمع بها العرب وتهابنا الناس **قال القاضي**
رضي الله عنه فهذا معنى قوله تعالى ورياء الناس ولهذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم ان قريشا اقبلت بفخرها وخيلائها تحادك وتكذب رسولك اللهم
فاحنها الغداة وقال محمد ابن كعب القرظي خرجت قريش بالقيان والدفوف وقوله
ويصدون عن سبيل الله اي غيرهم **قال القاضي** لانهم اجرى بذلك من ان يقتصر
صدهم على انفسهم وقوله والله بما تعملون محيط يتضمن الوعيد والتهديد لمن بقي
من الكفار ونفوذ القدر فمن مضى بالقتل **قوله تعالى** واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على
عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
النقدير اذكروا اذ والضمير في لهم عائد على الكفار والشيطان ابليس نفسه وحكى
المهدوي وغيره ان الترجمان في هذه الآيه وما بعدها من الاقوال هو بالوسوسه
والمحادثه في النفوس **قال القاضي** وتضعف هذا القول قوله واني جار
لكم ليس مما يلقى بالوسوسه وقال الجمهور في ذلك بما روي وتظاهرت ان ابليس جاء كفار
قريش في صور بعض سادات العرب فقال لهم انه جارهم على قومهم وفي غيرها انه جاءهم وهم في طريقهم الى
بدر وقد لحقهم خوف من بني بكر وكانه الحروب كانت بينهم وجاء ابليس في صوره
سراقه ابن مالك ابن جعشم وهو سيد من سادتهم فقال لهم اني جار لكم ولن
يخلص اليكم احد فنشروا عند ذلك

ومضوا لطنتهم وقال انتم تقاتلون عن دين الآباء ولن تعدموا نصرا فروى انه لما التقا
الجمعان جعل يده في يد الحارث ابن هشام فلما راى الملائكة نكص فقال له الحارث
اتفر يا سراقة فلم يلو عليه وروى أنه قال ما تضمنت الآية وروى ان عبيد ابن
وهب والحارث ابن هشام قال له ابن اراك سراقة فلم يلو ومثل عدو الله فذهب
ووقعت الهزيمة فتحدث ان سراقة فر بالناس فبلغ ذلك سراقة ابن مالك فاتا
مكة وقال لهم والله ما علمت لشئ من أمركم حتى بلغتني هزيمتكم ولا رأيتكم ولا
كنت معكم وذكر الطبري عن ابن عباس انه قال لما ابليس يوم بدر في جند
من الشياطين معه راية في صورة رجل من بني مدلج فقال لا غالب لكم الا يه واليوم
ظرف للعامل به معنى نفي الغلبة ويحتمل ان يكون العامل معناه متعلق لكم
وممتنع ان يعمل غالب لانه كان يلزم ان يكون لا غالبا وقوله واني جار لكم معناه
فاتم في دمتي وفي جناني وتوان تفاعلت من الرؤية اي رأى كل منهما الاخر
وقرا الاعمش وعيسى ابن عمر ترات مقصورة وحكى ابو حاتم عن الاعمش انه أمال
والرآء سرقة ثم رجع عن ذلك وقوله نكص على عقبيه رجع من حيث جاء واصل
النكوص في اللغة الرجوع القهقرى وقال زهير

لهم يضربون حيث لا بيض اذ لحقوا لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا كذا

انشده الطبري في رواية الأصمعي اذا ما استلأموا وبذلك فسر الطبري هذه
الآية وفي ذلك نعذر وانما رجوعه في هذه الآية مشبه بالنكوص الحقيقي
وقال اللغويون النكوص الاحجام على الشيء قال ذو الرمة ما نكص عنه وقال ثابت قطنة

ليس النكوص على الأدبار مكرمة انما المكارم اقدام على الأسل

قال العاصي رضي الله عنه فلشن فاها لقهقرى ليرجعن مهزوما وقال مورج نكص في
رجع بلغة سليم وقوله على عقبيه يبين انه انما اراد الانهزام والرجوع في ضد

اقباله وقوله اني بري منكم اي خلاء لهم وانفصاله عنهم وقوله اني اري ما لا ترون
يريد الملائكة وهو الحق انما شرط ان الاغلب من الناس فلما راى الملائكة وحرق
العادة خاف وفر وفي الموطا وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى
الشيطان في يوم أقل ولا احقر ولا أصغر منه في يوم عرفة لما يرى من تنزل
الرحمة الا ما رأى يوم بدر قيل وما راى يا رسول الله قال رأى الملائكة يزعها جبريل
وقال الحسن راى ابليس جبريل يقود فرسه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
وهو معتجر ببرد ته وبيده اللجام وقوله اني أخاف الله قيل ان لله محاره
منه كاد به ولم يخفه قط مخافه قاله قتاده وابن الكلبي وقال الزجاج وغيره
بل خاف مما راى من الأمر وقوله انه بوسمه الذي انظرا اليه ويقوى هذا انه
راى خرق العادة ونزول الملائكة للحرب وحكى الطبري بسنده انه لما انهزم المشركون
يوم بدر حثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبضة من التراب في وجوه
المشركين فانتزع الله من يده ثم ولى مدبرا فقال له الرجل اي سراقة اتزعم انك لنا
جار فقال اني اري ما لا ترون الآية ثم ذهب وقوله تعالى اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض الآية الحامل له اذ زين ونكص لان ذلك الموقف كان ظرفا
لهذه الأمور كلها وقال المفسرون ان بها ولاء الموصوفين بالنفاق ومرض القلوب
انما هم من أهل عسكر الكفار لما اشرفوا على المسلمين رأوا قلتهم وقلة عددهم قالوا
مشيرين الى المسلمين غر هؤلاء دينهم اي اغتروا فادخلوا نفوسهم فيما لا طاقة
لهم به قال القاضي والنفاق احض مرض القلوب لان مرض القلوب يطلق
على الكفار وعلى من اعتراه شبهة وعلى من بينهما وكنا بالقلوب عن الاعتقادات
اذ القلوب محلها وروي في غير هذا التاويل عن الشعبي ان قوما ممن كان الاسلام

قد داخل قلبه حرج وامع المشركين الى بدر منهم من اكره ومنهم من دخ ابن ود الشك
فلما اشرفوا على المسلمين ورا وقلتهم ارتابوا واعتقدوا انهم مغلوبين فقالوا
غر هولا دينهم قال مجاهد منهم قيس ابن الوليد بن المغيرة والحارث ابن زمعة
ابن الاسود وعلى ابن امية ابن خلف والعاصي منبه **قال القاضي**
ولم احدا ممن شهد بدرا بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب ابن قشير
اخي بني عمرو ابن عوف فانه القايل يوم احد لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا
ها هنا وقيل هم منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش في قوة عظيمة
قالوا عن المسلمين هذه المقالة فاخبر الله بها نبيه في هذه الاية ثم اخبر
تعالى بان من توكل على الله واسند اليه فان عزة الله وحكمته كفيلة بنصره
وشد اعضاده وخرجت العبارة عن هذا المعنا باوجز لفظ وابلغه ؛

قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يضربون وجوههم
وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام
للعبيد هذه اية تتضمن التعجب مما حل بالكفار يوم بدر قاله مجاهد وغيره وفي
ذلك وعيد لمن بقي منهم وحذف جواب لو ابهام في اللفظ وساغ ذلك اذ التانيث
غير حقيقي وارتفعت الملايكة بتتوفى وقال بعض من قرا من اهل القراه ان المعنى
اذ يتوفى الله الذين كفروا والملايكة رفع بالابتدا ويضربون خبره والجملة في
موضع الحال **قال القاضي** ويضعف هذا التاويل سقوط واو الحال
فانها في الاغلب تلزم مثل هذا وقرا ابن عامر من السبعة والاعرج تتوفى بالتا
على الاسناد الى لفظ الملايكة ويضربون في موضع الحال وقوله وادبارهم قال
المفسرين يريد واستاههم ولكن الله كريم كنى وقال ابن عباس والحسن اراد
ظهورهم وما ادبر منهم ومعنى هذا ان الملايكة كانت تلحقهم في حال الادبار فتضرب

ادبارهم

وادبارهم فاما في حال الاقبال فبين يمكن ضرب الوجوه وروى الحسن ان رجلا قال
يا رسول الله رايت ظهر ابي جهل مثل الشراك فقال رسول الله ذلك ضرب الملايكة
وعبر بجمع الملايكة وملك الموت واحد اذ له على ذلك اعوان من الملايكة وقوله
وذوقوا عذاب الحريق قيل كانوا يقولون للكفار حينيذ لذا هذا اللفظ فحذف
يقولون اختصارا وقيل معناه وحالهم يوم القيامة ان يقال لهم هذا والحريق فعيل
من الحرق وقوله تعالى ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من قول الملايكة في
توبيخهم لهم على الصورة المذكورة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا تقريعا من الله
تعالى للكافرين حيهم وميتهم وان يصح ان يكون في موضع رفع على تقدير فالحكم
ان ويصح ان يكون في موضع خفض عطفا على ما في قوله ذلك بما قدمت وقال
مكي والزهراوي ويصح ان يكون في موضع نصب باسقاط الباء تقديره وبان فلما
حذفت الباء حصل في موضع نصب **قال القاضي** رضي الله عنه وهذا غير
متجه ولا بين الا ان تنصب باضمار فعل وقوله تعالى كداب ال فرعون الداب
العادة في كلام العرب ومنه قول امري القيس ؛
كدابك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بماسل ؛
ويروى كدينك ومنه قول خراش ابن زهير العامري
فما زال ذاك الدات حتى تجادلت هوازن وارفضت سليم وعامر ؛
وهو ماخوذ من داب على العمل اذا لازمه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحب الجمل الذي هش اليه واقبل نحوه وقد ذل ودمعت عيناه انه شكا
اليك انك تجيعه وتدابه فكان العادة دوب ما قال جابر ابن زيد وعامر
الشعبي ومجاهد وعطا المعنا كسنن ال فرعون ويحتمل ان يراد لعادة ال فرعون
وغيرهم فتكون عادة الاسم يحملها لا على انفراد امة اذ ال فرعون لم يكفروا

وفي قلوبهم مرض قال المفسرون في المعركه

مجاهد

يقال ... الجمهور ... الناس ... وسعد ... الا ... ولا ... والنبي ... اللام

جعلت

وأهلكوا مرارا بل الجائز منه مره واحده ويحتمل ان يكون المراد كعادة الله فيهم
فاضاف العادة اليهم اذ لهم نسبه الها فاضاف المصدر الى الفاعل والى
المفعول والكاف من قوله كداب يجوز ان تتعلق بقوله وذوقوا ونيه بعد
والكاف على هذا فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف ويجوز ان تتعلق بقوله
قدمت ايديكم وموضعها ايضا على هذا نصب كما تقدم ويجوز ان يكون معنى
الكلام الامر مثل داب ال فرعون فتكون الكاف فى موضع خبر الابتدا وقوله
فاخذهم معناه اهلكهم وانا عليهم بقرينه قوله بذنوبهم ثم ابتدا الاخبار
بقوة الله تعالى وشده عذابه **قوله تعالى** ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم لداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا
ظالمين ذلك فى موضع رفع على خبر الابتدا المقدر عند سيبويه الامر
ذلك ويحتمل ان يكون التقدير وجب ذلك والباء باء السبب وقوله لم يك
حزم بلم وحزمه فى حذف النون والاصل يكون فاذا دخلت لم حالم يكن
ثم قالوا لم يك كانهم قصدوا التخفيف فتوهموا ذلك بدخول لم على يكن ثم حذف
النون للجزم وحسن ذلك فيها لمشابهتها حروف اللين التى تحذف للجزم كما
قالوا لم ابل فتوهموا دخول لم على ابال ومعناه الابد الاخبار بان الله
تعالى اذا انعم على قوم نعمه فانه يلطفه ورحمته لا يبدلها بتغييرها وتكديرها
حتى يحدث ذلك منهم بان يغيروا حالهم التى يراد ان يحسن منهم فاذا فعلوا ذلك
وتلبسوا بتكسب المعاصى او الكفر الذى يوجب عقابهم غير الله لنعمه عندهم
بنقمته منهم ومثال هذه نعمه الله على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فلدبوا وغيروا
ما كان يجب ان يكونوا عليه فغير الله تلك النعمه بان نقلها الى غيرهم من الانصار

واصل

وأحل بهم عقوبته وقوله وان عطف على الاول وسميع عليم لكل وكل ما يقع
من الناس فى تغيير ما بانفسهم لا يخفى عليه من ذلك شر ولا خير وقوله كداب
ال فرعون الايه الكاف فى كداب فى هذه الايه متعلقه بقوله حتى يغيروا
وهذا التكرير هو ملحنا ليس للاول اذ الاول داب فى ان اهلكوا لما كفروا وهذا
الثانى داب فى ان لم تغير نعمتهم حتى غيروا ما بانفسهم وقد ذكرنا متعلقات
الكاف فى الايه الاولى والاشاره بقوله الذين من قبلهم الى قوم هود وصالح
ونوح وشعيب وغيرهم **وقوله** ان شر الدواب الايه المقصود تفضيل
الدواب الذميمه كالخنزير والكلب العقور على الكافر الذى ختم عليهم بانهم
لا يؤمنون وهذا الذى يقتضيه اللفظ واما الكافر الذى يؤمن فيما يستانف
من عمره فليس بشر الدواب وقوله الذين عاهدت منهم يحتمل ان يريد ان الموصوفين
بشر الدواب هم الذين لا يؤمنون والمعاهدون من الكفار فما نواشر الدواب
على هذا لانه اوصاف للكفر والموافاة عليه والمعاهدة مع النقض والذى
على هذا بدل البعض من الكل ويحتمل ان يريد بقوله الذين عاهدت الذين الاولى
فيكون بدل الشى من الشى وهما لعين واحده والمعنا على هذا الذين عاهدت
فرقه او طايفه منهم ثم ابتدا بصفه حال المعاهدين بقوله ثم ينقضون عهدهم
فى كل مره والمعاهدة فى هذه الايه المسالمة وترك الحرب واجمع المتاولون ان
الايه نزلت فى بنى قريظه وهى بعد تعم كل من اتصف بهذه الصفه الى يوم القيامه
ومن قال ان المراد بالدواب الناس فقوله لا يستوى المدمه ولا مزيه فى ان الدواب
تعم الناس وساير الحيوان وفى تعميم اللفظ فى هذه الايه استيفاء المدمه
وقوله فى كل مره يقتضى ان الغدر قد كان وقع منهم وتكرر ذلك وحلت قريظه
هو انهم عاهدوا رسول صلى الله عليه وسلم على ان لا يحاربوه ولا يعينوا عليه عدوا

من عبورهم فلما احتمعت الاحزاب على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلب
على ظن بنى قريظة ان النبى صلى الله عليه وسلم مغلوب ومستاصل وخلع حيى
ابن اخطب النصر ابن كعب ابن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم
فغدروا ووالوا قريشا وامدهم بالسلاح والادراع فلما انجلت تلك الحال
عن النبى صلى الله عليه وسلم امره الله بالخروج اليهم وحربهم فاستنزلوا وضربت
اعناقهم لحكم سعد ابن معاذ واستيجاب القصة فى سير ابن هشام وانما
اقتصرت منها ما يخص تفسير هذه الاية **قوله تعالى** فاما تثقفنهم فى
الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين دخلت النون مع اما تاكيدا ولتفرق بينها
وبين انما التى هى حرف انفصال فى قولك انما يريد وانما عمرو وتثقفنهم
معناه تاسرنهم وتحلمن فى تقاتلهم او تلقاهم حال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم
وهذا لازم من اللفظ لقولك فى الحرب وقيل يقف اخذ بسرعة ومن ذلك
قولهم رجل ثقف لقف وقال بعض الناس معناه تصادفنهم الى نحو هذا من
الاقوال التى لا تربط فى المعنا وذلك ان المصادف قد يحلب فيما التشديد يدل
وقد لا يحلب والمقاف فى اللغة ما تشد به القناة ونحوها ومنه قول الشاعر
ان قناتى لتبع ما يشتهيها غض التقاف ولا دهن ولا نار وقال آخر
تذكروا قعبنا وقد غض الحديد بها غض التقاف على هم الانابيب
وقوله فشرد معناه طرد وخوف وابعده عن فعل مثلهم والشريد
المبعد عن وطن او نحوه والمعنا بفعل تفعله بهم من قتل او نحوه يكون
تخفيفا لمن خلفهم اى لمن يأتى بعدهم مما اثوابه وسواء كان محاصرا لهم
ام لا وما يقدم النبى هو من يديه وما تاخر عنه فهو خلفه ومعنا الاية

فان اسرفوها ولا المنافقين فى تحريك لهم فافعل بهم من النقمة ما تكون تشريدا
لمن يأتى خلفهم فى مثل طريقهم والصمير فى لعلهم عايد على الفرقة المشرده وقال
ابن عباس المعنا نكل بهم من خلفهم وقالت فرقة شرد بهم معناه سمع بهم حكاه
الزهراوى عن ابى عبيده والمعنا متقارب لان التسميع بهم فى ضمن ما فسرناه اولا
وفى مصحف ابن مسعود فشرد بالدال منقوطه وهى قراءة الاعمش ولم يحفظ
شرد فى لغة العرب ولا وجد لها الا ان تكون الدال المنقوطه بدلا من الدال
كما قالوا لحم خرادیل وخرادیل وقرأ ابو حيوه وحكاها المهدوى عن الاعمش
بخلاف عنه من خلفهم بكسر الميم من قوله من وحفض الفاء من قوله لعلهم
والمرجع فى قوله لعلهم بحسب البشر وبذكرون معناه يتعظون **وقوله**
واما تخافن الاية قال اكثر المؤلفين فى التفسير ان هذه الاية فى بنى قريظة وحكاه
الطبرى عن مجاهد والذى يظهر من الفاظ القرآن ان امر بنى قريظة قد انقضى
عند قوله فشرد بهم من خلفهم ثم ابتدأ بخبر فى هذه الاية بامره فيما يصنعه
فى المستقبل مع من يخاف منه خيانته الى سالف الدهر وبنو قريظة لم يكونوا
فى حد من يخاف خيانته فيترتب فيهم هذه الاية وانما كانت خيانتهم ظاهرة
مشتهرة فهذه الاية هى عندى فيما يستقبل خانه من سائر الناس غير بنى
قريظة وحوف الخيانه هو بان يبدو اجتادع الشر من قبل المعاهدين
وتتصل عنهم اقوال وتتحسس من تلقاهم مبادى الغدر فتلك المبادى
معلومة والخيانة التى يعرفانها محرفة لا متيقنة وحينئذ ينبذ اليهم
على سواء فان التزموا السلم على ما يحب والا حوربوا وبنو قريظة
نبذوا العهد مبتدين بشره وقال يحيى ابن سلام يخاف فى هذه الاية بمعنى يعلم
قال القاضى وليس كذلك فقوله خيانة يقتضى حصول عهد لان من ليس

بينك وبينه عهد فليست محاربته لك خيانة وامر الله تعالى نبيه اذا احس
من اهل عهد ما ذكرنا وخاف خيانتهم ان يلقى اليهم عهدهم وهو النبذ ومفعول
قوله فانبذ محذوف تقديره فانبذ عهدهم اليهم قال القاضي ويقتضي
قوة اللام الحض على حربهم ومناجزتهم ان لم يستقيموا وقوله على سواء
اى على معدلة اى ودلك يقوة العدل والاستواء الى الحق قال المهدوى معناه
جهرا الامر قال القاضي وهذا نحو الاول وقال الوليد ابن مسلم على
سواء معناه على مهل كما قال تعالى تبرأ من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فسيحوا فى الارض اربعة اشهر قال القاضي واللفظ
تابى هذا القول وذكر القرا ان المعنا انبذ اليهم على اعتدال وسواء من الامر
اى بين لهم على قدر ما ظهر منهم لا تفرط ولا تهيج الحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا
بك قال القاضي يعنى موازنة ومقايسة وقوله ان الله لا يحب الخائنين
يحتمل ان يكون طعنا على الخائنين من الذين عاهدهم النبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل
ان يريد فانبذ اليهم على سواء حتى تبعد عن الخيانة فان الله لا يحب الخائنين
فيكون النبذ على هذا التاويل لاجل ان الله لا يحب الخائنين والسواء فى كلام العرب
قد يكون بمعنى العدل والمعونة ومنه قوله تعالى الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ومنه قول الراجز فاضرب وجوه العدا لاعداء حتى يجيبك الى السواء وقد يكون بمعنى الوسط ومنه قوله تعالى فى
سواء الجحيم ومنه قول حسان ابن ثابت يا ويح انصار
النبى ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد وقوله ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم
والكسائى ولا تحسبن بالتاء مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم وبكسر السين

عن عاصم

ولا استشعار الحرب سواء لانه على سواء وقد سواء

غير عاصم فانه فتحها والذين كفروا مفعول اول وسبقوا مفعول ثانى
والمعنا فاتوا بانفسهم وانجوها انهم لا يعجزون بكسر العين على القطع
والابتداء ويعجزون معناه يفلتون ويعجزون طالبهم وهو معدى عجز بالهمز
تقول عجز زيد وانجزه غيره وعجزه ايضا قال سيبويه
واعجزنا ابن ليلى طفيل صحح الحلد من اثر السلاح وروى ان الاية نزلت فى
اقلت من الكفار فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم لقريش فى بدر وغيرها والمعنا
لا تظنهم ناجين بل هم مدركون وقيل معناه لا يعجزون فى الدنيا وقيل المراد
فى الاخرة قال ابو حاتم وقرا مجاهد وابن كثير وشبل ولا تحسبن بكسر التاء
وقرا الاعرج وعاصم وحميد ابن الياس تحسبن بفتح التاء من فوق وبفتح
السين وقرا الاعمش ولا يحسبن بفتح السين والياء من تحت وحذف النون
وقرا ابو جعفر ان القعقاع وابو عبد الرحمن وابن محيصن وعيسى بن عمر
تحت وسين مكسورة ونون مشددة وقرا حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة
ولا يحسبن بالياء على الكناية عن غايب وبفتح السين فاما ان يكون فى الفعل ضميرا
للنبى صلى الله عليه وسلم او يكون للتقدير ولا يحسبن احد ويكون قوله الذين
كفروا مفعولا اول وسبقوا مفعولا ثانيا واما ان يكون الذين كفروا هم
الفاعلون ويكون المفعول الاول مضمرا وسبقوا مفعول ثان وتقدير هذا
الوجه لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا واما ان يكون الذين كفروا هو
الفاعل وتضمر ان فتكون التقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا وتسد
ان سبقوا المفعولين قال الفارسى ويكون هذا جاريا على قوله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد التقدير ان اعبد قال القاضي رضى
الله عنه ونحوه قول الشاعر ألا أيهذا الزاجرا حضر الوغا

مسلم

وقال ابو علي وقد حذفت وهي صلتها في موضع الفاعل وانشد احمد
ابن يحيى في ذلك وما راعنا الا بشير بشرطة وعهدي به قينا يفش بكير
وقرا ابن عامر وحده من السبعة انهم لا يحزنون اي لا يحسبن عليهم
الجاه لانهم لا يحزنون وقرا الجمهور يحزنون بسكون الحاء وقرا بعض
الناس كما ذكر ابو حاتم تحزنون بفتح الحاء وشد الجيم وقرا ابن محيصن
تحزنون بكسر النون ومنحاها تحزونني بالحاق الضمير قال الزجاج والا
والاختيار فتح النون ويجوز كسرها على ان المعنى لا تحزونني ويحذف النون
الاولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر تراه كالمقام يعل
مسكا يسوء الفاليات اذا فليني قال الفاضي البيت لجرير وابن معدي
كرب وقال ابو الحسن الاخفش في قول منعم ابن نويره ولقد علمت ولا
محالة انني للحادثات فهل ترين اجزع هذا يجوز على الاضطرار وقال حذف
النون الاولى وحدفها لا يجوز لانها موضع الاعراب وقال ابو العباس المبرد
اري لما كان مثل حذف الثانية وهكذا كان يقول في بين عمرو وابن معدي كرب
وفي مصحف عبد الله ولا تحسبن الذين كفروا انهم سبقوا انهم لا يحزنون قال
ابو عمرو الداني يا ليتما من تحت ولغير نون في يحسب قال الفاضي
وذكرها الطبري بنون قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله
يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون الخاطبة
في هذه الاية لجميع المومنين والضمير في قوله لهم عائد على الذين يبذل لهم
العهد وعلى الذين لا يحزنون على تاويل من تاول ذلك في الدنيا ويحتمل ان يعيده
على جميع الكفار المامور بحربهم في ذلك الوقت ثم استمرت الاية في الائمة عامة

اذا الامر

اذا الامر قد توجه بحرب جميع الكفار وقال عكرمة مولى ابن عباس القوة
ذكور الخيل والرباط اناثها وهذا قول ضعيف وقالت فرقة القوة الرمي واحتجت
بحديث عقبة ابن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان
القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاثا وقال السدي القوة
السلاح وذهب الطبري الى عموم اللفظة وذكر عن مجاهد انه رأى يتحزم وعنه
جواليق وهذا كله من القوة قال القاضي رضي الله عنه وهذا هو
الصواب والخيل والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله
والملابس الباهية والالات والنفقات كلها داخلة في القوة وامر
المسلمون باعداد ما استطاعوا من ذلك ولما كانت الخيل هي اصل الحروب
واوزارها الى عهد الخير في نواصيها وهي اقوى القوة وحصون الفرسان
خصها الله بالذكر تشريفا على نحو قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال وعلى نحو قوله فاكهة ونخل ورمان وهذا كثير
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فذكر التراب
على جهة التحفي به اذ هو اعظم اجزاء الارض مع دخوله في عموم الحديث الاخر
ولما كانت الاسهام من الجمع ما يتعاطى في الحرب وانماه في العدو واقربه
تناول للاذرع خصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبيه عليها
وقد روي عنه عليه السلام انه قال ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد
الثلاثة من المسلمين الجنة صانعه والذي يحتسب في صنعته والذي يرمي
به وقال عمرو ابن عبسة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
رمى بسهم في سبيل الله اصاب العدو واخطاء فهو لعتق رقبة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا ورباط

الخيل جمع ربط كحلب وكلاب ولا يكسر ربطها الا وهي كثيره ويحوز ان يكون الربط
مصدرا او ان جعلنا مصدرا من مصادر الثلاثي غير المزيد لا تقاس من ربط
كصاح صياحا ونحوه لان من رابط فهو ارتباط الخيل واتخاذها بفعله
كل واحد يفعل احزله فيرابط المومنون بعضهم بعضا واد اربط كل واحد
منهم فرسا لاجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط وذلك الذي حض في الايه
عليه وقد قال عليه السلام من ارتبط فرسا في سبيل الله فهو كالباسط يده
بالصدقه لا يقبضها والاحاديث في هذا كثيره وقرا الحسن وعمرو ابن
دينار وابو حيوه ومن ربط الخيل بضم الراء والياء وهو جمع رباط كغراب وكتب
كذا نقله المفسرون وفي جمعه وهو مصدر غير مختلف نظر وترهبون معناه
تفزعون وتخوفون والرهبه الخوف قال

وقتل ام حي دفعتم في نحورهم بني كلاب غداه الرعب والرهب

ومنه راهب النصارى لقال رهب اذا خاف فترهبون معدى بالهمزه وقرا الحسن
ولعقوب ترهبون بفتح الراء وشد الهاء وروي عن ابي عمرو ان العلا قال
ابو حاتم وزعم عمرو ان الحسن قرا يرهبون بالياء من تحت وخففها وهو على هذا
معدى بالتضعيف وقرا ابن عباس وعكرمه تخزون به عدو الله قال
القاضي ذكرها الطبري تفسيرا لا قراءة واثبتها ابو عمرو الداني قراءة وقوله
عدو الله وعدوكم ذكر الصفتين وان كانت متقاربه اذ هي متغايرة المعنى
وبذكرها يتقوى الذم ويتجه وجوه بغضها لهم وقرا ابو عبد الرحمن السلمي
عدوا الله بتنوين عدو وبلام في المكتوبه والمراد بهاتين الصفتين من قرب
وصاهر من الكفار وكانت عداوته متحركه بعد ويحوز ان يراد بها جميع
الكفار وبين هذا من اختلافهم في قوله واخرين من دونهم الايه قال المحاهد

الاشاره بقوله تعالى واخرين الى قريظه وقال السدي الاشاره الى اهل فارس
وقال ابن زيد الاشاره الى المنافقين وقالت فرقه الاشاره الى الجن وقالت
فرقه هم كل عدو للمسلمين غير الفرقه التي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسترد
بهم من خلفهم قال القاضي وهذا الخلاف انما ينشا ان ترتب على ما توجه
من المعنى في قوله لا تعلمونهم على عمومه ونفينا علم المومنين بهذه الفرقه
المشار اليها جمله واحده وكان العلم بمعنا المعرفه لا تتعدى الى مفعول واحد
لم تتبين الخلاف في قوله واخرين الى قول من قال الاشاره الى المنافقين وقول
من قال الاشاره الى الجن واذا جعلنا قوله لا تعلمونهم بمعنى لا تعلمونهم محاربين
او نحو هذا مما يفيد به نفي العلم عنهم حسنت الاقاويل وكان الفعل متعديا
الى مفعولين قال القاضي وهذا الوجه اشبه عندي ورجح الطبري
ان الاشاره الى الجن واستدل على ذلك بما روي ان صهيل الخيل ينفر الجن
وان الشيطان لا يدخل دارا فيها فرس للجهاد ونحو هذا وفيه على احتماله وكان
الاولى في هذه الايات ان يبرز معناها في كل ما يقوى المسلمين على عدوهم من الا
نس وهم المحاربون والذين ادغموا على الكفر ورهبتهم من المسلمين هي الناشئه
للاسلام واهله ورهبه الجن وفزعهم لاغتاله في ظهور الاسلام بل يعم تابع
لظهور الاسلام وهو اجنبي جدا والاول ان تاول ان المسلمين اذا ظهروا وعزوا
تهابهم من حاورهم من العدو المحارب لهم واذا اتصل حالهم تلك بمن بعدهم
الكفار دخلتهم الهيبه وان لم يقصد المسلمون ارهابهم فاولئك هم الاخرون
وحسن ان يقدر قوله لا تعلمونهم بمعنى لا يعلمونهم فازعين راهبين ولا تظنون
بانهم ذلك والله تعالى يعلمهم تلك الحاله وحسن ايضا ان يكون الاشاره
الى المنافقين على جهه الطعن عليهم والتنبيه على سوء حالهم وليستر بذلك نفسه

كل من يعلم منهم نفاقا اذا سمع الايه ويقوعهم وريبتهم عنا كثيرون في ظهور الاسلام
وغلوه وقوله مردوا بهم بمرله قوله لدن ان يكون نفاقا ولا بد من كلام
العرب ومرد ون يقتضي عدم المذكور بعد هامن النازله التي فيها القول ومنه
المثل وامرد وعبلة الوادم ثم تفضل تعالى بعدة المومنين على انفاقهم
في سبيل الله بان النفقه لا بد ان توفى اى يجازى ويثاب عليها ولزوم ذلك في الاخره
وقد يمكن ان يجازى الله تعالى بعض المومنين في الدنيا مجازاة مضافة الى مجازاة
الاجره **وقوله** وان جنحوا للسلم فاجنح لها الايه الضمير في جنحوا هو الى
الذين نبذ اليهم على سواء وجنح الرجل الى الامر اذا مال اليه واعطايه فيه
ومنه قيل للاضلاع جوانح لانها مالت عن الحشوه وللجناح جناح وجنحت
الابل اذا مالت اعناقها في السير وقال ـــــــ ذو الرمه

ادامات فوق الرجل احيت روحه بذكراك والعيس المراسيل جنح
وجنح الليل اذا اقبل واما ل الطنابه على الارض ومنه قول ـــــــ النابغه

جوانح قد ايقن ان قبيله اذا لقا الحمار اول غالب

اى موايل وقال ـــــــ لبيد

جنوح العالكي على يديه مجبا بجنبي ثقب النصال

وقراجمهور الناس للسلم بفتح السين وسندها وقراعاصم في روايه ابي بكر للسلم
بكسرها وبسندها ولغتان في المسالمه ويقال ايضا للسلم بفتح السين
واللام ولا احفظها قراءة وقراجمهور الناس فاجنح بفتح النون وهي لغه تميم
وقرا ابو الاشهب العقيلي فاجنح وهي لغه قيس بضم النون قال ابو الفتح
ولعل الكسره هي القياس لان فعل اذا كان غير متعد فمستقبله يفعل بضم
العين نحو قعد يقعد اقبس من جلس يجلس وعاد الضمير في لها مونثا اذا السلم

معنى

معنى المسالمه والهدنه وقيل السلم مونثه الحرب ذكره النقاش وقال ابو
حاتم يذكر السلم وقال قتاده والحسن ابن ابي الحسن وعكرمه وابن زيد هذه
الايه منسوخه بايات القتال في براءه **قال القاضي** رضي الله عنه وقد
يحتمل ان لا تترتب نسخها بها بان يعني بهذه من يجوز مصالحته ويبقى تلك التي
في براءه في عبدة الاوثان والى هذا ذهب الطبري وما قالته الجماعه
صحيح انما اذا كان الجنوح الى السلم العرب مستقرا في صدر الاسلام فنسخت
ذلك ايه براءه ونبذت اليهم عهودهم وروي عن ابن عباس انها منسوخه بقوله
تعالى ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون **قال القاضي** وهذا
قول بعيد من ان يقوله ابن عباس رضي الله عنه لان الايتين مدنيتان وقوله
وتوكل على امر في صمنه وعد **قوله تعالى** وان يريدوا ان يخدعوك فان
حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما
في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حليم الضمير
في قوله وان يريدوا عايد على الكفار الذين قيل فيهم وان جنحوا وقوله يخدعوك
يريد بان يظهروا له السلم ويطنون الغدر والخيانه اى فاجنح وما عليك
من نياتهم الفاسده فان حسبك الله اى كافيك ونصرته واظهارا
وهذا وعد محض وايدك معناه قواك وبالمومنين يريد الانصار بقرينه
قوله والف بين قلوبهم الايه وهذه اشاره الى العداوه التي كانت بين
الاوس والخزرج في حروب بعاث فالف الله تعالى قلوبهم على الاسلام
وردهم متحابين في الله وعدد تعالى هذه النعمه تانيسا لمحمد عليه السلام
كالطف بك ربك او لا فكذلك يفعل اخرا وقال ابن مسعود نزل بعده
الايه في الله تعالى وقال مجاهد اذا تراى المتحابان في الله فتصافحا وقال حكما

في المحاسن

تحاتب خطابا بها فقال له عبده ان لبابه ان هذا ليسير فقال له لا تقل
ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم قال عبده فعرفت انه افقه مني **قال القاضي** رضي الله
عنه وهذا كله تمثل حسن بالايه لان الايه نزلت في ذلك بل ظاهرت
اقوال المفسرين انها في الاوس والخزرج كما ذكرنا ولو ذهب ذاهب الى
عموم المومنين والمهاجرين والانصار وجعل الالف ما كان بين جميعهم
من التحاب حتى تكون الفة الاوس والخزرج جزأ من ذلك لساغ ذلك
كل الف في الله فانه تابع كذلك الالف الكائن في صدر الاسلام وقد روى
سهل ابن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن مالفة لا خير
فيمن لا يالف ولا يولف **قال القاضي** والتشابه هو سبب الالفة
فمن كان من اهل الخير الف اشباهه والفوه **قوله** يا ايها النبي حسبك
الله ومن اتبعك من المومنين قال المفسرون نزلت هذه الايه بالمدينة في غزوة
بدر قبل القتال وحكى عن ابن عباس انها في الاوس والخزرج خاصة ويقال
انها نزلت حين اسلم عمر وحمل المسلمون اربعين قاله ابن عمر وانس **قال**
القاضي فهي على هذا مكيه وحسبك في كلام العرب شرعك معنا كافيك
ويكفيك والمحسب الكافي وقالت فرقه معنى الايه يكفيك الله ويكفيك
من اتبعك من المومنين ممن في هذا التاويل رفع عطفا على اسم الله وقال
عامر الشعبي وابن زيد معنى الايه حسبك الله وحسبك من اتبع من
المومنين فمن على هذا التاويل في موضع نصب عطفا على موضع الكاف لان
موضعه انصب على المعنى يكفيك الى سدت حسبك مسدها ويصح ان تكون
من في موضع خفض بتقدير محذوف كانه قال وحسبك وهذا كقول الشاعر

أكل

أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا

التقدير وكل نار وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه بانه ضرورة
الشعر وروى البيت نارا او من نحو هذا قول الشاعر

اذا كانت الهيجا والتقت العضاهش وسل الصحال سيف مهند

وروى الصحال مرفوعا والصحال منصوبا والصحال مخفوضا والرفع عطف على
قوله سيف بيد الناخبر كما قال الشاعر عليك ورحمة الله
السلام ويكون الضحاك على هذا محسبا للمخاطب والنصب عطف على موضع الكاف
من قوله حسبك والمعنى على هذا محسبك المخاطب وللضحاك والخفض
على تقدير محذوف كانه قال حسبك وحسب الضحاك **قوله تعالى**
يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مايه يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان
خفف الله عنكم الايه قوله حرض المومنين معناه حثهم وحضهم قال
الفراء حرض بالصاد غير منقوطه والمعنا متقارب والحارض الذي هو
القريب من الهلاك لفظة مباينة لهذه ليست منها في شي وقالت فرقه من
المفسرين المعنا حرض على القتال حتى يبس لك فيمن تراه انه حارض **قال**
القاضي وهذا غير ملتيم ولا لازم من اللفظ ونحا اليه الزجاج والقتال
مفترض على المومنين بغير هذه الايه وانما تضمنت هذه الايه امر النبي عليه
السلام بتحريضهم على امر قد وجب عليهم من غير هذا الموضع وقوله ان يكن
الى اخر الايه لفظ خبر في ضمنه وعد بشرط لان قوله ان يكن منكم عشرون
صابرون بمنزله ان يقال ان يصبر منكم عشرون يغلبوا وفي ضمنه الامر بالصبر
وكسرت العين من عشرون لان تسعه عشرين من عشره تسعه اثنين واحد

فكما حا اول اثنين مكسورا كسوت العين من عشرين ثم اطرد فى جموع اجزا العشر
فالمفتوح كاربعة وحسة وسبعة فتح اول جمعه والمكسور كستة وتسعة
كسر اول جمعه هذا قول سيبويه وذهب غيره الى ان عشرين جمع عشر الابل
وهو وزن دلها التسع فلما كان فى عشرة وعشره عشر وعشر ويومان
من الثالث جمع على ذلك عشرين حا قال امرؤ القيس

ثلاثون شهرا فى ثلاثة احوال لما كان فى الثلاثين حول وحول وبعض الثالث

وتطابقوا الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابه بان ثبوت الواحد
للعشره كان فرضا من الله تعالى على المومنين ثم لما شق ذلك عليهم حط الفرض
الى ثبوت الواحد للاثنين **قال القاضى** رضى الله عنه وهذا هو النسخ
لانه رفع حكم مستقر لحكم اخر شرعى وفى صمنه التخفيف اذ هذا من نسخ الا
ثقل بالاخف وذهب بعض الناس الى ان ثبوت الواحد للعشرة انما كان على
جهة ندب المومنين اليه ثم حط ذلك حين ثقل عليهم الى ثبوت الواحد للاثنين
وروى ايضا هذا عن ابن عباس قال كثير من المفسرين وهذا الخفيف لا نسخ
اذ لا استقر بفرض العشرة حكم شرعى قال مكى وانما هو كتخفيف الفطر فى
السفر وهو لو صام لم يات واجزاه **قال القاضى** وفى هذا نظر لم يمنع كون
المنسوخ مباحا من ان يقال نسخ واعتبر ذلك فى صدقة النجوى وهذه الاية
التخفيف فيها نسخ للثبوت للعشره وسوا كان الثبوت للعشرة فرضا او
ندبا فهو حكم شرعى على كل حال وقد ذكر القاضى ابن الطيب ان الحكم اذا نسخ بعضه
او بعض اوصافه او غير عدده فجايز ان يقال انه نسخ لانه حينئذ ليس بالاول
بل هو غيره وقد روى ذلك حلافا **قال القاضى** والذى يظهر فى ذلك ان النسخ
انما يقال حقيقة على الحكم الاول مقيدا بالاطلاق واعتبر ذلك فى نسخ الصلاة الى
بيت المقدس وقرا حمزه والكسائى وعاصم ان يكن منكم مايه فى الموضعين بيا على

تذكير

تذكير العلامه ورواها خارجه عن نافع **قال القاضى** وهذا حسب المعنى
لان الكلام فى تلك المايه انما هم رجال فذلك فى الحمل على المعنى كقوله تعالى من
جاء بالحسنه فله عشر امثالها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ان يكن منكم
مايه بالتا فى الموضعين على تانيث العلامه **قال** القاضى رضى الله عنه
وهذا حسب اللفظ والمقصد كانه اراد ان تكن فرقه عددها مايه وقرا ابو
عمرو اليا فى صدر الايه وبالتا فى اخرها وذهب فى الاولى الى مراعاه لغلبوا
وفى الثانيه الى مراعاه صابره قال ابو حاتم وقرا ان تكن بالتا من صوو عشرون
صابرون الاعرج وجعلها كلها على تا قال القاضى الا قوله وان يكن منكم الف
فانه لا خلاف فى الياء من تحت وقوله لا يفقهون معناه لا يفهمون مراشدهم
ولا مقصد فتالهم لا يريدون به الا الغلبه الدنياويه فهم يخافون الموت
اذا صبر لهم ومن يقاتل ليغلب واستشهد فيصير الى الجنه انبت قدما
الاام لا محاله وروى المفضل عن عاصم وعلم بضم العين وكسر على البنا للمفعول
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائى وابن عمر والحسن وابن
عمرو والحسن والاعرج وابن القعقاع وقتاده وابن ابى اسحق ضعفا بضم الضاد
وسكون العين وقرا عاصم وحمزه وشيبه وطلحه ضعفا بفتح الضاد وسكون
العين ولكل اختلافهم فى سورة الروم وقرا عيسى ضعفا بضم الضاد والعين
ذكره النقاش وهى مصادر بمعنى واحد قال ابو حاتم من ضم الضاد جاز له ضم
العين وهى لغه وحكى سيبويه الضعف والضعف لغتان بمعنى الفقر
والفقر وحكاها الزهراوى عن ابى عمرو وابن العلا انه قال ضم الصاد لغه اهل
الحجاز وفتحها لغه تميم وقيل فرق بينهما فى المعنا وقال الثعالبى فى ذ ففتحه اللغه
له الضعف بفتح الضاد فى العقل والراى والضعف فى الجسم قال القاضى

ولعل اقول يرده القراء ودلر ابو غالب ابن التياني عن منسوب وقرا ابو جعفر
ابن القعقاع اصاصعقا على الجمع كطريف وطرفا وحكاها النقاش عن ابن عباس
وقولد والله مع الصابرين لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر ولحظ
منه وعيد لمن لم يصبر فانه يغلب **قوله تعالى** ما كان لنبي ان يكون له
اسرى حتى يثخن في الارض يريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز
حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم لهذه الاية تتضمن عذل
معاتبة من الله تعالى لاصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم والمعنى ما كان ينبغي
لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذي اوجب ان تكون للنبي اسرى قبل الاثخان وانهم
لهم الاخيار ولذلك استمر الخطاب بتريدون والنبي صلى الله عليه وسلم لم
يومر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد قط عرض الدنيا وانما
فعله جمهور مباشري الحرب وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الاية
مشيرا الى دخول النبي عليه السلام في العتب حين لم ينه عن ذلك حين راه
من العريش واذكره سعد ان معاذ ولكنه عليه السلام شغله بغث الامر
وظهور النصر فترك النهي عن الاستبقاء ولذلك كاهوا وابو بكر حتى نزلت
هذه الاية ومن كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة
من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ الفدية ودليل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما جمع اسرى بدر استشار فيهم اصحابه فقال ابو بكر الصديق رضي
الله عنه يا رسول الله هم قرابتك ولعل الله ان يهديهم بعد الى الاسلام فقادم
واستبقهم وينقوى المسلمون باموالهم وقال عمر ابن الخطاب لا يا رسول الله بل
نضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وقال عبد الله ابن رواحة بل اجمعهم في واد
كثير الحطب ثم نضرمه عليهم نارا وقد كان سعد ان معاذ قال وهو مع رسول

هولهم

الله صلى الله عليه وسلم في العريش وقد راى الاسرى لقد كان الاثخان الى من استبقاء
الرجال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابي بكر ومال اليه فنزلت
بعد الاية مخبرة ان الاولى والاهيب على سائر الكفار قتل اسرى بدر قال ابن
عباس نزلت بعد الاية والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم برا في الاسرى
فاما منا بعد واما فدا وذكر الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما تكلم اصحابه في الاسرى بما ذكر دخل ولم يخبهم بم خرج فقال ان الله
تعالى ليلين قلوب رجال ويشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور
رحيم ومثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ومثلك موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى
يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم فلا يفلتن
منهم رجلا الا بفداء او ضربة عنق وفي هذا الحديث قال عمر فهوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت **قال القاضي** رضي الله
عنه وهذه حجة على ذكر الهوى في الصلاح وقرات فوقه ما كان للنبي مغرقا وقرا
جمهور الناس لنبي وقرا ابو عمرو وابن العلا وحده ان يكون على تانيث الجماعة
مراعاة للفظة الاسرى وقرا باقي السبعة وجمهور الناس ان يكون بتذكير
العلامة مراعاة لمعنى الاسرى وقرا جمهور الناس والسبعة اسرى وقرا
بعض الناس اسارى وروايها المفضل عن عاصم وهي قراءة ابي جعفر والقياس
والباب ان يجمع اسير على اسرى ولذلك كل فعيل بمعنى مفعول وشبهه فعيل
وان لم يكن بمعنى مفعول كمريض ومرضى اذا كانت ايضا اشباه سبيل الانسان

فقراجع عليه
عالمه

أن يجبر عليها وناتيه غلبة فهو فيها بمنزله المفعول وامّا جمعه على
اسارى فتشبيه بكسالى في جمع كسلان وجمع ايضا كسلان على كسلا
تشبيها باسرى في جمع أسير قال سيبويه وهما شاذان وقال الزجاج
إسارى جمع أسرى فهو جمع الجمع وقراءة الجمهور الناس يثخن بالثاء وقرأ
أبو جعفر ويحيى ابن يعمر ويحيى ابن وثاب يثخن بفتح الثاء وشد الخاء
ومعناه في الوجهين بالغ في القتل والايثخان انما يكون في القتل والجراحه
وما كان منها ثم أمر بمخاطبة النبي عليه السلام فقال تريدون عرض الدنيا
أي مالها الذي يفنى ويعرض والمراد ما أخذ من الاسرى من الاموال
والله يريد الاخره اى عمل الاخره فحذف المضاف واقام المضاف اليه
مقامه وقرأ ابن جماز الاخرة بالخفض على تقدير عمل المضاف ونظر
هذا بقول الشاعر

أكل امرء تحسبين امرءًا ونار توقد بالليل نارا

على تقدير وكل نار ورد في الطبري وعن ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للناس ان شئتم اخذتم الفداء من الأسرى وتقتل منكم في الحرب
سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا نأخذ المال ونستشهد
منا سبعون وذكر عبد الله بن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى
الله عليه وسلم بتخيير الناس بهذا قال القاضي رضي الله عنه وعلى
الروايتين فالامر في هذا التخيير من عند الله فانه اعلام بغيب واذا
خير وافلت بقي التوبيخ بعد بقوله تعالى لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
والذي اقتضاه هذا ان العتب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان
لنبي الى قوله عظيم انما هو على استبقاء الرجال وقت الهزيمة رعده في

اخذ المال منهم وجمع العتب اذا نظرنا انما هو للناس وهنا كان عمر يقتل
ويحض على القتل ولا يرى الاستبقاء وحينئذ قال سعد الاثخان أحب
الى من استبقاء الرجال وبذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ناحيتين
من عذاب ان لو نزل وما يدل على حرص بعضهم على المال قول المقداد حين
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة ابن ابي معيط اسيري يا رسول
الله وقول مصعب ابن عمير للذي يأسر اخاه شد يدك عليه فان له امّا
موسرة الى غير ذلك من قصصهم فلما تحصل الاسرى وسيقوا الى المدينه
واتفد رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في النضر وعقبه والمن
على غيره وغيره جعل يرتبي في سايرهم نزل ذلك التخيير من الله عز وجل
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فيهم عمر رضي الله عنه على
أول رأيه في القتل ورأى أبو بكر رضي الله عنه المصلحة في قوة المسلمين
بمال الفدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأى ابي بكر وكلا
الروايتين اجتهاد بعد تخيير فلم يتوجه على شيء من هذا عتب وذكر المفسرون
ان الايه نزلت بسبب هذه المشوره والآراء وذلك معترض بما ذكرته
ولذلك ذكروا في هذه الايات تحليل الغنايم ولا اقول ذلك لان حلم الله
تعالى بتحليل المغنم لهذه الامه قد كان يتقدم قبل بدر وذلك في السريه
التي قتل فيها عمرو ابن الحضرمي وانما المستبدع في بدر استبقاء الرجال
لاصل المال والذي مني به فيها الحاق قدره الكافر بالمغانم التي قد تقدم
تحليلها ووجه ما قال المفسرون ان الناس خيروا في امرين احدهما
غير جيد على جهة الاختيار لهم فاختاروا المفضول فوقع العتب

ولم يكن لخيبر في مستونين وهذا كما اوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليله الاسراء بآيتين واختار الفاضل وعزز حكم صفار من قبيل
الايه لان العبره والحكمه بتمام مراده على الكمال والتوفيه وقال ابو عمرو
ان العلا الاسرى هم عبر الموثوقين عند ما يوخذون والاسارى هم
الموثوقون ربطا قال القاضي رحمه الله وحكا ابو حاتم انه سمع هذا
من العرب وقد ذكره ايضا ابو الحسن الاخفش وقال العرب لا تعرف
هذا كلاما عندهم سوا وقوله لولا كتاب من الله سبق قال فرقه الكتاب
السابق هو القران والمعنا لولا الكتاب الذي سبق فلمستم بد وصدقتم
لمسكم العذاب لاخذكم بهذه المفاداه وقال سعيد ابن جبير ومجاهد
والحسن ايضا وابن زيد الكتاب السابق هو معفوا الله تعالى لاهل بدر
ما تقدم وما تاخر من ذنوبهم وقال الحسن وابن عباس وابو هريره وغيرهم
الكتاب هو ما كان الله قضاه في الازل من احلال الغنايم والفدا لمحمد وامته
وكانت في سالف الامم محرمه وقال فرقه الكتاب السابق هو عفو الله
عنهم في هذا الذنب معنا وقال فرقه الكتاب هو ان الله عز وجل قضا
ان لا يعاقب احدا بذنب اتاه بجهاله وهذا قول ضعيف يعارضه مواضع
من الشريعه وذكر الطبري عن محمد ابن علي ابن حسين ابن علي ابن ابي طالب ان
الكتاب السابق هو ان لا يعذب احدا بذنب الا بعد النهي عنه ولم يكونوا
نهوا بعد وقال فرقه الكتاب السابق هو ما قضاه الله من تحريم الصغاير
باجتناب الكباير وذهب الطبري الى دخول هذه المعاني كلها تحت اللفظه
والله اعلم وتكلف عن تخصيص معنا دون معنا واللام في لمسكم جواب
لولا كتاب رفع بالابتدا والخبر محذوف وتقديره لولا كتاب سابق من الله تدركم وما في قوله

فما اراد بها اما الاسرى واما الفدا وهي موصوله وفي اخذتم ضمير عائد
عليهما ويحتمل ان تكون مصدريه فلا تحتاج الى العايد وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو نزل في هذا الامر بلاء لنجا منه عمر ابن الخطاب
وفي حديث اخر وسعد ابن معاذ ولذلك اراد بهما ان يقتل الاسرى
وقوله فكلوا مما غنمتم الايه نص على اباحه المال الذي اخذ من الاسرى
والحاق له بالغنيمه الذي كان تقدم تحليلها وقوله حلالا طيبا حالان مما
في قوله مما ويصح ان يكون نعتا لمصدر الذي في غنمتم ويحتمل ان يكون حالا
مفعولا بكلوا واتقوا الله اعتراضا فصيحا وفي اثنا القول لان قوله
ان الله غفور رحيم هو متصل بالمعنا في قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا

قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله
في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم
روى ان الاسرى لما علموا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لهم ميل
الى الاسلام وانهم يؤملوه وانهم ان فدوا وجعوا الى قومهم التزموا
جلبهم الى الاسلام وسعوا في ذلك وبهذا الغرض فسر ذلك نزلت هذه
الايه وقال ابن عباس الاسرى في هذه الايه العباس واصحابه قالوا
للنبي عليه السلام انا بما جيت به ونشهد انك رسول الله لنصحن
لك على قومنا فنزلت هذه الايه وقرا جمهور الناس من الاسرى وقرا
ابو عمرو وحده من السبعه من الاساري وهي قراه ابي جعفر وقتاده
ونصر ابن عاصم وابن ابي اسحق واختلف عن الحسن ابن ابي الحسن وعلى الجحدري
وقرا ابن محيص من اسرى بالادغام ومعنى الكلام ان كان هذا عز وجل منكم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه

وعلم الله من نفوسكم الخير والاسلام فانه سيجعل عليكم افضل مما اعطيتم فديه
وسيغفر لكم جميع ما اجترحتموه وقرا الاعمش يثبكم خيرا وقرا جمهور
الناس أخذ بضم الهمزه وكسر الخاء وقرا شيبه ابن نصاح وابو حيوه أخذ
بفتح الهمزه والخاء وروى ان اسرى بدر افتدوا باربعين اوقيه الا العباس
فانه افتدى بمايه اوقيه قال القاضي رضي الله عنه والاوقيه
اربعون درهما وقال قتاده فادوهم باربعه الاف اربعه الاف وقال عبيده
السلماني كان فدا اسرى بدر مايه اوقيه والاوقيه اربعون درهما ومن
الدنانير ستة دنانير وروى ان العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه قال
فيّ وفي اصحابي نزلت هذه الايه وقال حين أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مال البحرين ما قدر ان يقل هذا خيرا مما اخذ مني وانا ابعد ارجوا ان
يغفر الله لي واسند ايضا الطبري الى العباس انه قال في نزلت حين
اعلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي رسالته ان يحاسبني بالعشرين
الاوقيه التي اخذت مني قبل الفداء فابا وقال في فابدلني الله من ذلك
عشرين عبدا كلهم تاجر مع مالي وروى عن العباس انه قال ما اوذاني هذه
الايه لم تنزل ولي الدنيا باجمعها وذلك ان الله قد اتاني خيرا مما اخذ مني
وانا ارجوا ان يغفر لي وقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله الايه
قول امر ان يقوله للاسرى ويورد معناه عليهم والمعنى ان اخلصوا
نعلمهم لذا وان ابطنوا خيانه فتارغبوا ان يوتمنوا عليه من العهد
فلا يسرهم ذلك ولا سلنوا اليه فان الله بالمرصاد لهم الذي خانوه
قبل بكفرهم وتركهم النظر في اياته وهو قد بينها لهم وجعل لهم ادراكا
يحصلونها به فصار ذلك لعهد مقررا وجعل حزامهم في خيانتهم اياه ان يمكن

منهم المومنين وجعلهم اسرى في ايديهم وقوله عليم حكيم صفتان مناسبتان
اي عليم بما يبطنونه من اخلاص او خيانه حكيم فيما جازيهم به قال
القاضي رضي الله عنه واما تفسير قتاده هذه الايه بقصه عبد الله ابن
ابي سرح فبعيد ان لم يكن باطلا فان جلت قصه عبد الله ابن ابي سرح على انها
مثال كما يمكن ان يجلب امثله في عصرنا من ذلك فحسن وان جلبت على
ان الايه نزلت في ذلك فخطا لان ابن ابي سرح انما تبين امره في يوم
فتح وهذه الايات نزلت عقب بدر قوله تعالى ان الذين امنوا
وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا
ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير مقصود هذه الايه
وما بعدها تبين منازل المهاجرين والانصار والمومنين الذين لم
يهاجروا والكفار والمهاجرين بعد الحديبيه وذكر سبب بعضهم من
بعض فقدم اولا ذكر المهاجرين وهم اصل الاسلام وانظر تقديم عمر
لهم في الاستشاره وهاجر معناه هجر اهله وقرابته وهجروه
وجاهدوا معناه احمدوا انفوسهم في حرب من احمد بنفسه في حربهم
والذين اووا ونصروا هم الانصار واوى معناه تقيأ ما وى وهو
الملجأ والحوز فحكم الله على هاتين الطايفتين ان بعضهم اولياء بعض
وقال كثير من المفسرين هذه الموالاة هي في التوارث والمعاونة واتصال
الود الابدي وعليه فسر الطبري الايه وهذا الذي قالوا لا يلزم منه الا له

اللفظ وقال ابن عباس ومجاهد وقتاده وكثير منهم ان هذه الموالاه
هي في الميراث وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين المهاجرين
والانصار وجاءت بين الانصار اخوه النسب وجاءت النصاء من بعض
المهاجرين فكان بعض المهاجرين اذا مات ولم يكن له بالمدينه ولي مهاجر
ورثه اخوه الانصاري وان كان له ولي مسلم لم يهاجر وكان المسلم الذي
لم يهاجر لا ولايه بينه وبين قريبه المهاجر لا يرثه قال ابن زيد استمر
امرهم كذلك الى فتح مكه ثم توارثوا بعد ذلك لما لم يكن هجره قال
القاضي رضي الله عنه فذهبت هذه الفرقه الى ان هذا هو مقصد
الايه ومن ذهب الى انها في التوارث والتعاون فانما حمل نفي الله
ولايتهم عن المسلمين على انها صفه الحاله لان الله حكم بان لا ولايه بين
المهاجرين وبينهم جمله وذلك ان حالهم اذا كانوا مساعدين الاقطار
يقتضي ان بعضهم ان حزبه حادث ولا يجد الاخر ولا ينفع به فعلى
هذه الجهه نفى الولايه وعلى التاويل نفى الايه حض للاعراب على الهجره
قاله الحسن ابن ابي الحسن ومن راى الايه في المواريث فهو حكم من الله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الايه وقراهم ورش المسعه والناس
ولانتهم بفتح الواو والولايه ايضا بالفتح وقرا الكسائي ولايتهم بالفتح
والولايه بالكسر وقرا الاعمش وابن وثاب ولايتهم بالولايه بكسر الواو
وهي قراءه حمزه قال ابو علي والفتح اجود لانها في الدين قال ابو الحسن
الاخفش والكسر فيها لغه وليست بذلك ولحن الاصمعي الاعمش واخطا
عليه لانها اذا كانت لغه فلم يلحن قال القاضي رضي الله عنه لا سيما
ولم يظن به الا انه انما قال ابو عبيده الولايه بالكسر هي من وليت

الامر

في الوطن في الميراث
والولايه في الدين والاعان

الأمر اليه فهي من السلطان والولايه بالفتح هي من المولى يقال مولى بين
الولايه بفتح الواو وقوله وان استنصروكم اي استدعاكم ولا المومنون
الذين لم يهاجروا انصركم على قوم كفار قد عاهدتموهم انتم ووائقتموهم
على ترك الحرب فلا تنصروهم عليهم لان ذلك غدر ونقض للميثاق وترك
لحفظ العهد والوفاء به والقراءه فعليكم النصر برفع الراء وبحور فعليكم
النصر على الاغراء ولا احفظ قراءه وقراهم ورش الناس والله بما تعملون
على المخاطبه للمومنين وقرا ابو عبد الرحمن السلمي والاعرج بما يعملون
بالياء على ذكر الغايب قوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء
بعض الا تفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون
لهم مغفره ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
ان الله بكل شي عليم تقدم حكم بان الكفار ولايتهم واحده وذلك يجمع الموارثه
والمعاونه والنصره وهذه العباره رغبه واقامه للنفوس كما تقول
لمن تريد ان تستضلع عدوك مجتهد اي واجتهد انت وحكى الطبري في
تفسير هذه الايه عن قتاده انه قال يقبل ايمان من امن ولم يهاجر وذلك
في صدر الاسلام وذلك ايضا مذكور مستوعب في تفسير قوله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكه ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم
جهنم وساءت مصيرا والذي يظهر من السرع ان حال المومن التارك للهجره
مع علمه بوجوبها حكم العاصي لا حكم الكافر وقوله تعالى الذين توفاهم

الا ان الله مع

مع اصحاب عليكم بالصوم فانه لا يسمن ولا يغني من جوع

الملائكه طالما انفسهم انما هي فمن قبل مع الكفار وقيل هم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا بري من مسلم اقام بين المشركين لا تتراى نارهم الحديث على
اختلاف لفظه وقول قتاده انما هو فمن كان يقيم متربصا يقول من
علب لبث معه وكذلك ذكر في كتاب الطبري والكشي والضمير في قوله
الا تفعلوه قيل هو عايد على الموارثه والتوارث **قال القاضي** رضي
الله عنه وهذا لا نفع الفتنه عنه الا عن بعد وبواسطه لنبره
وقيل هو عايد على الموازره والمعاونه واتصال الايدي وهذا تقع
الفتنه عنه عن قرب وهو اكد من الاول ويظهر ايضا عوده على حفظ العهد
والميثاق الذي يضمنه قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق وهذا ان لم
يعلم هو الفتنه بنفسها ويحتمل ان يعود الضمير على النصر للمسلمين
المستنصرين في الدين ويجوز ان يعود الضمير مجملا على جميع ما ذكروا الفتنه
الحنه بالحرب وما الحق معها من العارات والجلاء والاسر والفساد
الكبير ظهور الشرك وقراجهور الناس كبير بالباء الموحده واحله وقرا
ابو موسى الجازي عن الكسائي بالباء منقوطه مثلثه وروى ابو حاتم المزني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا وفساد عريض وقران فرقد والذين
كفروا بعضهم اولى بعض وقوله والذين امنوا وهاجروا الايه ايه
تضمنت تخصيص المهاجرين والانصار ونشر بقهم بهذا الوصف العظيم
وحقا نصب على المصدر لما قبله ووصف الرزق بالكرم معناه انه لا
يستحيل الجزاء المراد به انعام الجنه كما ذكره الطبري ولازم اللفظ
نفي المذمات عنه وما ذكروه فهو في ضمن ذلك وقوله من بعد بريل
من بعد الحديبيه بيعه الرضوان وذلك ان الهجره من بعد ذلك

كانت

كانت اقل رتبه من الهجره قبل ذلك وكان يقال لها الهجره الثانيه لان
الحرب وضعت اوزارها نحو عام من يوم كان فتح مكه وبه قال عليه السلام
لا هجره بعد الفتح وقال الطبري المعنا من بعد ما ثبت حكم الولايه
قال القاضي رضي الله عنه فمن الحاجز من الهجرتين نزول
الايه فاخبر الله تعالى في هذه الايه انهم من الاولين في الموازره وسايز
احكام الاسلام وقوله تعالى وجاهدوا معكم لفظ يقتضي انهم تبع لا
صدر وقوله فاولئك منكم كذلك ونحوه قال النبي صلى الله عليه وسلم
مولى القوم منهم وان اخت القوم منهم وقوله واولوا الارحام الى اخر
السوره قال من يقدم ذكره هو في الموارث وهي ناسخه للحكم المتقدم
ذكره من ان برث المهاجري الانصاري ووجب بهذه الايه الاخيره
ان يرث الرجل قريبه وان لم يهاجر امعه وقالت فرقه فيها ما لك
ابن انس رحمه الله ان الايه ليست في الموارث وهذا فراز عن توريث
الخال والعمه ونحوهما وقالت فرقه هي في الموارث الا انها نسخت بايه
الموارث المبينه وقوله في كتاب الله معناه اي ذلك مثبت في كتاب الله
وقيل المعنا في كتاب الله السابق في اللوح المحفوظ وعلم صفه مناسبه
لنفوذ هذه الاحكام فجز تفسير سوره الانفال والحمد لله وحده

تفسير سورة براءه

سوره براءه مدنيه الا ايتين لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه
عنتم الى اخرها وتسمى بعده التوبه قال حذيفه وغيره وتسمى الفاضحه
قاله ابن عباس وتسمى الحافره لانها حفرت عن قلوب المنافقين قال ابن
عباس ما زال ينزل منهم ومنهم حتى ظن انه لا يبقى احد وقال حذيفه في سوره

العداب قال ابن عمر كانت عوها المقشقشه قال الحارث ابن يزيد كانت
تدعى المبعثره ويقال لها المثيره ويقال لها البحوث وقال ابو مالك
الغفارى اول ايه نزلت من براءه انفروا خفافا وثقالا وقال سعيد
ابن جبير كانت براءه مثل سوره البقره فى الطول **واختلف** لم سقط
سطر بسم الله الرحمن الرحيم من اولها فقال عمار ابن عمار اشبهت معانيها
معانى الانفال وكانتا تدعى القرينتين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلذلك قرنت بينهما ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها فى السبع
الطوال قال على ابن ابى طالب لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبراءه
وبراءه نزلت بالسيف ونبذ العهود فلذلك لم تبدا بالامان **قال**
القاضى وتعزى هذا القول للمبرد وهو لعلى ابن ابى طالب وهذا كما يبدا
المخاطب العاصب اما بعد دون تفريط ولا استفتاح بتجل وروى
ان كتبه المصحف فى مده عثمان اختلفوا فى الانفال وبراءه هل هى سوره
واحده او هما سورتان فتركوا فصلا بينهما مراعاه لقول من قال منهم
هما سورتان **قال** القاضى وهذا القول تضعفه النظر ان يختلف فى
ذلك الله هكذا وروى عن ابى كعب انه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم فى كل سوره ولم يامرنا فى هذه
شى فلذلك لم نضع بحذوى عن مالك انه قال بلغنا انها كانت بحر سوره
البقره ثم سبح ورفع كثير منها وفيها البسمله فلم يروا بعد ان يصعوه فى
غير موضعه وسورة براءه من اخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم
وحكى عمران ابن حريز ان اعرابيا سمع سوره براءه فقال الظن هذه من اخر
ما انزل الله على رسوله فقيل له لم تقول ذلك فقال لانها تنقض وتهدم

تبذ

تبذ **قوله تعالى** براءه من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين فسيحوا فى الارض اربعه اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله
وان الله مخزى الكافرين براءه رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره هذه
الايات براءه ويصح ان يرتفع بالابتداء فى قوله الى الذين وحاز الابتداء
بالنكره لانها موصوفه فتعرف تعرفا ما وجاز الاخبار عنها وقرا عيسى
ابن عمر براءة بالنصب على تقدير التزموا براءة فيها معنى الاغراء وبراءه
معناه تخلص وتبرا من العهود التى بينكم وبين الكفار البادين بالنقض
تقول برئت الملدوغ من الحيه وبرئت من المرض وبرئت من الدين
والعهود التى كانت ونقضها الكفار وقرا اهل الحرمين بكسر النون من
من وهذه الايه حكم من الله تعالى بنقض العهود والمواعيد التى كانت
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين طوائف المشركين الذين ظهر منهم
بعض وتحسس من جهتهم ولما كان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لازما لامته حسن ان يقول عاهدتم قال ابن اسحق وغيره من العلماء
كانت العرب قد وائتها رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا عاما على ان
لا يصد احد عن البيت الحرام ونحو هذا من المواعيد فتقصد لذلك
بهذه الايه واجل لجميعهم اربعه اشهر ومن كان له مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد حاص وبقى منه اقل من الاربعه الاشهر بلغ به
ثمانيها ومن كان امره اكثر من اربعه اشهر انقص عهده الا ان كان ممن
يحسن منه نقض فانه قصر على اربعه اشهر ومن لم يكن له عهد خاص
فرضت له الاربعه الاشهر يسيح فيها فى الارض اين يذهب مستريحا امنا
كالسيح من الماء وهو الجارى المنبسط ومنه قول ـــــ طرفه ابن العبد

وفى بعض النسخ مراعاه لقول من قال
والاصح انها واحده وهى مجتمعه بكم
اول
روى

﴿ لو خفت بهذا منك لما بليتني حتى ترى خيلا أمامي تسيح ﴾
وهذا نبي عن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعر من الكفار نقضا
وتربصا به الا من الطايفه المستثناه وقال ابن عباس رضي الله عنه أول
الاشهر الاربعه شوال وحينيذ نزلت الايه وانقضاؤها عند انسلاخ
الاشهر الحرم وهذا بعد انقضاء المحرم بعد يوم الاذان لخمسين يوما
فكان اجل من له عهد اربعه اشهر من يوم نزول الايه واجل ساير المشركين
خمسون ليله من يوم الاذان قال القاضي رضي الله عنه اعترض هذا
بان الاجل لا يلزم الا من يوم سمع ويحتمل ان البراءة قد كانت سمعت من اول
سوال ثم كرر اشهارها مع الاذان يوم الحج الاكبر وقال السدي بل اولها
يوم الاذان واخرها العشر من ربيع الاخر وهي الحرم استعير لها
الاسم لهذه الحرمه والامن الخاص الذي رسمه الله والدم فيها هو اجل
الجميع ممن له عهد وحسن منه نقض وممن لا عهد له وقال الضحاك وغيره
من العلما كان من العرب من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
حلة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وحسن منهم النقض وكان منهم
من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا فقوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر
هو اجل ضربه لمن كان بينهم وبينه عهد وحسن منهم نقضه واول هذا
الاجل يوم الاذان واخره انقضا العشر الاول من ربيع الاخر وقوله
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين نسخ قوله حكم مبائن للاول حكم به
للمشركين الذين لا عهد لهم البتة فحيثما احل بامنهم خمسين يوما اولها يوم
الاذان واخرها انقضا المحرم وقوله الا الذين عاهدتم من بني هذين
لهم عهد ولم ينقضوا ولا تجسس منهم نقض ولهم فيما روى بنو ضمره من بني

كانه

كانه عاهدهم ابن حويطب وكان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر
وحكا الطبري عن فرقد انها قالت انما أجل الله اربعة اشهر من كان عهده
بنصرم عنه انقضاؤها او قبله والمعنا قل يا محمد سيحوا اما مر ان له
عهد وبتمادي بعد الاربعة الاشهر فهم الذين امر الله بالوفاء وقوله
واعلموا انكم غير معجزي الله معناه واعلموا انكم لا تفلتون الله ولا
تعجزونه هربا من عقابه بل اعلمهم بخزي الكافرين ودلك خنم اما في
الدنيا واما في الاخره وقوله واذان من الله ورسوله الى الناس يوم
الحج الاكبر الايه واذان معناه اعلام واشهار والناس ها هنا عام في جميع
الخلق ويوم منصوب على الظرف والعامل فيه اذان وان كان قد وصف
فان الحدث الفعل باقيه وهي عامله في الظرف وقيل لا يجوز ذلك اذ قد وصف
المصدر فزالت عنه قوة الفعل ويصح ان يعمل فيه فعل مضمر بتقديره
الالفاظ وقيل العامل فيه صفه الاذان وقيل العامل فيه مخبر قال
القاضي رضي الله عنه وهذا بعيد ويوم الحج الاكبر قال عمر وابن عمر
وابن المسيب وغيرهم هو يوم عرفه وبه قال علي وروي عنه ايضا انه
يوم النحر وروي ذلك عن ابي هريره وجماعه غيرهم وروي ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال مندر ابن سعيد وغيره كان الناس يوم عرفه
مفترقين فاذا كانت الخمس وقف بالمزدلفه وكان الجميع يوم النحر منا فلذلك
كانوا يسمونه يوم الحج الاكبر اي من الاصغر الذي لهم فيه مفترقون
قال القاضي وهذا زال في حجه ابي بكر لانه لم يقف احد بالمزدلفه
وقد ذكر المهدوي ان الخمس ومن اتبعها وقفوا بالمزدلفه في حجه ابي بكر
والذي تظاهرت به الاحاديث في هذا المعنا ان عليا اذن بتلك الايه

يوم عرفه انزحطبه ابى بكر ثم راى انه لا يعم الناس بالاسماع فتتبعهم
بالاذان بها يوم النحر وفى ذلك اليوم بعث معه ابا بكر من يعينه فى الاذان
بها على بعيره وغيره وتتبعوا بها انصا اسواق العرب لدى المجاز وعكاظ
فمن هنا يترجح قول سفيان ان يوم فى هذه الايه بمعنا ايام وسبب ذلك
والتطايفه بيوم الحج الاكبر عرفه حيث وقع اول الاذان وقال اخرى
هو يوم النحر حيث وقع اكمال الاذان واحتجوا انصا بانه من فاته
الوقوف ليله يوم النحر فليس يوم عرفه على هذا يوم الحج الاكبر
قال القاضى رضى الله عنه ولا حجه فى هذا وقال سفيان ابن عيينه
المراد ايام الحج كلها كما يقول يوم صفين ويوم الجمل يريد جميع ايامه
وقال مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منا كلها ومجامع المشركين كانوا يدرك
الحاج وعكاظ ومجنه حتى يودى فيهم ان لا يحتج المسلمون والمشركون
بعد عامهم هذا قال القاضى وهذا ما قال عثمان لعمر حين عرض عليه
زواج حفصه اى ودرات ان لا اتزوج يومى هذا وهذا ما ذكر سيبويه
انك تقول لرجل ما شغلك اليوم وانت تريد فى ايامك هذه واختلف
لما وصف بالاكبر وقال الحسن ابن ابى الحسن وعبد الله ابن الحارث ابن نوفل
لانه حج ذلك العام المسلمون والمشركون وصادف انصا عيد اليهود
والنصارى وهذا ضعيف ان يضيف الله تعالى حجه الا بالكبر لهذا وقال الحسن
انصا انما سمى اكبر لانه حجه ابو بكر ونبذت فيه العهود قال
القاضى رضى الله عنه وهذا هو القول الذى يشبه نظر الحسن وبيانه
ان ذلك اليوم كان المفتتح بالحسن واماره الاسلام سلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونبذت فيه العهود وعرف فيه الدين ودل الشرك ولم يحل

ذلك فى عام تبوك حين ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج عتاب ابن اسيد
كان امر العرب من اوله وحل حج بعد حج ابى بكر فمن ثم كتب عليه فحقد لهذا
ان يسمى اكبر وقال عطا ابن ابى رباح الحج الاكبر بالاضافه الى الحج الاصغر
وهى العمره وقال السعى بالاضافه الى العمره فى رمضان فانها الحج الاصغر
وقال مجاهد الحج الاكبر القران والاصغر الافراد وهذا لس من هذه الايه
فى شى وقد تقدم ما ذكره منذر ابن سعيد ويحتمل ان يتصف بالاكبر
على هذه المدح لا بالاضافه الى اصغر معين بل يكون المعنى الاكبر من سائر
الايام فتامله واختصار ما يحتاج اليه هذه الايه على ما ذكر مجاهد
وغيره من صوره تلك الحال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكه
سنه ثمان واستعمل عليها عتاب ابن اسيد وقضى امر حنين والطايف
وانصرف الى المدينه فاقام بها حتى خرج الى تبوك ثم انصرف من تبوك
فى رمضان سنه تسع فاراد الحج ثم نظر فى ان المشركين يحجون فى تلك السنه
ويطوفون عراة فقال لا اريد ان ارى ذلك فامر ابا بكر على الحج بالناس
وانفذه ثم اتبعه على ابن ابى طالب على ناقته العضباء وامره ان يودن
فى الناس باربعه اشياء وهى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يدخل الجنه
الا نفس مومنه وفى بعض الروايات الجنه كافر ولا يطوف بالبيت عريان
ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له الى مدته وفى الروايات
ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فاجله اربعه اشهر
يسيح فيها فاذا انقضت فان الله برئ من المشركين ورسوله قال القاضى
واقول انهم كانوا اساءوا من هذا كله فهو للذين نقضوا عهد وتحسس منهم نقضه
والا بقاء الى المده لمن لم يجر منهم نقض وذكر ان العرب قالت يومئذ

نحن نؤمن عهدك وعهد ابن عمك فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون
وقد اسلمت قريش واسلموا كلهم ولم يسح احد **قال القاضي** رضي الله
عنه وحسن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بقرا على الناس
الاربعين الايه صدر سوره برآءه وقيل ثلاثين وقيل عشرين وفي بعض
الروايات عشرا يات وفي بعضها سبع ايات ذكرها القفال وقال سلمان
ابن موسى الشامي ذلك ثمان وعشرون ايه فلحق علي ابا بكر في الطريق فقال
له ابو بكر امير او مامور فقال بل مامور فمضيا حتى بلغا الموسم فلما
خطب ابو بكر بعرفه قال قم يا علي فاد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام علي ففعل قالوا فما رؤي يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم وقيل
فجعلت اتبع الفساطيط يوم النحر وقرا جمهور الناس أن الله برئ
بفتح الالف على تقدير لان وقرا الحسن والاعرج إن الله بكسر الالف على
القطع اذ الاذان في معنى القول وقرا جمهور الناس ورسوله بالرفع
على الابتداء وحذف الخبر تقديره ورسوله برئ منهم وهذا عند شيخنا
الاستاذ ابي الحسن ابن الباذش معنى العطف على الموضع اي تؤنس بالجملة
التي هي مرتفعة ابتداء وخبر فعطف عليها هذه الجملة وقيل معطوف على موضع
المكثوبة قيل وحول ان التي لا تغير معنى الابتداء بل تؤكده واذا قريت
بالكسر لا تعطف على موضع أن بالفتح واسمها عند محلف في جواز
لان حكم أن مع حكم الابتداء الا في هذا الموضع وما اشبهه وهذا قول
لابي العباس وابي علي رحمهما الله ومذهب الاستاذ على مقتضى كلام سيبويه
ان الموضع لما دخلت عليه أن اذ هو معرب قد ظهر فيه عمل العامل
ولانه لا فرق بين ان وبين ليت ولعل والاجماع ان الموضع لما دخلت

عليه

عليه هذه وقيل هو عطف على الضمير المرفوع الذي في برئ وحسن ذلك ان
المجرور قام مقام التوكيد كما قامت لا في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا
وقرا ابن ابي اسحق وعيسى ابن عمر ورسوله بالنصب عطفا على لفظ
المكثوبة وهذه الايه اصحق معاريه ابا الاسود حتى وضع النحو
اذ جعل قارئا يقرا بخفض ورسوله والمعنى في هذه الايه برئ من
عهودهم واديانهم برآءة عامة تقتضي المحاربة واعمال السيف وقوله
فان تبتم اي عن الكفر ونبوا عهدهم مع شرط التولي وجاز ان يحال البشاره
على المكروه لما جاء مصرحا به مرفوع الاشكال **قوله تعالى** الا
الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا
الايه فسيحوا امكروا في الارض اربعة اشهر واعلموا امكم غير معجزي
الله وبشر الذين كفروا امكم بعذاب اليم لهذا هو الاستثناء الذي
تقدم ذكره في المشركين الذين بقي من عهدهم تسعة اشهر وكانوا قد وفوا
بالعهد على ما يحب وقال قتاده لهم قريش الذين عوهدوا من الحديبية
قال القاضي وهذا مردود باسلام قريش في الفتح قبل الاذان بهذا
كله وقال ابن عباس قوله الى مدتهم الى الاربعة اشهر التي في الايه قبل
وقرا الجمهور ينقصوكم بالصاد غير منقوطة وقرا عطاء بن يسار وعلقمه
وابن اسميفع ينقضوكم بالضاد من النقض وهي متمكنة مع العهد ولكنها
قلقة في تعديها الى الضمير وحسن ذلك ان النقض يقتضي وفاء في حق
المعاهد ولذلك تعدى تموا بالى لما كان العهد في معنى ما يودى ويبلا
به وكانهم يقضون العهد ويظاهروا معناه يعاونوا والظهير المعين
واصله من الظهر كان هذا يسند ظهره الى الاخر والاخر كذلك **وقوله**

ان الله يحب المتقين تنبيه على ان الوفا بالعهد من التقوى وقوله فاذا
انسلخ الاشهر الحرم الايه الانسلاخ خروج الشئ من الشئ المتلبس به
كانسلاخ الشاه من الجلد والرجل عن الثياب ومنه قوله تعالى نسلخ
منه النهار فشبه انصرام الاشهر باسمائها واحكامها من الزمن بذلك
وقد تقدم القول فيمن جعل له انقضا الاشهر الحرم اجلا واما المعنا
بالاشهر الحرم مما اعنى عن اعادته **وقوله** فاقتلوا المشركين امر بقتال
المشركين فخرج الامر بذلك بلفظ اقتلوا على جهة التصحيح وتقويه
النفس بهذا يكون امركم معهم وهذه الايه نسخت كل موادعة في القران
او مهادنة وما جرى مجرى ذلك وهي على ما ذكرنا به ايه واربع عشره
ايه وقال الضحاك والسدي وعطا هذه الايه منسوخه بقوله فاما
منا بعد واما فداء وقالوا لا يجوز المن على اسير ولا مفاداته
ولا شئ الا القتل وقال ابن زيد هما محكمان **قال القاضي** رضي الله عنه
ولم ير اكثر من هذا وهو الصواب والايتان لا تشبه معنى واحدا الاخرى
وذلك ان هذه الايه قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
واحصروهم وافعال انما تمثل مع المحارب المرسل وانما صل وليس للاسير
فيها ذكر ولا حكم واذا اخذ انما فرج من ذرجات هذه الايه واسفل الى
حكم الايه الاخرى وتلك الايه لا مدخل فيها لغير الاسير فقول ابن زيد
هو الصواب وقوله خذوهم معناه الاسر وقوله كل مرصد معناه مواضع
الغره حيث يرصدون وقال النابغه

اعادل ان الجهل من لذة الفتى وان المنايا للنفوس بمرصد
ونصب كل على الظرف وقد احتيار الزجاج او باسقاط الحافظ التقدير
في كل مرصد او على كل مرصد وحكى سيبويه ضرب الظهر والبطن
وقوله فان تابوا يريد من الكفر وهي متضمنه الايمان ثم قرن بها اقامة الصلاه
وايتا الزكوه تنبيها على سائر الصلاه والزكوه من الشرع وقوله فخلوا
سبيلهم امر وقال انس ابن مالك يعود بن الله الذي جاء به الرسل وهو
من احر ما نزل فهل احلاف الاهواء وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من
فارق الدنيا مخلصا لله مطيعا لله فقد لقي الله وهو عنه راض ثم وعد بالمغفرة
في صيغه الخبر عن اوصافه تعالى **قوله تعالى** وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا
يعلمون امر رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الايه بعد الامر بقتال المشركين
بان يكون منى طلب مشرك عهدا امر به حتى يسمع القران ويرى حال
الاسلام ان يعطيه ذلك وفي من الاجاره وهو الجوار ثم امر بتبليغه
المامن اذا لم يرض الاسلام ولم يهتد الى الايد وقال الحسن في مجلد سنه الى
يوم القيامه وقال مجاهد وقال الضحاك والسدي هذا منسوخ بقوله
فاقتلوا المشركين وقال غيرهما هذه الايه انما كان حكمها مده الاربعه
الاشهر التي ضربت لهم اجلا وقوله حتى يسمع كلام الله يعني القران وفي
اضافه صفه الى موصوف لا اضافه خلقه الى الخالق والمعنا ويفهم
احكامه واوامره ونواهيه فرد السماع بالاداء اذ هو الطريق الى
الفهم وقد يجي السماع في كلام العرب مستعملا بمعنى الفهم كما يقول لمن خاطبه
فلم يقبل مكانت ولم يسمع قولي يريد لم يفهمه وذلك في كتاب الله تعالى

في عده مواضع واحدّ في هذه الايه مرتفع بفعل يفسره قوله استجارك
وضعف الاستدلال بالايه الفعل لان وقوله تعالى ذلك بانهم الاشاره
الى هذا اللطف في الاجاره والاسماع وتبليغ المامن ولا تعلمون يعني
علمهم عواقب امرهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **وقوله**
تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الايه لفظ استفهام وهو
على حد التعجب والاستبعاد اي على اي وجه يكون للمشركين عهد وهم
قد نقضوا وجاهروا بالتعدي ثم استثنى من عموم المشركين القوم الذين
عوهدوا عند المسجد الحرام اي من ناحيته وجهته وقال ابن عباس فيما
روي عنه المعنى بيد اقريش وقال البدي المعنى ينوجد منه ان الدليل
وقال ابن اسحق هم قبايل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبيه في المده التي
كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقض الا قريش
وبني الديل من بني بكر وامر المسلمون باتمام العهد لمن لم يكن نقض وقال
قوم المعنى خزاعه وقال المجاهد هو مردود باسلام خزاعه عام
الفتح وقال العصر مي قال انهم قريش ان هذه الايه نزلت فلم يستقيموا بل
نقضوا فنزل بجيلهم اربعه اشهر لمن لم يكن منهم الا مسلم وذلك بعد
فتح مكه بسنه ولذلك خزاعه قال الطبري وغيره وقوله ان الله يحب
المتقين يريد الموفين بالعهد من المعاهدين ولذلك عبر بلفظ مقتضى للوفاء
بالعهد متضمن الايمان **قوله تعالى** ليفسد ان يظهروا عليكم لا يرقبوا
فيكم الا ولا ذمه يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعلمون بعد
لف في هذه الايه فعل مقدر ولا بد يدل عليه ما تقدم فيحسن ان

تقدر

تقدر لف يكون لهم عهد ونحوه قول الشاعر
"وخبرتماني انما الموت في القرى كفى وها انا هضبه وكثيب"
وفي كيف هنا تاكيد للاستبعاد الذي في الاول ولا يرقبون معناه لا
يراعوا ولا يحافظوا واصل الارتقاب بالنظر ومنه الرقيب في المسير وغيره
ثم قيل لكل من حافظ على شيء وراعاه راقبه وارتقبه وقراجمهور الناس
الا وقرا علقمه مولى ابن عباس بياء بعد الهمزه خفيفه اللام ابلا
وقراف فرقه الا بفتح الهمزه فاما من قرا الا فمحوزان يراد به الله عزوجل
قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانيه وعرب ومن ذلك قول
ابي بكر الصديق حين سمع كلام مسيلمه هذا كلام لم يخرج من ال ومحوز
ان يراد به العهد والعرب تقول للعهد والحلف والجوار ونحو هذه
المعاني الا ومنه قول ابي حيه الا ان علينا واجبا لا
نضيعه منن قواه غير منكث الحبل" ومحوز ان يراد به القرابه
فان القرابه في لغه العرب يقال لها ال ومنه قول ابن مقبل
"افسد الناس خلوف خلفوا قطعوا الال واعراق الرحم"
انشده ابو عبيده في القرابه وظاهره انه في اليهود ومنه قول حسان
"لعمرك ان الك من قريش كما ان السقب من رال النعام"
ولما من قرا الا بفتح الهمزه فهو مصدر من فعل الال الذي هو العهد ومن
قرا ايلا فهو ان يراد به الله عزوجل ومحوز ان يراد الا المتقدم فابدل
من احد اللامين ياء كما قالوا في قولهم اما اي اما ومنه قول سحيم بن وثيل
"يا ليتها امنا شالت بعامتنا ايما الى جنه ايما الى نار"
ومنه قول عمرو ابن ال يبغه

صحيح ما نقص من الاوراق والاصل
بعد ذلك وهل الطبري هل الفولاذ على ان يرد ما نقص من الاوراق والاصل
الاسطر

ما بعد ال وال ومن المجاري وال الله
وجمع ومكر وسراب عبد السريا

«وَإِذَا رَأَيْتَ رِجَالًا إِمَّا إِذَا النَّمِسُ عَارَضَتْ فَبَضْحَى وَإِمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَحْضَرُ»
وقال الاخر «لَا تُفْسِدُوا آبَالَكُمْ إِمَّا لَنَا إِمَّا لَكُمْ»
قال ابو الفتح ويجوز ان يكون ماخوذا من أل يؤول اذا ساس
قال القاضي رضي الله عنه كما قال عمر ان الخطاب قد إلنا وإيل
علينا فكان المعنى على هذا لا يرعون فيهم سياسة ولا مدارة ولا ذمة
وقلبت الواو ياء لسكونها وانكسره قبلها والذمة ايضا بمعنى الميثاق
والحلف والجوار ونحوه قال الاصمعي الذمة كل ما يجب ان يحفظ ونحمى اذا
في الاول اذا العهد جعلناها لفظتين مختلفتين بمعنى واحد او متقاربتين
ومن راى الاول لم يجد لك فيها لفظتان لمعنيين وتابى ولوهم بمعنا
تابى ان تدعن لما يقولونه بالالسنه والى مثله لا يحفظ فعل يفعل
بفتح العين في الماضي والمستقبل وقد حكى ركن بركن وقوله واكثرهم يريد
به الحلف او يريد استئنافا مضى له بالايمان كل ذلك محتمل وقوله
اشتروا بايات الله ثمنا قليلا الاية اللازم من الفاظ هذه الاية ان هذه
الطائفة الكافرة الموصوفة بما تعلم لما نزلت ايات الله ودينه واثرت
الكفر وحالها في بلادها كان ذلك لها الشراء والبيع لما كان ترك ما قد ملكوا
منه واحد لما يمكن تركه وهذه نزعة مالك رحمه الله في منع احتيار
المشتري فيما يختلف احاد جنسه ولا يحور التفاضل فيه وقد يعدم ذلك
في سوره البقره وقوله فصدوا عن سبيله يريد صدوا انفسهم
وغيرهم ثم حكم عليهم بان عملهم سيئ وساء في هذه الاية اذا لم يذكر مفعولها
يحتمل ان يكون مضمنه ليبس فاما اذا قلت ساءني فعل زيد فليس بمضمن
بوجه وان قدرت في هذه الاية مفعولا زال التضمين وروى ان ابا سفيان

ان حرب جمع بعض العرب على طعام وندبهم الى وجه من وجوه النقض
فاجابوه الى ذلك فنزلت الاية وقال بعض الناس هذه في اليهود قال
القاضي وهذا قول وان دلت الفاظ الاية بتقضيه فما قبلها وما بعدها
يرده ويتبرا منه ويختل اسلوب القول به وقوله تعالى لا يرقبون الاية
وصف لهذه الطائفة المشتري بها بصحف ما ذهب اليه لمن قال ان قوله اشتروا
بايات الله هو في اليهود وقوله تعالى من مومن اعلام بان عداوتهم انما هي
بحسب الايمان فقط وقوله واولئك هم المعتدون يحمل ان ينظر ظان ان ذلك
للاجزاء الى وقت فذلك هو الاحتمال بقوله في مؤمن بهم وصفهم بعالي
الاعتداء والبداية بالنقض للعهود والتعمق في الباطل قوله
تعالى فان تابوا واقاموا الصلاه واتوا الزكوه فاخوانكم في الدين
ونفصل الايات لقوم يعلمون تابوا رجعوا عن حالهم والتوبه منهم تتضمن
الايمان ثم قرن تعالى بايمانهم اقامه الصلاه وايتاء الزكوه قال ابن عباس
حرمت هذه الاية دماء اهل القبله وقال ابن زيد قرن الله الصلاه بالزكوه
ولم يرض باحداهما دون الاخرى قال القاضي وعلى هذا مر ابو بكر رضي الله
عنه وقت الرده والاخوه في الدين هي اخوه الاسلام وجمع الاخ منهما
اخوان وجمعه من النسب اخوة قاله بعض اللغويين وقد قيل ان الاخ من
النسب يجمع على اخوان ايضا ودلك ظاهر من قوله تعالى ولا على ابنائهم
ان ياكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
ويرد ذلك في قوله تعالى في اخر الاية او صديقكم ولذلك قوله في هذه
السوره قل ان كان ابآؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم فاما الاخ من التواد
فهي كما قال الله انما المومنون اخوه قال ابو هريره في البخاري كان اخوني
من المهاجرين يشغلهم صفق الاسواق وصح من هذا ان الاخ يجمع اخوه

وأخواتها سواء كان من نسب أو مودة وتفصيل الايات بيانها وايضاحها
وقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم الايه النكث النقض واصله فى كل
ما فتل وحل وفى الايمان والعهود مستعاره وقوله تعالى وطعنوا
فى دينكم اى بالاستنقاص والحرب وغير ذلك مما تفعله المشركون لهذه
استعاره ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم حين امر اسامه ان تطعنوا
فى امارته فقد طعنتم فى امارة ابيه من قبل الحديث **قال** القاضى رحمه
الله ويليق هنا ذكر شئ من طعن الذمى فالمشهور من مذهب مالك رحمه
الله انه اذا فعل شئ من ذلك مثل تكذيب الشريعه وسب النبى صلى الله عليه
وسلم ونحوه قتل وقيل اذا كفر واعلن بما هو معهود من معتقده وكفره
ادب على الاعلان وترك واذا كفر بما ليس بمعهود كفره كالسب ونحوه
قتل وقال ابو حنيفه فى هذا يستتاب **واختلف** اذا سب النبى ثم
اسلم تقيه القتل فالمشهور من المذهب انه يترك وقد قال عليه السلام
الاسلام يجب ما قبله وفى العتبيه انه يقتل ولا يلزم لحسن حال من اسلم
وقوله فقاتلوا ايمه الكفر اى رؤسهم واعيانهم الذين يقودون الناس
اليه وقال قتاده المراد بهذا ابو جهل ابن هشام وعتبه ابن ربيعه وعين بهم
قال القاضى وهذا اذا لم يتاول انه ذكرهم على جهه المثال ضعف لان
الايه نزلت بعد بدر بكثير وروى عن حذيفه انه قال لم يحى منها ولا
بعد **قال** القاضى رضى الله عنه يريد لم ينقرضوا فهم يحيون ابدا
ويقاتلون واصوب ما فى هذا ان يقال انه لا يعنى بها معين وانما وقع
الامر بقتال الناكثين بالعهود من الكفره الى يوم القيامه دون تعيين
واقتصت حال كفار العرب ومحاربى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يكون الاشاره اليهم اولا بقوله ايمه الكفر وهم حصلوا حسب لفظه
اذا الذى يتولى قتال النبى صلى الله عليه وسلم والدفع فى صدر شريعته هو
امام كل من يكفر بذلك الشرع ثم مالى فى كل حين من الكفار ايمه حاصه
بحيل حيل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرا ايمه بهمزه واحده وبعدها
ياء مكسوره وقد روى عن نافع مد الهمزه وروى عنه ان الى اويس
ايمه الكفر بهمزتين واصلها ايمه اصلها افعله جمع امام كعاد
واعماد نقلت حركه الميم الى الهمزه التى هى فاء الفعل وادغمت الميم فى الميم
الاخرى وقلبت الهمزه ياء لانكسارها ولاجتماع همزتين فى كلمه واحده
وقرا عاصم وابن عامر وحمزه والكسائى ايمه والمحلل واحدا الا انهم
لم يقلبوا الهمزه ياء وقرا المسبى عن نافع ائمه بهمزه ممدوده وقرا
هشام عن ابن عامر بمده من الهمزتين وقرا الباقون بالهمز الخفيف لا ايمان
على جمع يمين وليس المراد نفى الايمان حقيقه وانما المعنى لا ايمان لهم يوفى
بها وتبر وهذا المعنى يسيه الايه وقرا الحسن وعطا وابن عامر وحمل
من السبعه لا ايمان وهذا محتمل وجهين احدهما لا تصديق والثانى
وهذا اعم قوى لانه يكرر ورود ذلك انه وصف ايمه الكفر بانهم لا ايمان
لهم فالوجه فى كسر الالف انه مصدر من امنته ايمانا ومنه قوله تعالى
وامنهم من خوف فالمعنى انهم لا يومنون حتى يومن اهل الذمه الكافرون
اذا المسرلون لم يكن لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم فسر الحسن
قراته لا اسلام لهم قال القاضى رضى الله عنه والتكرير الذى قرا ابو على
منه متجه لانه بيان للهم الذى يوجب قتلهم **قوله تعالى** الا
تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدوكم اول
مره اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين قوله الا تقاتلون

غرض وتخصيص وقوله وهموا باخراج الرسول قال الحسن ابن ابى
الحسن المراد من المدينة وهذا مستقيم لعزوه احد والاحزاب وغيرها
قال الكلبى المراد من مكة فهذا على ان يكون المعنى لهموا وفعلوا او على
ان يقال لهموا باخراجه بايديهم فلم يصلوا الى ذلك بل خرج بامر
الله تعالى وهذا الحرى مع اضمار النبى صلى الله عليه وسلم على الى سفيان
ابن الحارث قوله ورددتنى الى الله ما طردت كل مطرد ولا لبست الاحراج
الهم الا اذا كان الكلام فى طريق تلقينهم حاكما الله تعالى واحراج اهله منه
اكبر عند الله وقوله قريتك الى اخر حتك والاول هو على ان فعلوا
به من اسباب الاحراج هو الاحراج وقوله اول مره قيل يراد انها عالم
تكله بالنبى عليه السلام وبالمومنين وقال مجاهد يراد به ما بدا به قريش
من معونة بنى بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان هذا بدؤ النقض وقال الطبرى يعنى فعلهم يوم بدر وقوله
الخشونهم استفهام على معنى التقرير والتوبيخ وقوله والله احق ان تخشوه
الله ابتداء واحق خبره وان يخشوه بدل من اسم الله بدل اشتمال او
فى موضع نصب على اسقاط الحافظ تقديره بان يخشوه ويجوز ان يكون
الله ابتداء واحق ابتداء ثان وان يخشوه خبر الثانى والجملة خبر
الاول وقوله ان كنتم مومنين كما تقول ان فعلت كذا ان كنت رجلا اى ان كنت
كاملا فهذا معناه ان كنتم مومنين كاملين الايمان لان ايمانهم قد كان استقر
وقوله قاتلوهم يعذبهم الله الايه قررت الايات قبلها افعال الكفره
ثم خصص على القتال مقترنا بدنوبهم لتتبعث الحميه مع ذلك فى حزم
الامر تعالى فى هذه الايه مقررا بوعد وكيد بنصر النصره عليهم واللطف
بهم وقوله يعذبهم معناه بالقتل والاسر وذلك عذاب وخزيهم

معا

معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزى الرجل يخزى خزيا اذا أذل من حيث
وقع على عار واخزاه غيره وخزى يخزى خزاية اذا استحيى واما
قوله ويشف صدور قوم مومنين قال الحسن يريد حى خزاعه
المومنين لان ذل من يريد من الكفر هو شفاء منهم صدور المومنين
ويحتمل ان يريد بخصيص قوم من المومنين وروى انهم خزاعه قاله
مجاهد والسدى ووجه تخصيصهم انهم الذين بعض فيهم العهد وانتهم
الحرب وكانوا يومئذ فى خزاعه مومنين كثير وتقتضى ذلك قول الخزاعى
المستنصر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثمت اسلمنا فلم تنزع يدا وفى اخر
الزخر وقتلونا ركعا وسجدا وقراءة جمهور الناس ويذهب غيظ قلوبهم
على اسناد الفعل الى الله عز وجل وقرات فرقه ويذهب غيظ قلوبهم
على اسناد الفعل الى الغيظ وقراءة جمهور الناس وتتوب بالرفع على
القطع مما قبله والمعنى ان الايه استانفت الخبر بانه قد يتوب على
بعضهم ولا الكفره الذين امر بقتالهم قال ابو الفتح وهذا امر
موجود سواء قوتلوا او لم يقاتلوا فلا وجه لادخال التوبه فى جواب
الشرط الذى فى قاتلوهم على قراءة النصب وانما الوجه الرفع على
الاستيناف والقطع وقرا الاعرج وابن ابى اسحق وعيسى الثقفى وعمر
وعبيد وابو عمرو فيما روى عنه وتتوب بالنصب على تقدير وان يتوب
وتوجه ذلك عندى اذا ذهب الى ان التوبه انما يراد بها هاهنا ان قبل
المامور والجهاد فى سبيل الله هو توبه لهم ايها المومنون وكمال الايمان لهم
فتدخل التوبه على هذا فى شرط القتال وعليهم حكم صفاريستهما
الى الايه نسبه واضحه قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا والما

يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
ولجه والله خبير بما تعملون ام في هذه الايه ليست لمجاهد له وانما هي للتوسط
في الكلام وعند سيبويه التي يضمن اضرابا عن اللفظ الاول لا عن معناه
واستفهاما في نسق مستقبل والف الاستفهام وهي التي في قولهم انها لابل
بل ام شاة التقدير بل أهي شاة وقوله ان تتركوا استئناف مفعولي
حسبت وقال المبرد ان وما بعدها مفعول اول والثاني محذوف
قال القاضي كان تقديره مهملين او سدى ونحو ذلك وقوله
ولما هي داخله على لم وهما مبالغة ومعنا الايه اظننتم ان تتركوا دون
اختبار وامتحان ولما في هذه الايه نحو قول الشاعر
"بايدي رجال لم يشموا سيوفهم ولم تكثر القتلى حين سلت"
قال القاضي رضي الله عنه والمراد بقوله ولما يعلم ما يعلم
ذلك موجودا كما علمه ازلا لشرط الوجود ولما يظهر فعلكم
وكتسابكم الذي عليه يقع الثواب والعقاب ففي العباره تجوز والاحتمام
انه قد علم الله في الازل الذين قد وصفهم بهذه الصفه مشروطا وجودهم
ولم يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك وولجه معناه بطانه ودخيله
وقال عباده ابن صفوان العنزي
"ولا يجيهم في كل مبدى ومحضر الى كل من يرجى ومن يتخوف"
وهو ماخوذ من الولوج والمعنا أمرا باطنا مما ينكره الحق وهذه الايه
مخاطبه للمؤمنين معناها انه لابد من اختبارهم فهي لقوله تعالى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنه ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقوله الم أحسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وفي هذه الايه طعن على

المنافقين الذين اتخذوا الولائج لا سيما عند ما فرض القتال وقرأ
جمهور الناس والله خبير بما تعملون بالتاء على المخاطبه وقرأ الحسن ويعقوب
في روايه يونس وسلام بالياء على الحمايه عن الغائب وقوله تعالى ما
كان للمشركين الايه معناه ما كان للمشركين بالحق الواجب ان يعمروا وهذا
هو الذي نفى الله عز وجل والا فقد عمر وا مساجده قديما وحديثا غلبا
وظلما وقرا حماد ابن سلمه عن كثير والحدري مسجد الله بالافراد في الموضعين
وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزه والكسائي والاعرج وشيبه
وابو جعفر ومجاهد وقتاده وغيرهم مساجد بالجمع في الموضعين وقرا
ابن كثير ايضا وابو عمرو مسجد بالافراد في هذا الاول ومساجد بالجمع
في الثاني كما ذكرا ولا الذي فيه النار له ذلك الوقت ثم عمت المساجد
ثانيا في الحكم الثابت ما بقيت الدنيا ولفظ الجمع يقتضي عموم المساجد
كلها ويحتمل ان يراد به المسجد الحرام في الموضعين وحده على تقدير
كل موضع سجود فيه مسجدا ام بجمع ولفظ الافراد في الموضعين
يقتضي خصوص المسجد الحرام وحده ويحتمل ان يراد به الجنس فيعم
المساجد كلها ولا يمنع من ذلك اضافته حادث اليه من لا بصر له
وقال ابو علي الثاني في هذه القراءه يراد به الاول وسائر المساجد كلها
حكمها حكم المسجد الحرام وقوله شاهدين على انفسهم بالكفر اشاره الى
حالهم اذا قوالهم وافعالهم يعصي الاقرار بالكفر والمجاهره وقيل الاشاره
الى قولهم في التلبيه الا شريكا هو لك وعلى السدي عن الطبري انه قال
الاشاره الى النصراني كان يقول انا نصراني واليهودي كذلك والوثني
يقول انا مشرك قال القاضي وهذا لم يحفظ ثم حكم الله تعالى عليهم

روايس

عند سيبويه

بان اعمالهم حبطت او بطلت ولا احفظها استعمل الا فى السعى والعمل ونحوه
ان يكون من الحيط وهو دا قابل باخذ السايمه اذا رعت وبيلا وهو الذى
فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم
قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام
الصلاه واتا الزكوه ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين المعنى
فى هذه الايه انما يعمر مساجد الله بالحق لهم والواجب ولفظ هذه الايه
الخبر وفى ضمنها امر المومنين بعماره المساجد وقد قال بعض السلف اذا
راىتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن وروى ابو سعيد الخدرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راىتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا
عليه بالايمان وقد تقدم القول فى قراءة مسجد وقوله واليوم الاخر
واقام الصلاه وايتاء الزكاه يتضمن الايمان بالرسول اذ لا يتلقى ذلك الا منه
وقوله ولم يخش الا الله حذف الالف من يخشى للجزم قال سيبويه واعلم
ان الاجزاد اكان يسكن فى الرفع حذف فى الجزم ليلا يكون الجزم بمنزله الرفع
ويريد بخشيه التعظيم والعباده والطاعه وهذا مرتبه العلماء من
الناس ولا يمكن ان الانسان يحسى غيره ويحسى المحاذير الدنيويه وينبغى
لمن يخشى من ذلك حكم قضاء الله وتصريفه وعسى من الله تعالى واجبه
حسن ما وقع فى القران ولم يرج الله بالاقتداء الا من حصل فى هذه
المرتبه العظيمه من الحمد لله ففى هذا حض عظيم على التقوى وقرا الجمهور
احعلتم سقايه الحاج وعماره المسجد الحرام وقرا ابن الزبير وابو وجزه
وابو جعفر القارى سقايه الحاج بضم السين وعمره وما من قرا بها سقايه وعماره
فقوا الكلام عنده محذوف اما فى اوله واما فى اخره تقديره كعمل من

امن سقاه وعمره فمط كلامه مستوا واما قراه الضحاك فجمع سقاه
الا ان ضم اوله كما قالوا عرق وعراق وطير وطوار وكان قياسه
ان يقال سقاية من المجموع بجاره وغيره وكان القياس سقايه من
اول امره على التانيث قال ابن جنى وسقايه الحاج كانت فى بنى هاشم
وكان العباس يتولاها قال الحسن لما نزلت هذه الايه قال العباس ما ارانى
الا اترك السقايه فقال النبى عليه السلام اقيموا عليها فهى لكم خير وعماره
المسجد قيل هو حفظه ممن يظلم فيه او يقول هجرا وكان ذلك الى العباس
وقيل هى السدانه خدمه البيت خاصه وكانت فى بنى عبد الدار وكان يتولاها
عثمان بن طلحه واسم ابى طلحه عبد الله بن عبد العزى بن عبد الدار وشيبه
ابن عثمان بن ابى طلحه المذكور هذا زعما ان الدار دفع اليهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم مفتاح الكعبه فى ثانى يوم الفتح بعد ان طلبه العباس وعلى
وقال النبى عليه السلام لعثمان وشيبه وفاء وبر خذوها خالده تالده
لا ينازعكموها الا ظالم **قال** القاضى رضى الله عنه يعنى السدانه
واختلف الناس فى سبب نزول هذه الايه فقيل ان كفار قريش قالوا
لليهود انا نسقى الحجيج ونعمر البيت افنحن افضل ام محمد ودينه فقالت
لهم احبار يهود بل انتم فنزلت الايه فى ذلك وقيل ان الكفار افتخروا بهذه
الاشياء فنزلت هذه الايه واسند الطبرى الى النعمان بن بشير انه قال
كنت عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من اصحابه فقال احدهم ما
ابالى بعد الاسلام الا ان اكون اسقى الحاج وقال الاخر الا ان اكون
خادم البيت وعامره وقال الثالث الا ان اكون مجاهدا فى سبيل الله
فسمعهم عمر بن الخطاب فقال اسكتوا حتى ادخل على النبى صلى الله عليه وسلم

فاستفتيه فدخل عليه فاستفتاه فنزلت الايه فى ذلك وقال ابن عباس والضحاك
ان المسلمين عيروا اسرى بدر بالكفر فقال العباس بالحسن سقاه الحاج وعمره
البيت فنزلت الايه فى ذلك وقال مجاهد امروا بالهجره فقال العباس انا
اسقى الحاج وقال عثمان ابن طلحه انا حاجب الكعبه فلا هاجر فنزلت احعلتم
سقايه الحاج الى قوله حتى ياتى الله بامره وقال مجاهد نسخها قتال قبل فتح مكه
وقال محمد ابن كعب العباس وعثمان وعليا تفاخروا فقال العباس انا ساقى
الحاج وقال عثمان انا عامر البيت ولو شئت بت فيه وقال على انا صاحب
جهاد الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم والذى امنت وهاجرت فذكرا
فنزلت الايه فى ذلك **قوله تعالى** الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجه عند الله واولئك هم الفائزون
يبشرهم ربهم برحمه منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها
ابدا ان الله عنده اجر عظيم لما حكم الله تعالى فى الايه المتقدمه بان
الصنفين لا يستوون بين ذلك فى هذه الايه الاخيره واوضحه فعدد
الايمان والهجره والجهاد بالمال والنفس وحكم ان لهذه الخصال اعظم درجه
عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز
بالنوع البعيد اما فى سبيل رغبا وبجاه من مهلكه او ينظر الى معنى هذه
الايه الحديث الذى جاء دعوا لى اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه **قال القاضى** لان اصحاب هذه
الخصال على سيوفهم ابنى الاسلام وبهم ردوا الناس الى الشرع وقوله
يبشرهم ربهم برحمه منه ورضوان هذه ايه وعد وقرا الناس يبشرهم
ربهم بضم الباء وفتح الباء وكسر الشين المشدده وقرا الاعمش وطلحه

ابن مصرف وحميد ابن يعلال يبشرهم بفتح الباء وسكون الباء وضم الشين خفيفه
واسند الطبرى الى جابر ابن عبد الله انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دخل اهل الجنه الجنه قال الله عز وجل اعطيتكم افضل من هذا كله فيقولون
اى ربنا فاى شى افضل من هذا قال رضوانى وفى البخارى فى كتاب السنه منه احله عليكم
فلا اسخط عليكم ابدا وقرا الجمهور ورضوان بكسر الراء وقرا عاصم
وعمرو ورضوان بضم الراء وقرا الاعمش بضم الراء والضاد جميعا قال
ابو حاتم لا يجوز هذا **قوله** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا ابا لم الايه
ظاهر هذه الايه انها لجميع المومنين كافه فهى باقيه الحكم الى يوم القيامه
وروى فرقه ان هذه الايه انما نزلت فى الحض على الهجره وفرض هجره
الكفار ولم يذكر الابناء بعد اذ الاغلب من البشر ان الابناء هم اتبع
للاباء واخوان فى هذه الايه جمع اخى النسب وكذلك هو فى قوله تعالى
او بيوت اخوانكم وقرا عيسى ابن عمر ان استحبوا بفتح الالف من ان وقرا
الجمهور بكسر الالف على الشرط واستحبوا متضمنه معنى فضلوا واثروا
وكذلك تعدت بعلى ثم حكم الله عز وجل بان من والاهم وانبعهم فى اغراضهم
فانه ظالم اى واضع للشى فى غير موضعه وهذا ظلم المعصيه لا ظلم الكفر
قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره
والله لا يهدى القوم الفاسقين هذه الايه تقوى مذهب من راى ان هذه
والتى قبلها انما مقصودها الحض على الهجره وفى قوله فتربصوا وعيد بين
وقوله بامره قال الحسن الاشاره الى عذاب او عقوبه من الله وقال مجاهد

ما لم يكن هنا الموصل الذى كان وهو
فيكم وعمر هاجر من بلاد الحبشه صوطوا
سما فيها سكنى بلاد الكفر

الاشاره الى فتح مكه المعنا فاذا جاء الله بامر فلم يستطيعوا ما يكون لهم حرزا ومكانا
في الاسلام **قال القاضي** وذكر الابناء في هذه الايه لما جلبت ذكرهم
المحبه والابناء صدر في المحبه وليسوا كذلك ان يتلع آباء لهم كما في الايه
المتقدمه وقراهم جمهور الناس وعشيرتكم وقراعاصم وحمله بخلاف عنه
وابو رجاء وابو عبد الرحمن وعصمه وعشيراتكم وحسن هذا الجمع اذ لكل
واحد عشيره فتختص به وحسن الافراد ان ابا الحسن الاخفش قال انما تجمع
العرب عشائر ولا احاد يقول عشيرات واقترفتموها معناه اكتسبتموها
واصل الاقتراف والمقارفه مقاربه الشي ومجاوره يحسن كسادها بين
في انواع الاموال وقال ابن المبارك الاشاره الى البنات اللواتي لا يرزقن
ولا يوجد لهن خاطب ومساكن جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من السكنى
وما كان من هذا معتل الفاء فانما يأتي على مفعل بكسر العين كموعد وموزن
والمساكن القصور والدور واحب جبر كان وكان الحجاج ابن يوسف
يقرأها احب بالرفع وله في ذلك خبر مع يحيى ابن يعمر سأله الحجاج لعل
سمعتني لحنت قال نعم في هذا الحرف وذكر له رفع احب فتبناه **قال**
القاضي ودلك خارج في العربيه على ان يضمر في كان الامر والشان ولم
يقرأ بذلك وقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين عموم يراد به الخصوص
فمن يوافي على فسقه او عموم مطلق على انه لا يهدي له من حيث الفسق
قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيره ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الايه بعده مخاطبه لجميع
المؤمنين بعدد الله نعمته عليهم ومواطن جمع موطن بكسر الطاء والموطن

موضع الاقامه والحلول لانه اول الاقامه والمواطن المشار اليها بدر
والخندق والنضير وقريظه ولم تصرف مواطن لانه جمع ونهايه جمع
ويوم عطف على موضع قوله في مواطن او على لفظه بتقدير وفي يوم
والحذف حرف الخفض وحنين واد بين مكه والطائف قرب من ذي
المجاز وصرف حنين اريد به الموضع او المكان ولو اريد به البقعه
لم تصرف كما قال الشاعر

نصروا بنيهم وشدوا ازره ... بحنين يوم تواكل الابطال

وقوله اذ اعجبتكم كثرتكم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين
رأى جملته اثنا عشر الفا لن تغلب اليوم من قله وروي ان رجلا من اصحابه
قالها فاراد الله اظهار العجز فطهر حنين فر الناس ثم عطف القدر
بنصره وقوله وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي بقدر ما هي رحبه
واسعه لشده الحال وضعوبتها فما مصدريه وقوله ثم وليتم مدبرين يريد
فرار الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم **قال القاضي** رضي الله عنه واحتضار
هذه المصداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكه وكان في عشره
الاف من اصحابه واضاف اليه الفا من الطلقاء فصاروا اثني عشر
الفا سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له هوازن وانضافها
وعليهم مالك ابن عوف النضري وثقيف وعليهم عبد يا ليل ابن عمرو
واضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين الفا فخرج اليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اجتمعوا بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون
من نحاني الوادي فانهزم المسلمون قال قتاده ويقال ان الطلقاء من اهل
مكه فروا وقصدوا القفاء الهزيمه في المسلمين وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم على بغله شهبا قال ابو عبد الرحمن الفهرى لبت مع النبى صلى الله
عليه وسلم وان على فرس قد اكتنفه العباس عمه وابن عمه ابو سفيان
ابن الحارث ابن عبد المطلب ومن يديه ابن ام ايمن وام قتل رحمه
الله فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم شده الحال نزل عن بغلته الى
الارض قاله البرا ابن عازب واستنصر الله عز وجل واخذ قبضة من
تراب وحصى فرمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه وقال ابو
عبد الرحمن تطاول من فرسه فاخذ قبضه من التراب ونزلت الملايكه لنصره
ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا للانصار وامر رسول الله صلى
الشجره ٢ الله عليه وسلم العباس ينادى ابن اصحاب ابن اصحاب سوره البقره فرجع
الناس عنقا واحدا وانهزم المشركون قال على ابن عطا حدثنى ابناؤهم
عن آبائهم قالوا ولم يبق منا احد الا دخل عينيه من ذلك التراب واستيعاب
بعده القصه فى كتاب السير وظاهر كلام النحاس ان رسول الله صلى الله عليه
كان فى اربعه عشر الفا وبعد اغلط ومدبر بن نصب على الحال المذكوره بقوله
وهو الحق مصدقا والموكده هى التى يذكر ما قبلها على هيئة الاقبال
على الادبار **وقوله** ثم انزل الله سكينته الايه ثم ها هنا على بابها من
الترتيب والسكينه النصر التى سكنت اليه ومعه النفوس والحال و
الاساره بالمومنين الى الانصار على ما روى وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نادى فى ذلك اليوم يا معشر الانصار فانصرفوا لهم رذوا
الهزيمه والجنود الملايكه والرعب قال ابو جاحر يزيد ابن عامر كان فى
اجوافنا مثل ضربه الجحر فى الطست من الرعب وعداب الذين كفروا
هو القتل الذى استحر فيهم والاسر الذى يمكن من ذوارهم وكان مالك

ابن عوف النضرى قد احرج الناس بالعيال والذرارى ليقاتلوا على ما خطاه
فى ذلك دريد ابن الصمه وقال لما لك ابن عوف وهل يرد المنهزم شئ وفى
ذلك اليوم قتل دريد ابن الصمه القتله المشهوره قتله ربيعه ابن رفيع
ابن اهبان السلمى ويقال له ابن الدغنه **وقوله** ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء اعلام بان من اسلم وتاب من الكفار الذين جاوا ذلك اليوم
فانهم مقبولون مسلمون موعدون بالغفران والرحمه **قوله تعالى**
ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم
حكيم قال قتاده ومعمر ابن راشد وعبد الرزاق صفه المشرك بالنجس
انما كانت لانه جنب اذ غسله من الجنابه ليس بغسل وقال ابن عباس
وغيره بل معنى الشرك هو الذى لحسه كنجاسه الخمر قال الحسن البصرى
من صافح مشركا فليتوضا **قال القاضى** ومن قال بسبب الجنابه
اوجب الغسل على كل مسلم من المشركين ومن قال بالقول الاخر لم يوجب الغسل
والمذهب حمله على القول باحاب الغسل الا ابن عبد الحكم فانه قال ليس بواجب
وقرا ابو حيوه نجس بكسر النون وسكون الجيم ونص الله تعالى فى هذه
الايه على المشركين وعلى المسجد الحرام فقاس مالك رحمه الله وغيره جميع
الكفار من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سايرالمساجد على المسجد
الحرام ومنع من دخول الجميع فى جميع المساجد ولذلك كتب عمر ابن عبد
العزيز الى عماله ونزع فى كتابه هذه الايه ويويد ذلك قوله تعالى فى
بيوت اذن الله ان ترفع وقال الشافعى هو عامه فى الكفار خاصه فى المسجد
الحرام فاباح دخول اليهود والنصارى والوسس فى سايرالمساجد ومن

وقرا علقمه وغيره من اصحاب ابن مسعود عائلة وهو مصدر كالقايله
من قال يقيل والعاقبه والعافيه ويحتمل ان يكون نعتا لمحذوف
تقديره حالا عائلة وحكى الطبري انه يقال عال يعول اذا افتقر

قوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزيه عن يد وهم صاغرون هذه الايه تضمنت
قتال اهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يسلموا او يؤدوا الجزيه قال
مجاهد وعند نزول هذه الايه اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة الروم ومشى نحو تبوك ومن جعل اهل الكتاب مشركين فهذه الايه
ناسخه عنده بما فهم من اخذ الجزيه لقوله تعالى قاتلوا المشركين ونفى عنهم
الايمان بالله واليوم الاخر من حيث تركوا شرع الاسلام الذي يجب عليهم
الدخول فيه فصار جميع ما لهم في البعث وفي الله عز وجل من تحيلات
واعتقادات لا معنى لها اذ نلقوها من غير طريقها وايضا فلم يكن اعتقادا تهم
مستقيمه لانهم تشعبوا وقالوا عزير ابن الله والله ثالث ثلاثه وغير
ذلك ولهم في البعث ايضا آراء كثيره منازل اهل الجنه من الربصان وقول
اليهود في النار يكونوا فيها اياما تعدودة ونحو هذا واما قوله ولا يحرموا
ما حرم الله ورسوله فبين ونص على مخالفتهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واما
قوله ولا يدينون فمعناه ولا يطيعون ويمتثلون ومنه قول عايشه
ما عقلت ابوي الا وهما يدينان والدين في اللغه لفظه مشتركه وهي
هاهنا الشريعه وهي مثل قوله ان الدين عند الله الاسلام واما قوله
من الذين اوتوا الكتاب فنص في بني اسرايل وفي الروم واجمع الناس على
ذلك واما المجوس فقال ابن المنذر لا اعلم خلافا في ان الجزيه توخذ منهم

حتى ربط ثمامه ابن اثال وقال ابو حنيفه هي خاصه في عبده الاوثان
وفي المسجد الحرام فاباح دخول اليهود والنصارى في المسجد الحرام
وغيره ودخول عبده الاوثان في سايز المساجد وقال عطا وصف
المسجد بالحرام ومنع القرب منه تقتضي منعهم من جميع الحرم

قال القاضي رضي الله عنه وقوله قوله فلا يقربوا تقتضي امر
المسلمين بمنعهم وقال جابر بن عبد الله وقتاده لا يقرب المسجد الحرام
مشرك الا ان يكون صاحب جزيه او عبدا لمسلم وعنده الاوثان مشركون
باجماع واختلف في اهل الكتاب فمذهب عبد الله ابن عمر وغيره انهم مشركون
وقال جمهور اهل العلم ليسوا بمشركين وقايد هذا الخلاف تباين في
مناكحتهم وذبايحهم وغير ذلك وقوله بعد عامهم هذا يريد بعد
عام تسع من الهجره وهو عام حج ابو بكر واذن على بسوره براءه واما
قوله وان خفتم عيلة فقال عمر وابن فايد المعنى واذ خفتم **قال**
القاضي وهذه عجمة والمعنى بارع بان وكان المسلمين لما منع المشركون
من الموسم وهم كانوا الجلبون الاطعمه والتجارات تقذف الشيطان في
نفوسهم الخوف من الفقر وقالوا من اين نعيش فوعدهم الله بان
يغنيهم من فضله قال الضحاك ففتح عليهم باب اخذ الجزيه من اهل الذمه
بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله وهم صاغرون وقال عكرمه
اغناهم بادرار المطر عليهم **قال القاضي** رضي الله عنه واسلمت
العرب فتمادى خيرهم وتجرهم واغنا الله من فضله بالجهاد والظهور
على الامم والعيله الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر
قال الشاعر ومايدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

قال القاضي رضي الله عنه روى ان رسول الله صلى الله عليه
قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب فقال كثير من العلما معنى ذلك في
احد الجزيه منهم وليسوا اهل كتاب فعلى هذا لم تتعد التشبيه الى
ذبايحهم ومناكحهم وهذا هو الذي ذكره ابن حبيب في الواضحه وقال
بعض اهل العلم معناه سنوا بهم سنة اهل الكتاب اذ هم اهل كتاب
فعلى هذا اتحه التشبيه في ذبايحهم وغيرها والاول هو قول مالك
وجمهور اصحابه وروى انه كان يقول في المجوس بن اسمد زرادشت
واما مجوس العرب فقال ابن وهب لا تقبل منهم جزيه ولا بد من
القتال او الاسلام وقال سحنون ابن القاسم وانهب يوخذ الجزيه من
مجوس العرب والامم كلها واما عبده الاوثان من العرب فلم يستن
فيهم جزيه ولا تقبل منهم الا الارض بشر قال ابن حبيب وانما لهم القتال
او الاسلام وهو قول ابي حنيفه قال القاضي ويوخذ لابن
القاسم ان الجزيه يوخذ منهم وذلك ايضا في التفريع لان الخلاف وهو
احتمال لا نص واما اهل الكتاب من العرب فذهب مالك رحمه الله
الى ان الجزيه يوخذ منهم واشار الى المنع ذلك ابو حنيفه واما السامره
والصابون والجمهور على انهم من اليهود والنصارى يوخذ منهم الجزيه
ويوكل ذبايحهم وقالت فرقه لا يوكل ذبايحهم وعلى هذا لا يوخذ الجزيه منهم
ومنع بعضهم الذبح مع اباحه اخذ الجزيه منهم واما عبده الاوثان
والنيران وغير ذلك فجمهور العلما على قبول الجزيه وهو قول مالك في
المدونه وقال الشافعي وابو ثور لا يوخذ الجزيه الا من اليهود والنصارى
والمجوس فقط ومذهب مالك رحمه الله ان الجزيه لا يوخذ الا من الرجال
البالغين الاحرار العقلا وهو قول الشافعي وابي حنيفه ولا تضرب على

النساء والصبيان والمجانين ولا تضرب على رهبان الديارات والصوامع
المنقطعين قال مالك في الواضحه واما ان كانت ضربت عليهم ثم انقطعوا
بعد ذلك فلا اسقط واما رهبان الكنايس فتضرب عليهم واختلف في الشيخ
الفاني فمن راى ان عليها الا دلال امضاها في الجميع وقال النقاش العقوبات
الشرعيه تكون في الاموال وفي الابدان والجزيه من عقوبات الاموال
واما قدرها فمذهب مالك رحمه الله وكثير من اهل العلم على ما فرضه
عمر رضي الله عنه وذلك اربعه دنانير على اهل الذهب واربعون درهما
على اهل الفضه وفرض عمر رضي الله عنه ضيافه وارزاقا وكسوه قال
مالك في الواضحه وحط ذلك عنهم اليوم بما حدث عليهم من اللوازم فهذا
اخر ما ذكر عن عمر وبه اخذ مالك قال سفيان الثوري روى عن عمر
ضراب مختلفه قال القاضي رحمه الله واظن ذلك بحسب اجتهاد
رضي الله عنه في يسرهم وعسرهم وقال الشافعي وغيره قدر الجزيه دينار
على الراس ودليل ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا ان لك
واخذه جزيه اليمن كله لكل واحد منه معافر وهي ثياب وقال اكثر من اهل
العلم ليس ذلك في الشرع حد محدود وانما ذلك بحسب راي الامام في كل
وقت وبحسب قوم قوم وهذا حاله في العسره واما الصلح فهو ما صولحوا
عليه من قليل وكثير واختلف في المذهب في العبد الذي يعتقه الذمي او
المسلم هل تلزمه جزيه ام لا فقال ابو القاسم لا ينقص احد من اربعه دنانير
كان فقيرا او غنيا وقال اصبغ يحط الفقير بقدر ما يرى من حاله وقال
ابن الماجشون لا يوخذ من الفقير شي والجزيه وزنها فعله من جزى يجزي
اذا كافى عما اهدي اليه فكانهم اعطوها حراما منحوا من الامن ولهي كالفعله

والجمله من هذا المعنى قول ـــــــــ الشاعر

لجرير أو ينبي عليك وان من أثنى عليك بما فعلت كمن جزنى

وقوله عن يد يحتمل تاويلات منها ان يريد سوء الذى يناله لا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون فى ذلك دلاله لك واما ان يريد من نعمه منكم قبلكم فى قولها منهم ونا مينهم واليد فى اللغه النعمه والصنع الجميل ومنها ان يريد عن قوه منكم عليهم وقهر لا سفى لهم معهم رايه ولا معقل واليد فى كلام العرب القوه يقال فلان ذو يد ويقال ليس له بكذا وكذا يد اى قوة ومنها ان يريد ان بعد هذا ولا يوحرونها ما يقول بعد بدًا بيد ومنها ان يريد عن استسلام منهم وانقياد على نحو قولهم القا فلان بيده اذا عجز واستسلم وقوله وهم صاغرون لفظ يعم وجوها لا تخص لكن ربما ذكر منها عن عكرمه ان يكون قابضها جالسًا والدافع من اعلى الخريد قائم وهذا ونحوه داع الى اصغارهم **قوله تعالى** وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انا يوفكون الذى لا شك فى كتب اهل العلم ان فرقه من اليهود تقول هذه المقاله وروى انه لم يقلها الا فنحاص وقال ابن عباس قالها اربعه من احبارهم سلام ابن مشكم ونعمان ابن اوفى وشاس ابن قيس ومالك ابن الصيف وقال النقاش لم يسم يهود تقولها بل انقرضوا **قال القاضى** فاذا قالها واحد فيتوجه ان تلزم الجماعه شنعه المقاله لاجل نباهه القايل فيهم واقوال انبيائهم ابدًا مشهوره فى الناس يحق لها من بعد اصح ان تقول الجماعه تقول نبيها وقرا عاصم والكسائى عزير ابن بتنوين عزير والمعنى ان ابنا على هذا خبر ابتداء على عزير وهذا هو اصح المذاهب لان هذا هو المعنى عليهم وعزير ونحوه ينصرف عجمه كان او عربيًا وقرا نافع

وابن كثير وابو عمرو وابن عامر عزير ابن الله دون تنوين لعزير لاجماع الساكنين ونحوه وقرا من قرا احد الله الصمد قال ابو على وهذا البين الشعر واشد الطبرى فى ذلك لتجدنى بالامير برًا وبالقناة مدعسًا مكرًا اذا عطيف السلمى فرًا **قال القاضى** والالف على هذه القراءه والتاويل تانيث فى ابن وقال بعضهم ان صفه لعزير اذ يقول ابن عمرو وجعلت الصفه والموصوف بمنزله اسم واحد وحذف التنوين اذ اجرى الساكنان دائما التقيا من اجله واحده والمعنا عزير ابن الله معبودنا او الهنا او المعنا معبودنا او الهنا عزير ابن الله **قال القاضى** وعلى هذه القراءه والتاويل ان الحذف الالف من ابن لكنها ثبتت فى خط المصحف فينزح من هذا كله ان قراءه التنوين فى عزير اقوى وحكى الطبرى وغيره ان بنى اسراءيل اصابتهم فتن وجلاء وقيل مرض واذهب الله عنهم التوراه فى ذلك ونسوها وكان علماؤهم قد دفنوها اولما احسوا بذلك البلاء فلما طالت المده فقدت التوراه جمله فحفظها الله عزير اكرامه منه له فقال لبنى اسراءيل ان الله قد حفظنى التوراه فجعلوا يدرسونها من عنده ثم ان التوراه المدفونه وجدت فاذا هى مساويه لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لا شبهه لعزير الا وهو ابن الله وظاهر قول النصارى المسيح ابن الله انها بنوه النسل كما قالت العرب فى الملائكه وكذلك يقتضى قول الضحاك والطبرى وغيرهما وهذا اشنع فى الكفر قال ابو المعالى اطبقت النصارى على ان المسيح الله وانه ابن الاله **قال القاضى** رضى الله عنه ويقال ان بعضهم يعتقد فيها نبوه حنو ورحمه وهذا المعنى ايضا لا يحل ان يطلق النبوه عليه وهو كفر لكن ان الاشكال الذى يدخل رحمه

التناسل ولذلك لفرت اليهود في قولهم عزير ابن الله وقولهم نحن ابناء
الله وانما يوجد في كلام العرب استعارة البنوة عبارة عن حسب
وملازمات تكون بين الأشياء اذا لم يشكل الامر وكان امر النسل بين
الاستحالة مرد لك قول الشاعر
" قد زبتنا الحرب وزبناها فنحن بنوها وهي امنا "
يريد للملازمة ومن ذلك قول حريث ابن محفض
" بنو المجد لم تقعد بهم امهاتهم وآباؤهم اباء صدق فانجبوا "
ومن ابن يعش وابن ما السماء وابن السبيل وجود لك ومنه قول الشاعر
والارض مجلنا وكانت امنا " ومنه احد التاويلات في قوله عليه السلام
الحمى ابنة زنا اي ملازمة والتاويل الاخر ان لا ندخلها مشكل الامر
والتاويل الاول كما تقدم من الصفة والخبر الا ان سعيد بن منصور
اراد نفع لعانها وعزير نبي من ابناء بني اسرائيل وقوله بافواههم تتضمن معنيين
احدهما الزامهم المقالة والتاكيد في ذلك كما قال يكتبون الكتاب بايديهم ولقوله
وطاير بطير بجناحيه والمعنى الثاني قوله بافواههم اي هو سادح لا حجة عليه
ولا برهان عليه بيانه ان يقال بالافواه قولا محررا بغير دعوى ويضاهون
قراه الجماعة ومعناه يحاكون ويماثلون وقراه عاصم وحده من
السبعة وطلحة ابن مصرف يضاهئون بالهمزة على بابه من ضاهاه وهي لغة
نقيف بمعنى ضاهى قال القاضي ومن قال ان هذا ما حود من قولهم
امراة ضهيا وهي التي لا تحيض وقيل التي لا ثدي لها سميت بذلك لانها تضاهي
بالرجال فقوله خطاء قال ابو علي لان الهمزة في ضاهاه اصلية وفي ضهيا زايدة
كحمرا وان كان الضمير في يضاهون لليهود والنصارى جميعا فالاشارة بقوله

الذين

الذين كفروا من قبل هي اما لمشركي العرب اذ قالوا الملائكة بنات الله وهم
اول كافر وهو قول الضحاك واما للامم السالفة قبلها واما للصدر
الاول من كفرة اليهود والنصارى ويكون يضاهون لمعاصري محمد صلى
الله عليه وسلم وان كان الضمير في يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة
في يضاهون لليهود وعلى فسر الطبري وحكاه الزهراوي عن قتادة وقوله
قاتلهم الله دعاء عليهم عام لانواع الشر ومعلوم ان من قاتله الله هو
المغلوب المقتول وحكى الطبري عن ابن عباس ان المعنى لعنهم الله وانى
يوفكون معناه كيف يوجهون وانى ذهبوا وبدل مكان هذا الفعل المقصود
فعل سوء لحق لهم وذلك فصيح في الكلام كما تقول لعن الله الكافر انى
يهلك كانك تحتم عليه بالهلاك وكانه حتم عليهم في هذه الاية بانهم
يوفكون معناه يحرمون ويصرفون عن الخير والارض الما فوقه التي لا
نصيبها مطر قال ابو عبيدة يوفكون يحدون قال القاضي
يريد من قولك رجل محدود اي محروم لا نصيب خيرا ويحتمل ان يكون
قوله تعالى اما يوفكون امر اقدره باي سبب ومن اي وجه يصرفون
عن الحق بعد ما تبين لهم وقاتلهم في هذه الاية بمعنى قتل وهي مما غلبه
مر واحد وهذا حاله بين قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون واحد الاحبار حبر
بكسر الحاء ويقال حبر بفتح الحاء والاول افصح ومنه مداد الحبر اي
مداد العالم وقال يونس ابن حبيب لم اسمعه الا بالكسر وقال الفراء سمعت

فتح الحاء وكسرها في العالم وقال ابن السكيت الحبر بكسر الحاء المداد والحبر
بالفتح العالم والربان جمع راهب وهو الخائف من الرهبة وسماهم
أربابا وهم لم يعبدوهم ولكن من حيث قبلوا الحلال والحرام من جهتهم
وهو من لا يتلقى الا من جهة الله عز وجل وبحو هذا قال ابن عباس وحذيفة
ابن اليماني وابو العالية وحكى الطبري ان عدي ابن حاتم قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا
الصليب من عنقك فسمعته يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله فقلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم فقال اليس
يحلون ما أحلوا وتحرمون ما حرموا فعلت بلى قال فذاك والمسيح
عطف على الاحبار والرهبان وسحار فعل والتقدير أنزله تنزيلا له
واصح من يقول ان اهل الكتاب مشركون بقوله تعالى عما يشركون والغير
يقول ان الحاد قاولا الارباب ضرب ما من الشرك وقد يقال في المرائي
انه اشرك وفي ذلك اثار **وقوله** يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
نور الله تعالى في هذه الاية هداه الصادر عن القران والشرع المثبت
في قلوب الناس فمن حيث سماه نورا سمى محاولة افساده والصد عن وجهه
اطفاء وقال فرقة النور القران **قال القاضي** رحمه الله ولا
معنى لتخصيص شيء مما دخل تحت المقصود بالنور وقوله بافواههم عباره
عن قلة حيلتهم وضعفها اخبر عنهم انهم يحاولون مقاومة امر جسيم
بسعي ضعيف فكان الاطفاء بنفخ الافواه ويحتمل ان يريد بافواههم الاباطيل
عليها مني لانحياز الافواه الى فم سامع وقوله ويابا الحاد يقع لغة
احيانا الا ان ذلك لم يقع هنا موقع الفعل المنفي لان البعد لم يرد

الله الا ان يتم وقال الفراء هو استثناء قد طرح من النفي ورد الجار على
هذه العباره وبيانه ما قلناه **وقوله** هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق الاية رسوله يراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى بالهدى
يعم القران وجميع الشرع وقوله ودين الحق اشاره الى الاسلام والملة
الحنفية وقوله ليظهره قال ابو هريره وجعفر ابن محمد ابن علي وجابر
ابن عبد الله معناه ان الضمير عايد على الدين والاظهار عند نزول عيسى
عليه السلام وكون الاديان كلها راجعة الى دين الاسلام وذلك اظهار قال
القاضي رضي الله عنه فمن هذه الفرقة راى الاظهار على اتم وجوهه
اي حتى لا يبقى معه دين اخر وقالت فرقة ليظهره على الدين اي ليجعله اعلاها
واظهرها وان كان معه غيره كارد وبه **قال القاضي** فهذا لا
يحتاج الى نزول عيسى بل كان هذا في صدر الامة وهو حق الان ارسل الله
وقالت فرقة الضمير عايد على الرسول ومعنى ليظهره ليطلعه ويعلمه
الشرايع كلها والحلال والحرام قال القاضي وهذا التاويل وان كان
صحيحا جايزا فالاخر ابدع منه والبق بنظام الاية واحرى مع كراهيه
المشركين وخص المشركون لفظا بالذكر لما كانت كراهيه مختصة بظهور
دين محمد عليه السلام فذكر المعظم والاول ممن كره ذلك وصدق فيه
وذكر الكافرون في الاية قيل لانها كارهة اتمام نور الله في قديم الدهر
وفي باقيه فعم الكفره من لدن خلق الدنيا الى انقراضها اذ قد وقعت
الكراهيه والاتمام مرارا كثيره **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان
كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
المراد بهذه الاية تقابح المذكورين ونهي المومنين عن ذلك التقابح
ترتيب صمير ذلك واللام في ليطوقون لام التاكيد وصوره هذا الاكل
بانهم ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب وفروضا باسم الحارس
والشمع وغير ذلك مما يوهمون ان السعد فيه من الشرع والتزلف
الى الله وهو حلال ذلك يحتجون تلك الاموال التي ذكر لسلمان في
ذات السيور عن الراهب الذي استخرج كنزه وقيل انها ياخذون منهم
من غلاتهم واموالهم ضرائب باسم حاسة الدين والقيام بالشرع وقتل
كانوا يرشون في الاحكام قال القاضي رضي الله عنه وقوله
بالباطل يعم هذا كله وقوله يصدون الاشبه هنا ان يكون معدى اي
يصدون غيرهم وهذا الترجيح انما هو لبناءه منازلهم في قومهم وصدهم
يستعمل واقفا ومتجاوزا ومنه قول الشاعر

صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

وسبيل الله الاسلام وشرعه محمد عليه السلام ويحتمل ان يريد ويصدونهم
عن سبيل الله في اكلهم الاموال بالباطل والاول ارجح وقوله والذين يكنزون
مبتدا وخبره فبشرهم ويجوز ان يكون الذين معطوفا على الضمير في قوله
ياكلون على نظر في ذلك لان الضمير لم يذكر واسند ابو حاتم الى علي انه
انه قال لما امر عثمان بكتب المصاحف اراد ان ينقص الواو من
قوله والذين يكنزون فاباد ذلك اي كعب وقال لتلحقنها او لاضعن
سيفي على عاتقي ولالحقنها قال القاضي وعلى اراده عثمان نحن

نقول معاوية ان الاية في اهل الكتاب وخالفه ابو ذر فقال بل فينا
فشكاه الى عثمان فاستدعاه من الشام ثم خرج الى الربذة والذي يظهر
من الفاظه انه لما ذكر بعض الاحبار والرهبان الذين ياكلون المال بالباطل
ذكر بعض ذلك بقوله عام بعض الجمهور المانعين حق المال وفر اطلاقه الذين
يصرف الذين يكنزون يعدوا او يكنزون معناه يحبسون ويحفظون في
الاوعية ومنه قول المستحل الهذلي

ورق

لا در درى ان اطعمت نازلهم قرف الحتى وعندى البر مكنوز

اي محفوظ في اوعيته وليس من شروط الكنز الدفن لكن يكثر في حفظه
المال ان يدفنوه حتى نعرف في المدفون اسم الكنز ومن اللفظة قولهم
رجل مكنز الحلق اي مجتمع ومنه قول الراجز

ما ع

على شديد لحمه كانه يزين على اوفاز

والتوعد في الكنز انما وقع على منع الحقوق منه ولذلك قال اكثر من
العلماء الكنز هو المال الذي لا يودى زكاته وان كان على وجه الارض
واما المدفون الذي اخرجت زكاته فليس بكنز حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل مال ادبت زكاته فليس بكنز وهذه الالفاظ منهورة
عن ابن عمر وروى هذا القول عن عكرمة والشعبي والسدي ومالك
وجمهور اهل العلم وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه اربعة الاف فما
دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وان ادبت زكاته وقال ابو ذر وجماعة
معه ما فضل من مال الرجل عن حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان
يقتضيان ان الذم في حبس المال الا في منع الزكاة ولكن قال عمر ابن عبد
العزيز وعلي منسوخ بقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم فانبى فرض

الزكاه على بعد اداله **قال** العاصي رضي الله عنه كان مضمر الايه لا تحموا
مالا فتعذبوا فسحه التقرير الذي في قوله حد من اموالهم والضمير في
قوله سفقونها يجوز ان يعود على الاموال والكنوز التي تضمنها المعنى ويجوز
ان يعود على الذهب والفضه اذ هما انواع وقد عاد على الفضه والتثنى
بضمير الواحد عن ضمير الاحراد افهمه المعنى وبعد انحو قول الشاعر
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحو قول حسان
ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا
وسيبويه يكره هذا الكلام وقد شبه كثير من المفسرين بعده الايه بقوله
تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وبعد لا شبه بها لان اوقد
فصلت التجارة عن اللهو وحسنت عود الضمير على احدهما دون الاخر
والذهب يوث ويذكر والتانيث اشهر وروى ان اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قالوا قد ردم الله لسب الذهب والفضه فلو علمنا اي المال
خير حتى نكسبه فقال عمر انا اسال فلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرد لك فساله فقال لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجه تعين المؤمن على
دينه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت بعده الايه تبا للذهب
تبا للفضه فحينئذ اشفق اصحابه وقالوا ما نقدم والعاني قوله
فبشرهم حوان لما وبخ التوبيخ بالعذاب وذلك ان البشاره بقيد
بالخير والشر فاذا اطلقت لم تحمل الا على الخير فقط وقيل بل تعني ابدا
للخير مني وردت لشر فانما المعنى اقم لهم مقام البشاره عذابا اليما
ونحو قول الشاعر

وخيل قد دلقت لها بخيل تحيه بينهم ضرب وجيع

وقوله

وقوله تعالى يوم يحمى عليها الايه يوم ظرف والعامل فيه اليم وقرا
جمهور الناس بالياء لحمى الوقود وقرا الحسن ابن ابي الحسن تحمى بالتاء من فوق معنى
معنى يحمى النار والضمير في عليها عايد على الكنوز والاموال حسب ما تقدم
وقرا قوم جباههم بالادغام واشمها الضم وحكاها ابو حاتم ووردت
احاديث كثيره في معنى بعده الايه من الوعيد لانها مفسره في مانع الزكوه
فقط لا في كسب المال الحلال وحفظه ويويد ذلك حال الصحابه واموالهم
فمن تلك الاحاديث قوله عليه السلام من ترك بعده كنزا لم تؤد زكاته
مثل له يوم القيامه شجاعا اقرع الحديث واسند الطبري قال كان
نعل سيف ابي بصره من فضه فنهاه ابو ذر وقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ترك صفرا او بيضا كوي بها واسند الحاكم الى امامه
الباهلي قال مات رجل من اهل الصفه فوجد في برده دينار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيه ثم مات اخر فوجد له دينارا ن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان **قال القاضي** رضي الله عنه
وهذا اما لانهما كانا بعيسان من الصدقات وعندها التبر واما لان
هذا في صدر الاسلام ثم قرر الشرع ضبط المال واداء حقه ولو كان
ضبط المال ممنوعا لكان حقه ان يحرج حله لاداه فقط وليس في الايه
من يلزم بعدا وقوله ما كنزتم اشاره الى المال الذي يكوى به ويحمل ان يكون
الى العمل النازل بهم اي بعدا حرا ما كنزتم وقال ابن مسعود والله
لا يمس دينارا دينارا بل يمد الجلد حتى يكوى كل دينار وكل درهم وقال
الاحنف ابن قيس دخلت مسجد المدينه واذا رجل خشن الهيئه رثها يطوف
في الحلق وهو يقول بشر اصحاب الكنوز بكي في جباههم وجنوبهم وظهورهم

ثم انطلق ينزمر وهو يقول وما عسى تصنع بى قريش **قوله تعالى**
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات
والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين
بعده الايه والى بعدها تضمن ما كانت العرب عليه فى جاهليتها
من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمه وادائض ما كانت العرب
تفعله تبين معنى الايات والذى يظاهرت به الروايات وتنفك من
مجموع ما ذكر الناس ان العرب كانت لا عيش لا كثرها الا من الغارات
واعمال سلاحها فكانت اذا نزلت عليهم حرمه ذى القعده وذى الحجه
والمحرم صعب عليهم وأملقوا وكانوا بنواحى مكة اهل دين
فى العرب ومتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فاتتهم القلمس
وهو حذيفه بن عبد فقيم فنسأ الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك
ابنه عباد ابن حذيفه ثم خلفه ابنه أميه ابن قلع ثم خلفه ابنه
عوف ابن أميه ثم خلفه ابنه ابو ثمامه جنادة بن عوف وعليه
قام الاسلام وذكر الطبرى وغيره ان الامر كان فى عدوان قبيلة ملك
ابن حنانه وكانت صورة فعلهم ان العرب كانت اذا فرغت من حجها جاءوا
اليهم من شاء منهم محمحين فقالوا انسينا شهرا اى أخرجنا حرمة المحرم
فاجعلها فى صفر فيجعل لهم المحرم فيغيرون فيه ويعيشون ثم يلتزمون
حرمة صفر ليواطئوا عدة الاشهر الاربعة قال ابن حامد وسمون
ذلك الصفر المحرم ثم سمون ربيع الاول صفرا وربيعا الاخر ربيعا
الاول وهكذا فى سائر الشهور وسمعلوا سنتهم من المحرم الموضوع

وفى نسخة اخرى مقيم

ثم يسقط على بعد احكم المحرم الذى حلل لهم وحى السنه من ثلاثه عشر
شهرا اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى يقول فى الحقيقه صفر ثم استقبال
السنه هذا كرنا فى هذا قال الله عز وجل ان عده الشهور عند الله اثنى
عشر شهرا ليست ثلاثه عشر شهرا قال الطبرى وحدثنى ابن وكيع
عن عمران ابن عيينه عن حصين ابن ابى مالك قال كانوا يحلون السنه
ثلاثه عشر شهرا قال محمد كانوا يحلون فى كل شهر عامين ولا يحلون بعد
ذلك يبدلون فيحلون عامين ولا يحرمون كذلك حتى جاء ابى بكرة وذلك
العدة حقيقه ولهم يسمونه ذا الحجه يوم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنه عشر فى ذى الحجه حقيقه وذلك قوله ان الزمان قد استدار
كهيئه يوم خلق الله السموات والارض السنه اثنا عشر شهرا منها
اربعه حرم ذو القعده وذو الحجه والمحرم ورجب مضر الذى بين
جمادى وشعبان وفى حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطب فى حجه الوداع فساق الحديث وقال فيه اولهن رجب مضر
الذى بين جمادى وشعبان وذو القعده وذو الحجه والمحرم **قال**
العاصى رحمه الله ويحى فى اكثر الكتب انهم كانوا يحلون حرمة المحرم
فى صفر ويسكت عن تمام القصه والذى ذكرناه هو بيانها واما كون
المحرم اول السنه العربيه الشرعيه وكان حقه اذا التاريخ من
اول المحرم ان يكون السنه من ربيع الاول فان ذلك فيما يروى
لان عمر ابن الخطاب دون ديوان المسلمين وجعل تاريخه المحرم اذ قبله
انقضا الموسم والحج فكان الحج حامد للسنه واعتد بعام الهجره وان
كان قد نقص من اوله شئ ولما كانت سنه العرب هلالية يبدأ العام

من اول سهر ولم يكن في الثاني عشر من ربيع الاول الذي يقول يوم حول النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة ولكن عند تمام الحج لانه لم يسر شهرا ما الا اربعة
الحرم فهي ذو القعده وذو الحجه والمحرم ورجب ومعنى قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان فصل التفرقه
بينه وبين ما كانت تفعله قبايل ربيعه باسرها فانها كانت ترجبها رمضان
ويحرمه ابتداء عامها وكانت قريش ومن تابعها في ذلك من قبايل مضر
على الحق فعرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ونسبه الى مضر اذ
كان جله وجوده انما كان من قبل قريش وفي المعضليات لبعض شعراء
الجاهليه وسهر ني اميد والهدايا قال الاصمعي يريد رجبا وقرا ابو
جعفر ابن القعقاع اثنا عشر شهرا بسكون العين وذلك بخفف
لتوالي الحركات وكذلك قرا احد عشر وتسعة عشر وقوله في جنات
عدن اي فيما كتبه واثبته في اللوح المحفوظ وغيره فهي صفة فعل مثل
خلقه ورزقه وليست بمعنى قضايه وتقديره لان تلك هي قبل السموات
والارض والجناب الذي هو المصدر هو العامل في يوم وفي من قوله
في جنات الله متعلق بمستقره او نابته ونحوه ويقال ان بطون الجناب
القران في هذا الموضع وناتل ولا سعلق في بعد للتفرقه بين الصله
والموصول لخبر ان وقوله منها اربعة حرم نص على تفصيل هذه
الاربعه رسولها قال قتاده اصطفا الله تعالى من الملايكه والبشر
رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقاع المساجد ومن الايام يوم
الجمعه ومن الليالي ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغي ان يعظم ما عظم
الله وقوله ذلك الدين القيم قالت فرقه معناه الحساب المستقيم وقال

البيت

لجعل

ابن عباس فيما حكى المهدوي عنه معناه القضاء المستقيم قال القاضي
رضي الله عنه والصواب عندي ان يكون الدين هنا على اشهره وجوهه اي
ذلك الشرع والطاعه لله القيم اي القايم المستقيم وهو من قام يقوم
مثل سيد من ساد يسود اصله فيوم وقوله فلا تظلموا فيهن انفسكم
الضمير عايد على الاثني عشر اشهرا اي لا تظلموا انفسكم بالمعاصي في الزمن
كله وقال قتاده الضمير عايد على الاربعه الاشهر ونهي عن الظلم فيها شرفا
لها بالتخصيص والذكر وان كان منهيا عنه في كل الزمن وزعم الفراء ان العرب
تكني عن ما دون العشره من الشهور فيهن وعن ما فوق العشره
فيها وروى عن الكسائي انه قال اني لا تعجب من فعل العرب هذا ولذلك
يقولون فيما دون العشره من الليالي خلون وفيما فوقها خلت وقال
الحسن معنى فيهن اي بسببهن ومن جزائهن في ان تحلوا حرامها ويدل لهذا
ما الاحرمه له وحكى المهدوي انه قال لا تظلموا فيهن انفسكم بالقتال
ثم نسخ بفرض القتال في كل زمن قال سعيد ابن المسيب في كتاب الطبري
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم القتال في الاشهر الحرم بما
انزل الله في ذلك حتى نزلت سوره براءه قال القاضي رضي الله
عنه وقوله وقاتلوا المشركين معناه فيهن واحرى في غيرهن وقوله
كافه معناه جميعا وهو مصدر في موضع الحال قال الطبري كالعايه
والعافيه فهو على هذا تقول خاصه وعامه فيظهر ايضا انه من كف
يكف اي جماعه تكف من عارضها ولذلك يقال الحافه اي يكف من خالفها
فالقطع على هذا اسم فاعل وقال بعض الناس معناه مكفوفين بعضهم
عن التخلف وما قدمناه اعم واحسن وقال بعض الناس جاز الفرض

بهذه الآية قد توجه على الاعيان نسخ ذلك وجعل فرض كفاية
قال القاضي وهذا الذي قالوه لم يعلم قط من سوء الرأي انه الزم
الامة جميعا النفر وانما معنى هذه الآية الحض على قتالهم والتحزب عليهم
وجمع الكلمة في قتالهم بقوله حاربوا المشركين كافة فحسب قتالهم واجتماعهم لها
يكون فرض اجتماعنا لهم واما الجهاد الذي يتندب الله فانما هو فرض على
الكفاية اذا قام به بعض الامة سقط عن الغير وقوله واعلموا ان الله
مع المتقين حث في ضمنه امرا بالتقوى ووعد عليها بالنصر والتاييد
قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم
الكافرين النسيء على وزن فعيل مصدر بمعنى التاخير يقال انسأ الله في اجلك
وينسأ في اجلك ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من سره النسأ في
الاجل والسعة في الرزق فليصل رحمه وقرأ حمزة والكسائي والاعمش
النسي كما تقدم وقرأ الكسر فيما روي عنه جعفر بن محمد النسيء وقرأ الباقون
فيما روي عنه النسيء على وزن النسع وقرأت فرقة النسيء بالمد والهمز
فقال ابو علي هو مصدر كالندير والنكير وعزيرا والطير الحي ولا يحور ان يكون فعلا
بمعنى مفعول لانه يكون المعنى انما الموخر زيادة والموخر الشهر ولا يكون
الشهر زيادة في الكفر **قال القاضي** وقال ابو حاتم هو فعيل بمعنى
مفعول وسنفصل عن الزام اي على ان يقدر مضاف كان المعنى انسأ النسيء
وقال الطبري هو من معنى الزيادة اي زيادتهم في الاشهر وقال ابو وائل
كان النسيء رجلا من بني كنانة **قال القاضي** وهذا ضعيف واما النسيء
فهو الاول بعد خفقت الهمزة وقيل قلبت الهمزة ياء وادغمت ياء فعيل في الياء

واما

نقله التلمساني

وهو معنى السادس والسبعين
الاول وما اضافه وروي عنه

واما النسيء فهو مصدر من نسأ اذا اخر واما النسيء فهو تحقيق هذه
النسيء ودليل على غير قياس وقال الطبري هو مصدر من نسأ ينسيء
اذا اخر **قال القاضي** وهو فعل العرب في تاخيرهم الحرمة
وقوله زيادة في الكفر اي حار مع كفرهم بالله وحلالهم للحرم والكفر
منكر بهذا الفعل الذي هو باطل في نفسه **قال القاضي**
ومما وجد في اشعارها وهذا المعنى قول بعضهم ومنا منسيء
الشهور القلمسي وقول الاخر نسئ السهور بها وكانوا
أهلها من قبلكم والعز لم تحول ومن قول حذل الطعان
وقد علمت سعد ان قومي كرام الناس ان منهم كراما
فان الناس فانونا بيوتر واي الناس لم تعلك لجاما
الا نسأ الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمر وعاصم وابن عامر يضل بفتح الياء وكسر
الضاد وقرا ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمر وابن ميمون
يضل بضم الياء وكسر الضاد فاما على معنى يضل الله واما على معنى
يضل به الذين كفروا اتباعهم فالذين في التاويل الاول في موضع
نصب وفي الثاني في موضع رفع وقرا عاصم ايضا وحمزة والكسائي
وابن مسعود فيما روي عنه يضل بضم الياء وفتح الضاد على المفعول
الذين لم يسم فاعله ويؤيد ذلك قوله زين للتناسب في اللفظ وقرا ابو
رجاء يضل من ضل على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها وهي لغتان
يقال ضل يضل وضل يضل والوزن الذي ذكرنا يفرق بينهما ولذلك
روى قول النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضل الرجل لم ضل بفتح الضاد وكسرها

وقوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من الاعوام
وليس يريد ان ذلك كانت مداولة في الشهر بعينه عام حلال
وعام حرام **قال القاضي** وقد تاول بعض الناس القصه
انهم كانوا اداسئق عليهم توالي الاشهر الحرم احل لهم المحرم وحرم
عليهم صفر بدلا منه ثم مشت الشهور مستقبمه على اشباهها المعهوده
فاذا كان من قابل حرم المحرم على حقه واحل صفر ومشت الشهور
مستقيمة وراث هذه الطائفه ان هذه كانت حال القوم **قال**
القاضي والذي قدمناه قبل اليق بالفاظ الايه وقد بينه مجاهد
وابو مالك وهو مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد
استدار مع ان هذا الامر كله قد تقضى والله اعلم اي ذلك كان
وقوله ليواطئوا معناه ليوافقوا والمواطاه الموافقه يقال
تواطا الرجلان على كذا اذا توافقا عليه ومعنى ليواطيوا عدة ما
حرم الله ليحفظوا في كل عام اربعة اشهر في العدد **قال القاضي**
فازالوا الفضيله التي خص الله بها الاشهر الحرم وحدها بمثابه
ان يفطر احد في رمضان ويصوم شهرا من السنه لعذر مرض او سفر
وقوله زين يحتمل ان يضاف هذا التزيين الى الله تعالى والمراد به خلقه
للكفر لهم واقرارهم عليه وتحبيبه لهم ويحتمل ان يضاف الى معبوديهم ومضلهم
من الانس والجن م اخبر تعالى انه لا يهديهم ولا يرشدهم وهذا عموم
معناه الخصوص في الموافين على الكفر وعموم مطلق لا كن لا هدايه من
حيث هم كافرون **قال القاضي** وذكروا على البعد ادخل في امر
النسي انه كان اذا صدر الناس من منى اقام رجل يقال له نعيم ان نعليه

فيقول

فيقول انا الذي لا اعاب ولا يرد لي قضاء فيقولون انسينا شهرا اي
اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر **قال القاضي** واسم
نعيم لم نعرف في هذا وما ادري ذلك الا كما حكي ان القلامس في بني
كانوا يسمون القلامس واحدهم قلمس وكانوا يفتون العرب في
موسمهم يقوم كبيرهم في الحج ويقوم اخر عند الباب ويقوم اخر
عند الرمل فيفتون **قال القاضي** فهم على هذا عدة منهم نعيم
وصفوان ومنه ذرية القلمس حذيفه وغيرهم **قال القاضي**
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر
فقال بعض الناس انه يريد بقوله لا صفر هذا النسي وقيل غير ذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخره فما متاع الحياه
الدنيا في الاخرة الا قليل هذه الايه بلا خلاف نازله عتابا على تخلف من تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكانت سنة تسع من
الهجره بعد الفتح بعام غزاها الروم بعشرين الفا من راكب وراجل
وتخلف عنه قبايل من المسلمين ورجال من المؤمنين لكثرة ومنافقون
فالعتاب في هذه الايه هو للقبايل والمومنين الذين كانوا بالمدينه وخص
الثلاثه كعب ابن مالك ومراره ابن الربيع وهلال ابن امية بذلك التذنيب
الشديد بحسب مكانهم من الصحبه اذ هم من اهل بدر ممن يقتدى بهم وكان
تخلفهم لغير علة حسب ما ياتي وقوله ما لكم استفهام بمعنى التقرير
والتوبيخ وقوله قيل يريد النبي عليه السلام الا ان صرفة الفعل الى المجهول
فاعله يقتضي اغلاظا وتخاشنا ما والنفر هو التنقل من مكان الى مكان

لامر يحدث يقال في ان ادم نفر الى الامر ينفر بضم الفاء نفورا وقوله
اثاقلتم اصله تثاقلتم ادغمت التاء في الثاء فاجتلبت الف الوصل كما قال
راتم وكما يقول ازين وكما قال ـــــــــ الشاعر

تولى الضجيع اذا ما استافها خصرا عذبت المذاق اذا ما انابع القبل

الهروي

وقرا الاعمش فيما حكى المهدوي وغيره تثاقلتم على الاصل وذكرها ابو
حاتم تثاقلتم بتاءين ثم مثله وقال هي خطأ وغلط وصوب تثاقلتم
بتاء واحدة وتاء مثله ان لو قرئ بها وقوله اثاقلتم الى الارض عباره
عن تخلفهم ونكولهم وتركهم الغزو لسكنى ديارهم والتزام تحلهم وظلالهم
ونحو من الخلد الى الارض وقوله ارضيتم تقرير لقول ارضيتم نزر
الدنيا على خطر الاخرة وحظها الاسعد ثم اخبر فقال ان الدنيا
بالاضافة الى الاخرة قليل نزر فتعطى قوة الكلام التعجب من ضلال
من يرضى النزر بدل الكثير الباقي **وقوله** الا تنفروا الايه ان لا
تنفروا بعد بكم شرط وجواب وقوله يعد بكم لفظ عام يدخل تحته
انواع عذاب الدنيا والاخرة والتهديد لعمومه اشد تخويفا وقالت
فرقة يريد يعد بكم بامساك المطر عنكم وروى عن ابن عباس انه قال استنفر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيله من القبايل فتعذرت فامسك الله عنها
المطر وعذبها به واليم بمعنى مولم بمنزله قول عمر وان محدثي امر ليحانة
الذاعي السميع يريد المسمع وقوله ويستبدل قوما غيركم توعد بان
يبدل لرسوله قوما لا يتعذرون عن استنصاره اياهم والصمير في قوله
ولا يضروه شيئا عايد على الله عز وجل اي لا ينقص ذلك من عزه وعز
دينه ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليق وقوله والله

على كل شئ قدير اي على كل شئ مقدور وتبديلهم منه ليس بمحال ممتنع

قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين
كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم هذا ايضا
شرط وجواب والجواب اضافي الفاء من قوله فقد ونصبا بعدها
قال النقاش لهذه اول ايه نزلت من سورة براءة ومعنى الايه انكم ان تركتم
نصره فان الله متكفل به اذ قد نصره في موضع اقله والانفراد وكثرة
العدد فنصره الله اليوم احرى منه حينيذ وقوله اذ اخرجه الذين كفروا
يريد فعلوا من الافاعيل ما ادى الى خروجه واسند الاخراج اليهم اذ
المقصد تدبيرهم ولما كان مقصد ابي سفيان ابن الحارث النخعي في قوله طردت
كل مطرد لم يقدره النبي عليه السلام والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مكة الى المدينة وفي صحبته ابي بكر واختصار القصة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر اذن الله عز وجل في الهجرة من مكة وكان
ابو بكر حين نزل ذمة ابن الدغنة قد اراد الخروج من مكة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصبر فلعل الله ان يجعل لك صحبة فلما اذن الله لرسوله في
الخروج تجهز في دار ابي بكر وخرجا فبقيا في الغار الذي في جبل ثور في
عزي مكة ثلاث ليال وخرج المشركون في اثرهما حتى انتهوا الى الغار فطمس الله
عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو نظر احدهم
الى قدميه لرانا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما ويروى
ان العنكبوت نسجت على باب الغار ويروى ان الحمامة عششت عند باب الغار

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر ان يجعل ثلاثا في باب الغار
فتحيله المشركون ثابتا وصرفهم الله عنه ووقع في الدلايل في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم انه نبت على باب الغار اراكة امرها الله بذلك
في الحس قال الاصمعي جمعها اراك وهي شبان السهل وتروى ان ابا بكر لما
دخل الغار خرق ردآءه فسد به كوى الغار ليلا يكون فيها حيوان يؤذي
النبي صلى الله عليه وسلم وروى انه بقيت واحدة فسد بها رجله فوقى
الله تعالى وكان يروح عليهما بالبن عامر بن فهيرة مولى ابي بكر وقوله
ثاني اثنين معناه احد اثنين وهذا كان ثلاثة ورابع اربعة فاذا اختلف
اللفظ قلت رابع ثلاثة والمعنى صيرا الثلاثة بنفسه اربعا وقرا جمهور الناس
ثاني اثنين بنصب الياء من ثاني قال ابو حاتم لا يعرف غير هذا وقرات
فرقد ثاني اسر بسكون الياء من ثاني وقال ابو الفتح حكاها ابو عمرو ابن
العلاء وجهها انه سكن الياء تشبيها لها بالالف **قال** القاضي وهي لقراءة
الحسن ما بقي من الربا وكقول ـــــ جرير ـــــ

هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

وصاحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وروى ان ابا بكر الصديق قال
يوما وهو على المنبر ايكم يحفظ سورة براءة فقال رجل انا فقال اقرا فقرأ
فلما انتهى الى قوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا قال وقال الله
انا صاحبه وقال الليث ما صحب الانبياء عليهم السلام مثل ابي بكر الصديق
وقال سفيان ابن عيينة حرح ابو بكر بهذه الاية من المحابة الى ج
الا نصروه **قال** القاضي رضي الله عنه اقول بل حرح منها كل شاهد من
غزوة تبوك ولم يتخلف وانما المعاتبة لمن تخلف فقط اما ان هذه الاية

منوهة فقط حاكمة بقدمه وسابقته في الاسلام رضي الله عنه وقوله
ان الله معنا مريد بالنصر والاخاء واللطف وقوله تعالى فانزل الله سكينته
عليه الاية قال حبيب ابن ابي ثابت الضمير في عليه عائد على ابي بكر لان النبي عليه
السلام لم يكن النفس ثقة بالله **قال القاضي** وهذا قول من لم
ير السكينة الا سكون الحاش والنفس وقال جمهور الناس الضمير عائد
على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اقوى والسكينة عندي انما هو ما ينزله
الله على انبيائه من الحياط لهم والحصايص التي لا تصلح الا لهم كقوله تعالى
فيه سكينة من ربكم ويحتمل ان يكون قوله فانزل الله سكينته الى اخر الاية
يراد به ما صنع الله لنبيه الى وقت نبوك من الظهور والفتوح لا ان
تكون هذه الاية تختص بقصة الغار والنجاة الى المدينة فعلى هذا تكون
الجنود الملايكة النازلين ببدر وحنين ومن راى الاية تختص بتلك
القصة قال الجنود ملايكة الله بشروه بالنجاة وبان الكفار لا يصلون لهم
سعى وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما وايدهما وقرا مجاهد
وايدهما بالغين والجمهور وايده بشد الياء وقوله وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى يريد بادبارها ودحضها وادلالها وكلمة الله هي العليا
قيل يريد لا اله الا الله وقيل الشرع باسره وقرا جمهور الناس بالرفع
على الابتدا وقرا الحسن ابن ابي الحسن ويعقوب وكلمة بالنصب على
تقدير وجعل كلمة قال الاعمش ورايت في مصحف انس ابن مالك المنسوب
الى ابي بن كعب وجعل كلمته هي العليا **قوله تعالى** انفروا خفافا
وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
هذه الاية امر من الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالنفير الى الغزو

وقال بعض الناس هذا أمر لجميع المومنين بعينه الفرض على الاعيان
في تلك الايام بسبب الله عز وجل بقوله وما كان المومنون لينفروا
كافة وروى ذلك عن الحسن وعكرمة وقال جل الناس بل هذا حض
والامر في نفسه موقوف على فرض الكفاية ولم يقصد بالآية فرضه
على الاعيان واما قوله خفافا وثقالا فنصب على الحال من الضمير
في قوله انفروا ومعنى الخفة والثقل ها هنا مستعار لمن يمكنه السفر
بسهوله ومن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالاعمى ونحوهم فحاجز
عن هذا وروي ان ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعلي ان
انفر فقال له نعم حتى نزلت ليس على الاعمى حرج وذكر الناس في معاني
الخفة والثقل اشياء لا وجه لتخصيص بعضها دون بعض بل لفظ وجوه
متفقة فعمل الخفيف الغني والثقيل الفقير قاله مجاهد وقيل الخفيف
الشاب والثقيل الشيخ قاله الحسن وجاعة وقيل الخفيف النشيط
والثقيل الكاسل قاله ابن عباس وقيل المشغول ومن لا شغل له قاله
الحكم ابن عيينة وزيد ابن علي وقيل الذي له صنعة وهو التقل والذي لا
صنعة له هو الخفيف قاله ابن زيد وقيل الشجاع هو الخفيف والجبان
هو الثقيل حكاه النقاش وقيل الراجل هو الثقيل والفارس هو الخفيف
قاله الاوزاعي **قال القاضي** وهذان الوجهان الاخيران ينعكسان
وقد قيل ذلك ولكنه بحسب وطاهم على العزو فالشجاع هو الثقيل وكذلك
الفارس والجبان هو الخفيف وكذلك الراجل وكذلك يعكس الفقر والغنا
فلون الاعمى هو الثقيل بمعنى صاحب الشغل ومعنى هذا ان الناس امروا
جملة وهذه الاقوال انما هي على معنى المثال في الثقل والخفة وقال ابو طلحة

اسمع الله عذرا احدا وحج الى الشام فجاهد حتى مات وقال ابو الدرداء
ما اجدني ابدا الا خفيفا او ثقيلا وروى ان بعض الناس راى في بعض
غزوات الشام رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فقال له
يا عم ان الله قد عذرك قال يا ابن اخي انا قد امرنا بالنفر خفافا وثقالا
واسند الطبري عن من راى المقداد ابن الاسود وهو محص على تابوت
صراف وقد فصل على التابوت من سمنه وهو يتهيأ للغزو فقال له
لقد عذرك الله فقال امتع علينا سوره البحوث انفروا خفافا وثقالا
وروى سوره البحوث وقوله باموالكم وانفسكم وصف لاكمل ما يكون
من الجهاد وانفعه عند الله تعالى فحض على كمال الاوصاف وقدمت
الاموال في الذكر اذ هي اول متصرف في البحر فرتب الاموال كما هو في نفسه
ثم اخبر ان ذلك لهم خير للغفور رضي الله وغلبة العدو ووراثة الارض
وفي قوله ان كنتم تعلمون تنبيه وهز للنفوس **وقوله** تعالى لو كان
عرضا قريبا الآية ظاهر هذه الآية وما لحفظ من قصة تبوك ان الله لما
امر رسوله بغزو الروم صلب اليه وكان ذلك في شدة من الحر وطيب
من الثمار والظلال فنفر المسلمون واعتذر منهم لا محالة فريق لا سيما
من القبائل المحاوره للمدينة ويدل على ذلك قوله في اول هذه الآية يا ايها
الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض لان
هذا الخطاب ليس للمنافقين خاصة بل هو عام واعتذار المنافقون باعذار
كاذبة وكانوا بسبيل كسل مفرط وقصد التخلف وكانت اعذار المومنين
حقيقة ولكنهم تركوا الاولى من التحامل ونزلت ما سلف من الاباء في عتاب
المومنين ثم ابتدا امن بقية الآية ذكر المنافقين وكشف ضمايرهم فيقول

لو كان بعد الغزو لعرض اى لمال وعنيمة تنال قريبا بسفر قاصد بير
لبادروا اليه لا لوجه الله ولا لظهور كلمته ولكن بعدت عليهم الشقة
فى عمر والروم اى المسافة الطويلة وذكر ابو عبيدة ان اعرابيا قدم
البصرة وكان قد حمل حمالة فحزن عنها وكان بعد ان له يسمى الاخوص
فبادر الاخوص اباه بالقول فقال انا من قوم تعلمون وانبأ سبيل وحينا
من شقة وتطلب فى حق وتنطوتنا وحزبكم الله فتهيأ ابوه للحطب
فقال له ها اياك انى قد كفيتك **قال** القاضى رضى الله عنه ها
تنبيه واياك نهى وقرأ عيسى ابن عمر الشقة بكسر الشين وقرأ الاعرج
بعدت بكسر العين وحكى ابو حاتم انها لغة بنى تميم فى اللفظتين
وقوله وسيحلفون بالله يريد المنافقين وهذا اخبار بغيب وقوله
يهلكون انفسهم يريد عند تحلفهم بجائرة وكفرهم فانهم يوجبون
على انفسهم الحتم بعذاب الله ثم اخبر ان الله اعدل الشاهدين بعلم كذبهم
وانهم كانوا يستطيعون الخروج ولكنهم تركوه كفرا ونفاقا وهذا حكم
فى الجملة لا يتعين شخص ولو عين لقتل بالشرع وقرأ الاعمش على جهة التشبيه
بواو الجماعة لو استطعنا بضم الواو وذكره ابن جنى ومثله بقوله
تعالى لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور واشتروا الضلالة
وما اشبهه **قوله تعالى** عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك
الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون
فى صنف مبالغ فى النفاق واسناد نوادر واعتذار منهم عبد الله ابن
ابى والحارث بن قيس ورفاعة ابن التابوت ومن اتبعهم قال بعضهم اذن

اذن لى ولا تفتنى وقال بعضهم ايذن لنا فى الاقامة فاذن لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم استبقاء منه عليه السلام واحدا بالاسهل من الامور
وتوكلا على الله وقال مجاهد ان بعضهم قالوا نستاذنه فان اذن فى
القعود قعدنا والا قعدنا فنزلت الاية فى ذلك وقالت فرقة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذن لهم دون ان يومر بذلك فعفى عنه مالم يلحق
من بعدا وقد ذكر العفو قبل العتاب ارامانا له صلى الله عليه وسلم وقال
عمرو ابن ميمون الاسدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع برايه
فى قصتين دون ان يومر فيهما بشى بعده وامر اسارى بدر فعاتبه الله
فيهما وقالت فرقة بل قوله فى بعده الاية عفا الله عنك استفتاح كلام
كما تقول اصلحك الله واعزك ولم يكن منه عليه السلام ذنب يعفى عنه
لان صوره الاستئثار وقبول الاعذار مصرح وفداى اجتهاده واما
قوله لم اذنت فهى على معنى التقرير وقوله الذين صدقوا ابرز انهم
استاذنوك يطهرون لك انهم يقفون عند حدك وهم كذبة قد عزموا
على العصيان اذنت لهم اولم تاذن قال الطبرى معناه حتى تعلم الصادقين
فى انهم عذر والكاذبين فى ان لا عذر لهم **قال القاضى** وعلى هذا
التاويل يحتاط المجتهدون وقد قدمنا ان فيهم مومنين بالمستاذنين
وهم لا يومنون بالله واليوم الاخر والاول اصوب وادخل الطبرى
ايضا فى تفسير هذه الاية عن قتادة ان هذه الاية ترلت بعد الاية
الاخرى التى فى سورة النور واذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن
شئت منهم **قال القاضى** وهذا غلط لان النور ترلت سنة اربع
من الهجرة فى غزوة الخندق فى استيذان بعض المومنين رسول الله

صلى الله عليه وسلم في بعض شانهم في بيوتهم في بعض الاوقات فاباح الله
أن يأذن فتبانيت الاسان في الوقت والمعنى وقوله لاستاذنك الايه
نفي عن المومنين ان يستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف دون
عذر كما فعل الصنف المذكور من المنافقين وقوله ان يجاهدوا يحتمل
ان يكون ان في موضع نصب على معنى لاستاذنك في التخلف كراهية أن
يجاهدوا قال سيبويه ويحتمل ان يكون في موضع خفض على معنى لا
يحتاجون الى ان يستاذنوا في ان يجاهدوا بل يضون نديا فهم احرياء ان
لا يستاذنوا والمتخلفهم احبر بعلمه تعالى بالمتقين وفي ذلك تحبير للمنافقين
وطعن عليهم بين قوله تعالى انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله
واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
هذه الايه نص على ان المستاذنين انما هم مخلصون النفاق وارتابت قلوبهم
معناه شكت والريب نحو الشك وتردد ون اي يتحيرون لا يجدلهم لعلك
ومن هذه الايه نزع اهل الكلام في حد الشك انه تردد بين امرين والصواب
في حده اند توقف بين امرين والتردد في هذه الايه هو في ريبهم ولا المنافقين
اذا كانوا لم يطرلهم في صحة امر النبي صلى الله عليه وسلم احيانا ولا لموا شاكين
طالبين للحق لانه كان يتضح لهم لو طلبوه بل كانوا مترددين لا الى هؤلاء ولا
ولا الى هؤلاء كالشاة العائرة بين الغنمين وايضا فبين الشك والريب
فرق ما وحقيقة الريب انما هو الامر يستريب به الناظر فيخلط عليه
عقيبه فربما ادى الى شك وحيره وربما ادى الى علم ما في النازلة التي هو
فيها الا ترى قول المهلهل كانبي اريتم بريب لا نجد ان يفسر بشك قال

الطبري

الطبري وكان جاعة من اهل العلم يروون ان هاتين الايتين الاخيرتين منسوختين بالايه
التي ذكرناها في سوره النور واستدل الحسن وعكرمة انهما قالا في قوله
لا يستاذنك الذين يومنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختها الايه
التي في النور انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله الى اخر الايه قال
القاضي هذا غلط وقد تقدم ذكره وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج الايه
تحد على المنافقين اي ولو ارادوا الخروج بنياتهم لنظروا في ذلك واستعدوا
له قبل كونه والعده ما يعد للامر ويروى له من الاشياء وقرا جمهور الناس
عدة بضم العين وتاء تانيث وقرا محمد ابن عبد الملك ابن مروان وابنه
معاويه ابن محمد عدة بكسر العين وها اضمار بريد عدة فحذفت تاء
التانيث حكاه قال واقام الصلاة يريد واقامة الصلاة هذا قول الفراء وضعفه
ابو الفتح وقال انما حذف تاء التانيث وجعل تاء الضمير بدلا منها وقال
ابو حاتم هو جمع عدة على عدي كبرة وبري ودرة ودري والوجه فيه عدد
ولكن لا بوا فوخط المصحف وقرا عاصم فيما روى عنه ابان وزر ان جيش
عدة بكسر العين وتاء الضمير وهو عندي اسم لما يعد كالذبح والقتل
لان الغزو سمي قتلا ادحفه ان يقتل وهذا في معتقد العرب حين سمته
وانبعاثهم تقودهم لهذه الغزوه والتثبيط وكسر العزم وقوله وقيل لهم
ان يكون حكاية عن الله عز وجل اي وقال الله في سابق قضايه لهم اقعدوا مع القا
عدين ويحتمل ان يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض اما
لفظا واما معنا فحكى في هذه الايه الالفاظ التي يقتضي لهم مذمة اذ القا
عدون النساء والاطفال ويحتمل ان يكون عبارة عن اذن محمد صلى الله عليه وسلم
لهم في القعود اي لما كره الله خروجهم يسر ان قيل لهم اقعدوا مع القاعدين

الكسر ع

وانه غير صحيح احد ام

والقعود عباره هنا عن التخلف والتواني كما هو في قول الشاعر
أقعد فانك انت الطاعم الكاسي ويس للبيده في هذا كله مدخل وكراهيه
الله انبعاثهم رفق بالمومنين وقوله لو خرجوا فيكم الايه خبر بانهم لو خرجوا
لما خرج وجهم مضره وقوله الا خبالا استثناء من غير الاول هذا قول من
قدر انه لم يكن في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبال فيزيد المنافقون
فيه فكان المعنى ما زادوكم قوه ولا شده لكن خبالا ويحتمل ان يكون الاستثناء
غير منقطع ويدل ان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه تبوك كان
فيه منافقون كثير ولهم لا محاله خبال فلو خرج لقاتلوا او لفاتوا مع
الخارجين وراد الخبال والخبال الفساد في الاشيا الموتلفه الملتحمه كالمودات
وبعض الاجرام ومنه قول الشاعر
بانو لبنينا لستم بيدا الا يدا محنوله العضد وقرا ابن ابي عبله ما
زادكم بخبروا وقرا جمهور الناس لاوضعوا ومعناه لاسرعوا السير
وخلالكم معناه فما سكم من هنا الى هناسر الوضع الخله بين الرحلين والايضاع
سرعه السير وقال الزجاج خلالكم معناه فما لحق بينكم قال القاضي
وهذا ضعيف وما ذا يقولون في قوله فجاسوا خلال الديار وقرا مجاهد فما
حكا القياس عنه ولا وفضوا وهذا ايضا بمعنى الاسراع ومنه قوله تعالى
دابهم الى نصب يوفضون وحكى عن ابن الزبير انه قرا ولا رفضوا قال ابو الفتح
هذه من رفض البعير اذا اسرع في مشيه رفضا ورفضانا ومنه قول حسان
رفض القلوص براكب مستعجل وقرا لا وضعوا بالف بعد في
المصحف ولذلك وقعت بعد قوله اولا دخنه قبل وذلك لحسنه نجا
الاولين قال الزجاج واما وقعوا في ذلك لان الفتحه في العبرانيه وكثير من

الالسنه تكتب الفا قال القاضي رضي الله عنه ويحتمل ان تطل حركه
اللام فتحدث الف بين اللام والهمزه التي من اوضع قوله يبغونكم الفتنه
اي يطلبون لكم الفتنه وقوله وفيكم سماعون قال سفيان ابن عيينه والحسن
ومجاهد وابن زيد معناه جواسيس يستمعون الاخبار وينقلونها اليهم ورجحه
الطبري قال القاضي نبا المبالغه يضعف هذا القول وقال جمهور المفسرين
معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم وقوله والله عليم بالظالمين توعد لهم
ولما كان من المومنين على بعده الصفه قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنه
من قبل وقلبوا لك الامور حتى جا الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم
من يقول ايذن لي ولا تفتني الا في الفتنه سقطوا وان جهنم لمحيطه بالكافرين
الا اخرم
في هذه الايه تحقير شانهم وذلك انهم قديما سعوا على الاسلام فابطل
الله سعيهم ومعنى قوله من قبل ما كان من حالهم من وقت هجره رسوله
الله صلى الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في احد وغيرها ومعنى قلبوا لك الامور
دبروها ظهر البطن وبطنوا في نواحيها واقسامها وسعوا كل حيله وقرا
مسلمه ابن محارب وقلبوا بالتخفيف في اللام وامر الله الاسلام ودعوته
وقوله تعالى ومنهم من يقول ايذن لي ولا تفتني في الجد ان قيس وذكر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالغزو الى بلاد الروم فقال للجد ان قيس هل
لك العام في جلاد بني الاصفر فقال له وللناس اغزوا ائتمروا بنات الاصفر
فقال له الجد ان قيس ايذن لي في التخلف ولا تفتني يذكر بنات الاصفر فقد
علم قومي اني لا اتمالك عن النساء اذا رايتهن وذكر ابن اسحق نحو هذا من القول
الذي فيه فتور وكذب وتحلف في الاعتذار واسند الطبري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر فقال الجد ان ذلك لا

ودلك

تفتنا بالنساء وهذا منزع غير الأول اذا تطرو هو اشبه بالنفاق
والمحاده وقال ابن عباس ان الحر قال ولكني اعينك بمالي وتاول بعض
الناس قوله ولا تفتني اي لا تصعب علي حتى احتاج الى مواقعه محصل
ومحالفتك فسهل ايت علي ودعني غير محلح وهذا تاويل حسن واقف
مع اللفظ لكن يظاهر ما روى من ذكر بنات الاصفر ودلك معترض في
هذا التاويل وقرا عيسى ابن عمر ولا تفتني بضم التاء الاولى قال ابو حاتم
هي لغه تميم والاصفر هو الروم ابن عيص ابن اسحق ابن ابراهيم الخليل عليه
السلام وكان اصفر اللون فيقال للروم بنو الاصفر ومن ذلك قول ابي سفيان
امر امرا ابن ابي كبشه انه يخافه ملك بني الاصفر ومنه قول الشاعر

وبنوا الاصفر الكرام ملوك الروم ولم يبق منهم مذكور

وذكر القتاس والمهدوي ان الاصفر رجل من الحبشه وقع ببلاد الروم
وتروح وانسل بياف لغير جال وهذا ضعيف وقوله الا في الفتنه سقطوا
اي في الدين اظهروا الفرار منك بما تبين لك وللمؤمنين من نفاقهم وضح
عند كل من كفرهم وفسادهم فما بينك وبينهم وسقطوا عباره مبنيه
عن مكن وقوعهم ومنه على الخبير سقطتم قال وان جهنم لمحيطه
بالكافرين وهذا وعد شديد لهم اي هي مالهم ومصيرهم كيف ما تقلبوا
في الدنيا قالها مجاهد وقتاده هي محيطه بهذا الوجد **وقوله** وان تصبك
حسنه تسوهم الايه اخبر تعالى عن معتقدهم ومالهم عليه والحسنه
هنا بحسب الحزوه هي العنيمه والظفر والمصيبه الهزم والجيبه واللفظ
عام يعدد لك في كل محبور ومكروه ومعنى قوله قد اخذنا امرنا من
قبل اي قد حرمنا نحن في تحلفنا وظهرنا لانفسنا وقوله قل لن يصيبنا

الا ما امر الله عز وجل نبيه في هذه الايه ان يرد على المنافقين ويفسد
عليهم فرحهم بان يعلمهم ان الذي يعتقدونه مصيبه ليس كما اعتقدوه
بل الحق مما قد كتبه الله للمومنين فاما ان يكون ظفرا وسرورا في الدنيا
واما ان يكون دخرا للاخره وقراطلحه ابن مصرف قل هل تصيبنا ذكره
ابو حاتم وعند ابن جني وقراطلحه ابن مصرف واعين واصر الرى
قل لن تصيبنا بشديد الياء التي بعد الصاد وكسرها كذا ذكره ابو الفتح
وشرح ذلك ونحوهم والله اعلم قال ابو حاتم قال عمرو ابن سفيان
سمعت اعين عاصي الرى لن تصيبنا بشديد النون قال ابو حاتم ولا
يجوز ذلك لان النون لا تدخل مع لن ولو كانت لطلحه ابن مصرف
لجازت لانها مع هل قال الله تعالى هل يدعن كيده ما يغيظ وقوله
كتب الله يحتمل ان يريد ما قضا الله وقدر ويحتمل ان يريد ما كتب لنا
في قرآننا وانزل علينا من انا ان نظفر بعدو واما نستشهد فذلك الحسنه

قال القاضي رضي الله عنه وهذا الاحتمال يرجع الى الاول
وقد ذكرها الزجاج وقوله وعلى الله فليتوكل المومنون معناه مع
سعيهم وجدهم اذ لا حول ولا قوه الا بالله هذا قول العلماء وهو
الصحيح والذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مده عمره ومنه
مطالعته بين ذرعين ومحبط الناس في معنى التوكل في الرزق فالاشهر
والاصح ان الرجل الذي يمكنه التحرف الحلال المحض الذي لا مذله كراهيه
ينبغي له ان يعمل منه ما يصونه ويحمله كالاحتطاب ونحوه وقد قرن
الله الرزق بالتسبب ومنه وتغدى الليك بخمع الجناح ساقط على ربطا
جنيا ومنه قول النبي عليه السلام في الطير تغدو خماصا الحديث ومنه

الروم
نعراء

قوله قيدها وتوكل وذهب الناس الى ان الرجل القوى الجلد اذا بلغ من التوكل الى ان يدخل بيتا او غارا يجهل امره فيه ويبقى فى ذكر الله متوكلا يقول ان كان بقى لى رزق فسيأتينى الله به وان كان رزقى قد تم فمتى ان ذلك حسن بالغ عند قوم وحدثنى ابى رضى الله عنه انه كان فى الحرم رجل ملازم يخرج من جيبه المذه بعد المذه بطاقه ينظر فيها ثم يصرفها ويبقى على حاله فى ذلك الموضع ففرغت البطاقه فاذا فيها مكتوب واصبر لحكم ربك فانك باعيننا **قال القاضى** وبعده الطريقه لا يراها حال اهل العلم بل ينبغى ان يسعى الرجل بقدر القوت سعيا حلالا لا يواقع فيه شبهة فان تعذر عليه جميع ذلك وخرج لحد الاضطرار فحينئذ يسامح فى السؤال واحل المبتذل وما امكنه من ذلك فهو مباح وان صبر واحتسب نفسه كان فى اعلا رتبه عند قوم ومن الناس من يرى ان فرضا عليه ابقاء رمقه واما من يختار الالقا باليد والسعى يمكن فما هذا قط من خلق الرسول ولا الصحابه ولا العلما والله الموفق للصواب ومن رجح من يقول بالتوكل حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يدخل الجنه من امتى سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وفى هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لعكاشه ان يجعل ان يكون منهم فقبل ذلك لانه عرف من عكاشه انه معتد لذلك وقال للاخر سبقك بها عكاشه وبرزت الدعوه فقيل ذلك لانه كان منافقا وقيل بل عرف منه انه لا يصلح لهذه الدرجه من التوكل **قوله تعالى** هل هل يتربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا

فتربصوا انا معكم متربصون المعنى فى هذه الايه الرد على المنافقين فى معتقدهم فى المؤمنين وازاله ظنهم ان المؤمنين تنزل بهم مصائب والاعلام بانها حسنى كيف تصرفت وتربصون معناه ينتظرون والحسنيات الشهاده والظفر وقرا ابن محيصن الا احدى الحسنيين بوصل ألف احدى وبعده لعنه ولبئست بالقياس وبعد الحو قول الشاعر

يا ابا المغيره رب امر مخظل ونحو قول الاخر ان لم اقاتل فالبسينى برقعا وقوله بعذاب من عنده يريد انواع المصايب والقواقع وقوله فتربصوا انا معكم متربصون وعيد وتهديد وقوله قل انفقوا طوعا او كرها سببها ان الجد ابن قيس حين قال ايذن لى ولا تفتنى قال الى اعتل بمالى فنزلت بعده الايه فيه وفى عائله بعده والطوع والكره بمعنى كل انفاق وقرا ابن وثاب والاعمش او كرها بضم الكاف **قال القاضى** رحمه الله ويتصل هنا ذكر الكافر اذا كانت برا لاصله القرابه وجبر الكسير واعانه المظلوم هل ينتفع بها ام لا فاحتصار القول فى ذلك ان فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر على افعال البر هو فى الطعمه يطعمها ونحوها فهذا مما ينفع لا يحتاج معه الى نظر واما ان ينفع بها فى الاخره فلا دليل دل لذلك ان عائشه ام المؤمنين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارايت عبد الله ابن جدعان ان جدعان ما كان يطعم ويصنع من خير فقال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيتى يوم الدين ودليل اخر فى قول عمر رضى الله عنه لابنه ذلك العاص ابن وابل لاخزاه الله خيرا وكان هذا القول مع موت العاص الحديث بطوله ودليل ثالث من حديث حكيم ابن خزام فى احد التاويلين اعنى فى قول النبى صلى الله

فتربصوا ١٥

قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون المعنى فى هذه الايه الرد على المنافقين فى معتقدهم فى المؤمنين وازاله ظنهم ان المؤمنين تنزل بهم مصائب والاعلام بانها حسنى كيف تصرفت وتربصون معناه ينتظرون والحسنيات الشهاده والظفر وقرا ابن محيصن الا احدى الحسنيين بوصل ألف احدى وبعده لعنه ولبئست بالقياس وبعد الحو قول الشاعر يا ابا المغيره رب امر مخظل ونحو قول الاخر ان لم اقاتل فالبسينى برقعا وقوله بعذاب من عنده يريد انواع المصايب والقواقع وقوله فتربصوا انا معكم متربصون وعيد وتهديد وقوله قل انفقوا طوعا او كرها سببها ان الجد ابن قيس حين قال ايذن لى ولا تفتنى قال الى اعتل بمالى فنزلت بعده الايه فيه وفى عائله بعده والطوع والكره بمعنى كل انفاق وقرا ابن وثاب والاعمش او كرها بضم الكاف **قال القاضى** رحمه الله ويتصل هنا ذكر الكافر اذا كانت برا لاصله القرابه وجبر الكسير واعانه المظلوم هل ينتفع بها ام لا فاحتصار القول فى ذلك ان فى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر على افعال البر هو فى الطعمه يطعمها ونحوها فهذا مما ينفع لا يحتاج معه الى نظر واما ان ينفع بها فى الاخره فلا دليل دل لذلك ان عائشه ام المؤمنين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ارايت عبد الله ابن جدعان ان جدعان ما كان يطعم ويصنع من خير فقال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيتى يوم الدين ودليل اخر فى قول عمر رضى الله عنه لابنه ذلك العاص ابن وابل لاخزاه الله خيرا وكان هذا القول مع موت العاص الحديث بطوله ودليل ثالث من حديث حكيم ابن خزام فى احد التاويلين اعنى فى قول النبى صلى الله

١١

عليه وسلم اسلمت على اسلفت لك من خير ولاحد في امرا لي طالب والمؤمنين ضحضاح
من نار لان ذلك انما هو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وبانه وجده في غمرة
من نار فاخرجه ولو فرضنا ان ذلك يا عمالم يحز الى شفاعة واما افعال
الكفار القبيحة فانها تزيد في عذابهم وبذلك يقع تفاضيلهم في عذاب جهنم
وقوله انفقوا امرا في ضمنه جزاء وهذا مستمر في كل امر معه جواب فالتقدير
ان تنفقوا لن يتقبل منكم واما اذا عرى الامر من جواب فليس بصحيح تضمن
الشرط **قوله تعالى** وما منعهم ان يقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا
بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
الآية يحتمل ان يكون معنى الآية وما منعهم الله من ان تقبل الا انهم كفروا
بالله فان الاولى على هذا في موضع خفض نصبها الفعل حين زال الخافض
وان الثانية في موضع نصب مفعول من اجله ويحتمل ان يكون التقدير وما
منعهم الله قبول نفقاتهم الا لاجل كفرهم فالاولى في موضع نصب ويحتمل
ان يكون المعنى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم فالثانية في موضع رفع
فاعله وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم ان يقبل منهم نفقاتهم بالتاء
وقرا حمزة والكسائي ونافع فيما روي عنه ان يقبل بالياء وقرا الاعرج
بخلاف عنه ان تقبل منهم نفقتهم بالتاء من فوق وافراد النفقة وقرا
الاعمش ان يقبل منهم صدقاتهم وقرا عوف ان يقبل منهم نفقتهم بالنون
ونصب النفقة ولسالا جمع كسلان ولسلان اذا كان موصوفا بكسلى فهو
لا ينصرف بوجه وان كان موصوفا بكسلانة فهو منصرف في النكرة بما حرر
الله تعالى انهم لا ينفقون نفقة الا عن كره اذ هي اذا لا تقصدون بها وجه الله
ولا مجد المؤمن فلم يسع الا فقد المال وهو من مكارههم لا محالة وقوله فلا

يعجبك اموالهم الآية حقر بهذا اللفظ شان المنافقين وعلل اعطاء الله لهم
الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها **واختلف** في وجه التعذيب
فقال مجاهد في الكلام تقديم وتاخير فالمعنى لا يعجبك اموالهم ولا اولادهم
في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقال الحسن الوجه في
التعذيب انه بما الزمهم فيها من اداء الزكوة والنفقة في سبل الله **قال**
القاضي والضمير في قوله بها عائد على هذا القول على الاموال فقط وقال
ابن زيد وغيره التعذيب هو مصائب الدنيا وارزاياها فالمعنى لهم عذابا ادلا
يوجد روز عليها وهذا القول وان كان يشتمل على اعظم من تعذيبهم سائر
الرزايا وذلك لاقتران الذلة والغلبة والعلة بالوانهم الشر تعذيبهم وقوله
وتزهق انفسهم يحتمل ان يريد وهم يموتون على الكفر ويحتمل ان يريد وتزهق انفسهم
من شدة التعذيب الذي ينالهم وقوله وهم كافرون جملة في موضع الحال على
التاويل الاول وليس يلزم ذلك على التاويل الثاني وقوله ويحلفون الآية اخبر
الله تعالى عن المنافقين انهم يحلفون لهم من المؤمنين في الدين والشريعة انهم اخبر
تعالى عنهم على الجملة لا على التعيين انهم ليسوا من المؤمنين وانما هم يفرقون
منهم فيظهرون الايمان وهم يبطنون النفاق والفرق الخوف والفرقة
الجبان وفي المثل وفرق جبان من جبن **قال** القاضي رضي الله عنه وقوله
تعالى لو يجدون ملجأ او معارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون الملجأ
من الجأ يلجأ اذا اوى او اعتصم وقرا جمهور الناس او مغارات بفتح الميم
وقرا سعيد بن عبد الرحمن بن عوف او مغارات بضم الميم وهي الغيران في
اعراض الجبال بفتح الميم من غار الشيء اذا دخل كما يقول عار في الجبل اذا دخل
في الجبل وضم الميم من اغار الشيء غيره اذا ادخله اذا هذا وجهه

من استفاق اللفظه وقيل العرب تقول غار الرجل وأغار بمعنى
واحد اى دخل قال الزجاج اذا دخل العور فيحتمل ان يكون اللفظه
من هذا **قال القاضى** ويصح قراءه ضم الميم ان يكون من قولهم
جبل مغار اى مفتول ثم يستعار ذلك فى الامر المحكم المبرم فيحى التاويل
على هذا الوجه دون عضره او امور امر تبطة مشددة تعصمهم منكم
او مدخلا لو لوا اليه وقراهم الجمهور الماس مدخلا اصله مفتعل من نحو
بناء تاكيد ومبالغه ومعناه السرب والنفق فى الارض ونحو
ذكرناه فى الملجاء والمغارات والمدخل فسر ابن عباس رضى الله عنه
وقال الزجاج المدخل قوما يدخلونهم فى جملتهم وقراءه مسلمه ابن محارب
والحسن وابن ابى اسحق وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه او مدخلا
مهلا من دخل وقراءه وعيسى ابن عمر والاعمش ومدخلا من تدخل
وقرا ابى ابن كعب مندخلا قال ابو الفتح هذا كقول الشاعر
ولا يدلى من حميت الشمس مندحل **قال القاضى** رضى الله عنه
وقال ابو حاتم وقرا ابى ابن كعب مدخلا شاما مفتوحه وروى عن
الاعمش وعيسى مدخلا بضم الميم فهو من اخل وقرا الناس لولوا وقرا
حذاق عبيده لوا لوا من الموالاه وانكرها سعيد ابن مسلم وقال انما
هو اولوا معنى للجوا وقراهم الجمهور الماس يجمحون ومعناه يسرعون مصممين
غير منثنين ومنه قول الشاعر
لقد جمحت جماحا فى دمايهم حتى رايت ذوى احسابهم حمدوا
وقرا انس ابن مالك يجزعون ومعناه يضجرون ومنه قوله فى حديث
الرجم فلما اذلقته الحجاره جزع **وقوله** ومنهم من يلمزك فى الصدقات

الايه الضمير فى قوله ومنهم عاد على المنافقين واسند الطبرى ابى سعيد
الخدرى انه قال جاء ابن ذى الخويصره التميمى ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يقسم قسما فقال اعدل يا محمد الحديث المشهور بطوله وفيه قال ابو
ابو سعيد فنزل فى ذلك ومنهم من يلمزك فى الصدقات وروى داود ابن
عاصم ان النبى صلى الله عليه وسلم اوتى بصدقه فقسمها ورآه رجل من الانصار
فقال ما هذا بالعدل فنزلت الايه **قال القاضى** رضى الله عنه
وهذا نزعه منافق وكذلك روى من غير طريق الايه نزلت بسبب كلام
المنافقين اذ لم يحطوا لهم شطط اما لهم ويلمزك معناه يغيبك
واخذ منك فى الغيبه ومنه قول الشاعر
اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة وان اغيب فانت اللامز الهمزه
ومنه قوله ردبه فى ظل عصر ويلمزى والهمز ايضا
فى نحو ذلك ومنه قوله تعالى ويل لكل همزه لمزه وقيل لبعض العرب اتهمز
الغاره فقال انما تهمز لها العبره قال ابو على لجعل الاكل همزا وبعده
استعاره كما استعار حسان ابن ثابت العرف فى قوله وتصبح غرثى من
لحوم الغوافل يركبا على استعاره الاكل فى الغيبه **قال القاضى**
ولم يجعل الاعرابى الهمز الاكل وانما اراد ضربها اياها بالعناب والطفر
وقراهم الجمهور الناس يلمزك بكسر الميم وقرا ابن كثير فيما روى عبد حماد
ابن سلمه عن ابن كثير يلمزك بضمها وفى قراءه اهل مكه وقرا ابن كثير
الحسن وابو رجا وعمرو بن عبيد وقرا الاعمش يلمزك وروى ايضا حماد ابن سلمه
عن ابن كثير يلامزك مفاعله من واحد لانه فعل لم يقع من النبى صلى الله عليه وسلم
وقوله ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله الايه وصف للحال التى ينبغى

ان يكون عليها المستقمون بقول تعالى ولو انهم رضوا ما اقسمه
الله الرزق لهم وما اعطاهم على يدى رسوله ورجوا انفسهم فضل الله ورسوله
وانقوا ما لوعد الى الله لكان خيرا لهم وافضل مما هم فيه وحذف الجواب
من الايه لدلالة ظاهر الكلام عليه ودلك من فصيح الكلام والحازه
قوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين والعاملين عليها والمولفه
قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضه
من الله والله عزيز حكيم انما فى هذه الايه حاصره تقتضى وقوف الصدقات
على الثمانيه الاصناف وانما اختلف فى صوره القسمه فقال مالك وغيره
دلك على اجتهاد الامام وبحسب اهل الحاجه وقال الشافعى وغيره هى
ثمانيه اقسام على ثمانيه اصناف لا يحل لواحد منها الا ان المولفه انقطعوا
قال القاضى ويقول صاحب هذا القول انه لا يجزى المتصدق
والقاسم من كل صنف اقل من ثلاثه واما الفقير والمسكين فقال الاصمعى
وغيره الفقير اكثر فاقه وقال غيره المسكين ابلغ فاقه **قال القاضى**
ولا طريق الى هذا الاختلاف ولا الى الترجيح الا النظر فى سواء العرب
والنظر فى كلام العرب واشعارها فمن حجة الاولين قوله تعالى اما السفينه
فكانت لمساكين يعملون فى البحر واعترض بهذا بوجوه منها ان يكون سماهم
مساكين بالاضافه الى الغاصب وان كانوا اغنياء على جهه الشفقه
كما يقول فى جماعه تظلم مساكين لا حيله لهم وربما كانوا مياسير ومنها انه
قد قرى لمساكين بشد السين بمعنى دباغين يعملون المسوك قاله القباس
وغيره ومنها ان يكون اضافها اليهم ليست باضافه ملك بل لما كانوا
عاملين بها كما تقول سرج الفرس وباب الدار ومن حجة الاخرين قول الراعى
"اما الفقير الذى كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبل"

وقد

وقد اعترض على هذا الشاهد بانه انما سماه فقيرا بعد ان صار لا حلوبه له
وانما ذكر الحلوبه بانها كانت وهذا اعتراض يرده معنى القصيده ومقصد
الشاعر فانه نصف سعايه اتت على ماله الى ما جمعه فقال اما الفقير
فاستوصل ماله فكيف بالغنى مع هذه الحال وذهب من يقول ان المسكين
ابلغ فاقه من الفقير الى انه مشتق من السكون وان الفقير مشتق من فقار
الظهر كانه اصيب فقاره فهو لا محاله حركه وذهب من يقول ان الفقير
ابلغ فاقه من المسكين انه مشتق من فقرت البعير اذا نزعت جميع ما فيها وان
المسكين من السكن **قال القاضى** رضى الله عنه وعلى هذا الاختلاف
فانما صفتان يعمهما الاقلال والفاقه فينبغى ان يبحث عن الوجه الذى من
اجله جعلهما اثنين والمعنى واحد وقد اضطرب الناس فى هذا فقال الضحاك
ان مزاحم الفقراء المهاجرين والمساكين ممن لم يهاجروا وقال النخعى نحوه
وقال سفيان يعنى لا يعطى فقراء الاعراب شيئا منها **قال القاضى**
والمسكين السائل يعطى فى المدينه وفى غيرها وهذا القول حمله الحال
وقت نزول الايه وانما مدار الامر الفقر واستوى الناس ويعطى الزكاه لاهل
منصف يفقر وقال عكرمه الفقراء من المسلمين والمساكين من اهل الذمه
ولا يعطوا الفقراء المسلمين مساكين وقال الشافعى فى كتاب المدبر الفقير
من لا مال له ولا حرفه سائلا كان او متعففا والمسكين الذى له حرفه او
مال ولا يزيد ذلك سائلا كان او غير سائل وقال فائده ان دعا
الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج وقال ابن عباس والحسن
ومجاهد والنخعى وابن زيد وجابر ابن زيد ومحمد بن مسلمه المساكين الذين
يسعون ويسالون والفقراء هم الذين يتصاونون وهذا القول الاخير اذا

لخص وحرر احسن مما قال فى هذا وتحريره ان الفقير الذى لا مال له الا انه
لم يذل ولا يذل وجهه وذلك اما لتعفف مفرط او لبلغة تكون له كالحلوبة
وما اشبهها والمسكين هو الذى يعتريه بفقره تذلل وخضوع وسوال
مهده معنى المسكنة وعلى هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكين ويقوى
هذا ان الله قد وصف بنى اسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم واذا
تاملت ما قلناه بان لها صنفان موجودان فى المسلمين ويقوى هذا قوله
تعالى للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم وقيل للاعرابى أفقرت فقال اى
والله انى مسكين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بهذا الطواف
الذى ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين هو الذى لا يجد غنا يغنيه
ولا يفطن له فيتصدق عليه اقرءوا ان شئتم لا يسالون الناس الحافا فدل
هذا الحديث على ان المسكين فى اللغة هو الطواف وجرى تنبيه النبى صلى
الله عليه وسلم فى هذا الحديث عن المتصاون بحرى تقديم الفقراء فى الاية
لمعنى الاهتمام اذ هم بحيث ان يهتم بهم يملكوا والمسكين يلحق ويذكر نفسه
واما العامل فهو الرجل الذى يستنيبه الامام فى السعى على الناس وجمع
صدقاتهم وكل من تصرف من عوز لا يستغنى عنه فهو من العاملين لانه
يحشر الناس على السعاة وقال الضحاك للعاملين ثمن ما عملوا على قسمه
القران وقال الجمهور لهم قدر لعقتهم ومؤنتهم قال مالك والشافعى
فى كتاب ابن المنذر وابن الماجشون وزد لك ثمن الصدقة واختلف فيهم فقيل يتم لهم
ذلك من خمس الخنبه واختلف اذا عمل فى الصدقات هاشمى فقيل يعطى
منها عمالته وقيل بل يعطاها من الخمس ولا يجوز للعامل قبول الهدية
والمصانعة ممن يسعى عليه وذلك ان رجلا رد فى بيت المال لما فعل النبى صلى

الله عليه وسلم بابل التيميه حتى استعمله على الصدقة فقال هذا لكم وهذا
اهدى لى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هلا لا قعدت فى بيت ابيك وامك
حتى تعلم ما يهدى لك واخذ الجميع منه **قال القاضى** رضى الله عنه
وتامل عمالة الساعى هل باجرها قبل العمل او بعده وهل اجارة او جعل
وهل العمل معلوم او هو تبع وانما يعرف قدره بعد الفراغ واما المولفة
قلوبهم فكانوا صنفين مسلمين وكافرين وسادرين وقال يحيى ابن ابى كثير
كان منهم ابو سفيان ابن حرب ابن اميه والحارث ابن هشام وصفوان ابن
امية وسهل ابن عمرو وحكيم ابن حزام وابو سفيان ابن الحارث ابن عبد
المطلب وعيينه والاقرع ومالك ابن عوف والعباس ابن مرداس والعلا
ابن جارية الثقفى **قال القاضى** واكثرهما ولا من الطلقاء الذين
ظاهرا مرهم يوم الفتح الكفر ثم يقوا مطهرين للاسلام حتى وقف الاستيلاف
فى اكثرهم واستيلافهم انما كان لتحلب الاسلام ومنفعته او ترفع عنهم مضره
وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه والحسن والشعبى وجماعة من اهل العلم
انقطع هذا الصنف بعز الاسلام وظهوره وهذا هو مشهور مذهب مالك
قال عبد الوهاب ان احتيج اليهم فى بعض الاوقات اعطوا من الصدقة **قال**
القاضى وقول عمر عندى انما هو المعنيين وانه قال لابى سفيان حين
اراد اخذ عطايه القديم انما اخذ كرجل من المسلمين وقال الله قد اغنى
عنك وعن ضربائك يريد الاستيلاف واما ان ينكر عمر الاستيلاف
جملة وفى تغور المسلمين فبعيد وقال كثير من اهل العلم المولفة قلوبهم
موجودون الى يوم القيامة **قال القاضى** واذا املت الثغور
وجد فيها الحاجة الى الاستيلاف وقال الزهرى المولفة من اسلم من يهودى

أو نصرانى وان كان غنيا **قال القاضى** يريد لتنبسط نفسه ويحب
دين الاسلام اليه واما الرقاب فقال ابن عباس والحسن ومالك
وغيره هو اشتراء العتق وعون المكاتب مما يأتى على حريته **واختلف**
هل يعان بها المكاتب فى أنثا الجمهور على المنع والاباحه واختلف
على القول باباحه ذلك ان عجز فقيل يرد ذلك من عند السيد وقيل
يمضى لانه كان يوم دفعه يوجد مترتب وقال الشافعى معنى وفى
الرقاب للمكاتبين ولا يبتدأ منها عتق عبد وقال الليث وابراهيم
النخعى وابن جبير وذلك ان هذه الاصناف انما تعطى اما لمنفعة للمسلمين
او لحاجه فى انفسها والعبد ليس له واحد من هاتين العلتين والمكاتب
قد صار من ذوى الحاجه وقال الزهرى سهم الرقاب صنفين صنف
للمكاتبين ونصف يعتق منه رقاب مسلمون وقال ابن حبيب ويفدى
من ذلك اسرى المسلمين ومنع من ذلك غيره واما الغارم فهو الرجل
يركبه دين فى غير معصيه ولا سفه كما قال العلماء فهذا يودى عنه
دينه وان كانت له عروض بقيم رمقه وتكفى عياله وكذلك الرجل
تحمل بحماله فى دماء او اصلاح بين قبائل ونحو هذا وهو أحد الخمسة
الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا
لخمسة العامل عليها او الغازى فى سبيل الله او رجل تحمل بحمالة او
ممن اهديت له او ممن اشتراها بماله **قال القاضى** رضى الله عنه
وقد سقط المؤلف من هذا الحديث وقال ابن حبيب ولا يودى من
الصدقة دين ميت ولا يعطى من عليه كفاره ونحو ذلك من حقوق الله
واما الغارم من عليه دين لسخن فيه وقد قيل فى مذهبنا وغيره يودى

دين

دين الميت من الصدقات قاله أبو ثور واما فى سبيل الله فهو المجاهد
يحور أن ياخذ من الصدقات لينفقها فى غزوه وان كان غنيا قال ابن حبيب
ولا يعطى منها الحاج الا ان يكون فقيرا فيعطى لفقره وقال ابن عباس وابن
عمر واحمد واسحق يعطى منها الحاج وان كان غنيا والحج سبيل الله ولا يعطى
منها فى بناء مسجد ونحو هذا واما ابن السبيل فهو الرجل فى السفر والغربه
يعدم فانه يعطى من الزكوه وان كان غنيا فى بلده وسمى المسافر ابن السبيل
لملازمته السبيل كما يقال للطائر ابن ماء لملازمته له ومنه عندى قولهم
ابن جلا وقد قيل فيه غير هذا ومنه قولهم بنو الحارث وبنو المجد ولا
يعطى بنو هاشم من الصدقه المفروضه قال ابن الماجشون ومطرف
واصبغ وابن حبيب ولا من التطوع ويعطى مواليهم من الصدقتين ومن
سأل من الصدقه وقال انى فقير فقال فرقه يعطاه دون ان يكلف بينه
على فقره بخلاف حقوق الادميين يدعى فيها الفقر فانه يكلف فيها البينه
لانها حقوق الناس يؤخذ لها بالاحوط وايضا فالناس اذا تعلقت
بهم حقوق الادميين يحملون على الغنا حتى يثبت العدم وتظهر ذلك من
قوة قوله تعالى وان كان ذو عسره فنظره الى ميسره اى ان وقع فيعطا
هذا ان الاصل الغنا فان وقع ذو عسره فنظره وقال فى وقته الوصل الصحيح
الذى لا يعلم فقره واما من ادعى انه غارم او مكاتب او ابن سبيل او فى
سبيل الله او نحو ذلك مما لا يعلم منه فلا يعطا الا ببينه فولا واحدا وقد
قيل فى الغارم تباع عروضه وجميع ما يملك ثم يعطا بالفقر ويعطى
الرجل قرابته الفقراء اولهم احق من غيرهم وان كان قريبه غائبا فى موضع
يقصر الصلاه اليه فجاره الفقير اولى وان كان فى غيبه لا يقصر اليه

ولا يعطى الرجل من الزكوه لوالديه ولا لولده ولا لمن تلزمه نفقته ولا يعطى الاغنياء منها لقوله ﷺ لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى

ولا يعطى الا ان يعلم فقره

الصلاه فقيل لهوا ولى من الحار الفقير وقيل الجار اولى ويعطى الرجل اقرابته
الذين لا تلزمهم نفقته ويعطى المراه زوجها وقال بعض الناس ما لم يفق
ذلك عليها ويعطى الرجل زوجته اذا كانت من الغارمين **واختلف**
فى ولاء الذى يعتق من الصدقه فقال مالك ولاؤه لجماعه المسلمين
وقال ابو عبيد ولاؤه للمعتق وقال عبيد الله ابن الحسن واحمد ابن
واسحق يعتق من ماله رقاب واذا كان لرجل على معسر دين فقيل يترك له
له ويقطع ذلك من الصدقه وقيل لا يجزى ذلك جمله وقيل ان كان لو رفعه
الى الحاكم امكن ان يوديه جاز ذلك والا لم يجز لانه قد يؤدى واما
السبيل فهو الذى قدمنا ذكره يعطا الرجل الغازى وان كان غنيا وقال
اصحاب الراى لا يعطى الغازى فى سبيل الله الا ان يكون منقطعا به وقال
ابن المنذر وهذا خلاف ظاهر القران وحديث النبى صلى الله عليه وسلم
اما القران فقوله تعالى فى سبيل الله واما الحديث فقوله لا تحل
الغازى فى سبيل الله وصوره التفريق فقال مالك وغيره على قدر الحاصه
ونظر الامام فيها فى اى صنف يرى وكذلك المتصدق وقال حذيفه
ابن اليمانى وسعيد ابن جبير وابراهيم وابو العاليه قال الطبرى وقال
بعض المتاخرين اذا قسم المتصدق قسم فى ستة اصناف لانه ليس ثم
عامل ولا المولفه قد انقطعوا فان قسم الامام ففى سبعه اصناف
وقال الشافعى وعكرمه والزهرى هى ثمانيه اقسام لم يسم للرجل
لا تحل لواحد منها واحتج الشافعى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذى سال ان الله عز وجل لم يرض فى الصدقات بقسم نبى ولا غيره حتى
قسمها بنفسه فجعلها ثمانيه اقسام فان لك واحدا منها
اعطيتك **قال القاضى** والحديث فى مصنف ابى داود وقال ابو ثور

اذا قسمها الامام لم يخل بصنف منها وان اعطا الرجل صدقته صنفا دون
صنف اجزاه ذلك وقال المحى اذا كان المال كثيرا قسم على الاصناف
كلها وان كان قليلا اعطى صنفا واحدا وقال فرقه من العلما من له حسون
درهما لا يعطى من الزكوه وقال الحسن وابو عبيد لا يعطى من له اوقيه
وهو اربعون درهما قال الحسن وهو غنى وقال الشافعى قد يكون الرجل
الذى لا قدر له غنيا بالدرهم مع سعيه وحيله وقد يكون الرجل له القدر
والعيال ضعيف النفس والحيله فلا تغنيه الالف وقال ابو حنيفه
لا باخذ الصدقه من له مائتا درهم ومن كان له اقل فلا باس ان ياخذ
وقال سفيان الثورى لا يدفع الى احد من الزكوه اكثر من خمسين درهما الا
ان يكون غارما وقال اصحاب الراى ان اعطى الفا وهو محتاج اجزاه ذلك
وقال ابو ثور يعطى من الصدقه حتى يغنى ويزول عنه اسم المسكنه
ولا باس ان يعطى الفقير الالف واكثر من ذلك قال ابن المنذر اجمع
اكثر من يحفظ عنه من اهل العلم ان لمن له دار وخادم لا يستغنى عنهما
ان ياخذ من الزكوه وللمعطى ان يعطيه وكان مالك يقول اذا لم يملك فى ثمن
الدار والخادم فضله عن ما يحتاج اليه منهما جاز له الاخذ والا لم
يجز واما الرجل يعطى الاخر وهو يظنه فقيرا فاذا هو غنى فانه
ان كان يعرف ذلك اخذها منه وان فاتت نظر فان كان الاخذ عرف اخذها
مع علمه بانها لا تحل له ضمنها على كل وجه وان كان لم يعرف بل اعتقد انها
تحل له اولم يتحقق مقصد المعطا نظر فان كان اكلها او لبسها او استهلك
بها ضمنها وان كانت تلفت لم يضمن واحلف فى احراءها عن المتصدق
فقال الحسن وابو عبيد يجزيه وقال الثورى وغيره لا يجزئ واهل بلد

الصدقة احق بها الا ان يفضل فضله فيتبعل الى غيرها حسب نظر
الامام قال ابن حبيب في الواضحة اما المؤلفة فانقطع سهمهم واما
سبيل الله فلا باس ان يعطى الامام الغزاة اذا فضل الغنى في بيت
المال **قال القاضي** رضي الله عنه وهذا الشرط فيه نظر قال
ابن حبيب وينبغي للامام ان يامر السعاة سفرقها بالمواضع التي جبيت
منها ولا يحمل منه شيا الى الامام الا ان يرى ذلك لحاجة او فاقة نزلت بقوم
قال مالك ومن له من زرعه او ماشيته في ثمن شيا ذا باعه ما بعته لم يحزله
اخذ الصدقة وبعده جملة من فقه الاية كافية على شرطنا في الايجاز
والله الموفق **وقوله** فريضة من الله اي موجبة محدودة وهو
ما خوذ من العرض في الشيء بمعنى الحد والقطع لثبوت ذلك وذوا به شبه
ما فرض من الاحكام ونصب فريضة على المصدر ثم وصف تعالى نفسه
بصفتين مناسبتين لحكم هذه الاية اما عليم صدر عن علم منه لخلقه وحكمه
منه بينهم في القسمة **قوله تعالى** ومنهم الذين يؤذون النبي
ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين ورحمة
للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم الضمير في قوله
ومنهم عايد على المنافقين ويوذون لفظ نعم جمع ما كانوا يفعلونه ويقولونه
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى وحصر بعدد لذم قولهم
هو اذن وروي ان قايل هذه اللفظة نبتل ابن الحارث وكان ثابر الراس
مشقش الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوها وروي عن الحسن
البصري ومجاهد انهما قالا انهم اراد وا بقولهم هو اذن ان يسمع منا ما عاد برنا
ويقبله اي فنحن لا نبالي عن اذاه ولا الوقوع فيه اذ هو سماع لكل ما يقال

وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليسلك من رد الماء مسلك الدم
اي يسلك ان الحديث

من اعتذار ونحوه فهذا تنقص بقوله الجزامة والخداع وروى عن ابن عباس
وجاعة انهم اراد وا بقولهم هو اذن اي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصغى
اليه ويقبله فهذا تنقل منه ووصف بانه تسوغ عنده الاباطيل والنمايم
ومعنى اذن سماع وسمي الرجل السماع لحل قول اذنا اذا اكثر منه استعمال
الاذن فيه يسمية الشيء بالشيء كما يقال للربه عين وكما يقال للسنة التي
تكثر فيها الناب وقيل معنى الاية ذو اذن وقيل ان قوله اذن مسوغ
قولهم اذن للشيء اذا استمع كما قال الشاعر ونعوعدي ابن زيد

"ايها القلب تعلل بدنان تغنى في سماع واذن"

وفي التنزيل واذنت لربها وحقت ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ما
اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران ومن هذا قول الشاعر

"في سماع يا ذن الشيخ له وحديث مثل ما دي مشار"

ومنه قول الاخر

"ضم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا"

وقرا نافع اذن بسكون الذال فيهما وقرا الباقون اذن بضم الذال فيهما
وكلهم قرا بالاضافة الى خير الا ما روي عن عاصم وقرا الحسن ابن ابي الحسن
ومجاهد وعيسى بخلاف قل اذن خير برفع خير وتنوين اذن وبعد الحرمي
مع تاويل الحسن الذي ذكرناه ان من يقبل معاذيركم خير لكم وروي ان بعض
القراء عن عاصم ونافع اذن خير على الاضافة اي سماع خير وحق ويومن بالله
معناه يصدق بالله ويومن للمومنين قيل معناه ويصدق المومنين واللام
زايدة كما هي في قوله كما هي في قوله ردف لكم وقال المبرد هي متعلقة
بمصدر مقدر من الفعل كانه قال وايمانه للمومنين اي وتصديقه وقيل
تقال امنت لك بمعنى صدقتك ومنه قوله وما انت بمومن لنا **قال القاضي** وعدى

ارهده الى معها اللام فى صمها آيا، فالمعنى وتصدق المومنين بما لخبر ونه به ولكل
وما انت بمومن لنا بما تقوله لكن والله المستعان وقرا السبعه الاحمزه ورحمة
بالرفع عطفا على ال ذن وقرا حمزه وحده ورحمٍ بالخفض عطفا على خبر ولله
فواه الى اركعب وعبدالله والاعمش وخصص الرحمه للمومنين اذهم الذين نحوا
بالرسول وفازوا به ثم اوجب تعالى للذين يؤذون رسول الله العذاب الالم
وختم عليهم به **وقوله** يحلفون بالله لكم الايه ظاهر هذه الايه ان المراد
بها جميع المنافقين الذين يحلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين بانهم
منهم فى الدين وانهم معهم فى كل امر وفى كل حرب وهم فى ذلك يبطنون النفاق
ويتربصون الدوايروهذا قول الجماعه من اهل التاويل وقد روت فرقة
انها نزلت بسبب رجل من المنافقين قال ان كان ما يقول محمد حقا فانا شر من
الحمير فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ووقفه على قوله ونحه
يحلف بحهذا انه ما فعل فنزلت الايه فى ذلك **وقوله** والله ورسوله
احق ان يرضوه مذهب سيبويه انهما حلبان حذفت الاولى لدلاله الثانيه
عليها والتقدير عنده والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه
وهذا كما قال الشاعر: نحن بما عندنا وانت بما عندك راضٍ والراى مختلف
ومذهب المبرد ان فى الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره والله احق ان يرضوه
ورسوله قالوا وكانوا يحلفون ان يحلفوا الرسول مع الله فى ضمير حكاه القتال
عنه وليس هذا شئ وفى مصنف ابى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فى ضمير وقوله عليه السلم
فى الحديث الاخر بئس الخطيب انت انما ذلك لانه وقف فى يعصهما فادخل
للعاصى فى الرشد وقيل الضمير فى يرضوه عايد على المذكور كما قال رؤبه
فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق: وقوله ان كنتم

مومنين

مومنين اى على قولهم ودعواهم وقوله الم يعلموا الايه الم تقرير وعذوفى
مصحف ابى ان كعب الم يعلم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ولهو وعيد لهم وقرا
الاعرج وحسن الم تعلموا بالتاء وبحاذر معناه يحالف ويشاق وهو من ان
يعطى هذا حده لهذا وبعد احده لهذا وقال الزجاج هو ان يكون هذا فى
حد وهذا فى حدٍ وقوله فان مذهب سيبويه انها بدل من الاولى وهذا معترض
بان السى لا يبدل منه حتى يستوفى والاولى فى هذا الموضع لم يات خبرها بعد
اذ لم يتم جواب الشرط وتلك الجملة هى الخبر وايضا فان الفا تمانع البدل وايضا
هى فى معنى اخر غير الاول فقلق البدل واذا تلطف للبدل فهو بدل
الاستعمال وقال غيره سيبويه هى مجردة لتاكيد الاولى وقالت فرقة من النحاه
هى فى موضع خبر ابتداء والخبر مضمر تقديره فان له نار جهنم واجب وهذا
مردود لان الابتدا بان لا يجوز مع اضمار الخبر قاله المبرد وحكى عن ابى على
الفارسى قول يقرب معناه من القول الثالث من هذه الى ذكرنا الا انه قف الان
على لفظه وجمع القراء على فتح ان الثانيه وحكى الطبرى عن بعض نحوى البصره
انه اختار فى قراءتها كسر الالف وذكر ابو عمرو الدانى انها قراءة ابى بن عبله
ووجهه فى العربيه قوى لان العاء تقتضى القطع والاستيناف والاتصال
فى موضعها الاسم ويصلح الفعل واذا كانت كذلك وجب كسرها **قوله تعالى**
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سوره تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزوا ان الله
مخرج ما تحذرون قوله يحذر خبر عن حال قلوبهم وحذرهم انما هو ان تنزل
سوره ومعتقدهم ان ذلك ليس من عند الله فوجه بين وان قيل انهم يعتقدون
نزول ذلك من عند الله وهم منافقون مع ذلك فهذا كفر عناد وقال الزجاج
وبعض من ذهب الى التجرد من هذا الاحتمال معنى يحذر الامر وان كان لفظه لفظ

الخبر كانه قال لنحذر وقرا ابو عمرو وحماعه معه ان تنزل بسالكنه الوحفيفه
الزاى وقرا بفتح النون مشدده الزاى الحسن والاعرج وعاصم والاعمش
وعيسى وان فى قوله ان تنزل مذهب سيبويه ان تحذر عامل فيها فهى مفعوله
وقال عمره خذرا انما هى من هيبات النفس التى لا تعدى مثل فزع وانما التقدير
تحذر المنافقون من ان تنزل عليهم سوره وقوله قل استهزوا الفظه الامر
ومعناه التهديد ثم اتى الاخبار عن انه لمخرج لهم الى حيز الوجود ما تحذرونه
وفعل ذلك فى سوره براءه فهى تسمى الفاضحه لانها فضحت المنافقين وقال
الطبرى وكان المنافقون اذا غابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيئا
من امره قالوا لعل الله لا يفشى سرنا فنزلت الايه فى ذلك قال القاضى رضى
الله عنه وهذا يقتضى كفر الحماد الذى قلناه وقوله سالتهم الايه نزلت
على ما ذكر حماعه المفسرين فى وديعه ابن ثابت وذلك انه مع قوم من المنافقين
كانوا يسيرون فى غزوه تبوك فقال بعضهم لبعض هذا يريد ان يفتتح قصور
الشام وياخذ حصونها الاصفر هيهات هيهات فوقفهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انا كنا نخوض ونلعب
يريدون غير محدثين وذكر ابن اسحق ان قوما منهم تقدموا الى صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم ظننا ان محمدا فى الجبال اسرى لبنى الاصفر الى نحو هذا من القول
فقال النبى عليه السلام لعمار ان يا سرادرك القوم فقد احترقوا واخبرهم بما
قالوا ونزلت الايه وروى ان وديعه ابن ثابت المذكور قال فى حماعه من
المنافقين ما رايت كقرائنا هؤلاء لا ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن
عند اللقاء فقصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه المقاله فقالوا
انما كنا نخوض ونلعب ثم امره تقريرهم انا بالله وايانه ورسوله كنتم تستهزون

وفى ضمن هذا التقرير وعيد وذكر الطبرى عن عبد الله ابن عمر انه قال رايت
قايل هذه المقاله وديعه متعلقا بحقب ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
تماشيها والحاره تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ابالله وايانه ورسوله كنتم تستهزون وذكر النقاش ان
المقول حارعبد الله ابن ابى ابن سلول وذلك خطا لانه لم يشهد تبوك وقوله
تعالى لا تعتذروا قد كفرتم الايه المعنى قل لهم يا محمد لا تعتذروا على جهه التوبيخ
كانه يقول لا تفعلوا اما لا ينفع ثم حكم عليهم بالكفر وقال لهم قد كفرتم بعد ايمانكم
الذى اعتموه وقطعتم به وقوله عن طايفه منكم نريد فيما ذكر المفسرون
رجلا واحدا اسمه مخشن ابن حمير قال ابن اسحق وقال ابن هشام يقال مخشى
وقال خليفه ابن خياط فى تاريخه مخاشن ابن حمير وذكر ابن عبد البر مخاشن
الحميرى وذكر جميعهم انه استشهد باليمامه وقد كان تاب وسمى عبد الرحمن
فدعا الله ان يستشهد ويجهل امره فكان ذلك باليمامه ولم يوجد جسده
وقرا ابو عمرو ان عبد البر مخشى بضم الحاء وفتح الميم وسكون الياء ولم تنقط
الفصه وكان مخشن مع المنافقين الذين قالوا انا كنا نخوض ونلعب فعفى
كان منافقا فتاب توبه صحيحه وقيل كان مسلما مخلصا الا انه سمع كلام
المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه فى كلا الوجهين اوجب
العذاب لباقى المنافقين الذين قالوا ما تقدم وقرا جميع السبعه سوى
عاصم ان نعف عن طايفه بالياء وقرا المحدرى ان يعف بالياء المفتوحه على
تقدير ان يعف الله يعذب بالياء على تقدير نعذب الله طايفه بالنصب
وقرا عاصم وزيد ان ثابت وابو عبد الرحمن ان نعف بالنون نعذب بنون الجمع
ايضا وقرا محاهد ان تعف بالتاء المضمومه على تقدير ان تعف لها الذنوب

تعذب بالتاء

طايفه بضم التاء

وفى ضمن

تعذب بالنار ايضا **قوله تعالى** المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله
فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم
هذا اشد ايذاء اخبار عنهم وحكم الله عليهم بما تضمنته الاية فقوله بعضهم
من بعض يريد في الحكم والمنزلة من الكفر وهذا الخوف قولهم الأدنان من الراس
يريد في حكم المسح والا فعلوم انهما من الراس ولما تقدم قبل وما هم منكم
حسن هذا الاخبار وقوله يامرون بالمنكر يريد بالكفر وعاده غير الله
وسائر ذلك من الايات لان المنافقين الذين نزلت هذه الاية فيهم لم يكونوا اهل
قدره ولا افعال طاهره وذلك بسبب ظهور الاسلام وكلمة الله عز وجل
والقبض هو عن الصدقة وفعل الخير وقوله نسوا الله فنسيهم اي تركوه
حتى تركوا نبيه وشريعته فتركهم اذا بلغ وجوه الترك الوجه الذي يقتضي
به نسيان وعلى هذا يجيء ولا تنسوا الفضل بينكم ولا نسى يصيبك من الدنيا
يريد حكم عليهم عرو وحل بالفسق وهو فسوق الكفر المقتضي للخلود في النار وكان
مآده يقول فنسيهم اي من الخير وقوله وعد الله المنافقين الاية لما قيد
الوعيد بالنار بالشر صح ذلك وحسن وارداته به وعيد بحصر الكفار
في هذه الاية المعلنون وقوله هي حسبهم اي كافيتهم وكافئة جرمهم ولغريم
كالا وجزاء قلو تمنى احد لهم عذابا الخارد لك حسبا لهم لعنهم الله معناه
ابعدهم عن رحمته وعذاب مقيم معناه مؤبد لا نقلة له وقوله تعالى
كالذين من قبلكم الاية امر الله نبيه ان يخاطب بها المنافقين فيقول لهم
كالذين من قبلكم والمعنا انتم كالذين او مثلكم كمثل الذين من قبلكم قال الزجاج

حيث هو من معنى ولا كالذي عذاب الله والنار
يعبر بالنسيان عن الترك ما لعدم
ولم يذكروه من الشر

المعنا وهذا كما وعد الذين من قبلكم وهو متعلق بوعد **قال القاضي**
رضي الله عنه وهذا قول ثم قال اشد منكم واعظم نعصوا فاهلكوا فانتم
احرى بالهلاك لمعصيتكم وضعفكم والخلاق الحظ من الخير والدين وجمع
حال المرء خلاق وخلاق المرء الشيء الذي هو به خليق والمعنى تمتعوا
حظهم في دنياهم وتركوا باب الاخرة فاتبعتموهم انتم **قال القاضي** واورد
الطبري في تفسير هذه الاية قوله عليه السلام لتتبعن سنن من كان من
قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه
وما شاكل هذا الحديث مما يقتضي اتباع امة محمد لسائر الامم وهو معنا
لا يليق بالاية جدا اذ هي محاطة المنافقين كفارا عامة لهم حايطة والحديث
محاطة لموحدين بعضهم من مضى في افعال دنيا ويدلا تخرج عن
الدين وقوله خضتم اي خلطتم كالذين خاضوا وهو مستعار من الخوض
في الماء بعات ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف في الحقايق انما هو
على ترتيب ونظام وامور الباطل انما هي خوض ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم رب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة ثم قال تعالى اولئك
الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة فيحتمل ان يراد بها ولئك اليوم الذين
وصفهم بالشدة وكثرة الاموال والاستمتاع بالخلاق والتعمي وايتم
انصا كذلك بعدكم ما عرضكم عن الحق ويحتمل ان يريد بها ولئك المنافقين
المعاصرين لمحمد عليه السلام ويكون الخطاب لمحمد عليه السلام وفي ذلك خروج
من خطاب الخطاب غير الاول وحبط العمل وما جرى مجراه بحط حبطا
اذا بطل بعد التعب فيه وحبط البطن حبطا بفتح الباء وهو داء في البطن
ومنه قوله عليه السلام ان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم وقوله

في الدنيا معناه اداخان في المنافقين ما يصيبهم في الدنيا من الفت من المؤمنين
وفسادا عمالهم وغمهم عليهم وفي الاخره بان لا تنفع ولا يقع عليها حراء
ويقوى بان الاشاره بما ولئك الى المنافقين قوله في الايه المسعمله الم
تاتهم فتامله **قوله تعالى** الم ياتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يقول الله عز وجل لنبيه
عليه السلام الم ياتك نقا ولا المنافقين خبر الامم السالفة الذي غضب الله عليها
بتكذيب رسله فاهلكها وعاد وثمود فقبيلتان وقوم ابراهيم نمرود
واصحابه وتباع دولته واصحاب مدين قوم شعيب والمؤتفكات اهل
القرى الاربعة وقيل السبعة الذين بعث اليهم لوط عليه السلام ومعنى
المؤتفكات المنصرفات والمنقلبات افكت فاتفكت لانها جعل عاليها
أسفلها وقد جاءت في القران مفردة تدل على الجمع ومن هذه اللفظة قول
عمران ابن حصين منطق مستبين غير ملتبس به اللسان وراى غير موتفك
أي غير منقلب منصرف مضطرب ويقال للريح موتفكة لتصرفها ومنه
اني يؤفكون والافك صرف القول من الحق الى الكذب والضمير في قوله
اتتهم رسلهم عائد على هذه الامم المذكورة وقيل على المؤتفكات خاصة وجعل
لهم رسلا واما كان بينهم واحدا لانه كان يرسل الى كل فرقة رسولا داعيا
فهم رسل رسول الله ذكره الطبري والتاويل الاول في عود الضمير على جميع
الامم أبين وقوله بالبينات يريد المعجزات وهي بينة في انفسها بالاضافه
الى الحق لا بالاضافه الى المؤمنين بها ولما فرغ من ذكر المنافقين بالاشياء التي
ينبغي ان تصرف عن النفاق ونهى عنه عقب ذلك بذكر المومنين بالاشياء

التي ترغب في الايمان وتنشط اليه لطفا منه تعالى بعباده لا رب غيره وذكرت
هذه الولايه اذ لا ولايه بين المنافقين ولا شفاعه لهم ولا يدعوا بعضهم بعض
وكان المراد هنا الولايه في الله خاصه وقوله بالمعروف يريد بعبادة الله وتوحيده
وكل ما اتبع ذلك وقوله عن المنكر يريد عن عباده الاوثان وكل ما اتبع ذلك
وذكر الطبري عن ابي العاليه انه قال كل ما ذكر الله تعالى في القران من الامر
بالمعروف فهو دعاء من الشرك الى الاسلام وما ذكر من النهي من المنكر فهو
النهي عن عباده الاوثان والشياطين وقال ابن عباس في قوله ويقيمون الصلاه
هي الصلوات الخمس **قال القاضي** ويحسب هذا تكون الزكوه المفروضه
والمدح عندي بالنوافل ابلغ اذ من يقيم النوافل اجزى باقامه الفرض
وقوله ويطيعون الله ورسوله جامع للمندوبات والسنن في قوله سيرحمهم
الله مدخله في الوعد مثله لتكون النفوس تتنعم برجايه وفصله تعالى زعيم
بالانجاز **وقوله** وعد الله المومنين والمومنات الايه وعد في هذه
الايه صريحه نص في الخير وقوله تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
واما من تحت عليائها واما من تحت مجالسها بالاضافه الى غير ما كانوا
في دار من متجاورين مستويين المكان هذا تحت هذا وذكر الطبري في قوله
ومساكن طيبه عن الحسن انه قال سالت عنها عمران ابن حصين فاما هريره
فعالا على الخبير سقطت سالنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قصر في الجنه من اللولو فيه سبعون دارا من ياقوته حمرا في كل دار سبعون
سنام زمرده خضرا في كل بيت سبعون حورا نحو هذا مما شبه هذه
الالفاظ ويقرب منها فاختصرتها طلبا للايجاز واما قوله في جنات عدن
فمعناه في جنات اقامه وثبوت يقال عدن الشيء في المكان اذا اقام به وثبت

ومنه المعدن اى موضع نبوت الشئ ومنه قول الاعشى

وان يسعفوا يصافوا الى جلبه نضافوا الى راح قد عدن

قال هذا الكلام اللغوى وقال كعب الاحبار حبات عدن بالفارسية حنات حنانا الكروم والاعناب **قال القاضى** رضى الله عنه واظن هذا وهما احتلط بالفردوس وقال الضحاك فى جنان عدن هى مدينة الجنة وعظمها فيها الانبيا والعلما والشهدا وايمة العدل والناس حولهم بعد والجنات حولها وقال ابن مسعود عدن بطنان الجنان وسرها وقال عطا عدن قصر فى الجنة لا يدخله الا نبى او صديق او شهيد او حكم عدل ومدن بها صوته **قال القاضى** والايه تدل على هذا التخصيص اذ قد وعد الله بها جميع المومنين واما قوله ورضوان من الله اكبر فروى فيه ان الله عز وجل يقول لعباده اذا استقروا فى الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول انى سأعطيكم افضل من هذا كله اضوا انى ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث وقوله اكبر يريد اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الايه والحديث متفق وقال الحسن ابن ابى الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من الله والسرور هو الذى عندهم واقر لعيونهم من كل شئ اصابوه من لذة الجنة **قال القاضى** ويظهر ان يكون قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اشارة الى منازل المقربين السابقين من تسنيم والذين يرون كما يرى الكوكب الغابر فى الافق وجميع من فى الجنة رياض والمنازل محل له وفضل الله تعالى متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون هم فى الفوز العظيم والعبارة عندى عن حالهم بسرور كامل اجود العبادة عنها بلذة واللذة ايضا مستعملة فى هذا **قوله تعالى** يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ

عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الاية قوله جاهد ما حد من بلوغ الجهد وهى مقصود بها المحافظة والمخالفة تتنوع بحسب المجاهد فجهاد الكفار والمعلن بالسيف وجهاد المنافق المستتر باللسان والتعنيف والاكفهرار فى وجهه ونحو ذلك الا ترى ان من الفاظ الشرع قوله عليه السلام والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله فجهاد النفس انما هو مصابرتها واخذها باتباع الحق وترع الشهوات فهو الذى يليق بمعنى هذه الاية لكنا نحكى اقوال المفسرين نصا لتكون معرضة للنظر قال الزجاج وهو متعلق فى ذلك بالفاظ ابن مسعود امر فى هذه الاية لجهاد السيف وابيح له فيها قتل المنافقين قال ابن مسعود ان قدروا والا فباللسان والا فبالقلب والا فبالاكفهرار فى الوجه قال القاضى رضى الله عنه والقتل لا يكون الا مع التحلى بحلى خرج عن رتبة النفاق وقال ابن عباس المعنى جاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم قال واكثر ما كانت الحدود تصيب يومئذ **قال** العاصى ووجه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين انهم لم يكونوا يجلحون بل كان كل معوض عليه اذا وقف اذى الاسلام وكان فى تركهم ابقاء وحياطة للاسلام ومحافظة ان ينفر العرب اذا سمعت ان محمدا يقتل من يظهر الاسلام وقد اوضحت هذا المعنى فى صدر سورة البقرة ومذهب الطبرى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم وسترهم واما قوله واغلظ عليهم فلفظة عامة تتصرف فى الافعال والاقوال واللحظات ومنه قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب ومنه قول البنوة لعمر ابن الخطاب انك افظ واغلظ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعنى الغلظ خشن الجانب فهى ضد قوله واحفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين ثم حسرت الايه المومنين عليهم فى عقب الامر بارحبارهم انهم
فى حلفهم والمعناهم اهل الجميع ما امرت ان تفعل بهم والماوى حيث يأوى
الانسان وتستقر **وقوله** يحلفون بالله ما قالوا الاية نزلت فى
الجلاس ابن سويد ان صح ذلك وذلك انه كان يأتى مع زيد ومعه ابن
امراته عمير ابن سعد فما قال ابن اسحق وقال غيره اسمه مصعب
وقيل عمير وهما على حمارين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع
قوما ممن اتهمهم بالنفاق قالوا ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر فقال الجلاس لذى كان
يسير معه والله ما هؤلاء الذين سمى الاكبر اوثا وسادتنا ولئن كان ما
يقول محمد حقا لنحن شر من حميرنا هذه فقال له ربيبه او الرجل الاخر
والله انه لحق وانك لشر من حمارك ثم خشى الرجل ان يلحقه فى دينه درك
فتحرج واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصة فارسل النبى صلى
الله عليه وسلم الى الجلاس وقرره فحلف بالله ما قال فنزلت الاية والا
ان رجع الكفر الى قوله ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمر لان
الكذب وقوله هذا الكلام قال مجاهد وقال الجلاس لما قال له صاحبه
انى ساخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لهم بقتله ثم لم يفعل عجزا
عن ذلك والى هذا ذهب الاية نزلت فى قوله وهموا بما لم ينالوا وقال قتادة نزلت
هذه الاية نزلت فى عبد الله ابن ابى ابن سلول وذلك ان سنان ابن وبره
الانصارى والجهجاه الغفارى كسر احدهما رجل الاخر فى غزوة المريسيع
فنتاورا فصاح جهجاه يا للانصار وصاح سنان يا للمهاجرين فغضب عبد الله ابن ابى ابن
فنوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر فقال عبد الله ابن ابى ابن

سلول

سلول ما ارى لنا ولاء الا قد تداعوا علينا ما مثلنا ومثلهم الا كما قال
الاول سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفه فحلف انه لم يقل ذلك
فنزلت الاية مكذبة قوله والاشارة بعلامة الكفر الى قوله سمن كلبك يأكلك
قال قتادة والاشارة بقوله وهموا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال
الحسن هم المنافقون باظهار الشرك ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم
بما لم ينالوا وقال بعد اسلامهم ولم يقل بعد ايمانهم لان ذلك يتجاوز فيهم
وقوله وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله معناه ان الرسول
صلى الله عليه وسلم انفذ لعبد الله ابن ابى دية كانت بحطلت له ذكر عكرمة
انها كانت اثنى عشر الفا وقيل بل كانت للجلاس **قال القاضى** رحمه الله
وهذا حسب الخلاف المتقدم فيمن نزلت الاية من اولها ونقدم اختلاف
القراء فى نقموا فى سورة المائدة وقرا ابو حيوة وابن ابى عبلة بكسر القاف
وهى لغة وقوله الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله استثناء من غير جنس
الاول كما قال ... النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب فكان الكلام وما نقموا الا ما حقه ان يشكر وقال
مجاهد فى قوله وهموا بما لم ينالوا انها نزلت فى قوم من قريش اردوا
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال القاضى** وبعد الا يناسب
الاية وقالت فرقة ان الجلاس هو الذى هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا اشبه الاية الا انه عبر فى الشد بلفظ حكاه الزجاج ان اثنى عشر
رجلا من المنافقين هموا بذلك فاطلع الله عليهم وذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم حسب كثرتهم والهم من الغمام فرسول الله صلى الله

وما عاهدوا

عليه وسلم سبب في ذلك وعلى هذا الحد قال عليه السلام للانصار وكنتم عالة
فاغناكم الله الى تم فتح لهم عز وجل باب التوبة رفقا بهم ولطفا في قوله فان
تتوبوا يك خيرا لهم وروى ان الجلاس تاب من النفاق فقال ان الله قد تزل
لي باب التوبة فاعترف واخلص وحسنت توبته والعذاب الاليم اللاحق
بهم في الدنيا هو المقت والخوف والهتك عند المومنين **قوله تعالى**
ومنهم من عاهد الله لان اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون لعله الاية نزلت
في ثعلبة ابن حاطب الانصاري وقال الحسن وفي معتب ابن قشير معه
واختصارا ما ذكره الطبري وعبره انه جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعل لي مالا فاني لو كنت ذا
مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير فراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال قليل يؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فعاوده
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم الا يريد ان تكون مثل رسول الله
[illegible] الله ان يسير الجبال معي ذهبا لسارت فاعاد عليه
حتى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاتخذ غنما فنمت
كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتنحى عنها ولزم غنمه فكان
لا يصلي الا الجمعة ثم كثرت حتى تباعد فترك الصلاة ونجم نفاقه
ونزل خلال ذلك فرض الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث
مصدقين كتابه في اخذ الزكاة من الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرا الكتاب
قال ما هذه اخت الجزية ثم قال دعوني حتى ارى رايي فلما اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبروه قال ويح ثعلبة ثلثا ونزلت الاية فيه

فخرج اليهم فقال له ادرك امرك نزلت فيك كذا
وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان
يؤدي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان
الله امرني ان لا اخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ورد ثعلبة على ابي بكر وعلى عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم
ان ياخذ منه الزكوة فكلهم رد ذلك واباه اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم فمضى ثعلبة كذلك حتى هلك في مدة عثمان وفي قوله فاعقبهم
نص في المعاقبة على الذنب بما هو اشد منه وقوله الى يوم يلقونه
يعني موافاتهم على النفاق وكذلك بقبل الحلفاء رجوع ثعلبة
لشهادة القران عليه بالموافاة ولولا الاحتمال في انه نفاق معصية
لوجب قتله وقرا الاعمش لنصدقن بالنون لنقيله مثل الجماعة ليكون
حقيقة النون والضمير في قوله فاعقبهم يعود على الله عز وجل
ويحتمل ان يعود على البخل المضمن في الاية ويضعف ذلك ان ضمير
في يلقونه وقوله نفاقا في قلوبهم يحتمل ان يكون نفاقا [illegible]
ثعلبة بعد هذا النص والابقاء عليه لما ظهر له الاسلام وتعلقه
بما فيه احتمال ويحتمل ان يكون قوله نفاقا يريد به نفاق معصيته
وقلة استقامته فيكون تقرير صحة وتكون ترك قبول الزكاة منه
عقابا له ونكالا وقد الخوما روي ان [illegible] كتب الى عمر ان عبد العزيز
قد منع الزكاة فكتب اليه ان عده واحمله بعقوبته ان لا يودي الزكوة
مع المسلمين يريد لما يلحقه من المقت والذل وقرا الحسن والاعرج وابو
عمرو وعاصم ونافع وسائر هم يكذبون وقرا ابو حيوة يكذبون وذا

الطبرى فى هذه الايه مابنا سبها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا اذا وعد اخلف واذا حدث كذب
واذا اؤتمن خان وفى حديث اخر واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر
ونحو هذا من الاحاديث وظهر من مذهب البخارى وغيره من اهل
العلم ان هذه الخلال الذميمه منافق من اتصف بها الى يوم القيامه
وروى ان عمر وابن العاص لما احتضرا قال روحوا فلانا فانه قد وعد ته
لا القى الله بثلث النفاق وهو ظاهر كلام الحسن ابن ابى الحسن وقال
عطا ابن ابى رباح قد فعل هذه الخلال اخوه يوسف ولم يكونوا منافقين
بل كانوا انبياء وهذه الاحاديث انما هى فى المنافقين فى عصر النبى صلى
الله عليه وسلم الذين شهد الله عليهم ومن هذه الخصال فى سائر الامه
معاص لا نفاق وذكر الطبرى ان الحسن رجع الى هذا **قال القاضى**
ولا محاله انها من التوحيد والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم معاص لكنها
من قبيل النفاق اللغوى وذكر الطبرى عن قوم انها فالت كان العهد الذى
اعد الله عليه ثقا ولا منافقين شيا نووه فى انفسهم ولم تكلموا
به **قال القاضى** وهذا فيه نظر وقوله الم يعلموا الايه لفظ عام
وما بعده تعلق من رأى فى الايه المتقدمه ان العهد كان فى المنافقين بالنيه
لا بالقول وقرأ الجمهور يعلموا بالياء من تحت وقرأ ابو عبد الرحمن والحسن
الم تعلموا بالتاء من فوق وهذا ايضا مناسب حالهم وذلك انهم تضمنت
احاطه علم الله بهم وتبصيره لهم فيها يوبخهم على ما كانوا عليه من
التحدث فى نفوسهم من الاجتماع على قلب الاسلام واراده بعضهم من
بعض فى جهد النبى عليه السلام شرعه فهى تعم المنافقين اجمع وقيل
هذه المقاله المذكوره دليل على انها نزلت فى الفرقه التى عاهدت **وقوله**

تعالى

تعالى الذين يلمزون المطوعين من المومنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مره فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا
بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين قوله الذين يلمزون رد
على الضمائر فى قوله يكذبون والم يعلموا وسرهم ونجواهم ويلمزون معناه
ينالون بالستهم وقرا السبعه يلمزون بكسر الميم وقرا الحسن وابو رجا
ويعقوب وابن كثير فيما روى عنه يلمزون بضم الميم والمطوعين لفظه
عموم فى كل متصدق والمراد به الخصوص فيمن تصدق بكثير دل
على ذلك قوله عطفا على المطوعين والذين لا يجدون ولو كان الذين
لا يجدون قد دخلوا فى المطوعين لما ساغ عطف الشى على نفسه وهذا
قول ابى على الفارسى فى قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال فانه قال المراد بالملائكه من عدا هذين ولذلك قال
فى قوله فيهما فاكهه ونخل ورمان وفى هذا نظر لان الذكر بعد
الشريف يسوغ هذا مع تحرر العرب فى كلامها واصل الطاء من
فابدلت التاء طاء وادغمت واما المتصدق بكثير الذى كان سببا للايه
فاكثر الرواه على انه عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعه الاف
وامسك مثلها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت
وفيما انفقت وقيل هو عمر ابن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل
عاصم ابن عدى تصدق بمايه وسق واما المتصدق بقليل فهو ابو
عقيل صاحب الاراسى تصدق بصاع تمر وقال يا رسول الله
جلدت البارحه بالجدير واحرزت صاعين ترك احدهما لعيالى

واسب بالاحر صدقة فقال المنافقون ان الله غنى عن صدقة هذا وقال
بعضهم ان الله غنى عن صاع ابى عقيل وقيل ان الذى تصدق بقليل اوجيمة
فالذى فى ابن ماجة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق عبد
الرحمن بن عوف بار بعة الاف وقيل باربعة ماية اوقدم من فضة وقيل اقل من
هذا فقال المنافقون ما هذا الا رياء فنزلت الاية فى هذا كله وقوله
فيسخرون منهم محاه يستهزون ويستخفون وهو معطوف على يلمزون
واعترض ذلك بان المعطوف على الصلة هو من الصلة وقد دخل بين
المعطوف والمعطوف عليه قوله والذين لا يجدون وهذا لا يلزم
لان قوله والذين معمول الذى عمل فى المعطوف عنه هو بمعنى قوله حالى الذى
ضرب زيدا عمرا فقتلها وقوله سخر الله منهم سميه للعقوبة باسم
الذنب وهى عبارة عما حل بهم من المقت والذل فى نفوسهم وقوله ولهم
عذاب اليم معناه مولم وهى ابه وعذب يحيض وقرأ جمهور الناس جهدهم
بضم الجيم وقرأ الاعرج وحماد عن عاصم جهدهم بالفتح فى تعب الجسم
وهو قول النخعى وقوله الذين يلمزون يصح ان يكون خبر ابتداء بتقديره
هم الذين ويصح ان يكون ابتداء وخبره سخر وفى سخر معنى الدعاء عليهم ويحتمل
ان يكون جرا بدلا من الذين قبل كما ذكرت اول الترجمة وقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر
لهم يحتمل معنيين احدهما ان يكون لفظ امر ومعناه الشرط بمعنى ان
استغفرت لهم او لا تستغفر لهم لن يغفر لهم فيكون مثل قوله تعالى
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ومثله قول الشاعر

أسيئى بنا أو احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

وصل بالمعنى واصل والد ابو عبسه وصل العالم المحدث

وال

والى هذا المعنى ذهب الطبرى وغيره فى معنى الاية والمعنى الذى يحتمله
اللفظ ان يكون تخييرا كانه قال ان شئت فاستغفر وان شئت لا تستغفر
ثم اعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو الصحيح
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبيينه ذلك وذلك ان عمر
ابن الخطاب سمعه بعد نزول هذه الاية تستغفر لهم فقال له يا رسول
الله اتستغفر للمنافقين وقد اعلمك الله انه لا يغفر لهم فقال
له يا عمر ان الله قد خيرنى فاخترت ولو اعلم انى ان زدت على السبعين
يغفر لهم لزدت ونحو هذا من مقاله عمر الى ان توفاه النبى صلى الله
عليه وسلم الصلاة على عبد الله ابن ابى ابن سلول وظاهر صلاته عليه
ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلى على كافر ولكنه راعى ظواهره
من الاقرار ووكل سريرته الى الله وعلى هذا كان يستر المنافقين من
اجل عدم التعيين فى الكفر وفى هذه الالفاظ الى لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رفض لزام دليل الخطاب ودلك ان دليل الخطاب يقتضى
ان الزيادة على السبعين يغفر منها فعال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو علمت ان جعل ذلك مما لا يعلمه ومما ينبغى ان يتعلم ويطلب علمه من الله
عز وجل وفى هذا لحة عظيمة للقول برفض دليل الخطاب واذا تبين
كما قلنا التخيير فى هذه الاية صح ان ذلك التخيير هو الذى نسخ بقوله تعالى
فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين وبذلك قال رحمه الله مسايل
يقتضى القول بدليل الخطاب منها قوله اذا ادرك للتشهد وحده لا

يلزمه احكام الامام لقوله صلى الله عليه وسلم من ادرك ركعة من الصلاة
فقد ادرك الصلاة فاقتضى دليل الخطاب ان من لم يدرك ركعة فلم يدرك
وله مسايل يقتضى رصد دليل الخطاب منها قوله النبى صلى الله عليه وسلم
فى سايمة الغنم الزكوة فدليل الخطاب الا زكاة فى غير السايمة ومالك
يرى الزكاة فى غير السايمة ومنها ان الله عز وجل يقول فى الصيد ومن
قتله منكم متعمدا فقال مالك حكم المخطى والمتعمد سواء ودليل الخطاب
بعض غير هذا وانما يتبلد بالسبعين دون غيرها من الاعداد فلانه
عدد كثير اما لى غاية ومقنعا فى الكثرة الا ترى الى القوم الذين
حاربهم موسى والى اصحاب العقبة وقال بعض اللغويين ان التضعيف
الذى يكون من اثنين واثنين هو شديد الاسر من ذلك
السبعة فما فوقها عدد ممتنع بها فى السموات وفى الارض وفى خلق
الانسان وفى رزقه وفى اعضايه التى بها يطيع الله وبها يعصيه وبها
تاتيه ابواب جهنم فما ذكر بعض الناس ولى عيناه وادناه ولسانه
[illegible] دلك ومن ذلك السبع والحموس والعنبس ونحو هذا من القول
وقوله ذلك اشاره الى امتناع الغفران وقوله والله لا يهدى القوم
الفاسقين اما من حيث انهم فاسقون واما انه لفظ عموم يراد به
الخصوص فمن يوافى على الكفر **قوله تعالى** فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل
الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون
لعذابه تتضمن وصف حالهم توبيخه لهم وفى ضمنها وعيد

وقوله المخلفين لفظ يقتضى تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه
وهى امكنة بعد من ان يقال المخلفون ولم يفرح الاسافق فخرج من
ذلك الملائكة واصحاب العذر ومقعد مصدر بمعنى القعود مثله
ومدخل مسرورا مقعد مالك وقوله خلاف قيل معناه بعد والشد
ابو عبيدة فى ذلك

"عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا"

يريد بعدهم ومنه قول الشاعر

"فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى تاهب لاخرى مثلها فكان قد"

وقال الطبرى هو مصدر من خالف يخالف **قال القاضى** فعلى
هذا هو مفعول له والمعنى فرح المخلفون بمقعدهم لمخالفة رسول الله
او مصدر ونصبه على القول الاول كانه على الظرف وكراهتهم لما ذكر
يعنى شح الانفس بالنفوس والاموال ان يجاهدوا فى سبيل الله وهم يطنون بالدين
لا تنفروا فى الحر كان ذلك ان غزوه تبوك كانت فى وقت شدة الحر
والظلال فقال ابن عباس ولعب ابن مالك والناس وشمت عليهم
الحمة بان قيل لهم فاذا التم تحزنون من حر النيط فنار جهنم التى هى
اشد حرا ان تحزنوا منها لو فقهتم وقرا ابن عباس وابو حيوة خلف
وذكرها يعقوب ولم ينسبها وقرا خلف بضم الخاء ويقوى قول
البصرى ان لفظة الخلاف تعنى مصدر من خالف ما ظاهرت به
الروايات من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم بالنفر فعصوا
وخالفوا وقعدوا مستاذنين غير مستاذنين قال محمد بن كعب

قال لا تفرحوا في الحر رجل من بني سلمة وقال ابن عباس قال رجل يا رسول
الله الحر شديد فلا تفرحوا في الحر قال البقاش وفي قراءة عبد الله يعلمون
بدل يفقهون وقال ابن عباس وابو وائل وابو الربيع ابن خيثم وقتادة
وابن زيد قوله فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة الحزن في الدنيا وقوله
وليبكوا كثيرا اشارة الى تأبيد الخلود في النار والحائل لفظ الامر ومعناه
الخبر عن حالهم ويحتمل ان تكون صفة عن حالهم اي لما هم عليه من الخطر
مع الله وسوء الحال بحيث ينبغي ان يكون ضحكهم قليلا وبكاؤهم من اجل
ذلك كثيرا او بعد ان يقصى ان يكون وقت الضحك والبكاء في الدنيا على نحو
قوله عليه السلام لامتد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال بعد السلام اوحى الله يا
محمد لا تقنط عبادي وجزاء معلق بالمعنى الذي يقدره ولبكوا كثيرا فهم
يجدون جزاء وقوله يكسبون نص في ان التكسب هو الذي متعلق به
الثواب والعقاب وقوله فان رجعك الله الى طايفة منهم الاية رجع
بالمجاورة وغير محاورة وقوله تعالى منبيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يعلم مستقبلات امره من اجل وسواه وايضا فيحتمل ان يموتوا
قبل رجوعه وقد اعلم الله عز وجل النبي بان يقول لهم لن تخرجوا معي ابدا عقوبة
لهم واظهارا لدناءة منزلتهم وسوء حالهم وهذا هو المقصود في قصة تعليم
ان خاطب النبي بعد مئات الاستثناء من اخذ صدقته ولاجزاء اعظم من
ان يلون انسانا قد رفضه الشرع وردته كالحمل الاجرب وقوله الى طايفة
يقتضي عندي ان المراد رؤساء والمتبوعون وعليها وقع التسديد بانها
لا تخرج ولا تقاتل عدوا وكرر القتال لانه ولانه اعظم الجهد وموضع ارقه

السيوف التي يحتها الجند ولولا تخصيص الطايفة لكان الكلام فان رجعك
الله اليهم وشبه ان يكون هذه الطايفة قد حتم عليها بالموافاة على النفاق
وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم والا فلفظ يترتب ان لا يصلي على موتاهم
ان لم يعينهم الله وقوله ومانوا وهم فاسقون نص في موافاتهم وممما
يؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عين لحذيفة ابن اليماني
وفات الصحابة اذا رأى واحدا منهم تاخر عن الصلاة على جنازه رحل تاخروا
عنها وروي عن حذيفة انه قال لرجل ممن يثق من المنافقين كذا وكذا فقال له
عمر ان الخطاب انشدك الله انا منهم فعال لا والله ولا والله امنت بها احدا
بعدك وقرأ الجمهور من الناس معي بسكون الياء في الموضعين وقرأ عاصم
فيما قال المفضل معي بحركة الياء في الموضعين وقوله اول لهو بالاضافة
الى وقت الاستيذان والخالفون جمع من خلف من نساء وصبيان واهل
عذر غلب الذكور بالياء والنون وان كان فيهم نساء وهو جمع خالف وقال
قتاده الخالفون النساء وهذا مردود وقال ابن عباس هم الرجال وقال
الطبري يحتمل قوله مع الخالفين اي يريد مع الفاسدين فيكون ذلك ذما
من خلف الشيء اذا فسد ومنه خلوف فم الصايم قال ابو علي رضي الله
عنه وهذا ناويل مقحم والاول افصح واجرى على اللفظ وقوله اما لك ان
تسير وعكسه مع الخالفين وهو مقصور من الخالفين قال عردا او بردا
يريد عاردا او باردا وكما قال الاخر تمل الشقا بردا برد الظلل قوله
تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله على قبره انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون قد اعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وهذه

السيوف

الايه نزلت فى شان عبد الله ابن ابى ابن سلول وصلاه رسول الله صلى الله عليه
عليه فروى انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم ان
يصلى عليه جاءه جبريل فجبذه بثوبه وثنى عليه ولا تصلى على احد منهم مات
ابدا الايه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصل وتظاهرت
الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليه ونزلت الايه بعد
ذلك وفى كتاب البخارى فى الجنايز من حديث جابر قال اتا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبد الله ابن ابى بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج
ووضعه على ركبته ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه وروى
فى ذلك ان عبد الله ابن ابى بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه
ورغب اليه فى ان يستغفر له وان يصلى عليه وروى ان ابنه عبد الله ابن
عبد الله جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه يرغب فى ذلك
وان يلبسوه قميصه الذى يلى بدنه ففعل فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلى عليه قام اليه عمر فقال يا رسول الله اتصلى عليه وقد نهاك الله
عن الاستغفار لهم وجعل يعدد افعال عبد الله فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخر عنى يا عمر فانى خيرت ولو اعلم انى ان زدت على السبعين
غفر له لزدت وفى حديث اخر ان قميصى لا يغنى عنه من الله شيا وانى لارجوا
ان يسلم بفعلى هذا الف رجل من قومه وفى بعض الروايات يريد من منافقى
العرب والصحيح انه قاله فى رجال من قومه فسكت عمر وصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عبد الله ثم نزلت هذه الايه بعد ذلك وصلى عليه
اللام لموضع الظهاره الايمان ويحتمل ان يصلى عليه وهو يحقق كفره وبعد
هذا والله اعلم عبر له من لا يصح عليه رجوع فى معانى ابى اسحق وفى خاص
كتب التفسير فاسلم وتاب لهذه القصه من رسول الله صلى الله عليه وسلم

والوعد

والوعد من عبد الله الف رجل من الخزرج **قال القاضى** رحمه الله
وهذا ضعيف قاله من لم يعرف عدد الانصار وقوله ولا يحملك اموالهم
الايه تقدم تفسير مثل هذه الايه والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم
والمراد امته لانهم باجماع اذ هو ممن لا يفتنه زخارف الدنيا ويحتمل ان
يكون معنى الايه ولا يعجبك ايها الناس والمراد الجنس ووجه تكريرها
تاكيد هذا المعنى وايضاحه لان الناس كانوا يفتنون بصلاح حال
المنافقين فى دنياهم وقوله واذا انزلت سورة الايه العامل فى اذا
اسناد نوك والسوره المشار اليها هى براءة فما قال بعضهم ويحتمل ان
يكون الى اى سورة فيها الامر بالايمان والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسورة القران اجمع على ترك همزها فى الاستعمال **واختلف**
هل اصلها الهمز او لا فقيل اصلها الهمز وهى من اسار اذا بقيت له
قطعة من الشى فالسورة قطعة من القران وقيل اصلها ان لا همز
فهى كسورة البناء وهو ما بقى منه شيا بعد شى وهى الرتبه بعد
الرتبه ومن هذا قول ـــــــــ النابغه

"ودلك ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب"

وقد مضى هذا كله مستوعبا فى صدر هذا الكتاب واما قوله ان امنوا
يحتمل ان تكون مفسرة بمعنى اى فهى على هذا لا موضع لها ويحتمل ان تكون
المقدرة بان فهى فى موضع خفض بدل من الهاء فى هذه الايه المال قاله
ابن عباس وابن اسحق وغيرهما والاشاره بهذه الايه الى الحرى ان قبس
وعبد الله ابن ابى ومعتب ابن قشير ونظرائهم والقاعدون الزمنى
واهل العذر فى الجمله ومن ترك الغبط المدينه لاولئك بعذر **قوله**

رضوا بان يكونوا مع الخوالف الاية تقريع واظهار شنعة دا تعال على وجه
التعيير رضيت يا فلان بكذا وكذا والخوالف النساء جمع خالفة كما
قول جمهور المفسرين وقال ابو عبيدة النحاس يقال للرجل الذى لا خير فيه
خالفة وهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخسة الناس واخلافهم وقال
الطبرانى شميل فى كتاب المقاس الخوالف من لا خير فيه وقال فرقد الخوالف
جمع خالف وهو جار مجرى فوارس ونواكس وهو الذى وطبع فى قلبه
الاية مستعار ولما كان الطبع على الصوان والختام مانعا منه
وحافظا عليه شبه القلب الذى غشيه الكفر والضلال حتى منع
الايمان منه والهدى بالصوان المطبوع عليه ومن هذا استعارة القفل
والختام للقلب ولا يفهمون معناه لا يفهمون قوله تعالى لكن
الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم
الخيرات واولئك هم المفلحون الاكثرون لا كل ان نحى بعد نفى وهو هاهنا
لتاكيد المعنى ودلك ان الاية السالفة معناها ان المنافقين لم يجاهدوا فحسن
بعدها ان الرسول والذين امنوا معه جاهدوا والخيرات جمع خيرة
وهو اسم حسن من كل شئ وكثر استعماله فى النساء فمن ذلك قوله عز
وجل فيهن خيرات حسان ومن ذلك قول الشاعر اشار الطبرى

" ولقد نهيت بجامع الربلات ... فنعم خيرة الملكات "

والمفلحون الذين ادركوا ابغيتهم من الجنة والفلاح باتى بمعنى ادراك
البغية ومن ذلك قول لبيد افلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد
يخدع الاريب وباتى بمعنى البقاء ومن ذلك قول الشاعر

" لكل هم من الهموم سعة ... والمسى والصبح لا فلاح معه "

اى لا بقاء

قال القاضى

قال القاضى رضى الله عنه وبلوغ البغية نعم لفظة الفلاح
حيث وقعت فتامله واعدد معناه يسر وتعيا وقوله من تحتها يريد
من تحت مبانيها واعالها والفور حصول الانسان على امله وظفره
ببغيته ومن ذلك فور سهام الاسار وقوله وجاء المعذرون من
الاعراب الاية اختلف المتاولون فى هؤلاء الذين جاءوا هل كانوا
مؤمنين او كافرين فقال ابن عباس وقوم معه منهم مجاهد كانوا
مؤمنين وكانت اعذارهم صادقة وقرا ابو رجاء المعذرون باسكان
العين وهى قراءة الضحاك وحميد الاعرج وابى صالح وعيسى بن هلال
وقرا بعض قائلى هذه المقالة المعتذرون بالتشديد على الواو واصله
المعتذرون فقلبت التاء دالا وادغمت ويحتمل ان المعذرون فى هذا
القول معنيان احدهما المعتذرون باعذار حق والاخر ان يكون الذين
قد بلغوا اعذارهم من الاجتهاد فى طلب العذر ومعك فلم يقدروا فيكون
مثل قول لبيد ومن يتك حولا كاملا فقد اعتذرا

وقال قتادة وفرقة بل الذين جاءوا الكفرة وعذرهم كذبهم ومنهم من قال
هو من التعذير اى الذين يعذرون الغزو ويدفعون فى وجه النفير والاية
الى آخرها فى هذا القول انما وصفت صنفا واحدا من الكفرة قسم الى
اعرابى وحضرى وعلى القول الاول وصفت صنفين منافقين وكافرا قال
ابو حاتم وقال لبعضهم سالت مسلمة هذا المعذرون بشد العين والذال
قال ابو حاتم اراد المعتذرون والتاء لا تدغم فى العين لبعد المخرج وهى
غلط منه او عليه قال ابو عمرو وقرا سعيد بن جبير المعتذرون
بزيادة تاء وقرا الحسن بخلاف عنه وابو عمرو ونافع والناس كذبوا

وقولهم وكانوا قد عرفوا الحق وسمعوا الحق من رسول الله ﷺ منهم من قال اصل المعذرون عذر حذفت التاء ادغمت الذال فى العين واجتلبت الف الوصل

بتخفيف الدال وقرا الحسن وهو المشهور عنه والى ابن كعب ونوح واسماعيل
لدنو اشدد الدال والمعنى لم يصدقوه تعالى ولا رسله وردوا عليه امره
ثم توعدهم باحد العذابين بعذاب الم فيحتمل ان يريد في الدنيا بالقتل
والاسر ويحتمل ان يريد في الاخره بالنار وقوله منهم يريد ان المحتدرين
كانوا المعتدرون ويرجحه بعض الترجيح فتامله وضعف الطبري قول
من قال ان المحتدرين من التعذير وانحى عليه والقول منصوص وجهد
بين والله المعين وقال ابن اسحق المعتدرون نفر من بني غفار منهم خفاف
ابن ايما ابن رحضه قال القاضي وبهذا يقتضي انهم مومنون قوله
تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما
ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون
يقول على اهل الاعذار الصحيحة من ضعف بدن او مرض او زمانه
او عدم نفقة اثم والحرج الاثم وقوله اذا نصحوا يريد سائرهم
وانوا سرا وجهرا وقرا ابو حيوه نصحوا الله ورسوله بغير لام
وبنصب الجلالة من المكتوبة وقوله ما على المحسنين من سبيل يريد من سبيل
في ولايه تناظرهم او تذنبهم وعقوبتهم اذا رجا بقوله والله
غفور رحيم والله لاهل الاشاره عفور رحيم قال القاضي وهذا
على جهة التفسير اشبه منه على جهة التلاوه لخلاف المصحف واختلف
فيمن المراد بقوله الذين لا يجدون فقالت فرقه نزلت في بني مقرن
قال القاضي وهم اخوة سبعة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم

وليس

وليس في الصحابه ستة غيرهم وقيل كانوا سبعه وقيل نزلت في عايذ
ابن عمرو المزني قاله قتاده وقيل نزلت في عبد الله ابن مغفل المزني قاله
ابن عباس وقوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اختلف
فيمن نزلت هذه الايه فقيل نزلت في العرباض ابن ساريه وقيل نزلت
في عبد الله ابن مغفل وقيل في ابي موسى الاشعري وفي رهطه وقيل
في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت في سبعة نفر من
بطون شتى فهم البكاون وهم سالم ابن عمير من بني عمرو ابن عوف وحرمي
ابن عمرو من بني واقف وابو ليلى عبد الرحمن ابن كعب من بني مازن ابن
النجار وسلمان ابن صخر من بني المعلى وابو رعيله عبد الرحمن ابن زيد
من بني حارثه وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه وعمرو ابن
عتبه من بني سلمه وعايذ ابن عمرو المزني وقيل عبد الله ابن عمرو المزني
قال هذا قاله محمد بن كعب القرظي وقال مجاهد البكاون هم بنو مكرز
من مزينه ومعنى قوله لتحملهم اي على ظهير تركب وتحمل عليه الاثاث وقال
بعض الناس انما استحملوه النعال ذكره النقاش عن الحسن ابن صالح وهذا
بعيد شاذ والعامل في اذا يحتمل ان يكون في قلب ويكون قوله تولوا
معطوفا ويحتمل ان يكون العامل تولوا ويكون بتقدير الكلام فقلت لا
اجد ما احملكم عليه بمنزله وجدوك في هذه الحال وفي الكلام الجاز
واختصار ولا بد يدل عليه ظاهر الكلام على ما اختصر منه وقال
الجرجاني في النظم لان قوله قلت في صلة المعطوف تقديره وقلت
وحزنا نصب على المصدر وقرا معقل عن هارون لتحملهم عليه بنون الجمع

قوله تعالى انما السبيل الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا

اوكون قوله قلت

بان يكونوا مع الحوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون قوله
في هذه الايه انما ليس بحصر وانما هي للمبالغه فما يريد بقدره على نحو
قولك انما الشجاع عنتره ويقضي بهذا انا نجد السبيل في الشرع
على غير هذه الفرقه موجود والسبيل قد توصل بعلى والى فيقول
لا سبيل على فلان ولا سبيل الى فلان غير ان وصولها بعلى يقضي
احيانا صعوبة المتوصل اليه وقله منفعته فلذلك حسنت في هذه
الايه وليس الى الا ترى انك تقول فلان لا سبيل له الى الامر ولا الى
طاعة الله ولا يحسن في شبه هذا على والسبيل في هذه الايه سبيل
المعاتبه وهذه الايه نزلت في المنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله ابن
أبي والجد بن قيس ومعتب وغيرهم وقد تقدم تفسير نظير هذه
الايه وقوله تعتذرون اليكم الايه هذه المخاطبه للنبي صلى الله عليه وسلم
وسر كبعه المسلمون في بعض لان المنافقين كانوا يعتذرون ايضا الى
المؤمنين ولان انباء الله انما تحصل للمؤمنين وقوله رجعتم يريد
من غزوه تبوك وقوله لن نؤمن لكم معناه لن نصدقكم ولن لتقطه نؤمن
سمل بلام احيانا كما تقدم في قوله نؤمن للمؤمنين ونبأني في هذه الايه
قيل هي بمعنى عرف لاحتياج الى اكثر من مفعولين فالضمير مفعول اول
وقوله من اخباركم مفعول ثان على مذهب الحسن في زيادة من في الواجب
فالتقدير قد نبأنا الله اخباركم وهو على مذهب سيبويه نعت لمحذوف
وهو المفعول الثاني تقديره قد نبأنا الله جليه من اخباركم وقيل نبأ
بمعنى اعلم يحتاج الى ثلاثه مفعولين فالضمير واحد من اخباركم ثان حسب
ما تقدم من القولين والثالث محذوف يدل الكلام عليه تقديره قد نبأنا

الله من اخباركم كذبا او نحوه وحذف هذا المفعول مع الدلاله عليه
جائز بخلاف الاقتصار وذلك ان الاقتصار انما يجوز اما على المفعول
الاول ويسقط الاثنان إذ هما الابتداء والخبر واما على الاثنين الاخرين
ويسقط الاول واما ان يقتصر على المفعولين الاولين ويسقط الثالث
دون دلاله عليه فذلك لا يجوز ويجوز حذفه مع الدلاله عليه
والاشاره بقوله قد نبأنا الله الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا
خلالكم ونحو هذا وقوله وسيرى الله توعد ومعناه وسيراه في حال
وجوده ويقع الجزاء على ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله ثم تردون
يريد البعث من القبور والنشيء والشهاده يعني جميع الاشياء فينبئكم
معناه التخويف لمن لا يخفى عليه خافيه **قوله تعالى** سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم ومأواهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون قيل ان هذه الايه من اول ما نزل في شان
المنافقين في غزوه تبوك وذلك ان بعض المنافقين اعتذروا الى
النبي صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في القعود قبل مسيره فاذن لهم
فخرجوا من عنده وقال احدهم والله ما هو الا سحر لا اول اكذب فلما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فهم القرآن فانصرف رجل
من القوم فقال للمنافقين في مجلس منهم والله لقد نزل على محمد فيكم قرآن
فقالوا وما ذاك فقال لا احفظ الا اني سمعت وصفكم فيه بالرجس
فقال محسن والله لوددت ان اجلد مايه جلده ولا اكون معكم فخرج
حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاءك فقال وحه رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وانا في الكن فروى انه ممن تاب وقوله

يوم نهاوند فقال الاعرابى والله ان حديثك اعجبنى وان يدك لتريبنى
قال زيد ومايريبك من يدى وهى الشمال فقال الاعرابى والله ما ادرى
اليمين يقطعون ام الشمال فقال زيد صدق الله الاعراب اشد كفرا
ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله واجدر
معناه اجرى والحدود هنا السنن والاحكام ومعالم الشريعة **قوله**
تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم
دائرة السوء والله سميع عليم لما نزل فى المنافقين منهم ومعنا يتخذ فى
هذه الاية اى يجعل مقصده ولا ينوى فى ذلك غيره واصل المغرم الدين
ومنه يعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم ولكن يخبر
ذلك فى استعمال المغرم والمأثم بوديه الانسان مما ليس بحق وفى اللفظ
معنى اللزوم ومنه قوله تعالى ان عذابها كان غراما اى ملزوما
والدوائر المصائب التى لا تخلص للانسان منها فهى تحيط به كما تحيط الدائرة
ويحتمل ان يستوفى مدار الزمان والمعنى ينتظر بكم ما يأتى به الايام
وتدور به ثم قال على جهة الدعاء عليهم دائرة السوء وكل ما كان بلفظ
دعاء من جهة الله تعالى وانما هو بمعنى الجواب الذى لان الله تعالى لا يدعو
على مخلوقاته وهم فى قصته ومنه قوله ويل لكل همزة لمزة والمطففين
فى كلها احكام تامة نصبها خبره تعالى وقرأ الجمهور من السبعة وعليهم
دائرة السوء بفتح السين وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وحليف
عنه وعاصم والأعمش وحليف عنهما دائرة السوء بضم السين واختلف
عن ابن كثير وقيل الفتح المصدر والضم الاسم واختلف الناس فيهما وهو
اختلاف يقرب بعضه من بعض والفتح فى السين يقتضى وصف الدائرة

فاعرضوا عنهم امرا بانتهارهم وعقوبتهم بالاعراض والوصم بالنفاق
وهذا مع احوال لا مع تعيين مصرح من الله ولا من رسوله بل كان لكل
واحد منهم ميدان المعالطة مبسوطا وقوله رجس اى نتن وقذر
وناهيك بهذا الوصف محطة دنيا وية ثم عطف بحطة الاخرة فقال
ومأواهم جهنم اى مسكنهم ثم جعل ذلك حزاء لتكسبهم للمعاصى والكفر
مع ان ذلك مما قدره الله وقضاه عليهم لا رب غيره ولا معبود سواه
واسند الطبرى عن كعب ابن مالك انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك جلس للناس فجاء المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون وكانوا
بضعة وثمانون رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم
وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرايرهم الى الله وقوله يحلفون لكم لترضوا
عنهم بعد الاية والذى قبلها مخاطبة للمؤمنين مع الرسول والمعنى يحلفون
لكم مبطلين ومقصدهم ان ترضوا لانهم يعلمون ذلك لوجه الله ولا
للبر وقوله فان ترضوا الى آخر الاية شرط نصب الهى عن الرضى عنهم
وحكم هذه الاية مستمر فى كل مغموض عليه ببدعة ونحوها فان المؤمن
ينبغى ان يبغضه ولا يرضى عنه سببا من اسباب الدنيا **وقوله**
الاعراب اشد كفرا ونفاقا الاعراب لفظة عامة ومعناها الخصوص
فمن استثناه الله عز وجل ونحو معلوم بالوجود وليف ما كان
الامر وانما انطلق عليهم هذا الوصف بحسب بعدهم عن الحواضر ومواضع
العلم والاحكام والشرع وهذه الاية انما نزلت فى منافقين حاولوا فى البوادى
لا محالة ان خوفهم هناك اقل من خوف متافقى المدينة فالسنتهم كذلك
مطلقة ونفاقهم اجم واسند الطبرى ان زيد ابن صوحان كان يحدث
اصحابه بالعلم وعنده اعرابى وكان زيد قد اصيبت يده اليسرى

بانها سيئة وقال ابو علي معنى الدابر يقتضي معنى السوء فانما هي اضافه
ببان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه قال ابو محمد ولا يقال
رجل سوء الا بفتح السين وهذا قول اكثرهم وقد حكى رجل سوء نظم اللين
وقد قال الشاعر وكنت كذي لب لسوء لما راى دنا بصاحبه
يوما احال على الندم ولم يحلف الفراء في فتح السين في قوله ما كان ابوك
امرا سوء وقوله ومن الاعراب من يومن بالله قال قتاده هذه
ثنيه الله تعالى من الاعراب ويتحد انصاري بعده الايه بمعنى يجعله
مقصدا والمعنى ينوي بنفقته في سبيل الله القربه عند الله عز وجل
واستغنام دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ففي دعايه لهم خير الاخره
ونجاه من النار وخير الدنيا في ارزاقهم ومحى الله لهم صلوات على
هذا عطف على قربات ويحتمل ان يكون عطفا على ما ينفق اي ويتخذ
بالاعمال الصالحه وصلوات الرسول قربه والاول ابين وقربات
جمع قربه بسكون الراء وضمها وهما لغتان والصلوات في هذه الايه
الدعا احماعا وقال بعض العلماء الصلاه من الله رحمه ومن النبي والملائكه
دعاء ومن الناس عباده والضمير في قوله انها يحتمل ان يعود على النفقه
وهذا في انعطاف الصلوات على القربات ويحتمل ان يعود على الصلوات
وهذا في انعطافها على ما سبق وقرا نافع قربه بضم الراء واختلف
عنه وعن عاصم والاعمش وقرا الباقون قربه بسكون الراء ولم
يختلف في قربات هم وعد تعالى في قوله سيدخلهم الله في رحمته الايه
وروى ان هذه الايه نزلت في بني مقرن من مزينه وقاله مجاهد
واسند الطبري الى عبد الرحمن ابن معقل ابن مقرن انه قال كنا عشره ولد

مقرن فنزلت فينا ومن الاعراب من يؤمن بالله الى اخر الايه قال
القاضي وقوله عشره ولد مقرن يريد الستة الاولاد لصلبه
او السبعه على ما في الاستيعاب من قول سويد ابن مقرن وبسم
لان هذا هو الذي في مشهور دواوين اهل العلم قوله تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قال ابو موسى الاشعري وابن
المسيب وابن سيرين وقتاده السابقون الاولون من صلى للقبلتين
وقال عطا السابقون الاولون من شهد بدرا قال القاضي
وحولت القبله قبل بدر بشهرين وقال عامر ابن شراحيل الشعبي
السابقون الاولون من ادرك بيعه الرضوان والذين اتبعوهم
باحسان يريد سايير الصحابه ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسايير
الامه لكن بشريطه الاحسان وقد لزم هذا الاسم الطبقه التي
رات من راى النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال قايل ان السابقون الاولون
هم جميع من هاجر الى ان انقطعت الهجره لكان قولا يقتضيه اللفظ
وتكون من لبيان الجنس والذين في هذه الايه عطف على قوله والسابقون
وقرا عمر ابن الخطاب والحسن ابن ابي الحسن وقتاده وسلام وسعيد
ويعقوب ابن طلحه وعيسى الكوفي والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار برفع الراء عطفا على والسابقون ولذلك نعطف على القراءتين
قوله والذين اتبعوهم باحسان وجعل الاتباع عديلا للانصار واسند

الطبرى ان زيدا ان ثابت سمعه فراده فبعث عمر فى ابى ابن كعب فساله
فقال ابى ابن كعب والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر ما كنت ترى الا قدر فعا رفعة
لا سالها معنا احد فقال ابى ان مصداق هذا فى اول
سوره الجمعه واخرين منهم لما يلحقوا بهم وفى سوره الحشر والذين
جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وفى سوره الانفال فى قوله والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم فاولئك منكم فرجع عمر الى قول ابى وبنيت هذه الايه
من التابعين وهم الذين ادركوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كما نبه من
ذكرهم قوله عليه السلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فتامله
وقرا ابن كثير من تحتها الانهار وقرا الباقون تحتها باسقاط من ومعنى
هذه الايه الحكم بالرضى عنهم باد خالهم الجنه وغفر ذنوبهم والحكم
برضاهم عنه بشكرهم وحمدهم على نعمه وايمانهم به وطاعتهم له جعلنا
الله من الفائزين برحمته **وقوله** ومن حولكم من الاعراب الايه
مخاطبه للنبى عليه السلم شرك فى بعضها امته والاشاره بقوله ومن
حولكم هى الجهينة ومزينة واسلم وغفار وعصيه ولحيان وغيرهم
من القبايل المجاورة للمدينه فاخبر الله عن منافقيهم وبعد الايه
ومن اهل المدينه قوم او منافقون هذا احسن ما حمل عليه اللفظ ومردوا
قال ابو عبيده معناه مرنوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو
قريب منه وقال ابن زيد قاموا عليه ولم يتوبوا كما تاب الاخرون والظاهر
من معنى اللفظ ان التمرد فى الشى والمرود عليه انما هو اللجاج والا

والاشتهار به والعتو على الزاجر وركوب الراس فى ذلك وهو مستعمل
فى الشر لا فى الخير من ذلك قولهم شيطان مارد ومريد ومن هذا سميت
مرده لانها ممردة ملسا وقال بعض الناس يقال تمرد الرجل فى امر كذا
اذا اخر له وهو من قولهم سحره مردا اذا لم يكن لها ورق ومنه صرح
ممرد ومنه قولهم تمرد مارد وعز الابلق ومنه الامرد الذى لا
لحيه له فمعنى مردوا فى هذه الايه الجوا فيه واشتهروا به وعتوا
على زاجرهم ثم نفى الله عز وجل علمه نبيه بهم على التعيين واسند الطبرى
عن قتاده فى قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم قال فما بال اقوام يتكلفون علم الناس
فلان فى الجنه وفلان فى النار فاما انا فاذا سالت احدهم عن نفسه قال لا ادرى
انت لعمرى بنفسك اعلم منك باعمال الناس ولقد كلفت شيئا ما كلف
الرسل قال نبى الله نوح عليه السلام وما علمى بما كانوا يعملون وقال
شعيب بقيت الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ
وقال الله تعالى لنبيه لا تعلمهم نحن نعلمهم **وقوله** سنعذبهم مرتين
ثم يردون الى عذاب عظيم وفى مصحف انس ابن مالك سيعذبهم مرتين
والكلام على الفراتين وعيد واللفظ يقتضى ثلاثه مواطن من العذاب
ولا خلاف بين المتاولين ان العذاب العظيم الذى يردون اليه هو عذاب
الاخره واكثر الناس على ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف
فى عذاب المرة الاولى فقال مجاهد وغيره هو عذابهم بالقتل والجوع
وهذا بعد لان منهم من لم يصبه هذا وقال ابن عباس انه عذابهم هو
باقامه الحدود عليهم بالسرع مع كراهيتهم فيه وقال ابن اسحق عذابهم
هو بظهور الاسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس وهو الاشهر عنه

والاسرها

عذابهم فضيحتهم ووصفهم بالنفاق وروى في هذا التاويل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم جمعة فندد بالمنافقين
وصرح وقال اخرج يا فلان فانك منافق واخرج انت يا فلان واخرج
انت يا فلان حتى اخرج جماعة منهم فرآهم عمر يخرجون من المسجد وهو
مقبل الى الجمعة فظن ان الناس انتشروا وان الجمعة فاتته فاختبأ منهم
حياء ثم وصل الى المسجد فرأى ان الصلاة لم تقض وفهم الامر **قال**
القاضي وفعل النبي صلى الله عليه وسلم بهذا بهم يحمل على جهة التاديب
اجتهاداً منه فيهم ولم يسلحهم ذلك من الاسلام وانما هو ما لحرح العطا
والمتهمون والاعراب اعظم من هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثيراً ما يكلم فيهم على الاجمال دون تعيين فهذا اصل من العذاب وقال
قتادة العذاب الاول هو علل وادواء احرا الله نبيه عليه السلام
انه يصيبهم بها واسند الطبري في ذلك عن قتادة انه قال ذكر لنا ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم اسر الى حذيفة اثني عشر رجلاً من المنافقين
وقال بسنده منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار تاخذ في كتف احدهم
حتى تفضي الى صدره وستة يموتون موتاً ذكر لنا ان عمر ابن الخطاب
كان اذا مات رجل ممن يظن انه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه صلى
عليه عمر والا ترك وذكر لنا ان عمر قال لحذيفة انشدك الله امنهم انا
قال لا والله ولا اومن منها احداً بعدك وقال ابن زيد سنعذبهم
مرتين اما عذاب الدنيا في الاموال والاولاد لكل صنف عذاب فهو
مرتان وقرأ قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ان يعذبهم بها في الحيوة الدنيا وقال ابن زيد ايضا المرتان هو في الدنيا

الاولى بالقتل والجوع والمصايب والثانية الموت الذي هو للكافر عذاب
وقال الحسن الاولى هي اخذ الزكوة من اموالهم والعذاب العظيم هو جمع
ما بعد الموت واظن الزجاج اشار اليه **قوله تعالى** واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً واخر سيئاً عسى الله ان يتوب
عليهم ان الله غفور رحيم المعنى في هذه الطوائف اخرون اعترفوا
واختلف في تاويل هذه الاية فقال ابن عباس فيما روي عنه وابو
عثمان هي في الاعراب عامة الى الابد الى يوم القيامة فمن اذا عمل
صالحة وسيئات فهي ايده ترجى على هذا واسند الطبري في هذا عن
ضحاك ابن ابي وهب قال سمعنا ابا عثمان يقول ما في القرآن اية ارجى
عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم وقال مجاهد
نزلت هذه الاية في ابي لبابة الانصاري حاصد في شأنه مع بني قريظة
وذلك انه ظهر في حكم النزول على حكم الله ورسوله فاشار بيده لهم
الى حلقه يريد ان النبي صلى الله عليه وسلم يذبحهم ان نزلوا فلما افصح
تاب وندم وربط نفسه في ساريه من سواري المسجد واقسم لا
يطعم ولا يشرب حتى يعفو الله عنه او يموت فمكث كذلك حتى عفا
الله عنه ونزلت هذه الاية وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحله
وذكر هذا القول الطبري عن مجاهد وذكره ابن اسحق في حال السير
واوعب واتقن وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه الاية في شأن
المخلفين عن غزوة تبوك فكان علم النبي التخلف باحاع من اهل هذه
المقالة **واختلفوا** في الصالح فقال الطبري وغيره الاعتراف

والتوبة والندم وقال قوم نزل الصالح عملهم فيما سلف من عمر والنبي
صلى الله عليه وسلم ثم اختلف اهل هذه المقالة الذين عنوا بهذه الاية فقال
ابن عباس كانوا عشرة رهط رتط منهم انفسهم بسعة ونعى البلاية الذين
حلفوا دون ربط المذكورون بعد هذا وقال زيد بن اسلم كانوا ثمانية
منهم كردم ومرداس وابو قيس وابو لبابة وقال قتادة كانوا سبعة
وقال ابن عباس ايضا وقرة كانوا خمسة وكلهم قال فيهم أبو لبابة وذكر
قتادة فيهم الحر بن قيس وهو فيما اعلم وهم لان الحر لم تزل توبته واما
قوله واخر فهو بمعنى اخر وهما مقاربان وعسى من الله واجبة وروى
في خبر الذين ربطوا انفسهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل
المسجد فرآهم قال ما بال هؤلاء فقيل له انهم تابوا وافسموا انهم لا
يحلوا حتى يحلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعذرهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله وانا لا احلهم ولا اعذرهم حتى يامرني الله
بذلك فانهم حلفوا عني وتركوا جهادهم الكفار مع المومنين **وقوله**
خذ من اموالهم صدقة الاية روى ان ابا لبابة والجماعة التائبة الذين
ربطت انفسها وهي المقصودة بقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تيب عليها فقالت يا رسول
الله انا نريد ان نتصدق باموالنا زيادة في توبتنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لا اعترض لاموالكم الا بامر من الله فتركهم حتى
نزلت هذه الاية فهم المراد بما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ تلك اموالهم مراعاة لقوله خذ من اموالهم هذا الذي يظهر
بهذا اقوال المتاولين ابن عباس رضي الله عنه وغيره وقال جماعة من

العفو

من ٥

العفو المراد بهذه الاية الزكوة المفروضة فعموله على هذا امر لهم
ضمنا بجمع الناس فهم عموم يراد به الخصوص اذ خرج الاموال الانواع
التي لا زكاة فيها كالنبات والرباع ونحوه والضمير الذي في اموالهم انما
كذلك عموم يراد به الخصوص اذ خرج منه العبيد وسوائمهم وقوله
صدقة محل بحاج الى تفسير وهذا يقتضي ان الامام يتولى اخذ الصدقات
وينظر فيها ومن في هذه الاية للتبعيض على اقوى وجوهها وقوله
تطهرهم وتزكيهم بها احسن ما يحتمل ان يكون في هذه الافعال مسندة الى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون في موضع الحال من الضمير
في خذ ويحتمل ان يكون من صفة الصدقة وهذا متوجه بحسب رفع
الفعل ويكون قوله بها اي بنفسها اي يقع تطهيرهم من ذنوبهم بها ويحتمل
ان يكون تطهرهم صفة للصدقة وتزكيهم مسندا الى النبي عليه السلام
ويحتمل ان يكون حالا من الصدقة وذلك ضعيف لانه حال من نكرة
وحكى مكي ان اللفظ تطهرهم من صفة الصدقة وقوله وتزكيهم حالا
من الضمير في خذ **قال** القاضي رضي الله عنه ولهذا مردود لان
واو العطف لا ترد لك فقد رد خذ من اموالهم صدقة مطهرا ومزكيا
بها وهذا فاسد المعنى ولم يكن في الكلام واو العطف جاز وقرأ
الحسن ابن ابي الحسن تطهرهم بسكون الطاء وقوله وصل عليهم معناه
ادع لهم فان دعاءك لهم سكون لانفسهم وطمانينة ووقارا لهم هذه
عبارة عن صلاح المعتقد وحكى مكي والنحاس وغيرهما انه قيل ان
هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا

قال القاضي وهذا وهم بعيد ودل ان تلك في المنافقين
الذين لهم حكم الكافرين وهذه في التائبين من الحلف الذين لهم حكم المؤمنين
فلا تناسخ بين الايتين وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر
ان صلواتك بالجمع وكذلك في هود وفي المؤمنين وقرا حفص عن عاصم وحمزة
والكسائي ان صلاتك وكذلك قرا حمزة والكسائي في هود وفي المؤمنين وقرا
عاصم في المؤمنين وحدها جمعا ولم يختلفوا في سورة الانعام وسأل
سائل وهو المصدر افردته فرقة وجمعته فرقة وقوله سميع اي لدعائك
عليم بمن يهدى ويتوب عليه وعرد لك مما تقتضيه هاتان الصفتان
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل هذه الاية فعل ما امر
به من الاستغفار والدعاء لهم وقال ابن عباس سكن رحمه لهم وقال قتاده
سكن لهم اي وقارهم قال القاضي وانما معناه ان من يدعو اله
النبي صلى الله عليه وسلم فانه تطيب نفسه وتقوى رجاؤه ويرى انه قد
صحت وسيلته الى الله تعالى وهذا بين قوله تعالى الم يعلموا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده وباخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم
قرا جمهور الناس الم يعلموا على ذكر الغائب وقرا الحسن ابن ابي الحسن بخلاف
عنه الم تعلموا بمعنى قل لهم يا محمد الم يعلموا وكذلك هي في مصحف ابي لعب
بالتاء من فوق والضمير في تعلموا قال ابو زيد يراد به الذين لم يتوبوا من
المخلفين ودل انه لما تاب على بعضهم قال لغيرهم ما هذه الحامدة الى خص
بها قوما ولاء فنزلت هذه الاية ويحتمل ان يكون الضمير في يعلموا يراد به
الذين تابوا وربطوا انفسهم وقوله هو تاكيد لانفراد الله بهذه الامور
وتحقيق ذلك لانه لو قال ان الله يقبل التوبة لاحتمل ان يكون ذلك قبول

رسوله قبوله لمنه فبينت الاية ان ذلك مما لا يصل الله نبي ولا ملك وقوله
وياخذ الصدقات معناه يامر بها وينشرها ما يقول اخذ السلطان من الناس
كذا اذا حملهم على اداء ذلك وقال الزجاج معناه ويقبل الصدقات وقد
وردت احاديث في اخذ الله صدقة عبيده منها قوله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
الذي رواه عبد الله ابن قتادة المحاربي عن ابن مسعود عنه ان العبد اذا
تصدق بصدقة وقعت في يد الله قبل ان تقع في يد السائل ومنها قوله
الذي رواه ابو هريرة ان الصدقة تكون قدر اللقمة فيأخذها الله بيمينه احدكم
فيربيها لاحدكم كما يربي فلوه او فصيله حتى تكون مثل الجبل ونحو هذا
من الاحاديث الى يكون عباره عن القبول والمحى بصدقة العبد وقد يحتمل
ان يخرج لفظه ويأخذ على هذا ويتعلق بهذه الاية القبول في قبول التوبة
وتخصيص ذلك ان قبول التوبة من الكفر يقطع به على الله عز وجل اجماعا
وهذه نازلة هذه الاية وهذه العرفة النابية من النفاق تأييد من الكفر
واما قبول التوبة من المعاصي فيقطع ان الله تعالى يقبل من طائفة من
الامة توبتهم واختلف هل يقبل توبة الجميع واما اداء عين انسان ثابت
فرجي قبول توبته ولا يقطع بها على الله واما اداء فرضا تايبا غير معين
صحيح التوبة فهل يقطع على الله بقبول توبته ام لا فاختلف في ذلك فقالت
طائفة فيها الفقهاء والمحدثون وهو كان مذهب ابي رضي الله عنه يقطع على
الله بقبول توبته لانه تعالى اخبر بذلك عن نفسه وعلى هذا يلزم ان يقبل توبة
جميع التايبين وذهب ابو المعالي وغيره من الائمة الى ان ذلك لا يقطع به
على الله تعالى بل يقوى فيه الرجاء ومن حجتهم ان الانسان اذا قال في الحملة اني
اغفر لمن ظلمني يوم جاءه من قد سبه واذاه فلم تعقب حقه بالغفران

ليوم يصدق وعده ولا يلزمه العمران لكل عالم **قال القاضي**
ونحو هذا من القول والقول الاول ارجح والله الموفق للصواب وقوله عن
عباده يعني من وكبيرا ما تواصلوا في موضع واحد بعده وبعده بقوله
لا صدقه الا عن غنى ومن غنى وفعل لك فلان من اشره وبطره وعن
اشره وبطره وقوله الم يعلموا بالتقرير والمعنى حقهم ان يعلموا وقوله وقل
اعملوا الايه صيغه امر متضمنها الوعيد قال الطبري المراد بها الذين اعتذروا
من المخلفين وتابوا **قال** القاضي رضي الله عنه والظاهر ان المراد
بهذا الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين في ضمير قوله
الم يعلموا الا على الاحتمال الثاني من الايات كلها في الذين خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا فسيرى الله اي موجودا معرضا للجزاء عليه بخير او شر
واما الرسول والمومنون فرويتهم رويه حقيقه لا يتجوز وقال ابن
المبارك رويه المومنين هي شهادتهم على الميت بعد موته وهي بناؤهم عند
الخاتمه وقال الحسن ما معناه انهم حذروا من قراءته المومن التي قال
فيها عليه السلام اتقوا فراسه المومن فانه ينظر بنور الله وقوله وسيردون
الى عالم الغيب والشهاده معناه ما غاب وما شوهد وهي حالتان يعلم كل
شي وقوله فينبئكم عباره عن حصور الاعمال واظهارها للجزي عليها وهذا
وعيد **قوله تعالى** واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم وامايتوب
عليهم والله عليم حكيم قوله واخرون عطف على قوله اولا واخرون وقرا
نافع والاعرج وابن نصاح وابو جعفر وطلحه والحسن واهل المدينه مرجون
من ارجا يرجي بالهمز واختلف عن عاصم وهما لغتان ومعناها التاخير ومنه
المرجئة لانهم اخروا الاعمال اي اخروا حكمها ومرتبتها وانكر المبرد

ترك

ترك الهمز مع التاخير وليس كما قال والمراد في هذه الايه فيما قال ابن عباس
وعكرمه ومجاهد والضحاك وقتاده وابن اسحق الثلاثه الذين خلفوا وهم
هلال ابن اميه الواقفي ومراره ابن الربيع والعامري وكعب ابن مالك
ونزلت بعد الايه قبل التوبه عليهم وقيل انما نزلت في غيرهم من المنافقين الذين
كانوا معرضين للتوبه مع بنائهم مسجد الضرار وعلى هذا يكون الذين الحدوا
باسقاط واو العطف بدلا من آخرون او خبرا لابتداء تقديره هم الذين
فالايه على هذا فيها توج لهم واستدعا الى الايمان والتوبه وعلم معناه
بمن هدى الى الرشد وحليم فما تنقده من تنعيم من شا وتعذيب من شا
لا رب غيره ولا معبود سواه وقرا عاصم وعوام القرا والناس في
كل قطر الا المدنيه والذين الحدوا وقرا اهل المدينه نافع وابو جعفر وشيبه
وغيرهم الذين الحدوا باسقاط الواو وهكذا في مصحفهم قاله ابو حاتم وقال
الزهراوي هي قراه ابن عامر وهي في مصاحف اهل الشام بغير واو وامانه
من قرا بالواو فذلك عطف على قوله واخرون اي ومنهم الذين الحدوا واما
باسقاطها فروح الذين بالابتدا واختلف في الخبر فقيل الخبر لا تقوم فيه
ابدا قاله الكسائي ويتجه اضمار انا في اول الايه واما في اخرها تقديره
ولا تقم في مسجدهم وقيل الخبر لا يزال بنيانهم قاله النحاس وهذا افصح
وقد ذكرت كون الذين بدلا من آخرون انفا وقال الهذلي في الخبر محذوف
تقديره معذبون ونحوه واما الجاعه المراده بالذين الحدوا فهم
منافقوا بني غنم ابن عوف وبني سالم ابن عوف واسند الطبري عن ابي
اسحق عن الزهري وغيره انه قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غزوه تبوك حتى نزل بذي اوان بلد بينه وبين [illegible] ساعه من نهار وكان

للمدينه

اصحاب مسجد الضرار قد كانوا اتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله
انا قد بنينا مسجدا لذى العله والحاجه والليله المطيره وانا نحب ان
تاتينا فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل فلو قدمنا ان
شاء الله اتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل ونزل بذى اوان نزل عليه القرآن
فى شان مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ابن الدخشم ومعن
ابن عدى او اخاه عاصم ابن عدى فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدماه وحرقاه فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه بنار فى سعف ودكر
العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لهدمه وتحريقه عمار ابن
ياسر وحشيا مولى المطعم وكان بنا توه ابى عسر رجلا خدام ابن جالد ومن
داره اخرج مسجد الشقاق وثعلبه ابن حاطب ومعتب ابن قشير وابو
حبيبه ابن الازعر وعباد ابن حنيف اخو سهل ابن حنيف وحارثه ابن
عامر واباه مجمع ابن حارثه وهو كان امامهم وحلف عمر ابن الخطاب فى خلافه
انه لم يشعر بامرهم وزيد ابن حارثه ونبيل ابن الحارث وبحزج وهو من بنى
ضبيعه ونجاد ابن عثمان وودیعه ابن ثابت وحرج منهم وهو الذى حلف
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردنا الا الحسنى والتوسعه علينا وعلى
من عجز او ضعف عن المسير الى مسجد قبا وقرا ابن اى عيله وما اردنا الا
الحسنى والايه تقضى شرح شى من بعده المساجد فروى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قدم المدينه وقف بالحره من مسجد انى بنى عمر وابن عوف
وهو مسجد قبا وقيل وجده مبنيا قبل ورود وقيل وحله موضع صلاه
فبناه وتشرف القوم بذلك فجدهم من جيند رجال من قومهم من بنى غنم
ابن عوف وبنى سالم ابن عوف فكان فيهم نفاق وكان موضع مسجد قبا

امرهم

مربطا

مربطا لحمار امراه من الانصار اسمها لبنه فكان المنافقون يقولون والله
لا نصبر على الصلاه فى مربط حمار لبنه ونحو هذا من الاقوال وكان ابو عامر
عبد عمرو والمعروف بالراهب منهم وكان اسمه من الروم فكان يتعبد فى الجا
فسمى الراهب وهو ابو حنظله غسيل الملايكه وكان سيدا نظيرا وقريبا
من عبد الله ابن ابى ابن سلول فلما جا الله بالاسلام بافق ولم يزل ظاهرا
بذلك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج فى جاعه من
المنافقين يحرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحزاب فلما رد هم الله
بغيظهم اقام ابو عامر بمكه مظهرا العداوته فلما فتح الله سلمه تعرب الى الطا
يف فلما اسلم اهل الطايف خرج هاربا الى الشام يريد قيصر مستصرا به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى قومه المنافقين منهم ان ابنوا مسجدا
مقاومه لمسجد قبا وتحقيرا له فانى سياتى بجيش من الروم اخرج محمدا
واصحابه من المدينه فبنوه وقالوا سياتى ابو عامر ويصلى فيه ويجعله معبدا
ويسربهم ان ابا عامر هلك عند قيصر ونزل القرآن فى امر مسجد الضرار
بذلك فقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى ابا عامر وقوله سياتى
ابو عامر وقرا الاعمش للذين حاربوا الله وقوله ضرارا اى داعيه للتضار
من جاعتين فذلك قال ضرارا وهو فى الاكثر مصدر ما يكون من اثنين
وان جاز المصدر الملازم لذلك مفاعله كما قال سيبويه ونصب ضرارا وما
بعده على المصدر فى موضع الحال ويجوز ان يكون على المفعول من اجله
وقوله بين المومنين يريد بين الجاعه التى كانت تصلى فى مسجد قبا فان من
جاوز مسجدهم كانوا يصرفونه اليه وذلك داعيه الى صرفه عن الايمان
وقيل اراد بقوله بين المومنين جاعه مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولهذا سبب الخلاف في المسجد المؤسس على التقوى وسيأتي ذلك قال العلماء
يلزم من هذا ان لا يصلي في كنيسة ونحوها لا يبنى على سر من هذا كله وقد قيل
في هذا لا تقم فيه ابدا قال القاضي رحمه الله وهذا تفقه غير قوي والا
لصار الاعداد والتهيئة والذي حارب الله ورسوله هو ابو عامر الفاسق
وقوله من قبل يريد في غزوة الاحزاب وغيرها والحالف المراد بقوله ولنحلفن
هو حرج ومن حلف من اصحابه ولسن الالف من قوله انهم لكاذبون لان الشهادة
في معنى القول واسند الطبري عن سفيان انه جاء ليصلي في مسجد بني غاضرة
فوجد الصلاة قد فاتته فقيل له ان مسجد بني ولان لم يصل فيه بعد فقال لا
احسن اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار رياء وسمعة فهو في
حكم مسجد الضرار وروي ان مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة يرمى
فيها الاقذار والقمامات قوله تعالى لا تقم فيه ابدا المسجد اسس على
التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا الاية كان يمر
بالطريق التي فيها المسجد وهذا البيت الذي هو لاء الذين بنوا مسجد الضرار فكانوا
خادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ابنينا مسجدا للضرورات
والسبيل الحائلة بيننا وبين قومنا فنريد ان تصلي لنا فيه وندعو لنا بالبركة
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشي معهم الى ذلك واسند عامة هذه الاخبار
فنزلت الاية لا تقم فيه ابدا وقوله لمسجد دخل اللام لام قسم وقيل لام
الابتداء كما تقول لزيد احسن الناس وجها وهي مقتضية تاكيدا وقال ابن
عباس وفرقة من الصحابة والتابعين المراد بالمسجد الذي اسس على التقوى
هو مسجد قبا وروي عن ابن عمر وابي سعيد وزيد ان بانيه مسجد رسول

الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ويليق القول الاول بالقصة الا ان القول الثاني
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تطرح الحديث واسند الطبري في
ذلك عن ابي سعيد الخدري انه قال اختلف رجل من بني خدرة ورجل من بني عمرو
ابن عوف فقال الخدري هو مسجد الرسول وقال الاخر هو مسجد قبا فاتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه فقال هو مسجدي هذا وفي الاخير كثير
الى كثير من الاثار وفي هذا عن ابي ابن كعب وسهل ابن سعد قال القاضي
رضي الله عنه ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بقعة نخل
وقبور مشركين ومربد ليتيمين كانا في حجر اسعد ابن زرارة وبناه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات الاولى بالسعف وهي لبنة امام لبنة
والثانية بالصعيدة وهي لبنتان بعرض عليهما البناء وكان في طوله سبعون
ذراعا وكان عمده النخل وكان عريشا كعريش في المطر وعرض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنيانه ورفعه فقال لا بل يكون عريشا كعريش موسى
كان اذا اقام ضرب زاسد في سقفه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سقل فيه اللبن على صدره ويقول ان هذا لا ابر وضع حجرا في اساس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم وضع ابو بكر حجرا ثم عمر حجرا ثم عثمان حجرا ثم بنى الناس بالحجارة
فتفاءل بذلك بعض الصحابة انها الخلافة فصدق فاله وقوله من اول يوم
قيل معناه منذ اول يوم وقيل معناه من تاسيس اول يوم وان ما ذهب الى
هذا الاخفش ان من اصول النحويين من يقول ان من لا تحرها الا زمان وانما
تحر الازمان بمنذ تقول ما رايته منذ يومين او سنة او شهر ولا تقول
من سنة ولا من شهر ولا من يوم فاذا وقعت في الكلام وهي زمنا فتقدر بمعنى
تليق بحره من قول الشاعر لمن الديار بقنة الحرقوس من حج ومن عمر

ومن شهر روايته فقد رووه من مر دهر ومن مر دهر ولما كان أول
يوم يوما وهو اسم زمان احاطوا به الى مقدر من ثلاثين يوم
ويحسن عندي ان يستعمل في هذه الاية عن بقدر وان يكون من لجر
لفظه اول لانها معنى البداءة كانه قال من مبتداء الايام وهي هاهنا تقوم
مقام المرفي الست الاولى وهي كما تقول جئت من قبلك ومن بعدك وانت
لا تدل بهاتين اللفظتين الا على الزمان وقد حكى لي بعد الذي اخبرته عن
بعض ايمة النحو ومعنى ان تقوم فيه بصلاتك وعبادتك وقرا جمهور
الناس ان تقوم فيه فيه رجال بكسر الهاء وقرا عبد الله ابن يزيد ان تقوم
فيه فيه بضم الهاء الثانية على الاصل ويحسنه تكرار لفظ واحد
وقال قتاده وغيره الضمير عايد على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والرجال جماعة الانصار وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم
يا معشر الانصار اني رايت الله اثنى عليكم بالطهور فما دا تفعلون قالوا
يا رسول الله انا راسا جيرانا من اليهود يستطهرون بالماء قال
القاضي يريد وزن الاستنجاء بالماء ففعلنا نحن كذلك فلما جاء الاسلام
لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ندعوه اذا وقال عبد الله
ابن سلام رضي الله عنه ما معناه ان الضمير عايد على اهل قبا والمراد بنو عمرو ابن عوف
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال المقاله المتقدمه لبني عمرو
ابن عوف والاول اكثر واختلف اهل العلم في الافضل من الاستنجاء
بالماء والحجر فقيل هذا وقيل هذا وراى فرقه من اهل العلم الجمع بينهما
فينقي بالحجاره ثم يتبع بالماء وحدثني ابي رضي الله عنه انه بلغه ان بعض علماء
القبران كانوا يتحدون في متوصياتهم احجارا من تراب ينقون بها ثم يستنجون

تمام

بها اخذا بهذا القول قال القاضي وانما يتصور الخلاف في البلاد
التي يمكن فيها ان ينقى الحجاره وابن حبيب لا يجيز الاستنجاء بالحجاره حيث يوجد
الماء وهو قول شاذ فيه وقرا جمهور الناس يتطهرون وقرا طلحه ابن مصرف
والاعمش يطهرون بالادغام وقرا علي ابن ابي طالب المتطهرين بالتاء واسند
الطبري عن عطا انه قال احدث قوم من اهل قبا الاستنجاء بالماء فنزلت
الايه فيهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منهم عويم ابن ساعده
ولم يسم احد منهم غير عويم وقوله افمن اسس بنيانه الايه استفهام
بمعنى تقرير وقرا نافع وابن عامر وحماد اسس بنيانه على بناء الفعل
للمفعول ورفع بنيان فيهما وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزه والكسائي
وحماد اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل ونصب بنيان فيهما وقرا
عماره ابن ضبيب رواه يعقوب الاول على بنا الفعل للمفعول والثاني على
بنايه للفاعل والايه تتضمن معادله من شيئين وقرا انصر ابن علي وروت
عن نصر ابن عاصم افمن اسس بنيانه وقرا نصر ابن عاصم ايضا اسس بنيانه
على وزن فعل بضم الفاء والعين وهو جمع اساس كقذال وقذل وحكى
ذلك ابو الفتح وذكر ابو حاتم ان هذه القراه لنصر انما هي اسس بهمزة
مفتوحه وسبن مفتوحه وسن مضمومه وعلى الحدين فالاضافه الى
البنيان وقرا نصر ابن علي اساس على جمع اس والبنيان مصدر يقال بنا
مبني بناء وبنيانا كالعمران والطغيان فسمي به المبنى مثل الخلق اذا اردت
به المخلوق وقيل هو جمع واحده بنيانه واشد ابو علي في ذلك كبنيانه
القاري موضع رجلها وانا نسعيها من الذرع البلق وقرا الجمهور على
تقوى وقرا عيسى ابن عمر على تقوى بتنوين الواو وحكى هذه القراه سيبويه

اساس بناه والاصل في اساس اواس واو

وردها الناس قال ابو الفتح فاسها ان تكون الفها للالحاق كارطى ونحوه
فاما المراد بالبنيان الذى اسس على التقوى والرضوان فهو فى ظاهر
اللفظ وقول الجمهور المسجد المذكور قبل وبطرد فيه الخلاف المتقدم وروى
عن عبد الله ابن عمر انه قال المراد بالمسجد الموسس على التقوى هو مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بانه اسس على تقوى من الله ورضوان
هو مسجد قبا واما البنيان الذى اسس على شفا حرف هار فهو مسجد
الضرار باجماع والشفا الحاشية والشفير الحفر حول البير ونحوها مما
حرفته السيول والندوه والبلا وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائى
وحماه حرف بضم الراء وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزه وحماه حرف
بسكون الراء واختلف عن عاصم ولهما لغتان وقيل الاصل ضم الراء وتخفيفها
بعد ذلك مستعمل وهار معناه منهدم منهال وهو من هار يهور ويقال
هار يهار ويهير اصله هايرا وهاوو فقيل قلبت واوه قبل حرف العله
فجاء هارؤا وهارى فصنع به ما صنع بقاض وغاز وعلى نحو هذا
يقال فى حال النصب هارا ومثله فى يوم راح اصله راح ومثله شاكى
السلاح اصله شايك ومثله قول الحجاج لاثبه الاشا والعرى
اصله لابث ومثل قول الشاعر خفضوا اسنتهم بكل ناع
على احد الوجهين فانه يحتمل من نعى ينعى والمراد انهم يعولون يا ثارات
فلان ويحتمل ان يريد فكلهم نابح اى عاطش كما قال عمر ان سئيم والاسل
النباع وقيل فى هار ان حرف علته حذف حذفا فعلى هذا يجرى بوجوه
الاعراب فتقول حرف هار ورايت حرفا هارا ومررت بحرف هار واختلف
القراء فى امالة هار وانهار وتاسيس البناء على التقوى انما هو بحسب النيه
فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع فى مسجد النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم وفى مسجد قبا والتاسيس على شفا جرف هار انما هو لفساد النيه وقصد
الرياء والتفريق بين المومنين بمعهود شبيهات صحيحه بارعه وحتى فى هذه
الايه تفضيل ولا شركه من الامرين فى خير الاعلى معتقد بانى مسجد الضرار
فبحسب ذلك المعتقد صح ذلك التفضيل وقوله فانها ردى بارحهم لظاهر
منه ومما صح من خبرهم وهدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدهم انه
حارج مخرج المثل اى مثل بقاولاء المضارين المنافقين فى قصدهم معصيه
الله وحصولهم من ذلك على سخطه كمن بنى هار بنيانه فى بارحهم ثم اقتضب
الكلام اقتضابا يدل عليه ظاهره وقيل بل ذلك حقيقة وان ذلك المسجد
بعينه انهار فى بارحهم فالله قتاده وان صح وروى عن جابر ابن عبد
الله وغيره انه قال رايت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى بعض الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راه
حين انهار حتى بلغ الارض السابعه ففزع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثه ايام اكملوه يوم الجمعه وصلوا فيه
الجمعه وليله السبت ويوم الاحد وليله الاحد وانهار يوم الاثنين

قال القاضى وهذا كله باسناد لين وما قدمناه اصوب واحق
وذلك بقى امره والصلاه فيه من قبل سفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
تبوك الى ان قفل صلى الله عليه وسلم وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين طعن
على بقاولاء المنافقين واسار اليهم والمعنى لا يهديهم من حيث يعلم ظالمون او
يكون المراد الخصوص فيمن يوافى على ظلمه واسند الطبرى عن حلف ابن
ياسين انه قال رايت مسجد المنافقين الذى ذكر الله فى القران فرايت فيه
مكانا يخرج منه الدخان وذلك فى زمن ابى جعفر المنصور رحمه الله

وروى هذا شبه او نحوه عن ابن جريج اسنده الطبري **قوله تعالى**
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم
حكيم الضمير في بنيانهم عايد على المنافقين البانين للمسجد ومن شركهم في
غرضهم وقوله الذي بنوا ما كيد وتصريح بامر المسجد ورفع للاشكال
والريبة الشك وقد سمي ريبة فساد المعتقد واضطرابه والاعراض
في الشيء والتخبط وهو الحزازة من احله وان لم يكن شكا فقد يرتاب من لا
يشك ولكنها في معتاد اللغة احرى مع الشك ومعنى الريبة في هذه الاية
امر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدي
حاله الى الريبة في الاسلام فمقصد هذا الكلام لا يزال هذا البنيان الذي لهدم
لهم سعي ريبة في قلوبهم وحزازة وانرسوء وبالشك فسر ابن عباس
الريبة هنا وفسرها السدي بالكفر فقيل له افكفر فجمع ابن خازنه
قال ولكنها حزازة **قال القاضي** رحمه الله ومجمع قراء قسم لعمرانه
ما علم باطن القوم ولا قصد سوءا والاية انما عنت من ابطن سوءا فليس يحتج
منهم ويحتمل ان يكون المعنى لا يزالون مرتسمين بسبب بنيانهم الذي اتضح
منه نفاقهم وحمله هذا ان الريبة في الاية تعم معاني كثيرة ياخذ كل منافق
منها بحسب قدره من النفاق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائي
الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء وبنا الفعل للمفعول وقرا ابن عامر وحمزه
وعاصم بخلاف عنه الا ان تقطع بفتح التاء على انها فاعله وقرا الحسن ابن
ابي الحسن ومجاهد وقتاده ويعقوب الى ان يقطع على معنى الى ان يموتوا
وقرا بعضهم الى ان تقطع وقرا ابو حيوه الا ان يقطع بالياء مضمومه وكسر
التاء ونصب القلوب اي القتل واما على القراءة الاولى فقيل بالموت قاله

ابن عباس

ابن عباس وقتاده وابن زيد وغيرهم وقيل بالتوبة وليس بالظاهر الا ان
يتاول ان تتوبوا توبة نصوحا تكون معها الندم والحسرة على الذنب ما
يقطع القلوب غما وفكرة وفي مصحف ابن مسعود ولو قطعت قلوبهم ولذلك
قراها اصحابه وحكاها ابو عمرو وان قطعت بتخفيف الطاء وفي مصحف ابي
حتى الممات وفيه حتى تقطع **وقوله** ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم الاية هذه الاية نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة وهي
التي اناف فيها رجال الانصار على السبعين وكان اصغرهم سنا عقبة
ابن عمرو وذلك انهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة
فقالوا اشترط لك ولربك ما شئتم قال اشترط لربي ان تعبدوا الله ولا تشركوا به
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فما لنا
ان فعلنا ذلك قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت
وقال الاحمر والاسود في الرفع على الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك فقال
الجنة فقالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفي بعض الروايات ولا
نستقيل فنزلت الاية في ذلك ثم الاية بعد ذلك عامة في كل من جاهد في
سبيل الله من امة محمد الى يوم القيامة وقال بعض العلماء ما من مسلم
الا ولله في عنقه هذه البيعة وفي بها او لم يوف وفي الحديث ان وفى كل
بر بر حتى يبدل المرء ذمة فاذا فعل ذلك فلا بر فوق ذلك وهذا تمثيل
من الله عز وجل جميل صنعه بالمبايعة وذلك ان حقيقة المبايعة ان يقع
من اثنين يقصد منهما تملك صحيح وهذه القصة وهب الله فيها عباده انفسهم
واموالهم ثم امر لهم يبذلها في ذاته ووعدهم على ذلك ما هو خير منها فهذا
غاية الفضل ثم شبه القصة بالمبايعة واسند الطبري عن كثير من اهل
العلم انه قال تامن الله تعالى في هذه الاية عباده فاغلا لهم وقاله ابن
عباس والحسن ابن ابي الحسن وقال ابن عيينة معنى الاية اشترى منهم انفسهم

الا يعملوها الا فى طاعة الله واموالهم ان لا ينفقوها الا فى سبيل الله **قال القاضى** رضى الله عنه فالايه على هذا اعم من القتل فى سبيل الله ومبايعة الخلفاء وهى منتزعة من هذه الايه كان الناس يعطون الخلفاء طاعتهم ومصالحهم وحدهم بعطيهم الخلفاء عدلهم ونظرهم والقيام بامورهم وحدثنى ابى رضى الله عنه انه سمع الواعظ ابا الفضل الجوهرى يقول على المنبر بمصر يا هيل من صفقة البايع فيا رب العلى والثمن جنة الماوى والواسطة محمد المصطفى وقوله يقاتلون فى سبيل الله مقطوع مستانف ودلك على تاويل سفيان ابن عيينة واما على تاويل الجمهور من ان الشرا والبيع انما هو حمع المحاهدين فهو فى موضع الحال وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وابو عمرو والحسن وقتادة وابو رجا وغيرهم فيقتلون على بنا الفعل للفاعل ويقتلون على البناء للمفعول وقرا حمزة والكسائى والنخعى وابن وثاب وطلحة والاعمش بعكس ذلك والمعنى واحد اذ الغرض ان المومنين يقاتلون فوجد فيهم من يقتل وفيهم من يحمع له وفيهم من لا تقع له واحدة منهما وليس العرض ولا بد ان يحمع لواحد واحد واذا اعتبر هذا بان وقوله وعدا عليه حقا مصدرا مولدا ان ما تقدم من الايه هو فى معنى الوعد لما هو موكد لما تقدم من قوله بان لهم الحنة وقال المفسرون يظهر من قوله فى التورادة والانجيل والقران ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه **قال القاضى** ويحتمل ان يعاد اسم محمد بقدم ذكره فى هذا الكتاب وقوله ومن اوفى بعهده من الله استفهام على جهة التقرير اى لا احد اوفى بعهده من الله وقوله فاستبشروا فعل جامد استفعل بمعنى افعل وليس هذا من معنى طلب الشى كما تقول استوقدنارا واستهدى مالا واستدعى نصرا بل هو كتعجب واستعجم وصف تعالى ذلك البيع باند الفوز العظم اى ابد الحصول

على

على الحظ الاعظم من حظ الدنيا وذهول الحند بلا حساب **قوله تعالى** التايبون العابدون الحامدون السايحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين هذه الاوصاف هى من صفات المومنين الذين ذكر الله انهم اشترى منهم وارتفعت هذه الصفات لما جات مقطوعة من ابتدا ايذ على معنى هم التايبون ومعنى الايه على ما يقتضيه اقوال العلما والسرع انما هى اوصاف الكملة من المومنين ذكرها الله ليستبق اليها اهل التوحيد حتى يكونوا فى اعلا رتبه والايه الاولى مستقلة بنفسها يقع تحت ذلك المبايعة كل موحد قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا وان لم تتصف بهذه الصفات التى فى هذه الايه الثانيه او باكثرها وقالت فرقة هذه الاوصاف جات على جهة الشرط والايمان مرتطمان فلا يدخل فى المبايعة الا المومنون الذين هم على هذه الاوصاف ويبذلون انفسهم فى سبيل الله واسند الطبرى فى ذلك عن الضحاك ان مزاحم ان رجلا سأله عن قوله تعالى ان اشترى الايه فقال الرجل الا احمل على المشركين فاقاتل حتى اقتل فقال الضحاك ويلك ان الشرط التايبون العابدون الايه وهذا القول فيه حرج وتضييق والله اعلم والاول اصوب والشهادة ما حيه لكل ذنب الا لمظالم العباد وقد روى ان الله تعالى يحمل عن الشهيد مظالم العباد ويحاز بهم عنه وقالت فرقة ان رفع الناس انما هو على الابتدا وما بعده صفة الى قوله الامرون بالمعروف فانه خبر الابتدا فكانه قال هم الامرون وهذا احسن الا ان معنى الايه سيفصل من معنى التى قبلها وذلك فلتوفتامله وفى مصحف عبد الله ابن مسعود التايبين العابدين

الله

الى اخرها ولذلك وجهان احدهما الصفه للمومنين على اتباع اللفظ
والاخر النصب على المدح والتايبون لفظ نعم الرجوع من الشر الى الخير
كان ذلك من كفر او معصيه والرجوع الى حال احسن منها وان لم تكن
الاولى شرا قبل خيرا وهكذا كانت توبه النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره
سبعين مره في اليوم والتايب هو المقلع عن الذنب العازم على التمادي
على الاقلاع والنادم على ما سلف والتايب عن ذنب يسمى تايبا وان اقام
على غيره الا ان يكون من نوعه فليس تايب والتوبه ونقضها دايبا
خير من الاصرار ومن تاب ثم نقض ووافى على النقض فان ذنوبه الاول
تبقى عليه لان توبته منها علم الله انها منقوضه ويحتمل الامر غير
ذلك والله اعلم وقال الحسن في تفسيره الايه التايبون معناه من الشرك
والعابدون لفظ نعم القيام بعباده الله والتزام شرعه وملازمه ذلك
والمنابره عليه والدوام والعابد هو المحسن الذي فسر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قوله ان تعبد الله كانك تراه الحديث وبادي عباده
يؤديها المرء المسلم يقع عليه اسم عابد ويحصل في ادنى درجه وعلى قدر
زيادته في العباده تحصل الوصف والحامدون معناه الذاكرون بالصفه الله
الحسنى في كل حال وعلى السراء والضراء وحمده لانه اهل لذلك وهو
اعم من الشكر اذ الشكر انما هو على النعم الخاصه بالشاكر والسايحون
معناه الصايمون وروي عن عايشه انها قالت سياحه هذه الامه
الصيام اسنده الطبري وروي انه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفي
الحديث ان لله ملايكه سياحين مشايين في الافاق يبلغوني صلاه امتي
علي ويروى في الحديث صيايحين بالصاد من الصياح السايحه في الارض

ماخوذه

ماخوذه من السبح وهو الماء الجاري على الارض الى غير غايه وقال بعض
الناس وهو في كتاب القاصد السايحون هم الجايلون بافكارهم في قدره
الله وملكوته وهذا قول حسن وهي من افضل العبادات ومن ذلك قول
معاذ ان جبل اقعدنا نؤمن ساعه وتروى ان بعض العباد اخرج
القدح لينوص لصلاه الليل فادخل اصبعه في اذن القدح وجعل يفكر ادخلت م
حتى طلع الفجر فقيل له في ذلك فقال اصبعي في اذن القدح فتذكرت قول
الله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم ويفكرت كيف القي الغل ويقيت في ذلك
الليل اجمع والراكعون الساجدون هم المصلون الصلوات لذا قال اهل
العلم ولكن لا اختلف في ان من اكثر النوافل هو ادخل في الاسم واعرق
في الاتصاف وقوله الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر هو امر
فرض على امه محمد صلى الله عليه وسلم بالجمله بم يفترق الناس فيه مع التعيين
فاما ولاه الامر والرؤساء فهو فرض عليهم في كل حال واما سايرا الناس
فهو فرض عليهم بشروط منها ان لا تلحقه مضره وان يعلم ان قوله يسمع
ويعمل به ونحو هذا مما يحمل بعد في دان الله منفقه فهو اعظم اجرا
واسند الطبري عن بعض العلماء انه قال حسب ما ذكر الله الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فهو الامر بالاسلام والنهي عن الكفر قال القاضي
رحمه الله ولا شك انه يتناول هذا وهو احرى ان يتناول ما دونه
فنعمم اللفظ اولى واما هذه الواو التي في قوله والناهون عن المنكر ولم
تتقدم في واحده من الصفات قبل ففصل معناها الربط بين هاتين الصفتين
وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ هما من عرفيل الصفات الاولى
لان الاولى فما يخص المرء وهاتان فما بينه وبين غيره فوجب الربط بينهما

لثلاثة منها وتناسبها وقيل هي زيادة وهو قول ضعيف لامعنى له وقيل هو واو
الثمانية لان هذه الصفة جاءت ثامنة ومنه قوله في ابواب الجنة وفتحت
ابوابها وقوله وثامنهم كلبهم ومن هذا قوله تيبانا وابكارا **قال القاضي**
على اربعة تعترض حتى لا يلزم ان تكون واو ثمانية لانها فرقت بين فصلين
يمتنع جمعهما جميع النساء ولا يصح ان يكون ثيبات وابكارا فهي فاصلة
ضرورة وواو الثمانية قد ذكرها ابن خالويه في مناظراته على الفارسي في
معنى قوله وفتحت ابوابها وانكرها ابو علي وحدثني ابي رضي الله عنه عن الاستاذ الحموي
ابي عبد الله الكفيف المالقي وكان ممن استوطن غرناطة واقرأ فيها في ملة
ابن حيوس انه قال هي لغة فصيحة لبعض العرب من شانهم ان يقولوا
اذا عدوا واحدا اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثامنة تسعة
عشرة فهذا هي لغتهم ومنه جاء في كلامهم امر ثمانية ادخلوا الواو وقوله
والحافظون لحدود الله لفظ عام بحسب التزام الشريعة والانتهاء عما
نهى الله عنه في كل شيء وقوله وبشر المومنين قيل هو لفظ عام
أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يبشر امته بالخير من الله وقيل بل هذه
الالفاظ خاصة لمن غزا اي لما تقدم في الآية وعد المجاهدين وفضلهم
أمر ان يبشر سائر الناس ممن لم يغز بان الايمان يخلص من النار ويوجب
الدرب العالية **وقوله** ما كان للنبي الآية يقتضي التاثيب ومنع
الاستغفار للمشركين مع الايأس عن ايمانهم اتباعوا فيهم على الكفر
وموته منه قول عمر في العاص ابن وايل لاجزاه الله خيرا واما
نص من الله على احد كابي لهب وغيره فيمتنع الاستغفار له وهو
حق **واختلف** المفسرون في سبب هذه الآية فقال الجمهور

ومداره

ومداره على ابن المسيب وعمر وابن دينار نزلت في شان ابي طالب ودلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حين احتضر فوعظه وقال له
اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة
ابو جهل وعبد الله ابن ابي امية فقالا يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد
عبد المطلب فقال ابو طالب يا محمد والله لولا اني اخاف ان يعيرها
ولدي من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال انا على ملة عبد المطلب ومات
على ذلك فلم اسمع منه الى صلى الله عليه وسلم ما قال للعباس ونزلت انك
لا تهدي من احببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن
لك ما لم انه عنك فحان يستغفر له حتى برلت بعده الآية فترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لابي طالب وروي ان المومنين لما راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لابي طالب جعلوا يستغفرون
لموتاهم فلذلك دخلوا في النابت والنهي والآية على هذا ناسخة لفعل
النبي صلى الله عليه وسلم اذ فعاله في حكم الشرع المستقر وقال فضل
ابن عطية وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر مكة اتى قبر
امه فوقف عليه حتى سحت عليه الشمس وجعل يرعب في ان يؤذن
له في الاستغفار لها فلم يؤذن له فاخبر اصحابه انه ادركه في زيارة
قبرها ومنع ان يستغفر لها فما راى باكيا اكثر من يومئذ ونزلت
الآية في ذلك وقالت فرقة انما نزلت بسبب قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنافقين والله لازيدن على السبعين وقال ابن عباس
وقتادة وغيرهما انما نزلت الآية بسبب جماعة من المومنين قالوا استغفر
لموتانا كما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه فنزلت الآية في ذلك

وعلى كل حال ففى ورود النهى عن الاستغفار للمشركين موضع اعتراض
بقصد ابراهيم عليه السلام فتنزل رفع ذلك الاعتراض فى الايه التى
بعدها وقوله من بعد ما تبين لهم يريد من بعد الموت على الكفر وحينئذ
تبين لهم اصحاب الجحيم سكانها وعمرتها والاستغفار للمشرك الحى جايز
اد يرجى اسلامه ومن ذلك قول ابى هريره رضى الله عنه رحم الله رجلا
استغفر لابى هريره ولامه قيل له ولابيه قال لا ان ابى مات كافرا
وقال عطا ان ابى رباح الايه نهى عن الصلاه على المشركين والاستغفار
هاينبغى ان الصلاه ﴿قوله تعالى﴾ وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعده وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابراهيم
لاواه حليم المعنى لاحمد ايها الموصوف فى استغفار ابراهيم الخليل
لابيه وان ذلك لم يكن الا عن موعده ﴿واختلف﴾ فى ذلك فقيل
عن موعده من ابراهيم فى ان يستغفر لابيه وذلك قوله ساستغفر
لك ربى انه كان بى حفيا وقيل عن موعد من ابيه له انه سيؤمن
فحار ابراهيم فقوى طمعه فى ايمانه فحمله ذلك على الاستغفار له
حتى نهى عنه وقرا طلحه وما يستغفر ابراهيم وروى عنه وما
استغفر ابراهيم وموعده مفعله من الوعد واما تبينه انه
عدو لله فقيل ذلك يموت ازر على الكفر وقيل ذلك بانه نهى عنه وهو
حى وقال سعيد بن جبير ذلك حاد يوم القيامه وذلك فى الحديث
ان ابراهيم يلقاه فيعرفه ويتذكر قوله ساستغفر لك ربى فيقول
انى الزم حقوى فلن ادعك اليوم لشئ فيلزمه حتى ياتى الصراط
فيلتفت اليه فاذا هو قد مسخ ضبعانا اسود رفتبرا منه حينئذ

قال العوفى

﴿قال القاضى﴾ وربط امر الاستغفار بالاخره ضعيف وقوله
ان ابراهيم لاواه حليم تنائر الله تعالى على ابراهيم والاواه قال ابن
مسعود هو الدعاء وقيل هو الداعى بتضرع وقيل هو الموقن قاله ابن
عباس وقيل هو الفقيه وقيل هو الرحيم قاله ابن مسعود ايضا وقيل
هو المؤمن الموات وقيل هو المسبح وقيل هو الكثير الذكر لله وقيل هو
الشاكى للقران وقيل هو الذى يقول من حوقد لله ابدا أواه ويكثر
ذلك وروى ان ابا در سمع رجلا يكثر ذلك فى دعوا فه فشكاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه فانه أواه والتاوه التفجع الذى
يكثر حتى ينطق الانسان منه باواه ونحوا أوه من الاول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبلال فى بيع او شراء انكره عليه أوه ذلك الربا
بعينه ومن المانى قول الشاعر

﴿ فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض بيننا وسماها ﴾

﴿ ومن بعد المعنى قول المثقب العبدى ﴾

﴿ اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه آهة الرجل الحزين ﴾ ويروى آهة

ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم اوه لا فراج محمد وحليم معناه
صابر محتمل عظيم الحلم والحلم العقل ﴿وقوله﴾ وما كان الله ليضل
قوما الايه معناه التانيس للمومنين وقيل ان بعضهم خاف على نفسه
من الاستغفار للمشركين فورد امر من الله عز وجل وقول الايه مؤنسه
اى ما كان الله بعد اذ هدى للاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك
ويضل اهله لو اقعتهم دينا لم يتقدم منه نهى عنه فاذا بين لهم ما
يتقون من الامور ويجتنبون من الاشيا فحينئذ يقع بعد النهى

ويروى ايضا

استوجب العقوبه وقيل ان هذه الايه انما نزلت بسبب قوم من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا غيبا فحولت القبله قبل ان يصلهم ذلك فخافوا
على انفسهم وتكلموا في ذلك فنزلت الايه والقول الاول اصوب واليق بالايه
وذهب الطبري الى ان قوله نحن ونميت اشاره الى انه يجب علينا ايها المومنون
ان لا نحزن عوامن عدو ولو كثر ولا تهابوا احدا فان الموت المخوف والحياه المحبوبه
انما هما بيد الله **قال القاضي** والمعنى الذي قال صحيح في نفسه ولكن
قوله ان المقصد بالايه انما هو لما نص في الايه المتقدمه على نعمته وفضله
على عبده في انه متى من عليهم بهدايه ففضله اوسع من ان يصرفهم ويضلهم
قبل ان يقع منهم معصيه ومخالفه امر اسبغ ذلك باوصاف فيها تحميد
الله تعالى وتعظيمه وبعث للنفوس على ادمان شكره والاقرار بعبوديه
قوله تعالى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه
في ساعه العسره من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه
بهم رؤف رحيم التوبه من الله رجوعه بعبده الى حال ارفع منها فقد تكون
في الاكثر رجوعا من حاله المعصيه الى حال الطاعه وقد تكون رجوعا من
من حال طاعه الى ارفع منها وهذه توبه في هذه الايه على النبي صلى الله عليه وسلم
لانه رجع به من حاله قليل تحصيل العزوه واخرها وتحمل مشقاتها الى
حاله بعد ذلك ذله واما توبته على المهاجرين والانصار فحالها معروضه
لان يكون من تقصير الى طاعه وجد في العزو ونصره الدين واما توبته
على الفريق الذين كاد ان تزيغ قلوبهم من حاله محطوطه الى حاله عفران
ورضا واتجاوز معناه دخلوا في العسره وانبعاثه ولم يرعوا انفسهم عن نفسه
وقوله في ساعه العسره يريد في وقت العسره فانزل الساعه منزله المده

والوقت

وصلوا قبل ان يصلهم الكبر على ما ذكر

الله صلى الله عليه وسلم

والوقت والزمن وان كان عرف الساعه في اللغه انه لما قل من الزمان
كالقطعه من النهار الا ترى الى قوله عليه السلام في رواح يوم الجمعه وفي الساعه
الاولى وفي الثانيه الحديث مهيا تجوز ويمكن ان يريد بقوله في ساعه
العسره الساعه التي وقع فيها عزمهم وانقيادهم لتحمل المشقه اذ السفره
كلها نبغ لتلك الساعه وبها وفيها يقع الاجر على الله وترتبط النيه فمن
اعتزم على الغزو وهو معسر فقد اتبع في ساعه العسره والعسره
الشده وضيق الحال والغرم ومنه قوله تعالى وان كان ذو عسره وهذا
جيش العسره الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من جهز جيش
العسره فله الجنه فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بالف جمل
والف دينار وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير مره
وقال وما على عثمان ما عمل بعد هذا وحاء انصاري من الانصار بسبع
مايه وسق من بر وقال مجاهد وقتاده ان العسره ملغب بهم في تلك
الغزوه وهي غزوه تبوك الى قسموا التمره من رجلين ثم كان النفر يأخذون
التمره الواحده فيمصها احدهم ثم يشرب عليها الماء ثم يفعل ذلك بها
كذلك وقال عمر بن الخطاب فاصابهم في بعضها عطش شديد حتى
جعلوا ينحرون الابل ويشربون ما في كروشها ويعصرون الفرث حتى
استسقى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فما رجعهما
حتى انسكبت سحابه فشربوا وادخروا ثم ارتحلوا فاذا السحابه لم
تجاوز عن العسكر وحينئذ قال رجل من المنافقين وهل بعد هذه الا سحابه
مرت وكانت العزوه في شده الحر وكان الناس كذلك قليل الظهر فجاءهم
العسره من جهات ووصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اول بلاد

١٤٨

العدو فصالحه اهل ادرج وايله وغيرها على الجزيه ونحوها وانصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الزيغ الذى كادت قلوب فريق
ان تواقعه فقيل نعت فرقه بالانصراف لما لقوا من المشقه والعسره
قاله الحسن وقيل زيغها انها كادت تظن لها شكا فى معنى عزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى تلك العزوه لما رأته من شده العسره وقله
الزاد بعد المشقه وقوه العدو والمقصود وقرأ جمهور السبعه
وابو بكر عن عاصم تزيغ بالتاء من فوق على لفظ القلوب وروى عن ابى
عمرو انه كان يدغم الدال فى التاء وقرأ حمزه وحفص عن عاصم والاعمش
والحدرى يزيغ بالياء على معنى جمع القلوب وقرأ ابن مسعود من بعد
ما زاغت قلوب فريق وقرأ ابى ابن كعب من بعد ما كادت تزيغ واما
كاد فيحتمل ان يرتفع بها ثلاثه اشياء اولها واقواها الفصيح والشان
بعدها مذهب سيبويه وترتفع القلوب على هذا بتزيغ والثانى ان يرتفع
بها ما يقتضيه دليل الحال من الانصراف والانصراف ولا يفقد ذلك القوم فحانه
قال من بعد ما كاد القوم يزيغ قلوب فريق منهم والثالث ان يرتفع بها
القلوب ويكون فى قوله تزيغ ضمير القلوب وجاز ذلك تشبيها بكان
فى قوله وكان حقا علينا نصر المومنين وايضا فلان هذا التقديم للخبر
يراد به التاخير وشبهت كاد بكان للزوم الخبر لها قال ابو على ولا
يجوز ذلك فى عسى لم اخبر عز وجل انه تاب ايضا على هذا الفريق
والثلاثه راجع به وانتبا علامه للامه بانه رؤف رحيم
لهم لعنه مالك وهلال ابن اميه الواقفى ومراره ابن الربيع ويقال
ابن ربعه وكلهم انصارى من بنى عمرو بن عوف وهم الذين خلفوا
حديثهم بكماله البخارى ومسلم

ولعمو

وهو فى السير قد لك احتصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم واخرون
مرجون لامر الله ومعنى خلفوا اخروا وترك امرهم لم تقبل منهم
معذره ولا وردت عليهم فكانهم خلفوا عن المتعذرين وقيل معنى
خلفوا اى عن غزوه تبوك قاله قتاده وهذا ضعيف وقد رده
لعان مالك بنفسه وقال معنى خلفوا تركوا عن قبول العذر وليس
تخلفنا عن العزو يقوى ذلك من اللفظ جعله حتى اذا ضاقت غايه
للتخلف وان لم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو وانما ضاقت عليهم الارض
عن تخليفهم عن قبول العذر وقرأ الجمهور خلفوا بضم الخاء وشد اللام
المكسوره وقرأ عكرمه ان كهارون وزر ابن حبيش وعمرو المخزومى
ابن عبيد وابو عمرو ايضا خلفوا بفتح الخاء واللام غير مشدده وقرأ
ابو مالك خلفوا بضم الخاء وتخفيف اللام المكسوره وقرأ ابو جعفر
محمد بن على ابن الحسين وجعفر ابن محمد وابو عبد الرحمن خالفوا والمعنى
قربت وقرأ الاعمش وعلى الثلاثه المخلفين وقوله بما رحبت معناه
برحبها فحانه قال على ما هى فى نفسها رحبه فما مصدريه وضاقت
عليهم انفسهم استعاره لان الهم والغم ملاها وظنوا ان لا مده الايد
بمعنى ايقنوا وحصل علما لهم وقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اخبار بعد الفول
بعد نعمه بدا فى ترتيبه بالجهه التى هى عن الله عز وجل ليكون ذلك
منها على بلغ النعمه من عنده لا رب غيره ولو كان القول فى بعد ذنب
لكان لاشد ما الجهه التى هى عن الذنب كما قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم ليكون بعدا اشد تقريرا للذنب عليهم وبعدا مما قاله القدريان

وعلى هم

حلفوا ليس لهم ذنب ولا

وملح نظمه ومحز اتساقه وسار هذه الابد ومواقع الفاظها انما يجل
مع مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا في الكتب التي ذكرناها وانما عظم
قدرهم واستحقوا عليه ذلك لان السرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم
منه وتقدمهم فيه اذ هم اسوة وحجة على المنافقين والطاعنين اذ كان
لعذر اهل العقبة وصاحباه من اهل بدر وهي بهذا ما يقتضي ان الرجل
العالم والمقتدى به اقل عذرا في السقوط مما سواه وكتب الاوزاعي
رحمه الله الى المنصور الى جعفر وهو آخر رسالة واعلم ان قرابتك
من رسول صلى الله عليه وسلم لن تزيدك عند الله عليك الا عظما ولا طاعته
الا وجوبا ولا الناس فيما خالف ذلك منك الا انكارا والسلام ولقد
احسن الفاضي التنوخي في قوله والعيب يعلو بالكبير كبير وفي بعض
طرق حديث الثلاثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليله نزول
بيوتهم في ام سلمة وكانت له صاحبة فقالت يا رسول الله الا ابعث
اليهم فعال اذا لحطمكم الناس سائر الليلة فيمنعونكم النوم وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين بعد هذا القول
بالكون مع اهل الصدق حسن بعد قصة الثلاثة حين بعثهم الصدق
وذبهم عن منازل المنافقين فجاهدوا الامر اعتراضا على اتيانه الكلام
ادعى في القصة ما يجب التنبيه على امتثاله وقال ابن خرج وغيره
الصدق في هذه الاية هو صدق الحديث وقال نافع والضحاك ما
معناه ان اللفظ اعم من صدق الحديث وهو معنى الصحة في الدين
والتمكن في الخير كما تقول العرب عود صدق ورجل صدق وقالت

لعذره

افضل هم

ثلثة هم

هذه الفرقة كانوا مع ابي بكر وعمر واجلة المجاهدين الذين صدقوا الله
في الاسلام ومع في هذه الاية تقتضي الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف
المقتضي للمدح وقرا ابن مسعود وابن عباس وكونوا من الصادقين وروت
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود رضي الله عنه يتأول في حلف
الحديث وروي عنه انه قال الكذب لا يصلح فيه جد ولا هزل اقرؤا
ان شئتم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين **فوله**
تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول
الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا
نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا
ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر
المحسنين بعده معاتبة للمؤمنين من اهل يثرب وقبايل العرب المجاورة
لها على التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقوله
الكلام يعطي الامر بصحبته اي توحد غازيا وبذل النفوس دونه
واختلف المتاولون فقال قتاده كان هذا الالزام خاصا مع
النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب النفر الى الغزو اذا خرج بنفسه
ولم يسق بعد الحكم مع غيره من الخلفاء وقال زيد ابن اسلم كان هذا الامر
والالزام في قلة الاسلام والاحتياج الى الاتصال بالامدي ثم
نسخ عند قوة الاسلام بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة
قال القاضي رضي الله عنه وهذا اصله في الانبعاث الى غزوة
العدو وعلى الدخول في الاسلام واما اذا الم العدو بجهة فمتعين
على كل احد القيام بردّه ومكافحته واما قوله ولا يرغبوا بانفسهم

كان ع

على بعد

عن نفسه ومعناه لا يحمل رسول الله مشقة من الله ويحوط نفسه في سبيل
الله فيقع منهم شح على انفسهم ونكفون عن ما دخل هو فيه هم دليل على انهم
لم يكن لهم التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ذلك بانهم الآية
والنصب التعب ومنه قول ـــــ التابعة كليني لهم يا عمرو ناصب
اي دي نصب ومنه قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا والمخمصة
مفعله من خمص البطن وهو ضموره واستعير ذلك لحاله الجوع اذ الجوص
ملازم له ومن ذلك قول ـــــ الاعشى تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمايصا ومنه احمص القدم والخمصانة من النساء
وقوله ولا يطؤن موطيا اي لا ينتهون من الارض منتهاً مودياً للكفار وذلك
هو الغايظ ومنه في المدونة كنا لا نتوصى من موطئ من قول ابن مسعود
وقوله ولا ينالون من عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المومنون بالكفره
من اخذ مال او ايراد هوان وكبره والنيل مصدر نال ينال وليس من قوله نلت
أنوله نولا ونوالا وقيل هو منه وبدلت الواوياً لخفتها هنا وهذا ضعيف
والطبري قد ذكر نحوه وضعفه قال ليس ذلك المعروف من كلام العرب
وقوله ولا ينفقون الآية قدم الصغيره للاهتمام اي اذا كتبت الصغيره فالكبيره
احرى والوادي ما بين الجبلين كان فيه ماء أو لم يكن وجمعه أودية وليس
في كلام العرب جمع فاعل وأفعلة الا في هذا الحرف وحده وفي الحديث ما
ازداد قوم من الله قرباً قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون قالت فرقه سبب هذه الآية ان المومنين
الذين كانوا بالبادية سكانا ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله
عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتهم ذلك نفروا

الى

الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حشية ان يكونوا ممن نهى في
التخلف عن الغزو فنزلت هذه الآية في تعذيرهم ذلك وقالت فرقه سبب هذه
الآية ان المنافقين لما نزلت تلك الآيات في المتخلفين قالوا اهلك اهل البوادي
فنزلت الآية مقيمة لعذر اهل البوادي قال القاضي رضي الله عنه
فمحى قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم عموم في اللفظ والمراد به في
المعنى الجمهور والاكثر ومحى هذه الآية مبنية لذلك مطردة الالفاظ
متصلة المعنى من قوله تعالى ما كان لاهل المدينة الى قوله لحذرون بين
في اخر الآية العموم الذي هو في اولها اذ هو معرض ان يتاول فيه ان لا
يتخلف بشر والتفقه هو من النافرين والانذار هو منهم والضمير في
رجعوا لهم ايضا وقالت هذه الآية ليست من معنى الغزو وانما سببها
ان قبايل العرب لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين
اصابهم مجاعه وشدة فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فجادوا ان يعلموها
وكان اكثرهم غير صحيح الايمان وانما اضرعه الجوع فنزلت الآية في ذلك
فقال وما كان من صفة الايمان لينفر مثل هذا النفر اي ليس لهما ولاء
مومنين وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا
والآية المتقدمة ثابته الحكم مع تخلفه اي يجب اذا تخلف ان لا ينفر الناس
كافة فيبقى هو مفردا وانما ينبغي ان ينفر طايفه وتبقى طايفه لتتفقه
هذه الباقيه في الدين وينذروا النافرين اذا رجع النافرون اليهم وقالت
فرقه هذه الآية ناسخه لكل ما ورد من الزام الكافه النفر والغزو والصبر
في قوله ليتفقهوا عايد ايضا على هذا التاويل على الطايفه المتخلفه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القول الاول في ترتيبنا هذا عايد

على الطايفه الثانيه ولذلك يترتب عوده مع بعض الاقوال على بعده ومع
بعضها على بعده والجمهور على التفقه انما هو بمشاهده رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصحبته وقالت فرقه يشبه ان يكون التفقه في الحرب وفي السرايا
لما يرون من نصره الله واظهاره العدد القليل من المومنين على الكثير من
الكافرين وعلمهم بذلك صحه دين المسلم ومحاسنه من الله تعالى ورحمه
الطبري وقواه والاحر ايضا قوي والضمير في قوله ولينذروا على المتفقهين
بحسب الحلاف والانذار عام للكفر والمعاصي والحذر ايضا منها لذلك
وقوله يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الايه قيل ان بعضه
الايه نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافه فهي من التدريج الذي في أول الاسلام
قال القاضي وهذا قول يضعفه ان بعضه الايه من اخر ما نزل وقالت
فرقه انما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج ويقوم امر الحرب عازما
لقوم آخرين بعد منهم فامر الله تعالى بغزو الادنى فالادنى الى المدينه وقالت
فرقه الايه مبنيه صورة القتال كافه وهي مرتبه مع الامر بقتال الكفار
كافه ومعناها ان الله تبارك وتعالى امر فيها المومنين ان يقاتل كل فريق
منهم الحيز الذي يصاقبه من الكفره وهذا هو القتال الذي حمله الله ورد الناس
الى الاسلام واما اذا مال العدو الى صقع من اصقاع المسلمين وعرض على
من يصل اليه من المسلمين كفاءه عدو ذلك الصقع وان بعدت الدار ونأت
البلاد وقال قائلوا هذه المقاله نزلت الايه مشيره الى قتال الروم بالشام
لانهم كانوا يومئذ يسدون العدو الذي يلي ويقرب اذ كانت العرب قد عمها الاسلام
وحالت العراق بعيدة بما اتسع نطاق الاسلام بوجه الفرض في قتال الفرس
والديلم وغيرهم امم الاعاجم وسال ابن عمر رجل عن قتال الديلم فقال علك بالروم
وقال الحسن هم الروم والديلم قال القاضي يعني في زمنه ذلك وقاله على ابن

الحسين

الحسين وقال ابن زيد المراد بهذه الايه وقت نزولها العرب فلما فرغ نزلت
في الروم وغيرهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله حتى يعطوا
الجزيه عن يد وهم صاغرون وقراء الجمهور الباس غلظه بكسر الغين وقرا المفضل
عن عاصم والاعمش غلظه بفتحها وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وابان ابن تغلب
وابن ابي تغلب وابن ابي عبله غلظه بضمها وهي قراءه ابي حيوه وروايها المفضل
عن عاصم ايضا وقال ابو حاتم هذه الوجوه الثلاث عن عاصم وهي هاتين القراءتين
شذوذ وهي لغات ومعنى الحلام ولجدوا فيكم خشونه وباسا وذلك مقصود
بدا القتال ومنه العذاب الحليط وعليظا القلب وغلاظ شداد في صفه
الزبانيه وغلظت عليها كبده في حفر الخندق الى غير ذلك وعد تعالى في
اخر الايه وخص على التقوى التي هي ملاك الدين والدنيا وبها يلقى العدو
وقد قال بعض الصحابه انما تقاتلون الناس باعمالكم وانما يهلكهم المحدثون في
طرق الحق فوعد تعالى انه مع اهل التقوى ومن كان الله معه فلن تغلب
قوله تعالى واذا ما انزلت سوره فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض
فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون في
كل عام مره او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون هذه الايه نزلت في شان
المنافقين والضمير في قوله فمنهم عايد على المنافقين وقوله ايكم زادته هذه
ايمانا يحتمل ان يكون المنافقين مثلهم ويحتمل ان يكون لقوم من قراباتهم من المومنين
يستاهمون الهم ويقولون يستدلهم عليهم ويطعنون في دينهم الى النفاق ومعنا
ايكم زادته هذه ايمانا الاستحقاق والتحقير لشان السوره كما تقول اي
غريب في هذا او اي دليل ثم ابتدا عز وجل الرد عليهم والحكم بما يهدم لبسهم

فاحبران المومنين المؤقنين قد زادتهم ايمانا وانهم يستبشرون من الفاظها
ومعانيها رحمه الله ورضوانه والزياده في الايمان موضع تخبط
الناس وتطويل وتلخيص القول فيه ان الايمان الذي هو نفس التصديق
ليس مما يقبل الزياده والنقص في نفسه وانما يقع الزياده في المصدق
به فاذا انزلت سوره من الله تعالى حدث للمومنين بها تصديق خاص
لم يكن قبل فصدقهم بما تضمنت السوره من اخبار وامر ونهي امر
زايد على الذي كان عندهم قبل فهذا وجه من زياده الايمان ووجه
اخر ان السوره ربما تضمنت دليلا او تنبيها عليه فلزم المومن قد
عرف الله بعدة ادله فاذا انزلت السوره زادت في ادلته فهذه ايضا
جهه اخرى من الزياده وكلها خارجه عن نفس التصديق اذا حصل تاما
فانه ليس يبقى فيه موضع زياده ووجه اخر من وجوه الزياده ان الرجل
ربما عارضه شك يسيرا ولاحتمله شبهه مشغبه فاذا انزلت السوره
ارتفعت تلك الشبهه واستراح منها فهذا ايضا زياده في الايمان اذ ينتفي
اعتقاده عن مرسد معارضه تلك الشبهه الى الخلوص منها واما على
قول من يسمي الطاعات ايمانا وذلك مجاز عند اهل السنه فتترتب الزياده
بالسوره اذا تضمنت اوامر ونواهي واحكاما وهكذا حكم من يتعلم العلم
وهي معنا زياده الايمان ونقصانه الى يوم القيامه فان تعلم انسان العلم
بمنزله سوره القران والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون وهذا شبيه
وذلك ان السالم المعتقد المشروح الصدر بالايمان يشبهه الصحيح والفاسد
المعتقد يشبه ذا المرض ففي العباره مجاز فصيح لان المرض والصحه انما
هي خاصه في الاجسام فهي في المعتقدات مجاز والرجس في هذه الاعباء

عن حالهم

عن حالهم الى جحد معنى الرجس في اللغه ودلك ان الرجس في اللغه يحيء
بمعنى القذر ويحيء بمعنى العذاب وحال تعالى المنافقين بما قذروه من عذاب
عاجل فقيل بأجل وزياده الرجس الى الرجس هي عضهم في الكفر وحبطهم
في الضلال فعاقبهم الله على الكفر والاعراض بالختم على قلوبهم والحكم بالنار
عليهم واذا كفروا بسوره فقد ازدادوا كفرهم فذلك زياده رجس الى رجسهم
وقوله اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مره او مرتين قرا الجمهور
اولا يرون بالياء على معنى اولا يرى المنافقون وقرا حمزه اولا ترون
بالتاء على معنى اولا ترون ايها المومنون وهذا تنبيه للمومنين وقرا ابن
مسعود والى ابن كعب والاعمش اولا ترى انت يا محمد وروى عن الاعمش
انها اندفرا اولم تروا وذكر عنه ابو حاتم اولم يروا قال مجاهد يفتنون
بما هم فيه من الشده والجوع وحكا عنه النقاش انه قرا مرضه
او مرضتين وقال الحسن ابن ابي الحسن وقاده معناه يختبرون بالامر
بالجهاد والذي يظهر مما قبل الايه ومما بعدها ان الفسق والاحتقار
انما هي بسبب الله تعالى اسرارهم وافشاء عقايدهم وهذا هو الاختبار
الذي يقوم عليهم الحجه بروئته وترك التوبه واما الجهاد او الجوع
فلا يترتب معها ما ذكرناه فمعنى الايه على هذا اولا يزدجرون ولا هم
الذين يفضح سرايرهم كل سنه مره او مرتين بحسب واحد واحد
ويعلمون ان ذلك من عند الله فيتوبون ويتذكرون وحذا الوعيد
واما الاختبار بالمرض فهو في المومنين وقد كان الحسن يتشدد
في كل عام مرضه ثم نقهه حتى متى حتى متى والمعنى
وقال فرقه معنى يفتنون بما يشنعه المشركون على رسول الله صلى الله

عليه وسلم من الاكاذيب فكان الذين في قلوبهم مرض يفتنون في ذلك وحكاه
الطبري هذا القول عن حذيفة وهو غريب من المعنى **قوله تعالى**
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا
صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون الضمير في قوله بعضهم عائد على
المنافقين والمعنى واذا انزلت سورة فيها فضيحة أسرارهم نظر بعضهم
الى بعض على وجه التقرير بنفسه من تلك النظرة التقرير هل معكم من ينقل
عنكم هل يراكم من أحد حتى تدبروا امركم وقوله ثم انصرفوا معناه عن
طريق الاهتداء ودلك انهم حين ما تبين لهم كشف اسرارهم واعلام مغيبات
امورهم يقع لهم لامحالة تحيّر وتوقف ونظر فلو اهتدوا لحاروا لذلك الوقت
مطنه ذلك النظر الصحيح والاهتداء وابتدأ بالفعل المسند اليهم اذ هو
تقرير دبّ على ما قدبيناه وقوله صرف الله قلوبهم يحتمل ان يكون دعاء عليهم
ويحتمل ان يكون خبرًا اي استوجبوا ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي عن الله
ولا عن رسوله واسند الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس انه قال
لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قومًا انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن
قولوا قضينا الصلاة **قال القاضي** فهذا النظر الذي في هذه
الآية هو ايماء وحكى الطبري عن بعضهم انه قال نظر في هذه الآية هو
قال وقوله لقد جاءكم محاطبة للعرب في قول الجمهور وهذا على جهة التعديد
النعمة عليهم اذ ذلك ادحاء بلسانه وما يفهمونه من الاغراض والفصاحة
وشرفوا به عامة بعد وقال الرجاج هي محاطبة لجميع العالم والمعنى لقد جاءكم
رسول من البشر والاولى الاصوب وقوله من انفسكم يقتضي مدحًا لنسب النبي
صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وشرفها ونظر الى هذا المعنى قوله

وقيل كان الضمير في قلوبهم عائدًا على الكفور وقيل على كل الذين كانوا حاضرين

عليه السلام

عليه السلام ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة
واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم ومنه قوله عليه السلام
اني من نكاح ولست من سفاح معاذ ان نسبه صلى الله عليه وسلم الى ادم
ولم يكن النسل فيه الا من نكاح ولم يكن فيه زنًا وقرأ عبد الله ان قسيط المكي
من انفسكم بفتح الفاء من التفاسد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
فاطمة رضي الله عنها ولدكرا ابو عمرو وابن عباس رواها عن النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله ما عنتم معناه ما عنتكم فما مصدرية وهي ابتداء وعزيز
خبره مقدم ويجوز ان يكون ما عنتم فاعلا بعزيز وعزيز صفة للرسول
وهذا اصوب من الاول والعنت المشقة وهي هنا لفظة عامة اي ما شق
عليكم من كفر وضلال بحسب الحق ومن قتل واسر وامتحان بسبب الحق
واعتقادكم ايضامعه وقوله حريص عليكم يريد على ايمانكم وهداكم وقوله
رؤوف معناه مبالغ في الشفقة قال ابو عبيدة الرأفة ارق من الرحمة وهذا
رؤوف دون مد الاعمش واهل الكوفة وابو عمرو ثم حاطب النبي صلى الله
عليه وسلم بعد تقريره عليهم هذه النعمة فقال فان تولوا يا محمد اي اعرضوا
بعد هذه الحال المتقررة التي من الله عز وجل عليهم بها فقل حسبي الله
معناه واعمالك بحسب قولك من التفويض الى الله والتوكل عليه والحد
في قتالهم وليست بآية موادعة لانها من اخر ما نزل وحصر العرش
بالذكر اذ هو اعظم المخلوقات وقرأ ابن محيصن العظيم برفع الميم صفة
للرب وروي عن ابن كثير وهاتان الآيتان لم توجدا عند جمع المصحف الذي
حفظ خزيمة بن ثابت ووقع في البخاري الذي عند فلما حاذاها
ذكرها اكثر من الصحابة وقد كان زيد يعرفها ولذا قال فقدت آيتين

من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفها لم يدر هل فقد شيأ أم لا فانما ثبتت الآية بالاجماع لا لخزيمة وحده واسند الطبري في جامعه قال كان عمر لا يثبت آية في المصحف الا ان يشهد عليها رجلان فلما جاء خزيمة بهاتين الآيتين وقال والله لا أسألك عليها بينة ابدا فانه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرونها **قال القاضي** يعني صفة النبي صلى الله عليه وسلم التي تضمنتها الآية وهذا والله اعلم قاله عمر اثر الخطاب في مدة ابي بكر حين الجمع الاول وحينئذ فقدت الآيتان ولم يجمع من القرآن شيء في خلافة عمر وخزيمة ابن ثابت هو المعروف بذي الشهادتين وعرف بذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امضى شهادته وحده في ابتياع فرس وحكم به لنفسه صلى الله عليه وسلم وهذا خصوص برسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل القياس عن ابي اسحاق انه قال أقرب القرآن بالله تعالى عهدا هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول الى آخر السورة والله اعلم

تفسير سورة يونس عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

هذه السورة مكية قال مقاتل الا اربع آيات وهي قوله فان كنت في شك نزلت في المدينة وقال الكلبي هي مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به نزلت في اليهود بالمدينة وقال قتادة نزل من اولها الى نحو من اربعين آية بمكة وباقيها بالمدينة **قوله تعالى** الر تلك آيات الكتاب الحكيم الآية كان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين تقدم في اول سورة البقرة ذكر الاختلاف في فواتح السور وذلك الاقوال كلها تترتب هنا وفي هذا الموضع قول تحصيل قال ابن عباس وسالم ابن

عبد الله

عبد الله وابن جبير والشعبي الر وحم ون هو الرحمن قطع في اللفظ كما ترى هذه السور واختلف عن نافع في امالة الراء والقياس الامالة ولذلك اختلف القراء وعلة من امال الراء ان يدل بذلك على انها اسم للحرف وليست حرفا في نفسها وانما الحرف ر، وقوله تلك قيل هو بمعنى هذه وقد يشبه ان تتصل المعنى بتلك دون ان تقدرها بدل غيرها والمطرد في هذه اللفظة انما يتركب على الخلاف في فواتح السور فتدبره والكتاب قال مجاهد وقتادة المراد به التوراة والانجيل وقال مجاهد ايضا وغيره المراد به القرآن وهو الاطهر والحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قال تعالى هذا ما لدي عتيد اي معد معد ويمكن ان يكون حكيم بمعنى ذي حكمة فهو على النسب وقال الطبري هو مثل اليم بمعنى مؤلم ثم قال هو الذي احكمه الله وسدد **قال القاضي** رضي الله عنه فساق قولين على انهما واحد وقوله اكان للناس عجبا الآية قال ابن عباس وابن جريج وغيرهما سبب هذه الآية ان قريشا استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر وقال الرجاج انما محيوا من اخباره انهم يبعثون من القبور اذا النداء والبشارة يتضمنان ذلك وكثر كلامهم في ذلك حتى قال احدهم اما وجد الله ان يبعث اليتيم ابي طالب ونحو هذا من الاقاويل التي اختصرتها الشهرتها فنزلت الآية وقوله اكان تقرير والمراد ما للناس قابلوا هذه المقالة وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا والاول اصوب لان الاسم معرفة والخبر نكرة وهذا القلب لا يصح ولا يحل الا شاذا ومنه قول حسان يكون مزاجها عسل وماء

ولفظة العجب هنا ليست بمعنى التعجب فقط بل هو استفهام اوصل انكارهم وجهلهم الى التكذيب وعراب فرقه الى رحل بسكون الجيم ثم فسر الوحي وقسمه على

النذاره للكافرين والبشارة للمؤمنين والقدم هنا ما قدم **واختلف** والصحاك
في المراد بما هاهنا فقال ابن عباس ومجاهد والربيع ابن انس وابن زيد
هي الاعمال الصالحة من العبادات وقال الحسن ابن ابي الحسن هي شفاعة في
محمد صلى الله عليه وسلم وقال زيد ابن اسلم هي المصيبة محمد صلى الله
عليه وسلم في موته وقال ابن عباس وغيره هي السعاده السابقه لهم في
اللوح المحفوظ وهذا البين الاقوال بالايه ومن هذه اللفظه قول حسان

"لنا القدم العليا اليك وخلفنا الاولنا في طاعة الله تابع"

وقول ذي الرمه

"لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي طمت على البحر"

ومن هذا المقال قول النبي صلى الله عليه وسلم في صعد جهنم حتى يضع الجبار
قدمه فيقول قط قط اي ما قدم لها من خلقه وهذا على الجبار
اسم الله تعالى ومن جعله اسم جنس كما اراد الجبارين من بني ادم فالقدم
على هذا التاويل الجارحه والصدق في هذه الايه لمعنى الصلاح كما تقول
رجل صدق ورجل سوء وقوله قال الكافرون عند كذا وكذا وذهب
الطبري الى ان في الكلام حذفا ودل الظاهر عليه تقديره فلما انذر
وبشر قال الكافرون كذا وكذا وقراجمهور الناس وهي قراءه نافع وابي عمرو
وابن عامر ان هذا لساحر وقرا مسروق وابن الاجدع وابن جبير والباقون
من السبعه وابن مسعود وابن الزبير وابن وثاب وطلحه والاعمش وعيسى
ابن عمر بخلاف عنه وابن محيصن وابن كثير بخلاف عنه ان هذا لساحر والمعنى
متقارب وفي مصحف ابي قال الكافرون ما هذا الا سحر مبين وقرا الاعمش
ما هذا الا ساحر مبين وقولهم في الانذار والبشارة سحرا انما هو بسبب

انه فرق بذلك علمهم وحال بين القريب وقريبه فاشبه ذلك ما يفعله
الساحر فطنوه من ذلك الباب **قوله تعالى** ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش مدبرا الامر ما من
شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا
انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بعد ان ذكر
دعاء الى عباده الله عز وجل واعلام بصفاته والخطاب بها لجميع الناس
وطئ السموات والارض هو على تقرير ان الله عز وجل خلق الارض ثم استوى
الى السماء وهي دخان فخلقهن دحا الارض بعد ذلك وقوله في ستة ايام
قيل هي من ايام الاخره وقال الجمهور وهو الصواب هي من ايام الدنيا
قال القاضي وذلك في التقدير لان الشمس وحركاتها لم تتقدم حينئذ
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في خلق المخلوقات ان الله تعالى ابتدا يوم الاحد
كذا ويوم الاثنين كذا انما هو على ان يقدر ذلك الزمان ويعلق اليه
الخبر من حين ابتداء اليوم والليلة والمشهور ان الله ابتدا الخلق
يوم الاحد ووقع في الاحاديث في كتاب مسلم وفي الدلايل ان الدخان وقعت
يوم السبت وذكر بعض الناس ان الحكمة في خلق الله تعالى هذه الاشيا
في مدة محدوده ممتده في القدره ان يقول كن فيكون انما هو لتعلم عباده
التؤده والتماهل في الامور **قال القاضي** وهذا مما لا يتوصل
الى تعليله وعلى هذا فالاحد في البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله
عز وجل قد جعل لكل شيء قدرا وهو اعلم بوجه الحكمة في ذلك وقوله استوى
على العرش قد تقدم القول فيه في المص وقوله يدبر الامر يصح ان يريد

بالاسم اسم الجنس من الامور ويصح ان يريد الامر الذى هو مصدر
امر يامر وتدبيره لا الة الا هو الاتقاد لانه قد احاط بكل شئ
روية علما وقال مجاهد يدبر الامر يحكمه بقضيه وحكمه وقوله
ما من شفيع الا من بعد اذنه رد على العرب فى اعتقادها ان الاصنام
تشفع لها وقوله ذلكم اشارة الى الله تعالى اى هذا الذى هذه صفاته
فاعبدوه ثم قررهم على هذه الاباة والعبر فقال افلا تذكرون اى
فلو تذكرتم سببا للاهتداء واختصار القول فيه ثم استوى على
العرش هو اما ان يكون استوى بعهده وغلبته واما ان يكون استوى
بمعنى استولى ان صحت اللفظة فى اللسان فعلى قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

انه بيت مصنوع واما ان يكون فعل فعلا فى العرش سماه استواء
واستيعاب القول فى هذا قد تقدم وقوله الله مرجعكم جميعا الايه
ايه انباء بالبعث من القبور وهى من الامور التى جوزها العقل واثبت
وقوعها الشرع وقوله جميعا حال من الضمير فى مرجعكم ووعد الله
نصب على المصدر وكذلك قوله حقا وقال ابو الفتح حقا نعت وقرأ
الجمهور انه بكسر الالف على القطع والاستيناف وقرأ ابو جعفر
ابن القعقاع والاعمش وسهل ابن شعيب وعبد الله انه بفتح الالف
وموضعها النصب على تقدير احق انه وقال الفراء موضعها الرفع
على تقدير الحق انه قال القاضى يجوز عندى ان يكون ايه بدل
من قوله وعد الله قال ابو الفتح ان شئت قدرت لانه يبدأ الخلق
اى فمن قدر ته هذا فهو غنى عن اخلاف الوعد وان شئت قدرت وعد الله

وعدا

وعدا حقا انه لا يجعل فيه المصدر الذى وعد الله لانه قد وصف
فاذن ذلك بتمامه وقطع عمله وقرا ابن ابى عبلة حق بالرفع فهو ابتداء
وخبره انه وقوله يبدأ الخلق يريد النشاة الاولى والاعادة هى البعث
من القبور وقرا طلحة انه يبدئ الخلق بضم الياء وكسر الدال وقوله
ليجزى هى لام كى والمعنى ان الاعادة انما هى ليقع الجزاء على الاعمال وقوله
بالقسط اى بالعدل فى رحمهم وحسن جزايهم وقوله والذين كفروا
ابتداء والحميم الحار المسخن وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه الحمام والحمة
ومنه قول امرئ القيس

فى كل يوم لها سقطر فمها كبا معدة وحميم

والحميم النار فما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ادناه الكافر
من فيه سقطت فروة راسه وهو كما وصف الله تعالى حال المهل يشوى
الوجوه وجهه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل
الايات لقوم يعلمون هذا اسمار على وصف ايات الله والتنبيه على صنعته
الدالة على الصانع وهذه الايه تقتضى ان الضياء اعظم من النور وابى
بحسب الشمس والقمر ويلحق بها هنا اعتراض ودلك انه اوجدنا الله
تعالى هذاه ولطفه خلقه ما النور فقال الله نور السماوات والارض
الايه وسمار سوله النور وهذا يقتضى ان النور اعظم هذه الاسماء البتها
فى الشروق والافلم يزل التنبيه بالاعلا الذى هو الضياء وعدل الى
الاقل الذى هو النور فالجواب على هذا والانفصال ان يقول ان لفظة
النور احكم وابلغ فى قوله الله نور السموات والارض ودلك لان زاد به

محسوس بالعين كما هو القمر فلم يبق الا انه تعالى شبه نوره ولطفه الذى
نصبه لقوم يهتدون واحرس يضلون معه بالنور الذى ابدا موجود هو
فى الليل واثناء الظلم وشبهه بالضيا لوجب ان لا يضل احدا اذ كان
المهدى يلون مثل الشمس التى لا يسقى معها ظلمة فمعنى الايه ان الله تعالى
جعل نوره فى الكفر كالنور فى الظلام فيهتدى قوم ويضل اخرون ولو
جعله كالضياء لوجب ان لا يضل احد وسمى الضيا على هذا الانفصال
ابلغ فى الشروق حتى افتضت بنا هذه والله عز وجل يديه ضيا السموات
والارض وهو نورها وقيومها ويحتمل ان يعترض هذا الانفصال والله
المستعان وقوله قدره منازل يريد البروج المذكوره فى غير هذه
الايه واما الضمير الذى ردّه على القمر وقد تقدم ذكر الشمس معه فيحتمل
ان يريد بالضمير القمر وحده لانه هو المراعى فى معرفه عدد السنين
والحساب لكنه اجرى ذكر الواحد حتى قال والله ورسوله احق ان
يرضوه وكما قال الشاعر

" رمانى بدنب كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى "

قال الزجاج وكما قال الاخر

" نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف "

وقوله لتعلموا المعنى قدر هذين النورين منازل لكى تعلموا بها عدد السنين
والحساب رفقا بكم ورفعا للتباس فى معايشكم ولحرثكم واجاركم
وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفه التواريخ وقوله ما خلق الله
ذلك الا بالحق اى للفائده لا للعبث والاهمال فى اذ الحق ان يكون كما
هى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويفصل بالياء وقرأ ابن كثير ايضا وعاصم

والباقون

محسن العين والحساب
والحساب ع
والواو عمرو وعاصم ويراه
جعفر بفصل بالياء والباقون

والباقون والاعرج وابو جعفر وشيبه واهل مكه والحسن والاعمش
نفصل بنون العظمه وقوله لقوم يعلمون انما خصصهم لان نفع التفصيل
فيهم ظهر وعليهم اضا وان كان التفصيل انما وقع محللا للكل هذا
لتحصله فى الجمع وقرا جمهور السبعه وقد روى عن ابن كثير ضيا
وقرا ابن كثير وحده ضئيا بهمزتين واصله ضيا بالقلب فحا ضيا
فقلبت الياء همزه لوقوعها بين الفين قال ابو على وهذا غلط وقوله
تعالى ان فى اختلاف الليل والنهار لايات ايه اعتبار وتنبيه ولفظه
الاختلاف تعم تعاقب الليل والنهار ولونهما حلقه ومايتعاوره
من الزياده والنقص وغير ذلك من لواحق سير الشمس وحسب اقطار
الارض وقوله وما خلق الله فى السموات والارض لفظ عام لجميع المخلوقات
والايات العلامات والدلايل وخص القوم المتقين بتنبيههم اذ الا
عتبار فيهم يقع ونسبتهم الى هذه الاشيا المنظور فيها افضل من نسبه
من لم يهتد ولا اتقى **قوله تعالى** ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا
بالحياه الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم
النار بما كانوا يكسبون قال ابو عبيده وتابعه الفسيى وغيره
يرجون فى هذه الايه بمعنى يخافون واحتجوا ببيت ابى ذويب

" اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل "

وحكى الهدوى عن بعض اهل اللغه وقال ابن سيده هو الفرا ان لفظ الرجا
اذا جاء منفيا فانها يكون بمعنى الخوف وحكى عن بعضهم انها تكون
بمعناها فى كل موضع ندل عليه قرا ابن ما قبله وما بعده فعلى هذا
التاويل معنى الايه ان الذين لا يخافون لقانا وقال ابن زيد هذه الايه

في الكفار وقال بعض أهل العلم الرجاء في هذه الآية على بابه ودلك أن
الكافر المكذب بالبعث ليس يرجى رحمة في الآخرة ولا يحسن ظنا بانه يلقى
الله ولا له في الآخرة أمل فانه لو كان له فيها أمل لقارنه لا محالة خوف
وهذه الحال من الخوف المقارن هي الفايدة الى النجاة والذي أقول أن الرجاء
في كل موضع على بابه وان بيت الهدى لم يرج فقد لسعها وهي بنى عليه
ويصبر اذ يعلم انه لابد منه وقوله ورضوا بالحياة الدنيا يريد كانت
آخرهم ومنتهى غرضهم وأسند الطبري عن قتادة انه قال في تفسير
هذه الآية اذا سيئت رأيت هذا الموصوف صاحب دنيا لها يغضب
ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان قتاده صورها في العصاة
ولا يترتب ذلك الا مع تاول الرجاء على بابه اذ قد يكون العاصي المخلط
مستنوحشا من آخرته فاما على التاويل الأول فمن لا يخاف لقاء الله فهو
كافر وقوله واطمانوا بها يحتمل في معنى القناعة بها والرضى لخيرها
لان الطمانينة بالشيء هي زوال التحرك الى غيره وقوله والذين هم عن اياتنا
غافلون يحتمل ان يكون ابتدا اشارة الى فرقة اخرى من الكفار وتها ولا
على هذا التاويل اضل صفقة لانهم ليسوا اهل دنيا بل عقله فقط
ثم حتم عليهم بالنار وجعلها مأواهم وهو حيث يأوي الانسان ويستقر
ثم جعل ذلك بسبب كسبهم واجترامهم وفي هذه الآية رد على الجبرية
ونص على تعليل العقاب بالتكسب الذي للانسان **وقوله** تعالى ان الذين
استوا الآية لما قرر الله تعالى حال الفرقة الهالكة عقب ذلك بذكر حال
الفرقة الناجية ليتضح الطريقان ويرى الناظر فرق ما بين الهدي
والضلال ولعل الكلمة منه لطف بعباده وقوله يهديهم لا يترتب ان

يكون

يكون معناه يرشدهم الى الايمان لانه قد قدر هم مومنين وانما الهدى
في هذه الآية على احد وجهين اما ان يريد به ان يلهمهم ويعرفهم كما قال
يا ايها الذين امنوا امنوا فانما معناه اثبتوا واما ان يريد به يرشدهم
الى طريق الجنان في الآخرة وقوله بايمانهم يحتمل ان يريد بسبب ايمانهم
ويكون مقابلا لقوله قبل ما واهم النار بما كانوا يكسبون ويحتمل ان يكون
الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال
مجاهد يكون لهم بايمانهم نور يمشون به ويتركب هذا التاويل على ما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا قام من قبره للحشر
تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرايحة فيقول من انت فيقول انا عملك
الصالح فيقوده الى الجنة ويعكس هذا في الكافر ونحو هذا مما اسنده
الطبري وغيره وقوله تجري من تحتهم الانهار يريد من تحت غرفهم
وليس النحت الذي هو بالمسامتة سفلا بل يكون الى ناحية من الانسان
كما قال تعالى وجعل ربك تحتك سريا وكما قال حكاية عن فرعون وهذه
الانهار تجري من تحتي وقوله دعواهم الآية الدعوى بمعنى الدعاء يقال
دعى الرجل وادعى بمعنى واحد قاله سيبويه وسبحانك اللهم تسبيح
وتقديس وتنزيه لجلاله عن كل ما لا يليق به وقال علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة ابن عبيد الله
قلت يا رسول الله ما هي سبحان الله قال معناها تنزيه الله من السوء
وقد تقدم ذكر حلاف النحاة في اللهم وحكى عن بعض المفسرين انهم راوا ان
هذه الكلمة انما يقولها المومن في الجنة عند ما تنتهي الطعام بانه اذا
راى طايرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فتزلت تلك الارادة بين يديه

فوق ما استهى رواه ابن جريج وسفيان ابن عيينه وقوله وتحيتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحيه ماخوذ من الحياة والدعا لها بقال حياه يحيه ومنه قول زهير ابن جناب

"من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه" يريد دعا الناس للملوك بالحياه وقد سمى الملك تحيه لهذا التدريج ومنه قول ابن معدى كرب

"أزورها أبا قابوس حتى أقبح على تحيته يحنبذى"

أراد على ملكه وقال بعض العلما وتحيتهم يريد تسليم الله عز وجل عليهم والسلام ماخوذ من السلامه واخر دعواهم يريد وحامد دعايهم فى كل موطن وكلامهم شكرا لله تعالى وحمده على تتابع نعمه وكانت تلك انهم بالتنزيه والتعظيم وقرا احمهور الناس ان الحمد لله ولهى عند سيبويه أن المخففه من الثقيله وقرا ابن محيصن وبلال ابن ابى برده ويعقوب وابو حيوه ان الحمد لله وهى على الوجهين رفع على خبر الابتدا قال ابو الفتح هذه القرأه تدل على ان قراه الجماعه هى المخففه من الثقيله بمنزله قول الاعشى

"فى فتيه كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل"

قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم فذر الذين لا يرجون لقانا فى طعامهم يعمهون هذه الايه نزلت فى دعاء الرجل على نفسه او ماله او ولده ونحو هذا فاخبر الله تعالى انه لو فعل مع الناس فى اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم فى اجابته الى الخير لاهلكهم فحذف بعد ذلك من القول جمله تتضمنها الظاهر تقديره فلا نفعل ذلك ولكن نذر الذين لا يرجون

فاقتضب

اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم وهل يدل على ان هذا قول الكفار

وهل الكفار يعجلهم استعجالهم

فاقتضب القول وتوصل الى هذا المعنى بقوله فنذر الذين لا يرجون فتامل هذا المقدر تجده صحيحا واستعجالهم نصب على المصدر والتقدير مثل استعجالهم ولهذا قريب من الاول وقيل ان هذه الايه نزلت فى قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا بعذاب اليم وقرا احمهور القرا القضى على بنا الفعل للمفعول ورفع الاجل وقرا ابن عامر وحمزه وخلف وعيسى ابن عمر ويعقوب لقضى على بنا الفعل للفاعل ونصب الاجل وقرا الاعمش لقضينا والاجل فى هذا الموضع اجل الموت ومعنا قضى فى هذه الايه اكمل وفرغ ومنه قول أبى ذويب

"وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع"

واسد ابو على فى هذا

"قضيت امورا ثم غادرت بعدها لواقح فى اكمامها لم تفتق"

وتعدى قضى فى هذه الايه بالى لما كان بمعنى فرغ وفرغ يتعدى بالى ويتعدى باللام فمن ذلك قول جرير

"الان فقد فرغت الى نمير فصرت على جماعتها عذابا"

ومن الاخر قوله عز وجل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقرا الاعمش فذر الذين لا يرجون ويرجون فى هذا الموضع على بابها والمراد الذين لا يؤمنون بالبعث فهم لا يرجون لقا الله والرجا ابدا مقترن بخوف والطغيان العلو فى الامور ويجاوز الحد والعمه الحيط فى ضلال هذه الايه نزلت دائما لحلوق ذميم هو فى الناس يدعون فى الخير فيزيدون بجميل الاجابه ثم تحلم احيانا سوء الحلق على الدعا فى الشر فلو عجل لهم لهلكوا وقوله واذا مس الانسان الضر الايه هذه الايه

ايضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمنه النهى عن مثل هذا
والامر بالتسليم الى الله والضراعة اليه فى كل حال والعلم بان الخير
والشر منه لا رب غيره وقوله لحنبد فى موضع حال كانه قال
مضطجعا ويجوز ان يكون حالا من الانسان والعامل فيه مس ويجوز
ان يكون حالا من ضمير الفاعل فى دعانا والعامل فيه دعا ولهما معنيان
متباينان والضر لفظ عام لجميع الامراض والرزايا فى النفس والمال
والاجسد وهذا قول اللغويين وقيل هو مختص برزايا البدن المزال
والمرض وقوله مر تقضى ان نزولنا فى الكوارث هو بعد تتابع وكل
من دخل تحت معناها من كافر وعاص فمعنى الاية مر فى اشراكه بالله
وقلة توكله عليه وقوله زين ان قدرناه من الله فى خلقه الكفر
واختراعه فى نفوسهم محبة اعمالهم الفاسدة ومتابرتهم عليها
وان قدرنا ذلك من الشيطان فهو بمعنى الوسوسة والمحادعة ولفظة
التزيين قد جاءت فى القران هذين المعنيين مرة من فعل الله تعالى ومرة
من فعل الشيطان **قوله تعالى** ولقد اهلكنا القرون من قبلكم
لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليومنوا الذلك نجزى
القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف
تعملون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ايت
بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع
الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم هذه الاية
وعيد للكفار وضرب امثال اى كما فعلنا ولا فعلكم فكذلك نفعل
بكم ما فعل بهم وقوله وما كانوا ليومنوا احبار عن قوة قلوبهم

ومثله

وشد كفرهم وقراجمهور الناس من السبعة وعبرهم نجزى بنون
الجماعة وقرات فرقة نجزى بالياء على معنى نجزى الله وخلائف جمع
خليفة وقوله لننظر معناه لنبين فى الوجود ما علمناه ازلا لكن
جرى القول على طريق الاتساع والفصاحة والمجاز وقرا ابى ابن وثاب
وقال رايتها فى مصحف الامام عثمان لننظر بادغام النون فى الظاء وقال
عمر ابن الخطاب ان الله تعالى انما جعلنا خلفا لينظر كيف عملنا فاروا
الله حسن اعمالكم فى السر والعلانية وكان ايضا يقول قد استخلفت يا ابن
الخطاب فانظر كيف تعمل واحيانا كان يقول قد استخلفت يا ابن ام عمر
وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات هذه الاية نزلت فى قريش لان بعض
كفارهم قالوا هذه المقالة على معنى سائلنا يا محمد واجعل هذا الكلام
الذى يومن قبلك الى احبارنا واحل ما حرمته وحرم ما حللته ليكون
امرنا جميعا واحدا ووصفهم بانهم لا يومنون بالمعتاد من امر الله نبيه
ان يرد عليهم بالامر الواضح وان يستسلم وسع حكم الله ويعلم الخوفه
زيدة واليوم العظيم يوم القيامة **قوله** تعالى قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون هذا من
كمال الحد اى هذا الكلام ليس من قبلى ولا من عندى وانما هو من عند الله
ولو شاء ما بعثنى به ولا تلوته عليكم ولا اعلمكم به وادراكم بمعنى اعلمكم به
من غير طريق يقول درت بالامر وادريت به غيرى وهذه قراءة الجمهور
وقرا ابن كثير فى بعض ما روى عنه ولا ادراكم به وهى لام تاكيد دخلت
على ادرى والمعنى على هذا ولا علمكم به من غير طريق وقرا ابن عباس وابن
سيرين وابو رجاء والحسن ولا ادراتكم وقرا ابن عباس ايضا وشهر ابن حوشب

ولا اندر تكم به وخرج الفرا قراءة ابن عباس والحسن على لغة لبعض العرب
منها قولهم لبات بمعنى لبيت ومنها قول امراة منهم رثات زوجها بابيات
اى رثيت وقال ابو العبيح اما هو أدرينكم فلبت الياء الفا لانفتاح ما
قبلها وروينا عن مطر بن ناجية عن لغة عقيل في اعطينك أعطانك قال ابو حاتم
قلب الحسن الياء الفا حاكى لغة بني الحارث بن كعب السلام علاك ثم قال
فعد لبثت فيكم عمرا من قبله اى الاربعين سنة قبل بعثه عليه السلام
وتزيل لم تجر بولي ولا كذب ولا كلمت في شيء من هذا فلا يعقلون اى
ان من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد ان خلا عمره وتقاصر
امله واستدن حنكته وحوفد لبه وقرا الجمهور بالبيان في لبثت
وقرا ابو عمرو لبثت بادغام التاء في التاء **وقوله** فمن اظلم الاستفهام
في هذه الاية التوقيف على عظم جرم المفتري على الله بعد تقدم الفصل
من ذلك قبل فانسوق القول واطردت فصاحته وقوله فمن اظلم استفهام
وتقرير اى احد اظلم ممن افترى على الله او ممن كذب بايات الله بعد بيانها
وذلك اعظم جرم على الله واكثر استهدافا الى عذابه ثم قرر انه لا يفلح
اهل الجرم ويفلح معناه يظفر ببغيته وقوله ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الاصنام وقوله هؤلاء شفعاؤنا هو
مذهب المبلامنهم فامر الله نبيه ان يوبخهم ويقرعهم انهم يعلمون
الله بانيا من في السموات والارض لا يعلمها هو وذكر الملائكة لان
من الكفار من يعبد الملائكة والسعري ويحسب بعد احس أن
يقول هؤلاء وقيل دلك على الحور في الاصنام التي لا تعقل ولا تقدر
وذلك لازم من قولهم شفعاؤنا عند الله وسبحانه استيناف تنزيه

لله عز وجل وقرأ ابو عمرو وعاصم وابن عامر هنا وحيث ما اشركون بالياء
على الغيبة وفي حرفين في النحل وفي حرف في الروم وفي حرف في النمل
وذكر ابو حاتم انه قرأها كذلك نافع والحسن والاعرج وابن القعقاع
وشيبة وحميد وطلحة والاعمش وقرأ ابن كثير ونافع هنا وفي النمل
فقط بالتاء من فوق على مخاطبة الحاضر وقرأ حمزة والكسائي الحرف
الاخر بالتاء وفي قراءة ابي عبد الرحمن **قوله تعالى** وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي
بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه فقل
انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين قال فرقة المراد
ادم كان امة واحدة ثم اختلف الناس بعده في امر النبيء وقالت
فرقة المراد نسم ذريته اذ استخرجهم الله من ظهره واشهدهم على
انفسهم وقالت فرقة المراد ادم وبنوه من لدن نزوله الى قتل ابنيه
الاخر وقالت فرقة المراد وما كان الناس الا امة واحدة في الضلال
بالله والجهل به واختلفوا فرقا في ذلك بحسب الجهالة ويحتمل ان يكون
المعنى كان الناس صنفا واحدا بالفطرة واستبقاء القول في هذا
متقدم في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة وقرأ الحسن
ابن ابي الحسن وابو جعفر ونافع وشيبة وابو عمرو ولقضي بينهم بضم
القاف وكسر الضاد وقرا عيسى ابن عمر لقضي بفتحهما على الفعل الماضي
وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك يريد قضاؤه وتقديره لبني ادم بالا
جال المؤقتة ويحتمل ان يريد الكلمة في امر القيامة وان العقاب
والثواب انما يكون حينيذ وقوله ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه

تريد بقوله آية من ربه انه يضطر الناس الى الايمان وهذا النوع
من الآيات لم يات نبي قط ولا هي من المعجزات الاضطرارية وانما هي
معرصة للنظر ليهتدي قوم ويضل آخرون وقوله تعالى فقل انما
الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل لا يطلع على غيبه في ذلك احد وقوله
قال الطبري في بدر وغيره **وقوله** تعالى واذا اذقنا الناس الآية
المراد بالناس في هذه الآية الكفار وهي تتناول من العاصين من لا
يودي شكر الله عند زوال المكروه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه
وذلك في الناس كثير والرحمة بعد الضر كالمطر بعد القحط والامن
بعد الخوف والصحة بعد المرض ونحو هذا من الغصاه ووصف مكر
الله تعالى بالسرعة وان كان الاستدراج بمهلهم لانه متيقن به واقع لا
محالة وكل آت قريب قال ابو حاتم قرأ ان رسلنا بضم السين الجمهور وخفف
السين الحسن وابن ابي اسحق وابو عمرو وقال ابو علي اسرع من سرع ولا
يكون اسرع **قال القاضي** رضي الله عنه ولو كان من اسرع لكان
شاذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نار حفص انها اسود من
القار وما حفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلس شاذا وقرا الحسن ونافع
والاعرج وقتادة ويجاهد يمكرون بالتاء وقرا ابو جعفر وشيبة وابو
رجاء وابن ابي اسحق وابن كثير وابن محيصن تمكرون بتاء على المخاطبة وهي قراءة
اهل مكة وشبل وابي عمرو وطلحة وعاصم والاعمش والحذري وايوبا ابن
المتوكل وروبت ايضا عن نافع والاعرج قال ابو حاتم قال ابو
ابن المتوكل في مصحف ابي يا ايها الناس الله اسرع مكرا وان رسلنا لديكم
يكتبون ما تمكرون **قوله تعالى** هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا

من اسرع ع

والسين ع

كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين هذه الآية سمن تعديد النعمة فيما هي
الحال وبسببه من ركوب البحر وركوبه وقت حسن الظن به للجهاد والحج
متفق على جوازه ولذلك لضرورة المعاش بالصيد فيها وتصرف التجار
واما ركوبه لطلب المتاع والاستكثار فمكروه ممنوع في الحديث من ركب
البحر في الحاجة فقد برئت منه الذمة وقال عليه السلام لا اركبه
ابدا وقراجمهور القراء من السبعة وغيرهم يسيركم قال ابو علي هو
تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدية لان العرب تقول سرت الرجل
وسيرته ومنه قول الهذلي

فلا الجزع ممن سنة انت سرتها ولا وال راض سنة من يسيرها

قال القاضي رضي الله عنه وهذا على البناء اعتراض حتى يكون شاهدا
في بعد او هو ان يجعل الضمير كالظرف كما تقول سيرت الطريق وهي قراءة
الجمهور من سير وكذلك هي في مصحف ابن مسعود وفي مصحف ابي وقال
عوف ابن ابي جميلة قد كان يقرأ ينشركم فغيرها الحجاج ابن يوسف
يسيركم قال سفيان ابن ابي العرعل كانوا يقرون ينشركم فطروا في مصحف
ابن عفان فوجدوها يسيركم فاول من كتبها كذلك الحجاج وقرا ابن كثير
في بعض طرقه يسيركم من اسار وقرا ابن عامر وحمزة من السبعة
ينشركم بفتح الياء وضم الشين من النشر والبث وهي قراءة زيد ابن ثابت
والحسن وابي العالية وابي جعفر وعبد الله ابن جبير ابن المصبح وابي
عبد الرحمن وشيبة وروي عن الحسن انه قرأ ينشركم بضم الياء واسكان

عن الاخفش وابي عبيدة ان السير والكر والطي والنشر والحمل والاخراج بمعنى واحد

وقال بعض قراءه عبد الله قال أبو حاتم الفلك غلط والفلك جمع فلك وليس
باسم واحد للجميع والفرد ولكنه فعل جمع على فعل ومثل على قوله
فلكان في التشديد وقراءة ابي الدرداء أو أم الدرداء في الفلكي على وزن
فعلي بياء نسب وذلك لقوله اشقري ولدوراري في دور الدهر
ولقول الصلتان ابا الصلتاني وقوله وجرن علامه قليله العدد
وقوله بهم جروخ من الحضور الى الغيبه وحسن ذلك لان قوله لتجري في
الفلك هو بالمعنى المعقول حتى اذا حصل احدكم في السفر والريح اذا افردت
فعرفها ان تستعمل في العذاب المكروه لكنها لا تحسن في البحر أن يكون الا
واحدة متصلة لانشرا فقيدت المفردة بالطيب فخرجت عن ذلك العرف
وبقي المعنى وقرا ابن ابي عبله حاتم ريح عاصف والعاصف الشديد
من الريح يقال اعصفت الريح وقوله وظنوا على بابه في الظن لكنه ظن
غالب مفزع بحسبانه في محذور وقوله دعوا الله ان نسوا الاصنام
والشركاء وجردوا الدعاء لله وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء
حكايه قول العجم اهيا شراهيا ومعناه حي قيوم قال الطبري جواب قوله
حتى اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح عاصف وجواب قوله وظنوا انهم احيط
بهم دعوا الله مخلصين قوله تعالى فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض
بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياه الدنيا ثم الينا
مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون يبغون اي يفسدون ويكفرون والبغي
التعدي والاعمال الفاسده ويؤكد ذلك بقوله بغير الحق ثم ابتدأ
بالزجر وذم البغي في أوجز لفظ وقوله متاع الحياة الدنيا رفع
وبعده قراءة الجمهور ودل ذلك على خبر الابتداء والمبتدأ بغيكم ويصح ان يرتفع

متاع على خبر ابتداء مضمر تقديره ذلك متاع او هو متاع وخبر البغي
قوله على انفسكم وقرا حفص عن عاصم وهارون عن ابن كثير وابن ابي
اسحق متاعَ بالنصب وهو مصدر في موضع الحال من البغي وخبر البغي
على هذا محذوف تقديره مذموم او مكروه او نحو هذا ولا يجوز ان
يكون الخبر قوله على انفسكم لانه كان يحول بين المصدر وبين ما عمل فيه
باحسن ويصح ان ينتصب متاع بفعل مضمر تقديره تمتعون متاع الحياه
الدنيا وقرا ابن ابي اسحق متاعا الحيوة بالنصب فيهما ومعنى الايه انما
بغيكم وافسادكم مضره لكم وهو في حال الدسائم تلقون عقابه في الاخره
قال سفيان ابن عيينه انما بغيكم على انفسكم متاع الحياه الدنيا اي يعجل
لكم عقوبته في الحياه الدنيا وعلى هذا قالوا البغي يصرع اهله **قال**
القاضي وقالوا الباغي مصروع قال الله تعالى ثم بغي عليه لينصرنه
الله قال عليه السلام ما ذنب اسرع عقوبه من بغي وقراه فرقه
فنبيكم على ضمير المعظم وقرات فرقه فينبئكم على ضمير الغائب والمراد
الله عز وجل **قوله تعالى** انما مثل الحياه الدنيا كماء انزلناه من السماء
فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او
نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم
يتفكرون المعنى انما مثل تفاخر الدنيا وزينتها بالمال والبنين اذا صير
ذلك الى الفناء كمطر نزل من السماء فاختلط فوقف بعنا بعض القراء على
معنى فاختلط الماء بالارض ثم استانف به ساق الارض على الابتداء والخبر
المقدم ويحتمل على بعد ان يعود الضمير في به على الماء او على الاختلاط

الذى يتضمنه القول ووصلت فرفه فرفع النبات على ذلك بقوله احتلط
اى احتلط النبات بعضه بعض سبب الماء وقوله مما يأكل الناس
يريد الزرع والاشجار ويحود لك وقوله والانعام يريد سائر العشب
المرعى واخذت الارض لطه كنزخرف ومثل بعد لقوله حدوا زينتكم
والزخرف التزيين بالالوان وقد يجئ الزخرف بمعنى الذهب
منه وقرا مروان ابن الحكم وابو جعفر والسبعة وشيبه ونجاهد
والجمهور وازينت اصله تزينت سكنت التاء لتدغم فاجتلبت الى الفاء الوصل
وقرا ابن مسعود والاعمش والى ابن كعب تزينت ولعده اصل قراءة الجمهور
وقرا الحسن وابو العالية والسبعة وقتادة ونصر ابن عاصم وعيسى
وازينت على مثال افعلت وقال عوف ابن ابى جميلة كان اشياخنا يقرؤونها عثمان البتى
وازيانت الوزن مشددة والف وراى ساكنة قبلها وهى قراءة ابى عبد
الرحمن السلمى وقرا الحسن وفرقة ازانت والمعنى فى ذلك حلة طهرت
زينتها وقوله وظن اهلها انهم قادرون عليها عائد على الارض والمراد
ما فيها من بعد الله ونبات وهذا الكلام فيه تشبيه حلة امر الحياة حرف م
الدنيا بهذه الجملة الموصوفة احوالها حتى غايته وهى ابتداء الدخول فيها
على اذا ومعناها متصل الى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب
والامر الاتى واحد الامور كالريح والضر ونحو ذلك وبياتا تبييتا ليلا او
نهارا انبيه على الخوف وارتفاع الامن فى كل وقت وحصيدا فعيل بمعنى
مفعول وعبر بحصيد عن الفاعل لها لكل من النبات وان لم يعلك بحصاد
اذ الحكم فيها واحد وكان لم تغن قبل اوانه وقوله كان لم يغن

اى لم

وجواب وبه وراس وبقى لجمعها والمساعد
اذا ما الهوادى بالعصى اجاوت

اى لم تنعم ولم تسر ولم يعز بغضارتها وغرافتاده يعنى الياسه من
يعنى الحصيد وقرا مروان حازلم تتغن بتاء بن مثل تتفعل والمعانى المنازل
المعموره ومنه قول الشاعر

وقد تغنى بها ونرى عصورا بها يقتدنا الجزد الجراء

وفى مصحف ابى ابن كعب كان لم تغن بالامس وما كان لهلكها الا بذنوب اهلها
وقرا ابو الدرداء القوم يتذكرون ومعنى الايه التحذير من الاغترار بالدنيا
اى هى معترضه للتلف وان يصيبها ما اصاب هذه الارض المذكوره بموت
اوغيره من رزايا الدنيا وخص المتفكرين بالذكر لشرفهم للمنزله وليقع
السابق الى هذه الرتبه قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام
ويهدى من يشا الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزياده ولا يرهق
وجوههم قتر ولا ذله اولئك اصحاب الجنه هم فيها خالدون نصت هذه الايه
ان الدعا الى الشرع عام فى كل بشر والهدايه التى هى الارشاد مختصه بمن
قدر ايمانه والسلام قبل هو الله تعالى والمعنى يدعوا الى داره التى هى الجنه
واضافها اليه اضافه ملك الى مالك وقيل السلام بمعنى السلامه اى
من دخلها فهو بالسلامه وامن الفنا والافات وهذه الايه رادة على
المعتزله وقد وردت فى دعوه الله تعالى عباده احاديث منها رويا النبى
صلى الله عليه وسلم ادراى فى نومه جبريل وميكايل ومثلا دعوه الله
ومحمدا الداعى والمله المدعو اليها والجنه التى هى ثمر الغفران المادمه بدعوا
اليها ملك الى منزله وقال قتاده فى كلامه على هذه الايه ذكر لنا ان فى التوراة
مكتوبا يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر قصر وقوله للذين احسنوا الحسنى
وزياده الايه ذكر لنا وقد يعنى الجمهور الحسنى الجنه والزياده النظر الى الله

ابن عباس وصل الله عليه وسلم ان جبريل وميكائيل عليهما السلام

العول

عز وجل وروى في هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه صهيب
وروى هذا الحديث عن ابي بكر الصديق وحذيفة وابي موسى الاشعري
وعامر ابن سعد وعبد الرحمن ابن ابي ليلى وروى عن علي ابن ابي طالب انه
قال الزيادة عرفه من لولوه واحده وقالت فرقة الحسنى هي الجنة والزيادة
هي تضعيف الحسنات الى سبع مائة ضعف فدونها حسب ما ورد في
نص الحديث وتفسير قوله والله يضاعف لمن يشاء وهذا قول يعضده النظر
ولو لا عظم القائلين بالقول الاول لرجح هذا القول وطريق ترجيحه ان الاية
تتضمن اقترانا من ذكر اعمال الحسنات واعمال السيئات فوصف الحسنين
بان لهم على احسانهم الحسنى وزيادة من جنسها ووصف المسيئين بان لهم السيئة
مثلها فتعادل الكلامان وعبر عن الجنة بالحسنى مبالغة اذ هي عشرة
وقال الطبري الحسنى عام في كل حسنى فهي تعم جميع ما قيل ووعد الله في
جمعها بالزيادة ويؤيد ذلك قوله اولئك اصحاب الجنة ولو كان معنى
الحسنى الجنة لكان في القول تكرير المعنى على ان هذا منفصل عنه بانه وصف
المحسنين بان لهم الجنة وانهم لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال اولئك
اصحاب الجنة على صفة المدح اي اولئك مستحقوها واصحابها حقا باستحقاق
وترهق معناه تغشى مع غلبة وتضييق والقتار الغبار الاسود
ومنه قول النابغة

"متوج برداء الملك يتبعه ... موج ترى وسطه الرايات كالقترا"

وقرا الحسن وعيسى ابن عمر والاعمش وابو رجاء قتر بسكون التاء وقوله
تعالى والذين كسبوا السيئات اختلف النحويون في رفع جزاء هم فهو
فقالت فرقة التقدير فلهم جزاء سيئة بمثلها وقالت فرقة التقدير جزاء

سيئة كائن مثلها وقالت فرقة التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة

قال العاصي رضي الله عنه وبتوجه ان يكون رفع الجزاء على المبتداء
وخبره في الدين لان الذين معطوف على قوله للذين احسنوا فكانه قال
والذين كسبوا السيئات بمثلها وعلى الوجوه الاخر فقوله والذين كسبوا
رفع بالابتداء وتم السيئات هنا الكفر والمعاصي فمثل سيئة الكفر
الخلود في النار ومثل سيئة المعاصي مصروف الى مشيئة الله تعالى
والعاصم المانع والمجير ومنه قوله الى جبل يعصمني من الماء واغشيت
كسيت ومنه الغشاوة والقطع جمع قطعة وقرا ابن كثير والكسائي
قطعا بسكون الطاء وقرا الباقون بفتح الطاء والقطع الجزء من الليل
ومنه قوله فاسر باهلك بقطع من الليل وهذا يراد بالجزء من زمن
الليل وفي هذه الاية يراد الجزء من سواده ومظلما نعت لقطع ويجوز
ان يكون حالا من الذكر الذي في قوله من الليل فاذا كان نعتا فحقه ان
يكون قبل الجملة ولكن قد يجيء بعدها وتقدير الكلام قطعا استقرت من
الليل مظلما على الجر قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك ومن قرا قطعا على
جمع قطعة فنصب مظلما على الحال من الليل والعامل في الحال من اراد
به العامل في ذي الحال وقرا ابي ابن كعب وما تغشى وجوههم قطع من
الليل مظلم وقرا ابن ابي عبلة قطع من الليل مظلم بتحريك الطاء في قطع

قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل
نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

حواشيه

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والحسن وشيبة وعيسى بخبرهم
بالنون وقرأ فرقة بحشرهم بالياء والضمير في بحشرهم عائد على جميع
الناس محسنين ومسيئين ومكانكم نصب على تقدير الزموا مكانكم وذلك
مقترن بحال شدة وخزي ومكانكم في هذا الموضع من أسماء الأفعال
أي معناه قفوا واسكنوا وهذا خبر من الله تعالى عن حالة تكون لعبدة
الأوثان يوم القيامة ويؤمرون بالاقامة في موضع الخزي مع أصنامهم
ثم نطق الله الأصنام بالتبري منهم وقوله وشركاؤكم أي الذين زعمتم
أنهم شركاء الله فأضافهم إليهم لأن كونهم شركاء إنما هو بزعمهم فقط ولا
وقوله فزيلنا بينهم معناه فرقنا في الحد والمذهب وهو من زلت الشيء
عن الشيء أزيله وهو تضعيف ومبالغة لا تعدية ويكون مصدر زيل
تزييلا يدل على أن زلت إنما هو فعل لا فيعل لأن مصدره كان يجيء على فيعله
وفرات فرقة فزايلنا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النهار إذا رأوا
العذاب وتقطعت بهم الأسباب قيل لهم أسواء ما كنتم تعبدون
فيقولون كنا نعبدكم فقال الأصنام والله ما كنا نسمع ولا نعقل
وما كنتم إيانا تعبدون فيقولون والله لا يأكذا ما تعبد فتقول الآلهة
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين قال القاضي رضي الله عنه وظاهر هذه
الآية أن محاورتهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى ابن مريم بدليل
القول لهم مكانكم أنتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل
قولهم إنا كنا عن عبادتكم لغافلين ولقائلا لأقط لم يحفلوا عن عبادة من
عبدهم وإسم رفع بالابتداء والخبر مهانون وموبخون ويجوز أن
يكون أنتم تأكيدا للضمير الذي في الفعل المقدر الذي هو قفوا ونحوه

وشهدا

وشهدا نصب على المصدر وقيل على الحال وإن لم يعد بسوء بحذفه
موحيد حرف النداء ولزمتها اللام وفرق بينها وبين إن النافية وقال
الفراء إن بمعنى ما واللام بمعنى إلا وهنالك نصب على الظرف وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر تبلوا بالتاء واحده بمعنى تختبر وقرأ
حمزة والكسائي تتلوا بالتاء بقطتين من فوق بمعنى تتبع أو تطلب ما
أسلفت من أعمالها ويصح أن يكون بمعنى تقرأ كتبها التي تدفع إليها وقرأ
يحيى بن وثاب ورد وا بكسر الراء والجمهور بضمها وردوا إلى الله أي
ردوا إلى عقاب مالكهم وشديد بأسه وهو مولاهم في الملك والإحاطة
لا إلى الرحمة والنصر ونحوه **قوله تعالى** قل من يرزقكم من السماء
والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فهذا
توقيف وتوبيخ واحتجاج لا يجد عن التزامه ومن السماء يريد بالمطر
وغيره ومن الأرض يريد بالنبات ونحو ذلك ويملك السمع والأبصار
لفظ نعم جميع الإنسان ومعظمه حتى إن ما عداها من الحواس تبع
ويخرج الحي من الميت مثل البيضة من الطائر ونحو ذلك وقد تقدم قبل
سلفا لحان القول في نحو المعاني ويدبر الأمر عام لجميع وغيره
من جميع الأشياء ودال على استقامة الأمور كلها على إرادة الله عز وجل
وليس تدبيره بفكر ورؤية ولغير ذلك تعالى عن ذلك بل علمه محيط كامل
دائم فسيقولون الله لا منددا لهم عن ذلك ولا عالمين المباهتة
بسواه فإذا قد أبدا لك فقل أفلا تتقون في افترائكم وجعلكم الأصنام
آلهة وقوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق أي المستوجب للعبادة والألوهية

الا الله يعلم ما في السموات والارض ويعلم السر والجهر وهو على كل شيء قدير
هذه صفات الله ربكم

واذا كان كذلك فشريك عمرو ضلال وعمر حق وعبارة القران
في سوق هذه المعاني تفوق كل تفسير براعة واعجازا ووضوحا
وحكمت بعده الاية بانه لس بين الحق والباطل منزلة ثالثة في هذه
المسالة التي هي توحيد الله تعالى وذلك هو الامر في نظايرها وهي
مسايل الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام فيها انما هو
في تقدير وجود ذات ليس هي وذلك بخلاف مسايل الفروع التي قال
الله فيها لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال عليه السلام الحلال
بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات والحق في هذا في الطرفين لان
المتعبدين انما طلبوا بالاجتهاد لا العين في كل نازلة ويدل على ان الحق
في الطرفين اختلاف الشرايع بتحليل وتحريم في شيء واحد والكلام
في مسايل الفروع انما هو في احكام طارية على وجود ان مستقرة لا
تختلف فيها وانما تختلف في الاحكام المتعلقة بالمشروع وقوله فاني
تصرفون تقرير كما قال فاين يذهبون ثم قال كذلك حقت كلمة ربك
اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته واجبة كما تقرر وانصراف
تعالوا عما قد عليهم ولم يسلموا كذلك حقت وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم وحمزة والكسائي هنا وفي اخر السورة كلمة على الافراد الذي
يراد به الجمع كما يقال للقصيدة كلمة وعبر عن وعد الله بكلمة وقرا
نافع وابن عامر في الموضعين المذكورين هنا وفي قرأ ابي جعفر ويعقوب
ابن نصاح ولعنه الاية اخبار ان في النار من جنس الله تعالى بكفره
وقضى بتخليده وقرا ابن ابي عبلة انهم بكسر الالف **قوله تعالى**
قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق

ثم يعيده

ثم يعيده فاني يوفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله
يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى
فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق
شيا ان الله عليم بما يفعلون بعد انا توقف على قصور الاصنام
وعجزها وتنبيه على قدرة الله عز وجل وبدا الخلق يعيد يريد
انشا الانسان في اول مره واعادته وهو البعث من القبور ويوفكون
معناه يصرفون ويحرمون يقول العرب ارض ما فوكه اذا لم يصبها
المطر فهي بمعنى الخيبة والتلف كما قال والموتفكة اهوى وقوله
تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الا ان يهدى الى الحق يريد بين
طرق الصواب وندعوا الى العدل ونفصح بالايات ونحو هذا ووصف
الاصنام بانها لا تهدي الا ان تهدى ونحن لا نعلم انها تهتدي وان تهديت
فوجه ذلك انه عامل في العباره عنها معاملتهم في وصفها باوصاف
من يعقل ودل المجاز وموجود في القران كرد الضمير على الفارسي
والذي اقول ان قراءة حمزة والكسائي يحتمل ان يكون المعنى امن
لا يهدي احدا الا ان يهدى ذلك الاحد بهدايته من عند الله واما
غيرها من القراءات الى معناها امن لا يهتدي الا ان يهدى فيتجه
المعنى على ما تقدم لابي علي الفارسي وفيه تحوير كثير وقال بعضهم
هي عباره عن انها لا تستقل الا ان تنقل ويحتمل ان يكون مادكر الله
من تسبيح الجماد ان هو ابعد اوها ويحتمل ان يكون الاستثنا في
اصدائها اشاره الى مناكره الكفار يوم القيامه حسب ما مضى
في نظم السوره وقرا حمزه والكسائي يهدي بفتح الياء وسكون

الطبري عن

الهاء وفرا نافع وابو عمرو وشيبة والاعرج وابو جعفر يهدى بفتح الها
بسكون الهاء وشد الدال وقرا ابن كثير وابن عباس يهدى بفتح
الهاء والياء وهذه افصح القرات نقلت حركة التا يهتدى الى الهاء وادغمت
التا في الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرا عاصم يهدى بفتح الياء
وكسر الهاء وشد الدال اسح السره السره وقرا عاصم في روايه
ابى بكر يهدى بكسر الياء والهاء وشد الدال وهذا ايضا اتباع وقال
محا هذا الله يهدى من الاوثان وعبرها ما شا قال القاضى رحمه الله
وهذا ايضا ضعيف وقرا يحيى ابن الحارث الذمارى الا ان يهدى بفتح
الهاء وشد الدال ووقف القرا فما لكم بدا كيف تحكمون وقوله وما
يتبع اكثرهم الايه اخبر عن سادطريقتهم وضعف نظرهم وانه ظن لم
يبن منزله الظن من المعارف ولعده من الحق والظن في هذه الايه
على بابه في انه معضد احد الحائرين لكن مسل الى احدهما دون وجه
سطل الاخر وجواز ما اعتقده تعالا ما هو بزعمهم لا في نفسه
بل ظنهم محال في ذاته والحق ايضا على بابه في انه حصول المحدود
على ما هو به داحقيقة بينه للفعل وهذه الشروط لا يعنى
الظن من الحواس ا واما في طرق الاحكام التي يعبد الناس بظواهرها
فيعنى الظن في تلك الحقايق وينصرف من طريق الى طريق والشهاده
انما هي مظنونه ولذلك انهم بالشهادات وغيرها تعنى وليس المراد
في هذه الايه هذا النمط وقرا جمهور الناس يعقلون وقرا عبد الله
ابن مسعود تفعلون بالتا على مخاطبه الحاضر قوله تعالى
وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين

يديه

يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين هذا الى قوله
من قال من قريش ان محمدا يفترى القران وينسبه الى الله وعبر عن
ذلك بهذه الالفاظ التى يتضمن تسنيع قولهم واعظام الامر كما قال
تعالى وما كان لنبى ان يغل وكما قال حكاية عن عيسى عليه السلام ما يكون
لى ان اقول ما ليس لى بحق ونحو هذا مما يعطى المعنى والبراهين استحالته
ويفترى معناه يختلق وينشى وكان المر يفريه من حديثه اى يقطعه
ويسمه يسمه فهو مشتق من فريت اذا قطعت لان الاصلاح يتعلق
بنصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر وقال الزجاج هو خبر كان
مضمره والتقدير ولكن كان تصديق الذى بين يديه القران قال القاضى
وهذا ايضا قلق وقيام البرهان على قريش حينئذ انما كان في ان يصدق
القران ما في التوراه والانجيل مع ان الاتى بالقران ممن يقطعون انه لا
يطالع تلك الكتب ولا هى في بلده ولا في قومه وتفصيل الكتاب نحو
تبيينه ولا ريب فيه يريد نحو في نفسه على هذه الحاله وان ارتياب
مبطل فذلك لا يلتفت اليه وقوله ام يقولون افتراه الايه ام
هذه ليست بالمعادله لالف الاستفهام التى في قوله الذكرين حرم
قام ام عمرو وانما هى التى تتوسط الكلام ومنزله سيبويه انها
منزله الالف وبل لانها تتضمن استفهاما واضطرابا مما تقدم
وهى كقولهم انها لابل ام شا وقال فرقه ام هذه انما منزله
الف الاستفهام ثم عجزهم في قوله فاتوا بسوره مثله والسور
ماخوذه من سوره البنا وهى من القران هذه القطعه التى لها
مبدا وختم والتعجيز في هذه الايه وقع بحسب الاعجاز الذى في

المحدثى

القران أحدها النظم والوصف والايجاز والجزاله كل ذلك في التعريف
بالحقايق والاخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل وحسن
لحد اهم يعتبر مفتريات انما تحداهم بالنظم وحده **قال القاضي**
رضي الله عنه هذا قال جماعه من المتكلمين وفيه عندي نظر وكيف
يحل التحدي بما نزله في الغيوب ردا على قولهم افتراه وما وقع التحدي
في الايه هذه بالعشر الا بالنظم والوصف والاخبار في التعريف بالحق
وما الزموا فطا اتيانا وبغيب لان التحدي بالاعلام بالغيوب لقوله
وهم من بعد غلبهم سيغلبون ولقوله لتدخلن المسجد الحرام ونحو
ذلك من غيوب القران فبين ان اليسر مقصور عن ذلك واما التحدي
بالنظم فهو ايضا ان اليسر مقصور عن نظم القران اذ الله عز وجل
احاط بكل شيء علما فاذا قرر اللفظه في القران علم باحاطه اللفظه التي
هي ابين معاني جميع كلام العرب في مع ان يقرظ افصح العالم محفوف
بسبار وجهل بالالفاظ والحق ويغلط ويوافات بشربه فمحال ان
يمسي في كتابه على الاولى فالاولى ونحن نجد العرب تسمح قصيدته وهي
الحوليات يبدل فيها ويقدم ويؤخر ويروح تلك القصيده الى اصح
منه فيزيد في التنقيح ومدلب اهل الصرفه مملوء بهذا الدليل فما
كان قط في العالم الامر فيه يقصر سوى من يوحى اليه الله تعالى وميزت
فصحا العرب هذا القدر من القران فادعت له بعجزه فطرها وخلوص
سليقتها وانهم يعرف بعضهم كلام بعض وعجزه من غير كفعل الفرزدق
في ابيات جرير والجاريه في شعر الاعشى وقول الاعراب في عز وجل فقطع
ونحو هذا مما اذا سبع بان والقدر المعجز من القران ما جمع الجهتين

احتماله

اطراد النظم والسرد وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ
القليل واما مثل قوله تعالى مدهامتان وقوله ثم نظر فلا يضح التحدي
بالاتيان بمثله للذي بانتظامه واتصاله تقع الحجز عنه وقوله مثله
صفه للسوره والضمير عايد على القران المتقدم الذكر كانه قال فاتوا
بسوره مثل القران اي في معانيه والفاظه وحلطت فرقه في قوله
مثله مرجعه اللسان كقول الطبري دل على المعنى ولو كان على اللفظ
لقال مثلها وهذا ابن الانباري اليه وقراءه ابن وثاب بسوره مثله على
الاضافه قال ابو الفتح التقدير بسور كلام مثله قال الرماني امر
عبد الله الاسود ان يسال عمرو عن اضافه سوره او تنوينها فقال
له عمرو لف شيت وقوله من استطعتم اطلع على شركائهم وجنهم وغير
ذلك وهذا قوله في الايه الاخرى لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا اي معينا وهذا اشد افاده لانفسهم وتحير الهم **قوله تعالى**
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله الذم لاحق الذين من قبلهم
فانظر كيف كان عاقبه الظالمين ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن
به وربك اعلم بالمفسدين المعنى ليس الامر كما قالوه في انه مفترى كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه وهذا الامر يحتمل معنيين احدهما ان يريد بها الوعيد
الذي توعدهم الله على الكفر وتاويله على هذا يراد به ما يوول اليه امره
كما نعوى قوله هل ينظرون الا تاويله والايه تحملها على هذا التاويل
تتضمن وعيدا والمعنى الثاني انه اراد كذبوا بهذا القران العظيم المبني
بالحق وبالغيوب التي لم سقديم به معرفه ولا احاطوا بعلم غيوبه
وحقايقه وحسن نظمه ولا جاءهم تفسير ذلك ويانه والذين من
قبلهم تريد من سلف من الامم قال الرماني كيف في موضع نصب
على خبر كان ولا يجوز ان يعمل فيها انظر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل
فيه **قال** ابو محمد هذا قانون النحويين لانهم عاملوا كيف في كل مكان
معاملة الاستفهام المحض في قولك لكيف زيد ولكيف تصرف فانت عبر
عنها تحل محل المصدر الذي هو كيفيه وتخلع معنى الاستفهام ويحتمل
هذا الموضع ان يكون منها ومن تصرفها قولهم لزيد كيف شيت وانظر قول

ان تهدى العمى والهدايه اجمع انما هى بيد الله عز وجل **قوله تعالى**
ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قرات فرقه ولكن
الناس بتخفيف لكن ورفع الناس وقرات فرقه ولكن بتشديد لكن
ونصب الناس وظلم الناس لانفسهم انما هو لتكسبهم الذى يقارن
اختراع الله تعالى لافعالهم وعرف لكن اذا كان قبلها واو ان يعقل واذا
عريت عن الواو ان تخفف وقد يحرم بعدها وقال الكوفيون قد تدخل
اللام فى خبر لكن المشدده على حد دخولها فى ان ومنع ذلك البصريون
وقوله ويوم يحشرهم الايه وعيد بالحشر وحزنهم فيه وتعارفهم وجمعهم
فى الملاوم بعضهم لبعض ويوم ظرف ونصبه نصح بمضمر تقديره
واذكر يوم ويصح ان ينصب بالفعل الذى يتضمنه قوله تعالى كان لم يلبثوا
الا ساعه من النهار ويصح نصبه بيتعارفون والكاف فى قوله كان
يصح ان يكون فى محل الصفه لليوم ويصح ان تكون فى موضع نعت للمصدر
كانه قال ويوم يحشرهم حشرا كان لم يلبثوا ويصح ان يكون قوله كان لم
يلبثوا الى موضع الحال من الضمير فى يحشرهم وخصص النهار بالذكر
لان ساعاته وقسمه معروفه بينه للجميع فعارفها ولا يحققون قلله
ما يلبثوا اذا طال امر طويل اذا انقضى فهو والقصير سواء واما قوله
يتعارفون فهذا التعارف على جهه التلاوم والحزن من بعضهم لبعض
ويحتمل ان يكون فى موضع الحال من الضمير فى يحشرهم ويكون معنى التعارف
كالذى قبله ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى يلبثوا ويكون التعارف
فى الدنيا ويحتمل معنى الايه ويوم يحشرهم للقيامه فتنقطع المعرفه
بينهم والاسباب وتصير تعارفهم فى الدنيا لساعه من النهار لا قدر
لها ونحو هذا المعنى فسر الطبرى وقرا السبعه وجمهور الناس
يحشرهم بالنون وقرا الاعمش فيما روى عنه يحشرهم بالياء **وقوله**
قد خسر الذين الى اخرها حكم على المكذبين بالخسار وفى اللفظ اغلاظ
على المحشورين واظهار لما هم عليه من الغرر من الله وهذا على الحكام
اخبار من الله تعالى وقبل انه من كلام المحشورين على جهه التوبيخ لا
لنفسهم **وقوله** وامانرينك الايه اما شرط وجوابه فالينا والروايه

المحاذى كيف كان بدء الوحى فائده لا يتفهم وذكر الفعل المسند الى العاقبه
لما كانت بمعنى المآل ونحوه وليس تاينها حقيقى وقوله ومنهم من يؤمن
به الايه الضمير فى منهم عائد على قريش وهذا الكلام معنيان قال قرقه
معناه من بها ولا، القوم منهم سيومن فى المستقبل ومنهم من ختم الله عليه
ان لا يومن به ابدا وقالت فرقه ومن بها ولا، القوم من هو مومن بهذا
الرسول الا انه يكتم ايمانه وعلمه ان نبوته محمد واعجاز القران حق حفظا
لرياسته او خوفا من قومه كالفئه الذين خرجوا الى بدر مع الكفار
فقتلوا فنزلت فيهم ان الذين توفاهم الملائكه ظالمى انفسهم وكالعباس
ونحوه هذا ومنهم من ليس بمؤمن **قال القاضى** رحمه الله وفائده الايه
على هذا التاويل التفرق لحمله الكفار واضعاف نفوسهم وان يكون لعصمهم
على وجل من بعض وفى قوله وربك اعلم بالمفسدين تهديد ووعيد **وقوله**
تعالى وان كذبوك الايه متاركه لهم ومتاركه وفى ضمنها وعيد وتهديد ولهذه
الايه نحو قوله قل يا ايها الكافرون الى اخر السوره وقال ابن عباس
منهم ان ينذهب الايه منسوخه بالقتال لانها عهد مكيه وهذا اصح
وقوله ومنهم من يستمعون اليك جمع يستمعون على معنى من وعلى لفظها
ومعنى الايه ومن بها ولا، الكفار من يسمع الى ما تاتى به من القران بادنه
ولكنه حين لا يومن ولا يخلص فكانه لا يسمع ثم قال على جهه التسليه
لمحمد عليه السلام فانت يا محمد بزيادان تسمع الصم اى لا تكترث بذلك
وقوله ولو كانوا لا يعقلون معناه ولو كانوا فى اشد حالات الاصم
لان الاصم الذى لا يسمع شيئا لحال فذلك لا يكون فى الاعلى الامع فساد
العقل والدماغ فلا سبيل ان يعقل حجه ولا دليلا ابدا ولو يعقله بمعنى
أن وهو يوقف للنبى عليه السلام اى اتلزم نفسك هذا **وقوله**
ومنهم من ينظر اليك هى نحو الاولى فى المعنى وجاء نظر على لفظ من
واذا جاء الفعل على لفظها فجايز ان يعطف عليه على المعنى واذا جاء
اولا على معناها فلا يجوز ان يعطف على اللفظ لان الكلام يلتبس جدا
وهذه الايه نحو الاولى فى المعنى قال ومنهم من ينظر اليك بقلبه اى
لا يعتبر ولا ينظر بتبصيره فهو لذلك كالاعمى فهون ذلك عليك اذ قد

فى قوله نرسل رويه بصر وقد عدا الفعل بالهمزه فلذلك تعدى الى
مفعولين احدهما الكاف والاخر بعض والاساره بقوله بعض الذى
الى عفويه الله لهم كحو بدر وغيرها ومعنى بعده الايه الوعيد بالرجوع
الى الله تعالى اى ان ارسلنا عفوتهم اولم نرسلها فهم على حال راجعون
الينا الى الحساب والعذاب ثم بعد ذلك فالله شهيد من اول بكليهم
على جميع اعمالهم فثم هنا للترتيب لاخبار لا للترتيب القصص فى انفسها
واما هى ان زيدت عليها ما ولاحلها جاز دخول النون الثقيله ولو
كانت اى وحدها لم تجز **قوله تعالى** ولكل امه رسول فاذا جاء
رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون بعده اخبار مثل قوله تعالى
كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى وقال بحاهد
وغيره المعنى فاذا جاءهم رسولهم يوم القيامه للشهاده عليهم صير
قوم للجنه وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط وقيل المعنى فاذا
جاء رسولهم فى الدنيا وبعث صاروا ممن حتم عليهم بالعذاب لقوم
وبالمغفرة لقوم اخرين فذلك قضاء بينهم بالقسط وقرئ بعض
المتاولين بعده الايه بعوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وذلك
متفق اما بان نجعل معذبين فى الاخره واما ان نجعل القضاء بينهم
فى الدنيا نحب يصح استيناف الايتين وقوله ويقولون متى هذا
الوعد الضمير فى يقولون يراد به الكفار وسوالهم عن الوعد يحتمل
بزعمهم فى الجمله اى بعدا العذاب الذى نوعدنا به حدد لنا وقته لنعلم
الصدق فى ذلك من الكذب وقال بعضهم قولهم بعدا على جهه الاستخفاف
قال القاضى رضى الله عنه وبعدا لا يظهر من اللفظ ثم امره بعالى
ان يقول لهم لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله المعنى قل لهم
يا محمد ذا للجحد اى لا املك لنفسى مردودا الله ضرا ولا نفعا ولا
اياها الا فى قصد سلطانه وتضمن الجواب حدا الطفه فاذا كنت هكذا
فاحرى الا اعرف غيبه ولا انعاطا شيئا من امره ولكل امه
اجل انفرد الله بعالى بعلم حده ووقته فاذا جاء ذلك الاجل فى
موت امته او بعلال امته لا تاخروا ساعة ولا امكنهم التقدم

عن

عن حد الله عز وجل وقرا ابن سيرين اجالهم بالجمع **قوله تعالى** قل ارايتم
ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ما ذا يستعجل منه المجرمون ثم اذا ما وقع امنتم
به الان وقد كنتم به تستعجلون المعنى قل يا ايها الكفره المستعجلون بعذاب
الله عز وجل ارايتم ان اتاكم عذابه ليلا وقت المبيت بقال بيت القوم العدو
اذا طرقهم ليلا لحرب ونحوها او نهارا الكم منه منعه او به طاقه
فما يستعجل منه وانتم لا قبل لكم به وما استفهام وذا خبره ويصح ان يكون
ما ذا بمنزله اسم واحد فى موضع رفع بالابتدا وخبره الجمله التى بعده وضعف
هذا ابو على وقال انما جوز ذلك على تقدير اضمار الذى يستعجلون وحذفه كما قال
كله لم اصنع وربد ضربت ويصح ان يكون ما ذا فى حال نصب بيستعجل والضمير
فى منه محتمل ان يعود على الله عز وجل ويحتمل ان يعود على العذاب **وقوله**
ايم اذا ما وقع الايه عطف بقوله ثم على الجمله القوم على ما تقدم ثم ادخل على
الجميع الف التقرير ومعنى الايه اذا وقع العذاب وعاينتموه امنتم حينئذ
وذلك عند ما لا ينفعكم ايمانكم الان وكنتم به تستعجلون مكذبين به وقرا طلحه
ابن مصرف ايتم بفتح التا، وقال الطبرى فى قوله ايم بضم التا ابن معناه فعالك
قال وليست لهذه تا بمعنى العطف **قال القاضى** والمعنى صحيح على انها
ثم المعروفه ولكن الصافه على لفظ التنزيل بعوجا قلنا وما ادعاه الطبرى
غير معروف والاصل عند بعض النحاه ايم فعل ماض حذفت عليه
الف الوصل واللام على حدها فى قوله الحمار التحدع ولم تعرف بذلك
كل التعريف ولكنها لفظه مضمنه معنى حرف التعريف ولذلك بنيت
على الفتح لتضمنها معنى الحرف ولوقوعها موقع المبهم لان معناها هذا الوقت
وقرا ها الاعمش وابو عمرو وعاصم والجمهور الان بالمد والاستفهام
لغير مد طلحه والاعرج وقولهم قل للذين ظلموا الايه هذا الوعيد
الاعظم بالخلود لاهل الظلم الاخص الذى هو ظلم الكفر لا ظلم المعصيه
وقوله هل تجزون يوقف وتوبخ وتصت هذه الايه على ان الجزا فى الاخره
يقع على تكسب العبد وقوله ويستنبئونك معناه يستخبرونك وهى على
هذا تتعدى الى مفعولين احدهما الكاف والاخر فى الابتدا والخبر وقيل

التى م

عمل اصف الموجه وكذلك الذى وقرا اسمعهم

هي بمعنى تستعلمونك وهي على هذا تحاج الى مفعولين احدهما الكاف والاستدا
والخبر سد مسد المفعولين واحق قيل الاشاره الى الشرع والقران
وقيل الى الوعيد وهو الاظهر وقرا الحق بمده وبلام التعريف وقوله
اى هي لعطه تقدم القسم وهي بمعنى نعم ويحي لعدها حرف القسم وقد لا يحي
اى وزنى ومعناه مقلتين وهذا الفعل اصله تعديه بحز لكن
كثر فيه حذف المفعول حتى قالت العرب ايحز فلان اذا ذهب في الارض
فلم يقدر عليه **قوله** تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت
به واسروا الندامه لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
بعد اخبار للكفار عن سباق اخبارهم بان الوعد حق واسروا لفظه
يحي بمعنى اخفوا وهي حينئذ من الاسرار من الوجد قال الطبري المعنى واحفار وسا الكفار الندامه عن سفلتهم
ووضعايهم **قال القاضي** رضي الله عنه والظاهر انه عام
لجميعهم والاستفتاح وتنبيههم اوجب ان جميع ما في السموات والارض
ملك لله تعالى قال الطبري يعني فليس لهذا الكافر يوم القيامه شيء يفتدي به
قال القاضي وربط الاثنين هكذا انجه على بعد وليس بهذا من فصح
المقاصد وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون قيد بالاكثر لان بعض الناس
يؤمن فهم يعلمون حقيقه وعد الله تعالى واكثرهم لا يعلمون فهم لاجل
ذلك يكذبون وقوله هو يحي ويميت من لنطفه وميت بالاجل ثم
يحل المرجع اليه بالحشر يوم القيامه وفي قوله هذه الايات ما يستدعي
الايمان واجابه دعوه الله وقرا ترجعون بالتاء من فوق الاعرج وابو
عمرو وعاصم ونافع والناس وقراعيسى ابن عمر يرجعون بالياء من تحت
واحلف عن الحسن **قوله تعالى** يا ايها الناس قد جاءتكم موعظه من ربكم
وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمه للمومنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذه اسد خطب بها جميع العالم والموعظه
القران لان الوعظ انما هو بقول بامر معروف وبر جز وبرفق ووعد
ووعد وهذه صفات الكتاب العزيز وقوله من ربكم يريد لم يختلقها محمد ولا

غيره بل هي من عند الله تعالى وما في الصدور يريد به الجهل والعتو عن النظر
في ايات الله ونحو هذا مما يدافع الايمان ويجعله موعظه بحسب الناس
اجمع وجعله هدى ورحمه بحسب المومنين فقط وهذا التفسير صحيح
المعنى اذا تامل بان وجهه وقوله قل بفضل الله وبرحمته الباء متعلقه
بمحذوف استغني عن ذكره يدل عليه قوله هدى ورحمه قال المتاولين هو
هلال ابن يساف وقتاده والحسن وابن عباس الفضل الاسلام والرحمه
القران وقال ابو سعيد الخدري الفضل القران والرحمه ان جعلتم من اهله
وقال زيد ابن اسلم والضحاك الفضل القران والرحمه الاسلام وقالت
فرقه الفضل محمد عليه السلام والرحمه القران **قال القاضي** والواجد
عندي لشيء من هذا التخصيص الا ان يستند مسند الى النبي صلى الله عليه وسلم
وانما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هذا يه الله تعالى عند
والتوفيق الى اتباع الشرع والرحمه هي عفوه وسلفي جنته التي جعلها حرا
على الشرع بالاسلام والايمان به ومعنى الامر قل يا محمد لجميع الناس بفضله
وبرحمته فليفرح المومنون منكم بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فالموصوف
بقلة لهم فليفرحوا وهم متلبسون لعله الفرح وسببه متحصلون الفضل
الله منتظرون لرحمته والكافرون يقال لهم بفضل الله وبرحمته فلتفرحوا
على معنى ان لو اتفق لكم اي لو سعدتم بالهدايه الى تحصيل ذلك وقرا ابن عامر
كعب وابن القعقاع وابن عامر والحسن على ما زعم هارون وروت عن النبي
عليه السلام فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فهما على المخاطبه وهي قراءة جماعه
من السلف كثيره وعن اكثرهم خلاف وقرا السبعه سوى ابن عامر واهل
المدينه والاعرج ومجاهد وابن ابي اسحق وقتاده وطلحه والاعمش بالياء
فهما على ذكر الغايب وروت عن الحسن فما زعم مبارك وقد روى عن مبارك
عن الحسن تاء من فوق فيهما ويا ليا على ذكر الغايب وقرا ابو التياح وابو
جعفر وقتاده بخلاف عنهم وابن عامر بالياء في الاولى وبالتاء في الاخره
وقرا الحسن ابن ابي الحسن وجماعه من السلف وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالتاء في الاولى والياء في الاخره وروت عن ابي التياح وادغامه وجوه

دلك تاتت على مهيع الفصيح من كلام العرب ولدلك كثر الخلاف من كل قارئ
وفي مصحف ابي بن كعب فبذلك فافرحوا واما من قرا فلتفرحوا فادخل
اللام في امر المخاطب فدلك على بعده قليلة حكا ذلك ابو علي في الحجة وقال
ابو حاتم الاصل في كل امر اذا كان النهي بحرف فلدلك الامر واذا
كان امر الغايب بلام قال ابو الفتح الا ان العرب رفضت ادخال اللام في
امر المخاطب لكثرة تردادهِ وقرا ابو التياح والحسن بكسر اللام من فليفرحوا
فان قيل كيف امر الله بالفرح في هذه الاية وقد وَرَدَ ذَمُّهُ في قوله فرح فخور
وفي قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قيل ان الفرح اذا ورد مقيدا في خير
فليس بمذموم ولدلك هو في بعض الاية واذا ورد مقيدا في شر ومطلقا
فقد ذم اذ ليس من احوال الاخرة بل سعي ان يغلب على الانسان حزنه وخوفه
لزيد وقوله مما يجمعون يريد مال الدنيا وخطابها للغالي المودي في الاخرة

قوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما
وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بعده المخاطبة لكفار قريش الذين
جعلوا البحاير والسوايب والتصيب من الحرث والانعام وغير ذلك مما
ما ذن الله بل انما اختلقوه برايهم وقوله انزل لفظه فيها لحوق وانزال
الرزق اما ان يكون في ضمن انزال المطر بالماء او نزول الامر به اذ هو ظهور
الاثر في المحلوف منه والمخترع ثم امر الله نبيه بتوقيفهم على احد القسمين
وهم لا يمكنهم ادعاء اذن الله تعالى في ذلك فلم يبق الا انهم افتروه وبعده
الاية بحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
الرزق عن ابن عباس وقوله وما ظن الذين يفترون على الله اية وعيد لمن يحقق
عليهم بتقسيم الاية التي قبلها انهم مفترون على الله عظم في بعده الاية جرم
الافتراء الى ظنهم في عاية الرداءة بحسب سوء افعالهم ثم ثنى بالحاب الفضل على
الناس في الامهال لهم مع الافتراء والعصيان وامهال داعيه الى التوبة والا
نابه ثم استدرك لو من لا يرى حق الامهال ولا شكره ولا سارفه على جهة
الذم لهم والاية بعد بعد الى جميع فضل الله وجميع بعض الحلق في شكره
لا ترى عنه **قوله تعالى** وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في

الارض

الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين تصل الايه
وصف احاطة الله تعالى بكل شي ومعنى اللفظ وما تكون يا محمد والمراد هو
وغيره وفي شان من جميع الشؤون وما تتلوا منه الضمير عايد على شان
اي فيه وسببه من قران ويحتمل ان يعود الضمير على جميع القران ثم عم
بقوله ولا تعملون من عمل وفي قوله الا كنا عليكم شهودا الحديث ونسبه ٥
وتفيضون معناه تاخذون وتهضون بحد يقال افاض الرجل في سيره
وفي حديثه ومنه الافاضة في الحج ومعصر القداح ويحتمل افاض عدى
بالهمزة ويعزب معناه يغيب حتى يخفى حتى قالوا للبعيد عازب ومنه
قول الشاعر غوازب لم تسمع نعوح مقامه ولم ترنارا حول محرم
وقيل للغايب عن اهله عازب حتى قالوه لمن لا زوجة له وفي السير ان بنت
سعد ابن خيثمة كان يقال لها منت العزاب وقرا جمهور الناس والسبعة
يعزب بضمها وقرا ابن وثاب والاعمش وطلحة ابن مصرف بكسرها قال
ابو حاتم القراءة بالضم والكسر لغة والمثقال الوزن وهو اسم لاصغر
كالمعطار ومضراب والذر صغار النمل جعلها الله مثالا لا دلا يعرف في
الحيوان المتعدي المتناسل المشهور النوع والمواضع اصغر منه وهو احقر
الناس واكثر السبعة ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء عطفا على ذره في موضع
خفض لان منع من ظهوره امتناع الصرف وقرا حمزة وحده ولا اصغر
ولا اكثر عطفا على قوله من مثقال لان التقدير وما يعزب عن ربك مثقال
ذرة والكتاب المبين اللوح المحفوظ قاله بعض المفسرين ويحتمل ان يريد
بحصل الكتبة ويكون القصد ذكر الاعمال قبل وتقديم الاصغر في الترتيب
جرى على قولهم القمرين والعمرين ومنه قوله تعالى لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة والقصد بذلك تنبيه الاقل وان الحكم المقصود اذا وقع
على الاقل فاحرى ان يقع على الاعظم والا استفاح وتنبيه واولياء
الله هم الموصوفون الذين والوه بالطاعة والعبادة وبعده الاية
بعطي ظاهرها ان من امن واتقى الله فهو داخل في اولياء الله وهذا هو
الذي يقتضيه الشرع بعد في الولي وانما سهنا هذا التنبيه حذرا من بعض
المتصوفة وبعض الملحدين في الولي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

موضع

مذهب

سيل من اولياء الله فقال الذى اذا رايتهم ذكرت الله **قال** القاضى رحمه الله هذا
وصف لازم للمتقين لانهم تخشعون وتخشعون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اولياء الله قوم تحابوا فى الله واجتمعوا على ذلك لم يجمعهم قرابة ولا مال
يتعاطونه وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يحتمل ان يكون فى الاخرة اى لا يهتمون
بهما ولا يخافون عذابا ولا عقابا ولا يحزنون لذلك ويحتمل ان يكون ذلك فى
الدنيا اى لا يخافون احدا من اهل الدنيا ولا من اغراضها ولا يحزنون على ما
فاتهم والاول اظهر والعموم فى ذلك صحيح لا يخافون فى الاخرة جملة ولا فى
الدنيا الخوف الدنيوى الذى فوت اموالها وزوال منازلها ولذلك فى الحزن
وذكر الطبرى عن جماعة من العلماء مثل ما فى الحديث فى الاولياء انهم الذين
اذا رؤوا ذكر الله وروى فيهم حديث ان اولياء الله قوم يحابون فى الله
ويجعل لهم يوم القيامة منابر من نور وتضىء وجوههم فهم فى عرصة القيامة
لا يخافون ولا يحزنون وروى عن عمر ابن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
بمكانهم من الله قيل ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا بنور الله على غير
ارحام ولا اموال الحديث ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وقوله الذين امنوا يصح ان يكون موضع نصب على البدل من الاولياء
ويصح ان يكون فى موضع رفع على الابتداء على تقدير هم الذين ولتكرار ما تعمل
ذلك بنعت ما عملت فيه ان اذا جاء بعد خبرها ويصح ان يكون الذين ابتداء
وخبره فى قوله لهم البشرى وقوله وكانوا يتقون لفظ عام فى تقوى الشرك
والمعاصى **قوله تعالى** لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لا تبديل
لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم اما بشرى الاخرة فنص بالحد قولا واحدا
وذلك هى الفصل الكبير الذى فى قوله وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
واما بشرى الدنيا فتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها الرؤيا الصالحة يراها المومن او ترى له وذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابى الدرداء وعمران ابن حصين وابن عباس وابو هريرة وعبد الله ابن عمر

وغيرهم

وغيرهم على انه سئل عن ذلك فمسروه بالرؤيا وعن النبى عليه السلام فى صحيح مسلم
انه قال لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة وروى عبد الرزاق عن عبيد
انه قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال قتادة والضحاك البشرى فى
الدنيا هى ما يبشر به المومن عند موته وهو حى عند المعاينة **قال القاضى**
ويصح ان يكون بشرى الدنيا ما فى القرآن من الآيات المبشرات ويقوى ذلك بقوله
فى هذه الآية لا تبديل لكلمات الله وان كان ذلك كله يعارضه قول النبى صلى
الله عليه وسلم وهى الرؤيا الا ان قلنا ان النبى عليه السلام اعطى مثل امر البشرى
وهو لعم جميع الناس وقوله لا تبديل لكلمات يريد لا حلف لمواعيده ولا رد
فى امره **قال القاضى** وقد اخذ ذلك عن الله ان عمر على نحو غير هذا وجعل
التبديل المنفى فى الالفاظ وذلك انه روى ان الحجاج ابن يوسف الثقفى خطب
فاطال خطبته حتى قال ان عبد الله ابن الزبير قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله
ابن عمر انك لا تطيق ذلك انت ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال له الحجاج
لقد اعطيت علما فلما انصرف اليه فى خاصته سكت عنه وقد روى بهذا
النظر عن ابن عباس فى غير مقاولة الحجاج وذكر الطبرى وقوله ذلك هو
الفوز العظيم اشاره الى النعيم الذى به وقف البشرى وقوله تعالى ولا يحزنك
قولهم الآية هذه آية تسلية للنبى عليه السلام المعنى ولا يحزنك يا محمد وبعدك
قولهم اى كفار قريش ولفظه القول لعم نحو دهم واستهزائهم وحداعهم وغير
ذلك ثم ابتدأ توحيد ان العزة لله جميعا اى فهم لا يقدرون لك على شىء ولا يزيلونك
الا بما شاء الله وهو القادر على عقابهم لا يعازه شىء وفى الآية وعيد لهم وليست ان
فى الابتداء ولا ارتباط لها بالقول المتقدم لها وقال ابن فتيبة لا حرف فتح
بان فى هذا الموضع وهو لغو **قال القاضى** رضى الله عنه وقوله هو لغو
غلو وكان ذلك يخرج على تقدير الاصل ان العزة لله وقوله هو السميع العليم
اى بجميع ما يقولونه العليم بما فى نفوسهم من ذلك وفى ضمن هذه الصفات تهديد
ثم استفتح بقوله الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض اى الملك والاحاطة
وعلى من يعقل فى قوله من اراد له ملك الجميع ما فيها ومن فيها واذا حاز العباد
بما فيها فلك الغلبة للكثرة اذ الاكثر عددا من المخلوقات لا يعقل فمن يقع للصنفين

مجموعيهما وما كذلك ولا يقع ما لما يعقل اذ الخرد من الصفات والاحوال
الا ترى لو ذكرت لك قوله في مسالة فاردت ان تسال عن قايلها الجور في
كلام العرب ان يقول ما قال هذا القول هذا ما لا تستقله من يفهم كلام
العرب وقوله وما ينبغي يصح ان تكون ما استفهاما بمعنى التقدير ويوقف
نظر المخاطب ويجعل يدعون في قوله شركا ويصح ان تكون نافيه ويكون
مفعول يتبع محذوفا تقديره حقيقه او برهانا ويجعل يدعون في قوله شركا
ويصح ان يكون نافيه ويجعل يتبعون في شركا على معنى انهم لا يتبعون شركا
حقا ويكون مفعول يدعون محذوفا وفي هذا الوجه عند بعض الكوفيين وقرا ابو عبد
الرحمن السلمي يدعون بالتاء من فوق وهي قراءة غير متجهه وقوله ان نافيه
وبحرصون معناه يحدسون ويخمنون لا يعولون بقياس ولا بنظر وقرات
فرقه ولا تحزنك من احزن وقراءت فرقه ولا تحزنك من حزن **قوله تعالى**
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون لما نص عظمه الله تعالى الايه عقب ذلك في هذه بالتنبيه على افعاله
ليس العظمه المحكوم بها قبل وقوله لتسكنوا دال على ان النهار للحركه والتصرف
وذلك هو في الوجود وذلك ان حركه الليل متعذره لفقد الضوء وقوله
والنهار مبصرا مجاز لان النهار لا يبصر ولكنه طرق للابصار وهو موجود
في كلام العرب اذا المقصود من ذلك مفهوم فمن ذلك قول الذي الرمه

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنايم

وليس هذا من باب النسب لعيشه راضيه وحولها وانما ذلك في المعنى
مثل قول الشاعر

انما النهار ففي قيد وسلسله والليل في بطن محبوك السراج

فجعل الليل والنهار لهاتين الحالين وليس الامر انه هو فيهما كذلك وهذا البيت
لمسحوق كان يعيب في حبسه في السجن وعلى ان هذا البيت قد ينشد انما النهار
بالنصب وفي هذه الالفاظ الجاز واحاله على ذهن السامع لان العبره هي ان
الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه وذكر طرف من هذا والطرف
الاخر من الجهه الثانيه ودل المذكور ان على المتروك ونحو هذا جاء في قوله تعالى
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع وقوله يسمعون بريد ويعون

والضمير

والضمير في قالوا للكفار العرب وذلك قول طائفه منهم الملائكه بنات الله
والايد بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى ومن لم يعتقد ذلك
من الكفره وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وبراءه من ذلك فسره بهذا
النبي عليه السلام وقوله هو الغني صفه على الاطلاق اي لا يفتقر الى شيء
يحمه من الحيوانات والولد جزء مما هو منه غني واذا سمي انسان غنيا فذلك
مجاز بل هو فقير وان كان عنده ما يسد مفاقره في بعض الحيوان دون بعض
والحق هو قول الله انتم الفقرا الى الله وقوله له ما في السموات اي بالملك
والاحاطه والخلق وان نافيه والسلطان الحجه وذلك معناه حيث
تكرر من القرآن ثم وقفهم توبيخا بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون
وقوله قل ان الذين يفترون الايه هذا توعد لهم بانهم لا يظفرون ببغيه
ولا يبقون في نعمه اذ فقده حال من يصير الى العذاب وان نعم في دنياه
يسيرا وقوله متاع مرفوع على خبر ابتدا اي ذلك متاع او هو متاع او
على الابتداء بتقدير لهم متاع وقوله ثم الينا مرجعهم الى اخر الايه توعد
بحق **قوله تعالى** واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم
وشركاءكم لا يكن امركم عليكم غمه ثم اقضوا الي ولا تنظرون يقدم في
الاعراف الكلام على لفظه نوح والمقام وقوف الرجل للكلام او جلسه
او نحوه والمقام بضم الميم اقامه ساكنا في موضع او بلد ولم تقرا مقامي
بضم الميم وتذكيره وعظه وزجره والمعنى يا قوم ان لم تستصبروا
حالي ودعائي لكم الى الله فاني لا ابالي علم لتوكلي على الله تعالى فاجمعوا
ما قدرتم عليه وقرا السبعه وجمهور الناس والحسن وابن ابي اسحق
وعيسى فاجمعوا من اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه ومنه قول الشاعر

هل اغدون يوما وامري مجمع

ومنه قول الاخر

اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

ومنه الحديث ما لم يجمع مكثا ومنه قول ابي ذؤيب

ذكروا الورود فاجمع امره شوبا وقبل حينه يتتبع

وقرا نافع فما روي عنه الاصمعي وهي قراءه الاعرج وابي رجاء وعاصم الجحدري

والزهري والاعمش فاجمعوا بفتح الميم من جمع اذا ضم شيئا الى شيء وامركم يريد به قدركم وحيلتكم وبويد هذه القراءة قوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده وكل هنا ولا ينصب الشركاء وينصب قوله شركاءكم يحتمل ان يعطف على قوله امركم ويحمل على قراءة فاجمعوا في الوصل واما قوله فاجمعوا بقطع الالف فنصب الشركاء بفعل مضمر كانه قال فادعوا شركاءكم فهو من باب قول الشاعر

٭ شراب البان وتمر واقط ٭ ومثله قول الاخر

ورأيت زوجك في الوغى ٭ متقلدا سيفا ورمحا ٭ ومثله قول الاخر

٭ علفتها تبنا وماء باردا ٭ حتى شثت همالة عيناها ٭

وفي مصحف ابي ابن كعب فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم وقد ينتصب الشركاء بواو مع كما قال جاء البرد والطيالسه وقرا ابو عبد الرحمن السلمي والحسن وابن ابي اسحق وعيسى وسلام ويعقوب وابو عمرو ويعقوب فيما روي عنه وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير في اجمعوا وعطفا على الضمير قل تاكيده لان الكاف والميم من امركم ناب منابه انتم المؤكد للضمير ولطول الكلام ايضا وهذه العباره احسن من ان يطول الكلام لغير ضمير ويصح ان يرتفع بالابتدا والخبر مقدر بعد بره وشركاؤكم فليجمعوا امرهم وشركاءكم بالخفض على العطف الضمير في قوله امركم على تقدير امر شركائكم فهو كقول الشاعر

٭ اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد في الليل نارا ٭

اي وكل نار والمراد بالشركاء في هذه الايه الاندادُ من دون الله فاضافه اليهم اذ هم جعلوهم شركاء نزعهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اي ملبسا مشكلا ومنه قوله عليه السلام في الهلال فان غم ومنه قول الاخر

بل لو شهدت الناس اذ تكم نعمه ٭ لم تفرحي غثوا ٭ وقوله ثم اقضوا الى معناه انفذوا واقضاكم نحوي وقرا السري ان نعم ثم افضوا بالفاء وقطع الالف ومعناه اسرعوا وهو ماخوذ من الارض القضاء اي اسلكوا الى تكيدكم واحرصوا معي وفي الى سعيه وحيله وقوله ولا تنظرون اي لا توخرون والنظرة التاخير

قوله تعالى فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين المعنى فان لم تقبلوا على دعوتي ولم تريحوا بها وتوليتم عنها وانتوني اصلا بالجدل وتتعللوا بالاعراض عن المعاني بقول فانا لم اسالكم اجرا على ذلك

والا ما لا نفع لي وتقصير بارادتي وايما اجرى على بعثني وقرا نافع وابو عمرو بخلاف عنه اجري بسكون الياء وقرا اجري بفتح الياء الاعرج وطلحه ابن مصرف وعيسى وابو عمرو وقال ابو حاتم هما لغتان وقراه بالاسكان في اكثر القران ثم اخبرهم ان الله امرني ان اكون من المسلمين والدين الحنيفي الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته والاعداد للقايه وقوله فكذبوه الايه اخبار من الله عز وجل عن حال قوم نوح المكذبين وفي ضمن هذا الاخبار توعد للكفار بمحمد عليه السلام وضرب المثل لهم اي انتم بحال هذا ولا من التكذيب فستكونون بحالهم من الغمه والتعذيب والفلك السفينه والمفسرون واهل الاثار مجمعون على ان سفينه نوح كانت واحده والفلك لفظ الواحد منه ولفظ الجمع مستو وليس به وقد مضى شرح هذا في الاعراف وخلائف جمع خليفة وقوله فانظر لحاظه لمحمد عليه السلام بشارة في معناها جميع الخلق وفي هذه الايه انه اغرق جميع من كذب باياة الله التي جاءها نوح وفي مقتضيه ايضا انه انذارهم فكانوا منذرين فلو كانوا جميع اهل الارض كما قال بعض الناس لاستوى نوح ومحمد عليهما السلام في البعث الى اهل الارض ويرد ذلك قول النبي عليه السلام اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي الحديث ويترجح هذا النظر ان بعثه نوح والغرق انما كان في اهل صقع لا في جميع الارض قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل كذلك يطبع على قلوب المعتدين الضمير في قوله من بعده عايد على نوح عليه السلام والضمير في قومهم عايد على الرسل ومعنى بعده الايات كلها ضرب المثل لحاضري محمد عليه السلام اي كما حل بهاولا، يحل بكم والبينات المعجزات والبراهين الواضحه والضمير في قوله كانوا وفي ليومنوا عايد على قوم الرسل والضمير في كذبوا عايد على قوم نوح هذا قول بعض المتاولين وقال بعضهم بل يعود الضمائر على قوم الرسل على معنى انهم بادروا رسلهم بالتكذيب كل ما جاء رسول ثم جوا في الكفر وتمادوا فلم يكونوا ليومنوا بما سبق به تكذيبهم وقال يحيى بن سلام من قبل معناه من قبل العذاب قال القاضي وفي هذا القول بعد ويحتمل اللفظ عندي معنى اخر وهو ان تكون ما مصدرية والمعنى كذبوا رسلهم فحان عقابهم من الله ان لم يكونوا ليومنوا لتكذيبهم من قبل اي من سبب ومن جزاه ويويد هذا التاويل قوله كذلك يطبع وقال بعض

كل

العلما عقوبه التكذيب الطبع على القلوب وقرأ جمهور الناس يطبع بالنون وقرأ
العباس ابن المفضل يطبع بالياء وقوله كذلك اى هكذا فعلنا بها ولائم ابتدا الدرك
يطبع اى يفعلنا هذا والمعتدين هم الذين تجاوزوا ظهورهم فاحتقروها مالا لحور
لهم وهى ها هنا فى الكفره والضمير فى بعدهم عايد على الرسل والضمير فى ملايه
عايد على فرعون والملا جمع الجماعه من قبيله او اهل مدينه ثم يقال للاشراف
والاعيان من القبيله او البلد ملا لانهم يقومون مقام الملا، وعلى هذا الحد هى
فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريش بدرا وليك الملا، ولذلك هى فى قوله تعالى
ان الملا، يأتمرون بك واما فى هذه الايه فانها عامه لان بعثه موسى وهارون كانت
الى فرعون وجميع قومه من شريف ومشروف وقد مضى فى المصدر كرما بعثنا اليهم
فيه والايات البراهين والمعجزات وما فى معناها وقوله فاستكبروا اى تعظموا وكفروا
بها ومحرمين معناه بتركيبون ما لم يبح الله ويحترون من ذلك على الخطر الصعب

قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون يريد بالحق اتى العصى واليد ويدل على
ذلك قولهم عند هذا سحر مبين ولم يقولوا ذلك الا عند لقائه ولا تعاطوا الا مقاومته
العصى وهى محجره موسى عليه السلام التى وقع فيها محجر المعارض وقرأ جمهور الناس
لسحر مبين وقرأ سعد ابن جبير والاعمش لساحر مبين ثم حكاه عن موسى انه وقفهم
ووبخهم بقوله اتقولون للحق لما جاءكم ثم احتمل الحتا ولون فى قوله اسحر هذا فقالت
فرقه حكايه عن موسى عنهم على معنى ان قولهم كان اسحر هذا ثم اختلف فى قول قوم
فرعون اسحر هذا فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالامر فهو يسال
عنه **قال القاضى** وهذا الباطل بل يصعقه ما ذكره الله قبل عنهم من انهم صمموا
على انه سحر بقولهم ان هذا لسحر مبين وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظم
للسحر الذى راوه بزعمهم كما تقول لفرس مجيد الجرى افرس هذا على معنى التعجب
منه والاستغراب وقد علمنا انه فرس وقالت فرقه غير هاتين ليس ذلك حكايه
من موسى عنهم بل القول الذى حكاه عنهم مقدر يقدره اتقولون للحق لما جاءكم سحر
قال القاضى ونحو هذا من التقدير ثم ابتدا هو يوبخهم بقوله اسحر هذا
على جهه التوبيخ ثم اخبرهم عن الله تعالى ان الساحرين لا يفلحون ولا يظفرون بما يريده
مثل هذا التقدير المحذوف على هذا التاويل موجود فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

فلما

فلما لبسن الليل أو حين نصبت له من حراداتها وهو جاح
يريد أو حين قاربن ذلك ومنه قوله تعالى فاذا جاء وعد الاخره ليسوءوا
ومثل هذا كثير شايع ومنه قوله تعالى والوا احيتنا الايه المعنى قال لقوم
فرعون لموسى ادع لنا ربك فقالوا ملوسنا وتردنا عن دين ابائنا تعال لفت
الوصل عن الاخر الا لواه ومنه قول
وقرا السبعه سوى ابو عمرو فانه اختلف عنه ويلون بالتاء من فوق
وهى قراءه جمهور الناس وقرا الحسن ابن ابى الحسن فيما زعم خارجه واسماعيل
ويكون بالياء من تحت وروت عن ابى عمرو وعن عاصم وهى قراءه ابن مسعود
والكبر بالفتح مصدر مبالغ من الكبر والمراد به فى هذا الموضع الملك ولذلك
قال فيه مجاهد والضحاك والكبر الملك لانه اعظم تكبر الدنيا ومنه قول الشاعر
وهو ابن الزبعرى سودا غير فاحش لها تدانيه بجاره ولا كبريا
وقوله مومنين اى مصدقين **قوله تعالى** وقال فرعون ايتونى بكل ساحر
عليم فلما جاء السحره قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله
الحق بكلماته ولو كره المجرمون لحبران فرعون قال الحدمته ومتصرفيه
ايتونى بكل ساحر بعده قراه جمهور الناس وقرا طلحه ابن مصرف وابن وثاب
وعيسى بكل سحار على المبالغه وقال ابو حاتم لسنا نقرا سحار الا فى سوره
الشعرا فروى انهم ابوه بسحره العرما وغيرها من بلاد مصر حسب ما ذكر
قبل فى بعده الايه فلما ورد السحره ما استعدادهم للمعارضه خبر موسى
قال لهم ويل بعد الايه فقال لهم عز امر الله القوا ما انتم ملقون وقوله فلما
القوا الايه المعنى فلما القوا حبالهم وعصيهم وخيلوا بها وظنوا انهم
قد ظهروا قال لهم موسى بعده المقاله وقرا السبعه سوى ابى عمرو به
السحر وهى قراءه الجمهور وقرا ابو عمرو ومجاهد واصحابه وابن القعقاع
به السحر بالف الاستفهام ممدوده قبل السحر فاما من قرا بغير الف
الاستفهام فما فى موضع رفع بالابتداء وهى بمعنى وصلتها قوله حبتم
به هو العايد الضمير فى به وخبرها السحر ويؤيد بعده القراه والباطل
ان فى مصحف ابن مسعود ما حبتم به سحر ولذلك قراها الاعمش وفى قراءه ابى

الذى م

ويلقناه
ومن قوله الفتى فاعل اعطى

الايمان اوجه للبعض ولو كان الاكثر مومنا لاوجب الايمان اولانم نفاه
عن الاقل وعلى هذا الوجه يصح قول ابن عباس في الدريد انه القليل انما اراد
لفظ الدريد وليس بمعنى القليل كما ظن ملى وغيره وقالت فرقة انما سماهم دريه
لان امهاتهم كانت من بني اسرايل وآباهم من القبط فكان يقال لهم الدريه كما قيل
لفرس الامن الابناء الفرس المتنقلون مع وفود لسعايه سيف ابن ذي
يزن والامر بكماله في السير وقال السدي كانوا سبعين اهل بيت من قوم
فرعون **قال القاضي** رضي الله عنه ومما يضعف عود الضمير على
موسى عليه السلام ان المعروف من اخبار بني اسرايل انهم كانوا قوما قد
بعدت فيهم النبوات وكانوا في ملة فرعون قد نالهم ذل مفرط وقد رجوا
كشفه على يد مولود يرجح فيهم يكون نبيا فلما جاءهم موسى عليه السلام
اصفقوا عليه واتبعوه ولم يكن يحفظ قط ان طايفة من بني اسرايل كفرت
به فكيف يحطى هذه الايه ان الاقل منهم كان الذي امن والذي يترجح بحسب
هذا ان الضمير عايد على فرعون ويؤيد ذلك ايضا ما تقدم من محاوره موسى
وزده عليهم وتوبيخهم على قولهم هذا سحر مبين فذكر الله تعالى ذلك عنهم ثم
قال فما امن لموسى الا ذريه من قوم فرعون الذين هذه اقوالهم وروي في
ذلك انه امنت زوجه فرعون وحازنه وامراه حازنه وشباب من
قومه قال ابن عباس والسحرة ايضا فانهم معدودون في قوم فرعون وتلون
القصد على هذا التاويل بعد ظهور الايه والتعجيب بالعصا وتلون الفا،
مرتبه للمعاني التي عطفت وعود الضمير في ملايهم على الذريه ولا عتقاد
الفراء وغيره عود الضمير على موسى تخبطوا في عود الضمير في ملايهم فقال
بعضهم دل فرعون وهو الملك بضمير الجماعه والجنود داخلون حالا،
الحليفه وسافر الملك وانما يريد جيوشه معه وقال الفراء المعنى
على خوف من ال فرعون وملايهم وهو من باب واسال القريه **قال**
العاصي وهذا التنظير غير جيد لان اسقاط المضاف في قوله واسال
القريه هو شايع بسبب ما يعقل ان القريه لا تسال وفي الظاهر دليل
على ما اضمر واما ها هنا فالخوف من فرعون ممكن لا يحتاج معه الى
اضمار اما اذ ربما احتيج بان الضمير المجموع في ملايهم يقتضي ذلك والخوف

اركب ما اتيتم به سحر والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد يتقدم منكرا في
قوله ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال في اول الرساله سلام عليك وفي
اخرها والسلام عليك وجوز ان يكون ما استفهاما في موضع رفع بالابتداء
وجيتم به الخبر والسحر خبر ابتداء مضمر تقديره اهو السحر ان الله سيبطله
ووجه استفهامه هذا اهو التقرير والتوبيخ وجوز ان تكون ما في موضع
نصب على معنى اي شيء جيتم والسحر مرتفع على خبر الابتداء تقديره الحلام
اي شيء جيتم به اهو السحر ان الله سيبطله واما من قرا بالف الاستفهام
والمد قبل السحر فما استفهام رفع بالابتداء، وجيتم به الخبر وهذا على حذف
التقرير وقوله اسحر استفهام ايضا كذلك وهو بدل من الاستفهام الاول
وجوز ان تكون ما في موضع نصب بمضمر يفسره جيتم به تقديره اي شيء
جيتم به السحر وقوله ان الله سيبطله الجاب عن عده من الله تعالى وقوله
ان الله لا يصلح عمل المفسدين يصح ان يكون من كلام موسى عليه السلام ويصح ان
يكون من اخبار الله عز وجل وكون ذلك جمله من كلام موسى اقرب وهو الذي
ذكره الطبري واما قوله بكلماته السابقه الازليه في الوعد بذلك قال ابن
سلام بكلماته بقوله لا يحف **قوله** فما امن لموسى الا ذريه من قومه على
خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه
لمن المسرفين المعنى فما صدق موسى ولفظه امن تتعدى باللام وتتعدى
بالباء وفي ضمن المعنى الباء **واختلف** المتاولون في عود الضمير الذي في
قومه فقالت فرقه هو عايد على موسى وقال فرقه هو عايد على فرعون
ممن قال ان العود على موسى قال معنى الايه وصف حال موسى في اول مبعثه
انه لم يومن به الا فتيان وشباب اكثرهم اولوا آبا وكانوا لحت خوف من
فرعون وملا بني اسرايل فالضمير في الملا عايد على الذريه وتلون الفا على آل الرجل
عاطفه جمله على جمله لا مرتبه وقال بعض العاملين بعوده الضمير على موسى
ان معنى الايه ان قوما ادركهم موسى ولم يومنوا وانما امن ذريتهم بعدهم لطول الزمان قاله مجاهد والاعمش وهو قول غير واضح وادا امن قوم
بعد آبايهم فلا معنى لتخصيصهم باسم الذريه وايضا روي من اخبار بني اسرايل
لا تعطي هذا وهيه قوله فما امن لموسى الا ذريه تقليل المومنين به لانه لقي

هذا من كلام الاعلى ومعنى ولكونه الخ وجوز ان يكون من كلام موسى وان ذكره الخ وجوز ان يكون من كلام الله تعالى الخ

انما كون من الأفعال والاحداث التي للحيث ولكن لكثرة الاستعمال و لقصد
الاخبار اصيف الى الاشخاص وقوله ان يفسهم بدل من فرعون وهو بدل
الاشتمال وان في موضع خفض ويصح ان تكون في موضع نصب على
المفعول من اجله وقرا الحسن والجراح ويلح ان يُفسنهم بضم التاء ثم
اخبر عن فرعون بالعلو في الارض والاسراف في الافعال والقبيل
والدعاوى ليس عدر الخايفين منه وقوله تعالى وقال يا موسى ابتداء
حكايه قال موسى لجماعه من بني اسرايل المومنين منهم مؤنسا لهم ونادبا
الى التوكل على الله الذي بيده النصر **ومسئاله** التوكل متشعبه
وللناس فيها حوصات والذي اقول ان التوكل الذي امر به هو مقرون بتسبب
حمل على مقتضى الشرع وهو الذي في قوله عليه السلام قيدها وتوكل
حعله متوكلا على التقييد والنبي عليه السلام راس المتوكلين وقد
تسبب عمره كله وكذلك السلف كله فان شذ متوكل فترك التسبب
حمله فهي رتبه رفعه ما لم يشرف بها الى حد قتل نفسه واهلاكها كمن
يدخل غارا خفيا فتوكل فيه وهذا ونحوه مكروه عند جماعه من العلما
وما روي من اقدام عامر ابن عبد قيس على الاسد ونحو ذلك ضعيف
والصحيح عند قراين تسمله والمسلمين اجمعين قال الله تعالى ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ولهم قبل وعلى الله فتوكلوا وقول النبي
عليه السلام في مدح السبعين الغامر امته وعلى ربهم يتوكلون ليس فيهم
انهم تركوا التسبب جملة واحدة ولا حفظ عن عايشه انه ترك
التسبب بل كان يعز واوناخذ سمه واعني بهذا كله ترك التسبب في
الغذاء الطيب واما ترك التسبب فسهل كثير من الناس جبل عليه
دون بقيه وحسبه فكيف من احتسب وقال لهم ان كنتم امنتم مع
علمه بايمانهم على وجه اقامه الحجه وتنبيه الانفس وانسانه الانفه
كما تقول ان كنتم رجالا فقاتل تخاطب بذلك رجلا تريد اقامه نفسه
وقوله ان كنتم بريدا هل طاعه منضافه الى الايمان المشترط بذكر
الاسلام فيه زياده معنى ثم ذكر انه اجاب بنو اسرايل بنسبه التوكل
على الله والنطق بذلك ثم دعوا بان لا يجعلهم فتنه للظلمه والمعنى لا

سهله الله لهم

تنزل بنا بلاء بايديهم او بغير ذلك مده محاربتنا لهم فيفتنون بذلك لهوم
ويعتقدون ان بهلاكنا انما نقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم
وانهم اهل الحق والله يحامد وغيره **قال القاضي** فهذا الدعاء
على هذا التاويل يتضمن دفع فصلين احدهما القتل او البلاء الذي يوقعه
المومنون والاخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم على الحق وفي ذلك
فساد الارض ونحو هذا من المعنى وهو قول النبي عليه السلام بس الميت
ابو امامه لليهود والمشركون يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ويحتمل
اللفظ من التاويل وقد قالت فرقه ان المعنى لا يفتنهم ويسلطهم بقتلنا
واذا سافتعدهم على ذلك في الاخره وفي هذا التاويل قلق وبالله الامه
بين **قوله تعالى** واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر
بيوتا واجعلوا بيوتكم قبله واقيموا الصلاه وبشر المومنين روي ان
فرعون لما خاف بني اسرايل وهدم لهم مواضع كانوا الحدو لها للصلاه ونحو
هذا اوحى الله الى موسى وهارون ان اتخذا وتخيرا لبني اسرايل بمصر بيوتا
قال مجاهد بمصر في هذه الايه الاسكندريه ومصر ما بين البحر الى اسوان
والاسكندريه من ارض مصر وتبوا معناه كما قلنا اتخذا والخذا وهي
لغطه مستعمله في الاماكن وما شبه بها ومن ذلك قول الشاعر

"لها امر لها حتى اذا ما تبوات لاقحا فها مر عى تبوا منضجعا"

وهذا البيت للراعي وبه سمي الراعي ومنه قول امرئ القيس

"تبنون منا قعدا لقتالهم كليوث غاب ليلهن زئير"

وقرا الناس تبوا بهمزه على تقدير تبوءا وقرا حفص في روايه هبيره تبويا
وهذا سهل لين بقياس ولو جرى على القياس لكان بين الهمزه والالف وقوله

قبلة معناه متساحدا قاله ابن عباس والربيع والضحاك والحسن وغيرهم
قالوا خافوا فامروا بالصلاة في بيوتهم وقيل تقاتل بعضهم بعضا قاله
سعيد بن جبير والاول اصوب وقيل معناه موجهة الى القبلة قاله
ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي عليه السلام انه قال حين بيوتكم مما
استقبل به القبلة وقوله واقيموا الصلاة خطاب لبني اسرائيل وهذا
قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر وقوله وبشر المؤمنين
أمر لموسى عليه السلام وقال مكي والطبري هو امر لمحمد عليه السلام وهذا
غير ممكن **وقوله** وقال موسى الاية غضب من موسى على القبط ودعا
فقدم الدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها واتبع معناه اعطيت وملكت
وتكرير قوله ربنا استعانة كما يقول الداعي يا الله يا الله وقوله ليضلوا
يحتمل ان تكون لام كي على بابها على معنى اتيتهم الاموال املالهم واستدراجا
فكان الايتاء لكي يضلوا ويحتمل ان يكون لام الصيرورة والعاقبة كما قال
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا والمعنى ايتائهم دلك فصار امرهم
الى كذا وروى عن الحسن انه قال لنعود عاقبة عليهم ويحتمل ان يكون المعنى
على جهة الاستفهام اي ربنا ليضلوا فعلت ذلك وفي هذا تقرير الشنعة
عليهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والحسن والاعرج
وشيبة وابو جعفر ومجاهد وابو رجاء واهل مكة ليضلوا بفتح الياء
على معنى ليضلوا في انفسهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي والاعمش وقتادة
وعيسى والحسن والاعرج بخلاف عنهما ليضلوا على ليضلوا غيرهم وقرأ
الشعبي ليضلوا بكسر الياء وقرأ الشعبي ايضا وغيره اطمس بضم الميم
وقرأ فرقة اطمس بكسر الميم وهما لغتا طمس يطمس ويطمس قال
ابو حاتم قراه الناس بكسر الميم والضم لغة مشهورة ومعناه عفى وغير

ومحى

قراءة الكسر الاعمش

وهو

وهو من طموس الاثر والعين وطمس الوجه منه قول كعب ابن زهير
"من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول"
وروى انه حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم حيرة ودراهم
ودنانيرهم وحبوبهم من الاطعمة رجعت حجارة قاله محمد ابن كعب القرظي
وقتادة وابن زيد وقال مجاهد وغيره معناه اهلكها ودمرها وروى
ان الطمسة كانت من ابان موسى التسع وقوله اشدد على قلوبهم معناه
اطبع واختم بالكفر قاله مجاهد والضحاك ولما اشار عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل اسرى بدر شبههم
موسى في دعائه على قومه الذين بعث اليهم بهذه الاية ونوح بقوله
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله فلا يؤمنوا مذهب الاخفش
وغيره ان الفعل منصوب عطفا على قوله ليضلوا وقيل هو منصوب
في جواب الامر وقال الفراء والكسائي هو مجزوم على الدعاء ومنه قول الاعشى
"فلا ينبسط من بين عينيك ما انتوى ولا يلقني الا وانفك راغم"
وجعل رؤية العذاب نهايته وغايته وذلك لعلمه من قبل الله ان
المؤمن عند رؤية العذاب لا ينفعه ايمانه في ذلك الوقت ولا يخرجه
من كفره ثم اجاب الله هذه الدعوة في فرعون نفسه وقال ابن عباس
العذاب هنا الغرق وقرأ الناس دعوتكما وقرأ السلمي والضحاك
دعواتكما وروى ابن جريج ومحمد ابن علي والضحاك ان الدعوة لم يظهر
اجابتها الا بعد اربعين سنة وحينئذ كان ابتداء الغرق قال القاضي
رضي الله عنه واعلما ان دعاءهما صادف مقدورا وهذا معنى اجابة
الدعاء وقيل لهما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون في ان تعجلا قضائي

فان وعدى لا خلف له وقوله دعوتكما ولم يتقدم الدعا الا لموسى وروى
انهما دعوا ان يؤمن على الدعا لموسى قاله محمد ابن كعب القرظى فلذلك
نسبت الدعوة اليهما وقيل لنبى عن الواحد بلفظ التثنية كما قال قفا
نبك ونحوه هذا **قال القاضى** وهذا ضعيف لان الايه تتضمن
بعد مخاطبتهما فى غير شى وال على ان سليمان قول موسى ربنا دال
على انهما دعوا جميعا وقوله فاستقيما على ما امرتما به من الدعا اى
الى الله والامر بالاستقامه ودعا عليهما للاءدائه والتمادى وقرا
نافع والناس تتبعان بشد التا والنون على النهى وقرا ابن عامر وابن
ذكوان تتبعان بتخفيف التا وشد النون وقرا ابن ذكوان ايضا
تتبعان بشد التا وتخفيف النون وكسرها وقرات فرقه تتبعان
بتخفيفهما وسكون النون الثقيله بعد الف التثنيه فى نحو هذه الايه
وما اشبهها لشبهها بنون الرجلان والزيدان فى الوقوع بعد
الف التثنيه واما تخفيفها فيصح ان يكون النون الثقيله حففت ويصح
ان تكون نون التسيه ويكون الكلام جرا معناه الامر اى لا ينبغى ان
تتبعا قال ابو على وان ثبتت جعلته حالا امر استقيما كانه قال
غير متبعين قال القاضى والعطف مانع من هذا فتامله **قوله**
تعالى وجاوزنا ببنى اسرايل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به
بنو اسرايل وانا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية وان كثيرا من الناس عن اياتنا
لغافلون قرا الحسن ابن ابى الحسن وجوزنا بمد الواو وطرح الالف
وشبه عندى ان يكون جاوزنا كتب فى بعض المصاحف بغير الف

وتقدم

وتقدم القول فى صوره جوازهم البحر فى البقره والاعراف وقرا جمهور
الناس فاتبعهم لانه يقال فيه تبع واتبع بمعنى واحد وقرا قتاده
والحسن فاتبعهم بشد التا قال ابو حاتم القراءة اتبع بقطع الالف
لانها تتضمن الادراك واتبع بشد التا بمعنى طلب الاثر سواء ادرك
او لم يدرك وروى ان بنى اسرايل الذين جاوزوا البحر كانوا ستمايه الف
وكان يعقوب اولاد اسفر بمصر فى نيف على السبعين من ذريته فتنا
حتى بلغوا وقت موسى العدد المذكور وروى ان فرعون كان فى ثمان مايه الف
وروى اقل من هذه الاعداد قال القاضى وهذا كله ضعيف
والذى تقتضيه الظاهر ان بنى اسرايل كان لهم جيش كثير فى نفسه
قليل بالاضافه الى جمع فرعون المتبعين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
والكوفيون وحاءه وعدوا على مثال علا علوا وقرا الحسن وقتاده
وعدوا على مثال علوا وقوله ادركه الغرق قال فى البحر وروى
فى ذلك ان فرعون لما انتهى الى البحر فوجده قد انفرق ومشى فيه
بنو اسرايل قال لقومه انما انفرق بامرى وكان على فرس دلفيخ
الله جبريل على فرس انثى ودينوس فدخل بها البحر وجاء فرس فرعون وراءه
وحنت الحيوش خلفه فلما راى الانفراق بتث له استمر ولعب الله
ميكايل بينهم حتى حصل الناس حتى حصل جميعهم فى البحر فانطبق عليهم حينئذ
فلما عاين فرعون قال ما صلى عنه فى هذه الايه وقرا جمهور الناس
انه بفتح الالف وتحتمل ان تكون فى موضع نصب وتحتمل ان تكون
فى موضع خفض على اسقاط الباء وقرا حمزه والكسائى وابو عمرو
انه بكسر الالف على اضمار فعل اى امنت فقلت انه واما على ان

سلوا
معنى من الوان الحاشيه

رواه الاصمعى
فى الوان الصحيح
السعد حس ابن مسعود عن اصحابه عن ابن عامر وما سلف الوان
السعد حس فى العمل معها على الفتح وانا نقصر هذا

بتم الكلام فى قوله امنت ثم ببتدى الجواب انه وروى عن النبى صلى الله عليه
ان جبريل عليه السلام قال ما بغضت احدا بغضى لفرعون ولقد سمعته
يقول امنت الايه فاخذت من حال البحر فملات فمه مخافه ان يقولها
وحمد الله وفى بعض الطرق مخافه ان يقول لا اله الا الله فتلحقه الرحمه
قال القاضى رحمه الله فانظر الى كلام فرعون فقيد مجهله وتلعثم
ولا عذر لاحد فى جهل هذا وانما العذر فيما لا سبيل الى علمه كقول
على رضى الله عنه انما دلت بالهلال التى عليه السلام والحال الطين
كذا فى الغريب المصنف وغيره والاثر بهذا المعنى كثير مختلف اللفظ
والمعنى واحد وفعل جبريل عليه السلام لهذا اشبهه ان يكون اعتقد
جواز المغفره للتائب وان عاين ولم يعنده قبل اعلام من الله تعالى ان
اليومه بعد المعاينه غير نافعه وقوله الآن وقد عصيت قبل
الايه قال ابو على اعلم ان لام المعرفه اذا دخلت على كلمه أولها الهمزه
فحققت الهمزه فان فى تخفيفها وجهين احدهما ان تحذف وتلقى حركتها
على اللام وتقر همزه الوصل فيقال الخمر حكاه لك سيبويه وحكا
ابو عثمان عن ابى الحسن ان ناسا قالوا الخمر فحذفوا الهمزه التى للوصل
ممن ذلك قول الشاعر
وقد كنت تخفى حب سمراء حقبه
فبح لان منها بالذى انت بائح
وقرا نافع فى روايه ورش لم يختلف
عنه الآن بمد الهمزه وفتح اللام وقرا الباقون الآن بمد الهمزه الاولى
وسكون اللام وهمزه الثانيه وقرات فرقه الآن بقصر الهمزه وفتح
اللام وتخفيف الثانيه وقرا جمهور الناس الآن بقصر الالف وسكون
اللام وهمز الثانيه قال القاضى رضى الله عنه وقرا ابن الحنفيه
فى الهمزه بترتيب على ما ذكر ابو على فيما نقله فالاولى لغه من يقول

الخمر

الخمر وهذا على جهد التوبيخ له والاعلان بالنفه منه وهذا اللفظ يحتمل
ان يكون مسموعا لفرعون فى قول ملك موصل عن الله او كيف شاء الله
ويحتمل ان يكون هذا الكلام معنى حاله وصوره جرمه وهذه الايه
نص فى رد توبه المعاين وقوله تعالى والنوم نتحيلك ببدنك الايه
يعنى ما ذكرناه من انها صوره الحال لان هذه الالفاظ انما يظهر انها
قيلت بعد غرقه وسيبين هذه المقاله على ما روى ان بنى اسرايل بعد
عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه عندهم وكاد ان يكون فرعون
يموت فمحى على وجوه من الارض حتى راه جميعهم مبتا كانه ثور احمر
وتحققوا غرقه وقرات فرقه فاليوم ننحيك وقالت فرقه معناه
من النجاه اى من غمرات البحر والماء وقالت جماعه معناه نلقيك على
نحوه من الارض وهى ما ارتفع منها ومنه قول اوس ابن حجر
فمن يعوقته كمن بنحوته والمستكين كمن يمشى بقرواح
وقرا يعقوب تحيك بسكون النون وتخفيف الحيم وقرا ابى ابن كعب
تحيك بالحا المشدده من التنحيه وهى قراه محمد ابن السميقع اليمانى
ويزيد البربرى وقالت فرقه معنى ببدنك بدرعك وقالت فرقه
معناه سنحصك وقرات فرقه بندايك اى بقولك امنت الى آخر الايه
ويشبه ان تكتب بندايك بغير الف فى بعض المصاحف ومعنى
الايه الحجه لك ابدا مع ندايك الذى لا ينفع وقرات فرقه وهى
الجمهور خلفه اى من اتى بعدك وقرات فرقه حلفك المعنى ليجعله
الله ايه له فى عباده ثم من عز وجل العظمه لجبان بقوله وان كثيرا
من الناس عن ايانا لغافلون وهذا خبر فى ضمنه توعد قوله تعالى

ولقد بوأنا بني اسرايل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه
يختلفون المعنى ولقد اخترنا لبني اسرائيل احسن اختيار واحللناهم
من الأماكن احسن محل ومبوأ صدق اي يصدق فيه ظن قاصده
وساكنه واهله ويعني بهذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس
قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد مصر على ان في القرآن كذلك واورثناها
بني اسرائيل يعني ما ترك القبط من حرث وعبور وغير ذلك وقد
يحتمل ان يكون اورثناها معناه الحالة من النعمة وان لم يكن في قطر
واحد وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يحتمل معنيين احدهما
فما اختلفوا في نبوة محمد وانتظاره حتى جاءهم وبان علمه وامره
فاختلفوا حينئذ **قال القاضي** رضي الله عنه وهذا التخصيص
هو الذي وقع في كتب الاولين كلهم وهذا تأويل لحاح سند والتأويل
الثاني الذي يحتمله اللفظ ان بني اسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى
في أول حاله فلما جاءهم العلم والأوامر وغرق فرعون اختلفوا
قال القاضي فمعنى الآية على هذا مدة ذلك الصدر من
بني اسرائيل ثم اوجب الله بعد ذلك ان يقضي بينهم وينصر العقاب من
من يعاقب ورحمة من يرحم وقوله تعالى فان كنت في شك الآية قال
بعض المتأولين وروي ذلك عن الحسن ان ان نافية بمعنى ما والجمهور
على انها شرطية والصواب في معنى الآية انها مخاطبة للنبي عليه السلام
والمراد بها سواه من كل من يمكن ان يشك او يعارض وقال قوم الخطاب
بمنزلة قولك ان كنت ابني فبرني **قال القاضي** وليس هذا الخطاب

نجد

صحة ما في الصحاح والاول اصح لحسن
والسلام والثاني الى مصر

نجد وانما مثال بعده قوله تعالى ان قلت للناس وروي ان رجلا سأل
ابن عباس عن ما يحيل في الصدور من الشك فقال له ما نجا من ذلك
احد حتى انزل الله عليه السلام حتى انزل عليه فان كنت في شك مما انزلنا اليك
قال القاضي وذكر الزهراوي ان بعده المعالد انكرت ان يقولها
ابن عباس وذلك اقول لان الخواطر التي لا تخلو منها احد هي خلاف
الشك الذي يحال فيه على الاستشفاء بالسؤال والذين يقرؤون الكتاب
من قبلك هم من اسلم من بني اسرائيل كعبد الله ابن سلام وغيره وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال انا لا اشك
ولا اسأل وقرأ فسل بغير همز الحسن وابو جعفر واهل المدينة وابو
عمرو وعيسى وعاصم وقرأ جمهور عظيم بالهمز قال ابو حاتم قرأنا
بالهمز بجزم الله الخبر بقوله لقد جاءك الحق من ربك واللام في لقد
لام قسم والممترون معناه الشاكين الذين يحاجون في اعتقاداتهم اي
المبارات فيها وقوله مما انزلنا اليك يريد به من ان بني اسرائيل لم يختلفوا
في أمره الا من بعد مجيئه هذا قول اهل التأويل قاطبة **قال القاضي**
رضي الله عنه وهذا هو الذي يشبه ان يرتحى ازاله الشك فيه من قبل
اهل الكتاب ويحتمل اللفظ ان يريد ما انزلنا جميع الشرع ولكنه بعيد
بالمعنى لان ذلك لا يعرف ونزول الشك فيه الا بادلة العقل لا بالسماع
من موافقي بني اسرائيل وقوله ولا تكونن من الذين كذبوا الآية مما
خوطب به النبي عليه السلام والمراد سواه **قال القاضي** وهذا
فائدته ليس مخاطبة الناس به وذلك شديد التحويف لانه اذا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر في مثل هذا فغيره من الناس اولى

انجد وبتلى لنفسه **قوله تعالى** ان الذين حقت عليهم كلمات ربك
لا يومنون ولو جاءتهم كل ايه حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت
قريه امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزى فى الحياه الدنيا ومتعناهم الى حين جاهد التحذير مرد دا اعلام
بسوء حال العاصى والمحتوم عليهم والمعنى ان الله اوجب لهم سخطه فى
الازل وحلفهم لعذابه فلا يومنوا ولو جاءهم كل بيان وكل وضوح
الا فى الوقت الذى لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون واشباهه
من الحلق وذلك وقت المعاينه وفى ضمن الالفاظ التحذير من بعثه
الحال وبعث الكل على المبادره الى الايمان والفرار من سخط الله
تعالى وقرا نافع واهل المدينه كلمات بالجمع وقد تقدم ذكر بعثه
الترجمه وقوله فلولا كانت قريه امنت الايه فى مصحف ابى انزلت
وابن مسعود فهلا والمعنى فيهما واحد واصل لولا فى الكلام التحضيض
والدلاله على منع امر لوجوب غيره فاما بعده فبعيده عن بعثه
الايه لكن من حيث انه التى هى للتحضيض وحقيقه التى هى للتحضيض
ان يكون المحضض يريد من المخاطب فعل الشى الذى يحضه عليه وقد
تجى لولا وليس من قصد المخاطب ان يحض المخاطب على ايراد ذلك الشى
فلون حينئذ المعنى توبيخ لقوم يونس لولا الكمى المقربه ما؛ وذلك
انه لم يتصل حضهم على عقر الكمى لعلك لرجل قد وقع فى امر صعب
لولا الحزن وبعثه الايه من بعد القبيل **قال القاضى**
ومفهوم من بعثه الايه نفى ايمان اهل القرى ومعنى الايه مهما
لا امن اهل قريه ولم على مهل ان يلبس العذاب بهم فلون الايمان

ما فعالم فى بعثه الحال ثم استثنى قوم يونس وهو حسب اللفظ استثناء
منقطع وذلك وبعثه النحويون اجمع وهو حسب المعنى متصل
لان تقديره ما امن اهل قريه الا قوم يونس والنصب فى قوله الا
قوم هو الوجه وذلك ادخله سيبويه فى باب ما لا يكون وبعده الا
النصب وذلك مع انقطاع الاستثناء وشبهه الا قول النابغه
الا الاواري وذلك هو حكم لفظ الايه وقالت فرقه يجوز فيه
فى هم الرفع وهذا مع اتصال الاستثناء وقال المبرد الرفع على البدل
من قريه وروى قصه قوم يونس ان القوم لما كفروا اوحى الله ان انذرهم
العذاب ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارتقبوه فان اقام بين
اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو نزول العذاب لا شك فلما كان
الليل تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا ولم يجدوه فتابوا ودعوا
الله وامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من
الناس والبهائم والعذاب منهم فيما روى عن ابن عباس على ثلثى ميل
وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فرفع الله عنهم
العذاب فلما مضى يونس للميعاد وعلم ان العذاب لم ينزل قال كيف
اصنع وقد وجدونى كذبا فذهب مغاضبا اذ ذكر الله فى
غير هذه الايه **قال** القاضى رحمه الله وذهب الطبرى الى ان قوم
يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد معاينه العذاب
وذكر ذلك عن جماعه من المفسرين وليس كذلك والمعاينه التى
لا ينفع التوبه معها هى يلبس العذاب والموت بشخص الانسان كقصه
فرعون واما قوم يونس فلم يصلوا الى الحد وقرا الحسن وطلحه ابن

مُصرف وعيسى عمرو ابن وثاب والاعمش يونس بكسر النون وفيه
للعرب ثلاث لغات ضم النون وفتحها وكسرها وكذلك في يوسف وقوله
الى حين يريد الى آجالهم المفروضة في الأزل وروى ان قوم يونس كانوا
بنينوا من أرض الموصل ويقضي ذلك قول النبي عليه السلام لعداس
حين قال له انه من اهل نينوى من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى
الحديث الذي في السير ولان اسحق **قوله تعالى** ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويحمل الرجس على الذم لا يعقلون المعنى ان
هذا الذي يقدم انما كان جميعه بقضاء الله عليهم ومشيته فيهم ولو
شاء الله لكان الجميع مؤمنا فلا تتاسف انت يا محمد بكفر من لا يؤمن
بك وادع ولا عليك والامر محتوم افتريد انت ان تكره الناس بادخال
الايمان في قلوبهم وتضطرهم الى ذلك والله عز وجل قد شاء غيره
قال القاضي فهذا تاويل الاية عليه محكمه اي ادع وقاتل من
حاله كذا وايمان من امن مصروف الى المشيه وقالت فرقه المعنى افانت
تكره الناس بالقتال حتى يدخلوا في الايمان وزعمت ان هذه الاية نزلت
في صدر الاسلام وانها منسوخه باية السيف والاية على هذا التاويل
زائده على المعتزله وقوله كلهم جميعا تاكيد وهو من فصيح الكلام وجميعا
حال من كله ونحوه قوله لا تجدوا الهين اثنين وقوله وما كان لنفس
أن تؤمن الا باذن الله الاية رد الى الله تعالى ولا حول ولا قوه
الا في ايمان من يؤمن ويحمل الرجس على الكفار وقرا عاصم في رواية
ابي بكر ويجعل الرجس بنون العظمه وقرا الباقون وحفص عن عاصم

ويجعل

ويجعل يا ايه وقرا الاعمش ويجعل الله الرجس وحسن يكون بمعنى العذاب كالرجز ويكون بمعنى القذر والنجاسه كالنجس ذكره ابو علي هنا وغيره وهو في هذه الاية بمعنى العذاب ولا يعقلون يريد ايات الله وحجج الشرايع ومعنى الادبار في هذه الاية الاراده والتقدير لذلك فهو كالعلم والتمكين وقوله قل انظروا ما ذا في السموات والارض يحتمل هذه الاية أمرا للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع وعدد ذلك من ايات السموات وافلاكها وكواكبها وسحابها وكذلك في الارض ونباتها ومعادنها وغير ذلك المعنى انظروا في ذلك بالواجب فهو يلجيكم الى المعرفه بالله والايمان بوحدانيته وقرا ابو عبد الرحمن والعامه بالبصره قل انظروا بكسر اللام وقرا نافع واهل المدينه قل انظروا بضم اللام اعلم في اخر الاية ان النظر في الايات والسماع من النذر وهم الانبيا لا يغني الا بمشيه الله وان ذلك غير نافع لقوم قد قضى الله انهم لا يؤمنوا وهذا على ان يكون ما نافيه ويجوز ان يجعد استفهاما على جهه التقرير الذي في ضمنه نفي وقوع الغنا وفي الاية على هذا توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وقوله الايات والنذر يحصر طريق تعريف الله تعالى عباده ويحتمل ان تكون ما في قوله وما تغني مفعوله بقوله انظروا معطوفه على قوله ماذا اي تاملوا وقد رغنا النذر والايات عن الكفار اذا قابلوا ذلك بفعل قوم قوم يونس فانه يرفع العذاب في الدنيا والاخره وينجي من الهلاك والاية على هذا تحريض على الايمان ويجوز اللفظ على هذا التاويل ايما هو في قوله لا يؤمنون **قوله تعالى** فهل ينتظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم

قل فاسطروا الى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا
ننجى المومنين هذا وعيد وحض على الايمان اى اذا الحوانى الكفر حل بهم
العذاب واذا امنوا الجواهذه سنته الله فى الامم الخاليه فهل عند
هاولا بغير ذلك وهو استفهام بمعنى التوقيف وفى قوله قل انظروا
مهادنه ما وهى فى جمله ما نسخه القتال وقوله ثم ننجى رسلنا الايه
لما كان العذاب لم يحضر مدته وكان النبى والمومنون بين اظهر الكفره
وقع التصريح بان عادت الله سلفت بانجاء رسله ومتبعيهم فالتخويف
على هذا اشد وكلهم قرا ننجى مشددة الجيم الا الكسائى وحفصا عن
عاصم فانهما قرا ننجى بسكون النون وتخفيف الجيم وقرا عاصم فى سوره
الانبياء فى بعض ما روى عنه نجى بضم النون وحذف الثانيه وشد
الجيم كان النون ادغمت فيها وهى قراه لا وجه لها وكذلك قرا ذلك الزجاج
وصحا ابو حاتم نحوها عن الاعمش وخط المصحف فى هذه اللفظه تنجى بجيم
مطلقه دون ياء وكذلك قرا الكسائى فى سوره مريم ثم ننجى الذين اتقوا
بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وشد الجيم والكاف
فى قوله كذلك يصح ان يكون فى موضع رفع ويصح ان يكون فى موضع نصب
نعتا لمصدر محذوف وقوله قل يا ايها الايه مخاطبه عامه للناس
احمرهم الى يوم القيامه وقد حمل بعضهم ان المخاطب بالشك فى دين الاسلام
وهذه الايه يتبين معناها بمحذوف قد دل عليها هذا الظاهر الوجز
والمعنى ان كنتم فى شك من ديني فانا لا اعبد الذين تعبدون من دون الله وحده ذلك فليس هو
حصاره ما هل ان شك فيه وانما شكى فى دينكم وبغضى وانا لا اعبده فانقضت
فصاحه الكلام والجازه هذا كله ثم صرح بمعبوده وخص من اوصافه

الذى

الذى يتوفاكم لما فيها من التذكير بالموت وفزع النفوس به والمصير الى
الله بعده والقصد للاصنام التى كانوا يعتقدون انها ضاره ونافعه
قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من
الظالمين المعنى قيل لى كن من المومنين واقم وجهك ثم جاء العباره بهذا
الترتيب والوجه فى هذه الايه بمعنى المنحى والمقصد اى اجعل طريقك
واعتمادك للدين والشرع حنيفا معناه مستقيما على قول من الحنف
الاستقامه وجعل سميد المعوج القدم احنف على جهه التفاؤل
ومن قال الحنف الميل جعل حنيفا هنا مائلا عن حال الكفره وطريقهم
وحنيفا نصب على الحال وقوله ولا تدع معناه قيل لى ولا تدع فهو
عطف على اقم وهذا الامر والمخاطبه للنبى عليه السلام اذا كانت هكذا
فاحرى ان يحترز من ذلك غيره وما سمع ولا يضر هى الاصنام والاوثان
والظالم الذى يضع الشى فى غير موضعه وقوله وان يمسسك الله بضر
الايه مقصود هذه الايه ان الحول والقوه لله وبين ذلك للناس بما
لحسوه من انفسهم والضر لفظ جامع لكل ما كرهه الانسان كان
ذلك فى حاله او فى بدنه وهذه الايه مطهره نساء حال الاصنام لان كل مميز
اذا مميز يعرف يقينا انها لا تكشف ضرا ولا تجلب نفعا وقوله وان
يردك بخير لفظه تام العموم وخصص النبى عليه السلام الفقد بالذكر فى
قوله ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وهذا على جهه التشريف
للفقه وهو الغفور الرحيم يرحيه وبسط وعد تما قوله تعالى
قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن

صل فانما نضل علیها وما انا علیکم بوکیل واتبع ما یوحی الیک واصبر حتی
یحکم الله وهو خیر الحاکمین هذه مخاطبة لجمیع الکفار مستمرة مدة الدهر
والحق هو القرآن والشرع الذی جاء به محمد فمن اهتدی ای فمن اتبع الحق
وابتعد عن الله فانما یسعی لنفسه لانه یوجب لها رحمة الله ویدفع عذابه ومن
ضل ای حاد عن طریق الحق ولم ینظر بعین الحقیقة ولفر بالله عز وجل
فضل قوله وما انا علیکم بوکیل ای لست باخذکم ولا بد بالایمان وانما
انا مبلغ وهذه الایة منسوخة بالقتال وقوله واتبع ما یوحی الیک
الایة معناه اتبع ما رسم لک شرعک وما اعلمک الله من نصرتک واصبر
علی شقاء الرسالة وما ینالک فی الله من الاذاء وقوله حتی یحکم الله وعد
للنبی علیه السلام بان یغلبهم کما وقع بمقتضیه قوة اللفظ وهذا الصبر
منسوخ بالقتال وهذه السورة مکیة وقد تقدم ذکرها فی اول الحواتیم
سورة یونس **تفسیر سورة هود علیه السلام**
بسم الله الرحمن الرحیم وصلی الله علی سیدنا محمد
هذه السورة مکیة الا قوله فلعلک تارک بعض ما یوحی الیک وضائق به
صدرک وقوله اولئک یؤمنون به ونزلت فی ابن سلام واصحابه وقوله
ان الحسنات یذهبن السیئات نزلت فی شهاب التمار وهذه الثلاث الایات مدنیة
قاله مقاتل علی ان الاولی تشبه المکی واذا اردت بهود اسم السورة لم تصرف
کما تفعل اذا سمیت امراة بعمر ووزید واذا اردت سورة هود صرفت
قوله تعالی الر کتاب احکمت ایاته ثم فصلت من لدن حکیم خبیر الا
تعبدوا الا الله انی لکم منه نذیر وبشیر وان استغفروا ربکم ثم توبوا
الیه یمتعکم متاعا حسنا الی اجل مسمی ویؤت کل ذی فضل فضله وان
تولوا فانی اخاف علیکم عذاب یوم کبیر الی الله مرجعکم وهو علی کل شی

قدیر

قدیر تقدم استیعاب القول فی الحروف التی اوائل السور ویخص بعده بان
قیل ان الرحمن فر قنحر وقد فسرها وحم وفی نون والقلم وحان مرفوع
علی خبر الابتداء ومن قال الحروف اشارة الی حروف المعجم کان الحروف المبتدا
ومن تاول الحروف غیر ذلک کان المبتدا هذا الکتاب والمراد بالکتاب القرآن
واحکمت معناه اتقنت واحیدت شبه ما یحکم من الامور المتقنة الکاملة
وهذه الصفة کان القرآن فی الازل ثم فصل بتقطیعه وسر احکامه واوامره
واوامره علی محمد صلی الله علیه وسلم فی ازمنة مختلفة فنم علی بارها ولهذه طریقة
الاحکام والتفصیل اذا الاحکام صفة دائبة والتفصیل انما هو بحسب
من یفصل له والکتاب باجمعه محکم مفصل والاحکام التی هی ضد النسخ
والتفصیل الذی هو خلاف الاجمال انما یقالان مع ما ذکرناه باعتراک
وعلی الطبری عن بعض المتاولین احکمت بالامر والنهی وفصلت بالثواب
والعقاب وعن بعضهم احکمت من الباطل وفصلت بالحلال والحرام
ونحو هذا من التخصیص الذی هو صحیح المعنی ولکن لا یقتضیه اللفظ
وقال قوم فصلت معناه فشرح وفراعکرمة والضحاک والحذری
وان کثر فما روی عنهم فصلت بفتح الفاء والصاد واللام ویحمل ذلک
معنیین احدهما فصلت ای نزلت الی الناس کما تقول فصل فلان لسفره
ونحو هذا المعنی والثانی فصلت بین الحق والمبطل من الناس ومن لدن
معناها من حیث ابتدئت الغایة کذا قال سیبویه ولها لغات یقال
لدن ولدن لدن بفتح اللام وبضم الدال دون واو وقال الاخفش ابدال
منونة مقصورا ویقال لدٍ ابدال مکسورة منونة حکاه لک بن عبید
وحکیم ای محکم وخبیر ای دو خبرة بالامور اجمع الا تعبدوا ان فی موضع

لسکون النون وقری بها من لدن وقالوا

نصب اما على اضمار فعل واما على تقدير بأن واسقاط الحافض
وقيل على البدل من موضع الايات وهذا معترض ضعيف
لانه لا موضع للايات وان نظر موضع الجمله فهو رفع ويحتمل
ان يكون في موضع رفع على تقدير تفصيله الا بعد وا وقيل على
البدل من لفظ الايات وقوله انني لكم منه نذير وبشير اى من
عقابه وبثوابه واذا اطلقت لفاتان اللفظتان فالنذاره في المكروه
والبشاره في المحبوب وقدم النذير لان التحذير من النار يهم الاهم
وان معطوفه على الني قبلها ومعنى الايه استغفروا ربكم اى اطلبوا
مغفرته وذلك بطلب دخولكم في الاسلام ثم توبوا من الكفر اى
انسلخوا منه وانديموا على سالف ذنبه ثم مرتبه وذلك ان الكافر اول
ما ينيب فانه في طلب مغفرته فاذا تاب وتجرد من الكفر ثم ايمانه
وقرا الجمهور يمتعكم بشد التاء وقرا ابن محيصن تمتعكم بسكون الميم
وتخفيف التاء وفي كتاب ابي حاتم ان هذه القرات بالمور وفي هذا
نظر ومتاعا مصدر جاء على غير الفعل المتقدم مثل قوله انبتكم
من الارض نباتا وقيل نصبه سعدى بمتعكم لانك تقول متعت زيدا
ثوبا ووصف المتاع بالحسن انما هو لطيب عيش المومن برجايه في
الله عز وجل وفي ثوابه وفرحه بالقرب اليه بمقترضاته والسرور
بما عنده والكافر ليس شي في هذا واما من قال بان المتاع الحسن
هو في ابدان الانبياء وزينتها فضعيف بان الكفره سار كون في ذلك
اعظم مشاركه والاصل المسمى اجل الموت ومعناه الى اجل مسمى لكل
واحد منكم بعد الطاهر الايه واليوم الكبير هو على هذا يوم القيامه

ويحمل

ويحتمل الايه ان يكون الموعد بتحلل العذاب ان كفروا والوعد بتمتعهم
ان امنوا فتشبه مقاله نوح عليه السلام واليوم الكبير على هذا يوم
بدر ونحوه والجهاله في اى الامرين تكون انما هي بحسب البشر والامر
عند الله معلوم محصل والاصل واحد وقوله ويوت كل ذي فضل
فضله اى كل ذي احسان بقوله او بفعله او كونه او ماله او غير
ذلك مما يمكن ان يتقرب به وفضله يحتمل ان يعود الضمير فيه على ذي
فضل اى ثواب فضله وجزائه ويحتمل ان يعود الضمير فيه على الله
عز وجل اى يوتي الله فضله كل ذي فضل وعمل صالحا من المومنين
ونحو هذا المعنى ما وعد تعالى من تضعيف الحسنه بعشر امثالها
ومن التضعيف الغير محصور لمن شاء وهذا التاويل ابن مسعود ان يكون
وقال ويل لمن غلبت احاده عشراته ويحتمل قول ابن مسعود ان يكون
موافقا للمعنى الاول وقرا الجمهور وان تولوا بفتح التاء واللام فبعضهم
قال معناه الغيبه اى فقل لهم اني اخاف عليكم وقال بعضهم معناه
وان تتولوا فحذف التاء والاصل فيها على مخاطبه الحاضر وقرا اليماني
وعيسى ابن عمر وان تولوا بضم التاء واللام وفتح الواو وقرا الاعرج
تولوا بضم التاء واللام واسكان الواو وقوله فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير توعد بيوم القيامه ويحتمل ان يريد به يوما من الدنيا
كيد روعيره ويوما ان اليوم الكبير يوم القيامه لانه موعد به ثم
ذكر الطريق الذي من الرجوع الى الله والمعنى الى عقاب الله وجزائه
لكم رجوعكم وهو القادر الذي لا يضره شي ولا يجير عليه بجير ولا
يمنع في قضائه واقيد وقوله على كل شي عموم والشي في اللغه الموجود

وقوله الا ان مدين وثمود

وقوله الا ان مدين وثمود

ومما يحقق ذلك سيوجد كزلزلة الساعة وغير ذلك من الأشياء قوله تعالى
الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور قيل ان هذه الاية
نزلت في الكفار الذين كانوا اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تظاهروا وثنوا صدورهم كالمستهزئين وردوا اليه ظهورهم وغشوا
وجوههم بثيابهم تباعدا منه وكراهية للقائه وهم يظنون ان ذلك
يخفى عليه او على الله فنزلت الاية في ذلك وصدورهم على هذا منصوبة
بيثنون وقيل استعارة للغل والحسد والحقد الذين كانوا يطوون
عليه كما يقول فلان يطوي كشحه على عداوته ويثني صدره عليها فمعنى
الاية الا انهم يستترون العداوة ويكتمونها لخفي في ظنهم عن الله
وهو تعالى حين يغشيهم بثيابهم والابلغ في الستر لعلم ما يسرون
وقرأ سعد ابن جبير يثنون بضم الياء، والنون من اثنى وقرأ ابن عباس
ايضا ومجاهد وابن يعمر وابن ابزى ونصر ابن عاصم والحدري وابن ابي
اسحق وابن زرين وعلي ابن الحسين وابو جعفر محمد ابن علي وزيد
ابن علي وجعفر ابن محمد وابو الاسود والضحاك يثنوي صدورهم
برفع الصدور وهي تحتمل المعنيين المتقدمين في يثنون وزنها تفعول
على بنائها لو ردت لتكرار الامر كما تقول اغشوشبت الارض واحلولت
لوت الدنانير وتحود ذلك وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة ان
هذه الاية تدرك في ان قوما كانوا يتساوا الحدث الا وتغسون
نيابهم كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السماء وقرأ ابن عباس ايضا
روى ابن مجاهد يثنوي بتقديم النون على الثاء وقراءوه وابن ابزى

والاعمش

الثاني النون و
يحيون بحذف النون
وقال ابو حاتم هي لغة العرب
وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
وابن ابي اسحق بسوي بفتح

ولا يمر دابه

والاعمش يثنوي بياء منثلثة بعدها نون مفتوحة بعدها واو مكسورة
وقرأ ابن عباس ايضا ومجاهد فيما روى عنه ثنان بهمزة بدل الواو ولغتان
مستقتان من الثنء وهو العشب المثنى بسهولة فشبه صدورهم
به اذ هي محيدة الى هذا الانطواء على المكر والخدع واصل تثنون تثنوئن
سكنت النون المكسورة ونقلت حركتها الى الواو التي قبلها وادغمت
في النون التي بعدها واما ثنأن فاصلها ثنان مثل احمار ثم قالوا
اثنأن كما قالوا احمار وابياض والضمير في منه عائد على الله تعالى
وهذا هو الافصح الاجزل في المعنى وعلى بعض التاويلات يمكن ان يعود
على محمد عليه السلام ويستغشون معناه يجعلونها اغشية واغطية
ومنه قول ـــــ خنسا
أرعى الهموم وما كلفت رعيها وتارة اتغشى فضل الطمار
وقرأ ابن عباس على حين يستغشون ومن هذا الاستعمال قول النابغة
على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما اصح والشيب وازع
وذات الصدور ما فيها والذات تتصرف في الكلام على وجوه لهذا احدها
كقول العرب الذنب مغبوط بذي بطنه اي بالذي فيه من النفخ وكقول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انما هو ذو بطن بنت خارجة والذات
الى يعني حقيقة الشيء ونفسه قلقة في هذا الموضع ويحتمل ان يفرق
بين ذي بطنه وبين الذات وانما يجمع بينهما المعنى وقوله وما من دابة
الاية تمادى في وصف الله عز وجل بنحو قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون
والدابة ما دب من الحيوان الذي يجاح الى رزق ويدخل في ذلك الطائر
والهوام وغير ذلك كله دواب وقد قال ـــــ الاعشى

باب كعصر البان ترتج ان مسست دبيب فطا البطحا في كل منهل
وقال طرفه ابن عبدة لطير هن دبيب وفي حديث ابي عبيده دابة مثل الطرف
يريد من حيوان البحر وتخصيصه بقوله في الارض انما هو الاقرب لحسهم
والطاير والعايم انما هو في الارض وما مات من الحيوان قبل ان يعتدى
فقد اعتدى في بطن امه او بوجدها وهذه الايه تعطي ان الرزق
كل ما صح الانتفاع به خلافا للمعتزله في قولهم ان الحلال المملك وقوله
على الله الحساب تفضل لانه تعالى لا يجب عليه شي عقلا والمستقر صلب
الاب والمستودع بطن الام وقيل المستقر الماوى والمستودع القبر
وهما طرفان وقيل المستقر ما حصل موجودا من الحيوان والمستودع
ما سيوجد بعد قال القاضي والمستقر على هذا مصدر
استقر وليس بمفعول كمستودع لان استقر لا يتعدى وقوله في
كتاب اشاره الى اللوح المحفوظ وقال بعض العلماء هذا مجاز ولي اشاره
الى علم الله قال القاضي وهذا ضعيف وحمله على الظاهر اولى قوله
تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولين قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قال اكثر اهل التفسير الايام هي
من ايام الدنيا وقالت فرقة هي ايام الاخره يوم بالف سنه قاله
كعب الاحبار الاول ارجح واجرى دلك السموات والارض عز وجل ما
فيهما اذ كان خلق في تلك الستة الايام واختلفت الاحاديث في يوم
بدا الله الخلق فروى ابو هريره فيما ذكر الطبري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ بيده وقال خلق الله التربه يوم السبت والجبال يوم
الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثا والنور يوم الاربعا

وبث

وبث الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعه ونحو هذا
من البداه في يوم السبت في كتاب مسلم وفي الدلايل لثابت وكان خلق
ادم في يوم الجمعه لا يعتد به اذ هو بشر كما بريته ولو اعتد به لكانت
الايام سبعه خلاف ما في كتاب الله وروى عن كعب انه قال خلق الله
السموات والارض يوم الاحد وفرغ يوم الجمعه وخلق ادم في اخر
ساعه منه ونحو هذا في حمل الدواب بين ان البداه يوم الاحد وقال
قوم خلق الله تعالى هذه المخلوقات في ستة ايام مع قدرته على خلقها
في لحظه نحا الطريق التوده والمهله في الاعمال لتحكم البشر اعمالهم وروى
عن ابن عباس انه قال كان العرش على الماء والماء على الريح وقوله ليبلوكم
متعلق بخلق والمعنى ان خلقه اياها كان لهذا وقال بعض الناس هو
متعلق بفعل مضمر تقديره اعلمكم ذلك ليبلوكم ومقصد هذا القايل
ان هذه المخلوقات لم تسبب البشر وقرا عيسى الثقفي ولين قلت بضم
التاء وقرا الجمهور قلت بفتح التاء ومعنى الايه ان الله عز وجل هذه
صفاته وهاولا تكفرهم في حين ان قلت لهم انكم مبعوثون كذبوا وقالوا
هذا سحر اي قد اتناقض منهم ادخل مفطور بقهر ان الله خالق السموات
والارض فهم من جمله المقرين بهذا وهم مع ذلك ينكرون ما هو ايسر منه
بكثير وهو البعث من القبور اذ البراة اعسر من الابداه واذ خلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس واللام في ليقولن لام قسم لاجواب شرط وقرا الحسن والاعرج وابو جعفر
وشيبه وفرقه من السبعه بحر وقرات فرقه ساحر وقد تقدم
وقوله تعالى ولين اخرنا عنهم الايه المعنى ولين تاخر العذاب الذي نوعدهم

به عن الله قالوا ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب والامد
في هذه الايه المده كما قال تعالى واذكر بعد امة قال الطبري سميت تلك
المده لانها تمضي فيها امة من الناس وتحدث اخرى فهي على هذا المدة الطويله
ثم استفتح بالاخبار عن ان هذا العذاب يوم يأتي لا يرده شيء ولا يصرفه
وحاق معناه حل واحاط وهي مستعمله في المكروه وهو منتصب بقوله
مصروفا **قوله تعالى** ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه
انه ليؤوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات
عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفره
واجر كبير اذقناها هنا مستعار لان الرحمة تعم ها هنا جميع ما
ينتفع به من مطعوم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هنا
اسم الجنس والمعنى ان هذا الخلق سجيته الانسان ثم استثنى منهم الذين
يردهم الشرايع والايمان الى الصبر والعمل الصالح على هدايته ويؤنس
وكفور بناء المبالغه وكفورها هنا هي من كفر النعمه والمعنى انه يئوس
ويحرج ويتسخط ولو نظر الى سعة الله التابته عليه في عقله وحواسه
وغير ذلك ولم يكفرها لم يكن ذلك فان اتفق ان يكون هذا الكافر ايضا
بالشرع صح ذلك لكن ليس من لفظ الايه وقال بعض الناس في هذه الايه
الانسان هنا ابو جهل الكافر وتحامله على ذلك لفظ كفور وهذا اعتداء
مردود لان هذه الكفر لا تطلق على جميع الناس فيما يخص لفظه
الانسان والنعماء تسمل الصحه والمال ونحو ذلك والضراء من الضر
وهو ما يسوء ويؤلم وقد يكثر استعمال الضراء فيما يخص البدن ولفظه
ذهب السيئات هنا يقتضي نظرا وجيها الا ان ذلك يا بعد من الله واعنة له
ان ذلك يتوجه الى بعض العقد من الاعتقادات الفاسده والاقوال

من

من بعد ان ذاقها ما انعام من الله وفضل لم يقع عليه ذلك والسيات
ها هنا كل ما يسوء في الدنيا وقرات فرقه لفرح بكسر الراء وقرات فرقه
لفرح بضمها وهذا الفرح مطلق وكذلك ذم اذا الفرح اهمال النفس
ولا باس الفرح في القرآن ممدوحا الا اذا قيد انه محبور وقوله الا الذين
صبروا هذا استثناء متصل على ما قدمناه من ان الانسان عام يراد
به الجنس ومن قال انه مخصوص بالكافر قال ها هنا ان الاستثناء
منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى ولما من جهة اللفظ فجيد ولذلك
قاله من النحاة قوم واستثنا الله تعالى من الماسين سجيته الانسان
ها ولاء الذين جبلتهم الاديان على الصبر على المكاره ومنابره عباد الله
وليس شيء مرد لك في سجية البشر وانما حمل على ذلك خوف الله وحب
الدار الاخرة والصبر والعمل الصالح لا ينفع الامع هدايه وايمان
ثم وعد تعالى اهل هذه الصفه فحرضنا عليها وحضنا بالمغفره للذنوب
والتفضل بالاجر والنعيم **قوله** تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
انما انت نذير والله على كل شيء وكيل سبب هذه الايه ان قريشا قالوا
يا محمد لو تركت سب الهتنا وتسفيه آبائنا الحالسناك واتبعناك وقالوا
ايت بقران غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فحاطه الله تعالى بنبيه
عليه السلام على هذه الصوره من مخاطبه ووقفه بها موقفا رادعا على
اقوالهم ومبطلا لها ولبس المعنى انه عليه السلام هم بشيء من ذلك فزجر عنه
فانه لم يرد قط ولا شيء مما اتى به ولا ضاق صدره وانما ضيق
صدره باقوالهم وافعالهم وصدهم عن الايمان ولعلك ها هنا بمعنى التوقف

والتقرير وما يوحى الله هو القرآن والسرعة والدعا الى الله كان في ذلك
سبب الهتهم وتسفيه آبائهم او غير ذلك ويحتمل ان يكون النبي عليه السلام
قد عظم عليه ما يلقى من الشدة فمال الى ان يكون من الله تعالى ادن في
مساهلة الكفار بعض المساهلة ونحو هذا من الاعتماد الذي يليق
به عليه السلام حاشا ايات المواعد وغير ذلك ودون ضيق للمناسبة
في اللفظ مع تارك وان صح اكثر استعمالا فانه وصف لازم وضايق
وصف عارض وهو الذي يصلح هنا والضمير في به عايد على بعض ويحتمل
ان يعود على ما وان في موضع نصب على تقدير لو ان والكنز لها هنا
المال ونحو هذا هو طلبهم انه يضطر الى الايمان والله عز وجل لم يبعث
الانبيا بايات اضطرار وانما بعثهم بايات النظر والاستدلال ولم
يجعل ايه الاضطرار الا للايام التي قدر تعذيبها الكفر بها بعد ايه الاضطرار
كالناقة لثمود ثم انسه الله تعالى بقوله انما انت نذير اي هذا القدر
هو الذي فوض اليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل الممضي للايمان
من شاء ولفر من شاء **وقوله** ام يقولون افتراه هذه ام التي هي عند
سيبويه بمعنى بل والف الاستفهام كانه اضرب عن الكلام الاول
واستفهم في الثاني على معنى التقرير لقولهم انها لابل ام شاة والافتراء
اخص من الكذب ولا يستعمل الا فيما بهت فيه المرء وكابر وجاء بامر
عظيم منكر ووقع التحدي في هذه الايه بعشر لانه قيدها بالافتراء
فوسع عليهم القدر لنقوم الحجة عليهم اذ قد عجزهم في غير
هذه الايه بسورة من مثله دون تعيين هي مماثلة تامة في غيوب
القرآن المعانية الجهد ونظمه ووعده ووعيده وجزالة لفظه

الايه

الايه ان قيل لهم عارضوا القدر منه بعشر امثاله في التقدير والغرض
واحد واجعلوه مفتريا لا يبقى لكم الا نظمه وهذه غاية التوسعة
ولس المعنى عارضوا عشر سور بعشر لان هذه انما كانت تحدي معارضة
سوره بسور مفتراة ولا يال عن تقديم نزول هذه على هذه وتوبيخ
هذا النظر ان التكليف في ايه البقره انما هو لسبب الريب ولا يزيل
الريب الا العلم بانهم لا يقدرون على المماثلة التامة وفي هذه الايه
انما التكليف بسبب قولهم افتراه فكلفوا نحو ما قالوا ولا يطرد
هذا في ايه يونس وقال بعض الناس هذه معدمة في النزول لان
ولا يصح ان يعزوا في واحدة فيكلفوا عشرا التكليفان سوا ولا يصح
ان تكون السورة الواحدة الا مفتراة وايه سورة يونس في تكليف
سوره متركبة على قولهم افتراه ولذلك ايه البقره انما رسم بان
القران مفترى **قال القاضي** وقايل هذا القول لم يخص الفرق
بين التكليفين في كمال المماثلة مرة ووقوعها على النظم مرة وقوله
من استطعتم يراد بها الالهة والاصنام والشياطين وكل ما دانوا
يعظمونه وقوله ان لم صادقين يريد ان القران مفترى **قوله**
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل
انتم مسلمون لهذه الايه تاويلان احدهما ان تكون المخاطبة من النبي
عليه السلام للكفار اي فان يستجب من تدعونه من دون الله الى شيء من
المعارضة ولا قدر جميعكم على ما ادعوا حينيذ وعلموا انه من
عند الله وتالي قوله فهل انتم مسلمون متمكن والمعنى ان يكون مخاطبة
من الله تعالى للمؤمنين اي فان لم يستجب الكفار الى ما دعوا اليه من

المعارضه فاعلموا ان ذلك مرعند الله ولهذا على معنى دموا على علمكم
لانهم كانوا عالمين بذلك قال مجاهد قوله تعالى فهل انتم مسلمون لهو
لاصحاب محمد عليه السلام وقوله بعلم الله يحتمل معنيين احدهما بادنه
وعلى علم منه والثانى انه انزل بما علمه الله تعالى من الغيوب فكانه
اراد بمعلومات الله تعالى وقوله فهل انتم مسلمون تقرير وقوله تعالى
من كان يريد الحياه الدنيا الايه قالت فرقه ظاهرها فى العموم ومعناها
الخصوص فى الكفره هذا قول قتاده والضحاك وقال مجاهد هى فى الكفره
وفى اهل الرياء من المومنين والى هذا ذهب معاويه حين حدث شيافه
شفى ابن مانع الاصبحى عن ابى هريره يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى الرجل المتصدق والمجاهد المقتول والقارئ بالقران ليله ونهاره
كل ذلك رياء انهم اول من تسعر بهم النار يوم القيامه فلما حدثه
شفى بهذا الحديث معاويه وقال صدق الله ورسوله وتلا من
كان يريد الحياه الدنيا وزينتها الايه الى قوله وباطل ما كانوا يعملون
فاما من ذهب بها فى الكفره فمعنى قوله يريد يقصد ويعتمد اى
اى يعى وجهه ومقصده لا مقصد له غيرها والمعنى من كان يريد
باعماله الدنيا بالنعم والحواس وغير ذلك فهم مضبوط عليه ومنهم
موسع عليه حكم عليهم بعد ذلك بانهم لا يحصل لهم يوم القيامه
الا النار ولا يكون لهم حال سواها قال القاضى فاستقام
هذا المعنى على لفظ الايه وهو عدل ارجح الناويلات بحسب تقدم
ذكر الكفار الناقصين فى القران فاما قصد هذه الاعداد اولئك واما
من ذهب الى ان الاحصاء من المومنين فمعنى يريد عنده يحب ويوثر

ويفعل

ويفضل ويقصد وان كان له مقصد اخر باعانه فان الله يجازيه على تلك
الاعمال الحسان التى لم يعملها الله بالنعم فى الدنيا ثم يات قوله ليس لهم
بمعنى ليس يجب لهم او يحق لهم الا النار وجايز ان يتعدهم الله برحمه وهذا
هو ظاهر الفاظ ابن عباس وسعيد ابن جبير وقال انس ابن مالك هى
فى اهل الكتاب قال القاضى ومعنى هذا ان اهل الكتاب الكفره
يدخلون فى هذه الايه لانها ليست فى غيرهم وقراجمهور الناس نوف
بنون الجمع وقرا طلحه وميمون ابن مهران يوف بياء الغايب
ويحسنون معناه يعطون اقل من ثوابهم وحبط معناه بطل وسقط
ومنه قوله عليه السلام يقتل حبطا او يلدم وهى مستعمله فى فساد
الاعمال والضمير فى قوله فيها عايد على الدنيا فى الاولين وفى الثالثه
عايده على الاخره ويحتمل ان تعود الثلاثه على الدنيا ويحتمل ان يكون
الثالثه على الاعمال وقراجمهور الناس وباطل بالرفع على الابتدا والخبر
وقرا ابى وابن مسعود وباطلا بالنصب قال ابو حاتم ثبتت فى
اربعه مصاحف والعامل فيه يعلمون وما زايده المقدر وباطلا
كانوا يعلمون والباطل على مقتضى ذاته ان لا تنال به غايه فى ثواب
او نحوه قوله تعالى افمن كان على بينه من ربه ويتلوه شاهد
منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمه اولئك يومنون به ومن
يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك فى مريه منه انه الحق
من ربك ولكن اكثر الناس لا يومنون اختلف المتاولون فى المراد
بقوله افمن فقالت فرقه المراد بذلك المومنون محمد عليه السلام
وقالت فرقه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم خاصه وقال على ابن

وهذا دليل على ان الاعمال الصالحه من الاعمال الحسنه

أبي طالب والحسن وقتاده ومجاهد والضحاك وابن عباس المراد بذلك
محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون جميعا ولذلك احلف في المراد بالبينه
فقالت فرقه المراد بمحمد عليه السلام اي على جليه نسب محمد عليه السلام
والهاء في البينه للمبالغه كهاء علامه ونسابه ولذلك احلف في المراد
بالشاهد فقال ابن عباس وابراهيم النخعي ومجاهد والضحاك وابو
صالح وعكرمه هو جبريل وقال الحسن ابن علي هو محمد عليه السلام وقال
مجاهد ايضا هو ملك وحمله الله بحفظ القران **قال القاضي**
ويحتمل أن يريد بهذه الالفاظ جبريل وقال علي ابن ابي طالب والحسن
وقتاده هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقالت فرقه هو علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه وروي ذلك عنه وقالت فرقه هو الاحيل وقالت
فرقه هو القران وقالت فرقه هو اعجاز القران **قال القاضي**
رضي الله عنه وتصرف قوله يتلوه على معنى يسرد معنى يقرونه ومعنى
يتبعه وتصرفه بحسب الخلاف المذكور في الشاهد ولترتب الان
اطراد كل قول وما يحتمل فاذا قلنا ان قوله افمن يراد به المومنون
فان جعلنا بعد ذلك البينه محمدا عليه السلام صح ان يترتب الشاهد
الاحيل ويكون قوله يتلوه معنى يقرونه لان الاحيل يقرا لسان محمد
وان يترتب جبريل ويكون يتلوه معنى يتبعه اي في تبليغ الشرع فيه
والمعونه فيه وان يترتب الملك ويكون الضمير في منه عائدا على الرب
وان يترتب على ابن ابي طالب ويكون يتلوه بمعنى يتبعه والضمير
في منه على البينه التي قدرناها محمدا عليه السلام وان يترتب القران ويكون
يتلوه بمعنى يتبعه والضمير في منه على الرب تعالى وان جعلنا

البينه

وقالت فرقه المراد بالشاهد علي عليه السلام

البينه القران على ان المراد بهم المومنون صح ان يترتب الاحيل وصح ان
يترتب جبريل والملك ويكون يتلوه بمعنى يقرونه وصح ان يترتب الشاهد الاعجاز
ويكون بمعنى يتبعه والعود الاعجاز الضمير في منه على القران واذا
جعلنا المراد بالبينه النبي عليه السلام كانت البينه القران والشاهد لسان
النبي محمد عليه السلام ويترتب الاحيل وترتب جبريل والملك ويترتب على
ابن ابي طالب وترتب الاعجاز ويتاول يتلوه بحسب الشاهد كما قلنا
وللرد هذا القول بضعف قوله اولئك فانا اذا جعلنا قوله افمن للنبي
وحده لم نجد في الايه مذكورين يشار اليهم بذلك ويصح في الايه ان
يكون قوله افمن للموسن او للمومنين والنبي معهم بان لا يترتب الشاهد
بعد ذلك يراد به النبي عليه السلام اذا قدرناه داخلا في قوله افمن
وما تركناه من بسط هذا الترتيب لحرجه الندير لسرعة فتامله
وقراجمهور الناس جاء بالرفع وقرا الكلبي وغيره كتابا بالنصب ومن
رفع قدر الشاهد الاحيل معناه يقرا القران ومحمد بحسب الخلاف
في الاحيل ومن قال الاحيل جاء موسى اد في الكتابين ذكر القران وذكر
محمد عليه السلام ويصح ان يقدر الرافع الشاهد القران وتطرد الا
لقاط بعد ذلك ومن نصب كتابا قدر الشاهد جبريل عليه السلام
اي يتلوا القران جبريل ومن قبل القران كتاب موسى **قال القاضي**
رحمه الله وهنا اعتراض يقال اذا قال من قبله كتاب موسى او كتابا
بالنصب على القرايين والصمير في قبله عائد على القران فلم يذكر
الاحيل ولا قبله بينه بترتيب موسى والانفصال ان الخصص
الذي اراه بالذكر لان الملتين تجمعانهما من عند الله والاحيل ليس كذلك

السلام على من اتبع الهدى

طاهر وهو نسب للاب والام

ع ١١ م

لان اليهود تخالف فكان الاستشهاد بما يقوم به الحجة على الطائفتين اولى
وهذا الحري مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ومع قول
النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة فانما
اختص الانجيل بمن هداهم فقد يخالف الحال القرآن والتوراة
ونصب اماما على الحال من كتاب موسى والاحزاب لها هنا يراد به
جمع الامم وروى سعيد ابن حسير عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يسمع بي من هذه الامة ولا من اليهود
والنصارى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار قال سعيد فعلمت ان مصداق
هذا في كتاب الله عز وجل حيث وجدته في هذه الاية وكنت اذا سمعت
حديثا من النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه في كتاب الله **قال** القاضي
والراجح عندي من هذه الاقوال في هذه الاية ان يكون اسم للمؤمنين
اراهم والنبي صلى الله عليه وسلم معهم اذ قد تقدم ذكر الذين ليس لهم في الاخرة
الا النار فعقب ذلك بذكر ضدهم والبينة القرآن وما تضمن الشاهد
محمد عليه السلام او جبريل اذ دخل النبي في قوله افمن كان على بينة من ربه
في بلوغه البينة ايضا وغير هذا مما ذكرته ايضا محتمل وقرأ الجمهور
في مرية بكسر الميم وقرأ السلمي وابو رجاء وابو الخطاب السدوسي
مما في مرية بضم الميم وهما لغتان في الشك والضمير في منه عائد على
كون الكفر موعدهم النار وسائر الاية بين وفي هذه الاية معادلة
محذوف تقتضيها الظاهر اللفظ تقديره افمن كان على بينة من ربه
كمن ليس كذلك والله وكذب انبيائه ونحو هذا من معنى الحذف وقوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به

المولى

المولى لكان هذا القرآن ومن ذلك قول الشاعر
فاقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجدلك مدفعا
التقدير لرددناه ولم نضع اليه **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين
في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما
كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قوله ومن استفهام
معناه التقرير وكانه قال لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا والمراد
بهم الكفرة الذين يدعون مع الله الها اخر ويفترون في غير ما شيء
وقوله اولئك يعرضون على ربهم عبارة عن الاشادة بهم والتشهير
لخزيهم والافصاح بشر معروض على الله يوم القيامة وقوله ويقول
الاشهاد قالت فرقة يريد الشهداء من الانبياء والملائكة فمعنى قوله
تعالى الذين كذبوا على ربهم احبار من الله عنهم وشهادة عليهم
وقالت فرقة الاشهاد بمعنى المشاهدين ويريد جميع الخلائق
وفي ذلك اشادة بهم وروي في نحو هذا حديث انه لا يجري احد
يوم القيامة الا ويعلم ذلك جميع من يشهد المحشر فيحمل قوله على هذا
التاويل استفهاما وتبيينا فيهم كما يقول اذا راى رجلا قد عوقب
هذا هو الذي فعل كذا وكذا وان لست قد علمت ذلك وقوله الا
استفتاح كلام واللعنة الابعاد والذين بدل للظالمين ويحتمل
الفعل بتقدير لعنهم الذين يصدون ويحتمل ان يقدر متعديا على معنى

هؤلاء

على بينة

في بعض النسخ والضمير

يصدون الناس ويمنعونهم من سبيل الله ويحتمل ان يقدر غير متعد
على معنى يصدون هم اى يعرضون وسبيل الله شريعته ويبغونها
معناه يطلبون لها كما تقول ابغيتها خيرا او شرا اى طلبت لك وعوجا
على هذا مفعول ويحتمل ان يكون المعنى على عوج اى فهم لا يهتدون ابدا فعوجا
على هذا مصدر فى موضع الحال والعوج الانحراف والميل المودى الى
الفساد وكرر قوله هم على جهة التاكيد وهى جملة فى موضع خبر الابتدا
الاول وليس هذا موضع الفصل لان الفصل انما يكون بين معرفتين او معرفة
ونكرة تقارب المعرفة لانها تفصل بين ان يكون ما بعدها صفة او خبرا
والجملة للخبر ومعجزين معناه مفلتين لا تقدرون عليهم وحصر ذكر
الارض لان تصرف ارادتهم وسعيهم انما هو فيها وهى بصاراه لا تستطيع
النفوذ فيها وقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء يحتمل معنيين
احدهما ان يعنى ان يكون لهم ولى او ناصر كائنا ما كان والثانى ان يقصد
وصف الاصنام والالهة بانهم لم يكونوا اولياء حقيقة وان كانوا
يعبدون انهم اولياء ثم اخبر انهم يضاعف عليهم العذاب يوم القيامة
اى تشدد حتى يكون ضعفى ما كان يضاعف فعل مستانف وليس
بصفة وقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل
جمدا وجهين احدهما ان يصف بها ولا الكفار بهذه الصفة على معنى
ان الله حتم عليهم بذلك فهم لا يسمعون سماع منتفعين به ولا يبصرون
كذلك والثانى ان يكون وصفهم بذلك من بعضهم للنبى صلى الله عليه وسلم
فهم لا يستطيعون ان يحملوا نفوسهم على السمع منه والنظر اليه ونظر
الى هذا حشو الطفيل ابن عمرو الدوسى الكريم وابيه رضى

اوقت

وقت الحديث وان يسمعوا ما ينفعهم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ردهم عن ذلك مشيختهم والثالث ان يكون وصف بذلك الاصنام
والالهة التى يعنى بها هذا التاويل المتقدم ان يكون اولياء وما فى بعده
الوجوه الثلاثة نافيه والرابع ان يكون المقدر يضاعف لهم العذاب
بما كانوا يحذف الجار وتكون ما مصدرية وهذا قول فيه تحامل قاله
الفراء وقربه بقوله احاربك لما صنعت لى والخامس ان يكون ما ظرفية
اى ان العذاب يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر وقد علمت
الشريعة انهم لا يمنعون فيها ابدا والعذاب ادام متمادا ابدا وقدم السمع
فى هذه الاية على البصر لان حاسة السمع اشرف من حاسة البصر ادعى عليه
تنبنى فى الاطفال معرفة دلالات الاسما وادعوكان فى اكثر
المعقولات دون المبصر الى غير ذلك **قوله تعالى** اولئك الذين
خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم فى الاخرة
هم الاخسرون خسروا انفسهم بوجوب العذاب عليهم ولا خسران
اعظم من خسران النفس وضل معناه تلف ولا جرم حيث املوه
ولا حرم لفظة مركبة من لا ومن جرم بنيتا ومعنى لا جرم حق هذا
مذهب سيبويه والخليل وقال بعض النحويين معناها لا بد ولا
شك ولا محالة وقد روى هذا عن الخليل وقال الزجاج لا رد عليهم
لما تقدم من كل ما تقدم وجرم معناه كسب فعلهم انهم فى الاخرة
لهم الاخسرون فموضع ان على مذهب سيبويه رفع وموضعها
على مذهب الزجاج نصب وقال الزجاج معناها لا صد ولا منع
قال القاضى رضى الله عنه فحان حرم على هذا من معنى القطع

تقول جرمت اى قطعت وهى على منع الزجاج من الكسب ومنه قول الشاعر

"جريمة ناهض فى رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا"

وجريمة القوم كاسبهم واما قول الشاعر

"ولقد طعنت اباعيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا"

فيحتمل الوجهين ويختلف معنى البيت وفى لاجرم لغات بقول بعض العرب لاذا جرم ولعصهم لان ذا جرم وبعضهم لاعن ذا جرم وبعضهم لاجرحذفوا الميم لكثرة استعماله واجتنبوا قيل معناه سكنوا قاله قتاده وقيل انابوا قاله ابن عباس وقيل اطمانوا قاله مجاهد وقيل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه الاقوال بعضها قريب من بعض واصل اللفظ من الجنب وهو البراح القفر المستوى من الارض فكان المجتب فى القفر قد انكشف واستسلم وبقى دون منعه فشبه المتذلل الخاشع بذلك وقيل انما استوى منه لاستوايه وطمانينته وقوله الى ربهم قيل هى بمعنى اللام اى اخبتوا لربهم وقيل المعنى جعلوا قصدهم باخباتهم الى ربهم والفريقان الكافر والمؤمن شبه الكافر بالاعمى والاصم وشبه المؤمن بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل ممثالين وقال بعضهم الواو لتقدير لا الاعمى الاصم والبصير السميع ودخلت واو العطف كما تقول جانى زيد العاقل والكريم واتت بريده لعينه فهو على هذا تمثيل بمثال واحد ومثلا نصب على التمييز ويجوز ان يكون حالا وقدم الاعمى فى هذه الاية لانه اشبع فى الناس وليس بموضع معاد للحواس كما فى قوله ما كانوا يستطيعون السمع

قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله انى

لحاق

احاف عليكم عذاب يوم اليم لهذه الاية قصص فيها تمثيل لكفار قريش وكفار العرب واعلام ان محمدا عليه السلام ليس ببدع من الرسل وروى ان نوحا عليه السلام اول رسول الى اهل الارض وان ادريس اول نبى الى بنى ادم الا انه لم يرسل برساله نوح انما كانت الى قومه كساير الانبيا واما الرساله العامه فلم يكن الا لمحمد عليه السلام وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزه انى بكسر الالف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى انى بفتح الالف فالكسر على اضمار القول المعنى قل لهم انى نذير مبين وقوله الا تعبدوا معمولا لارسلنا اى ارسلنا نوحا بان لا تعبدوا الا الله واعترض بينهما الكلام بقوله انى لكم نذير قال ابو على وفى هذه القراه خروج من الغيبه الى المخاطبه **قال القاضى** رضى الله عنه وفى هذا نظر وانما هى حكايه مخاطبه لقومه وليس هذا حقيقه الخروج من غيبه الى مخاطبه ولو كان الكلام ان انذرهم او نحوه لصح ذلك والنذير المحفظ من المخاره بان يعرفها ويدل عليها ومنه من ابان بين وقوله الا تعبدوا الا الله ظاهره من انهم كانوا يعبدون الاوثان ونحوها وذلك بين فى غير هذه الايه والالم معناه مولم ووصف به اليوم وحقه ان يوصف العذاب تجوزا اذ العذاب فى اليوم فهو كقولهم نهاره صايم وليل قايم والملا الجمع والاكثر من القبيله او المدينه ونحوه وسمى الاشراف ملا لانهم عمده الملا والسادون مسده الاراء والامور وكل جماعه كثيره ملا ولما قال لهم نوح انى لكم نذير قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا اى فالله تعالى لا يبعث رسولا من البشر فاستبعدوا الجايز على الله تعالى والارادل جمع ارذل وقيل جمع ارذال

وضع الالف على اعلام الرسل فى الكتابه

وأرد الجمع ردل وكان اللازم على هذا أن يقال أرادِيل وهذا اثبتت
الباء في جمع صرف فاحرى ان لا تزال في موضع اسحقافها وهم سفله
الناس ومن لا خلاق له ولا يبالي ما يقول ولا يقال له وقرا الجمهور
بادي الرأي بياء دون همز من بدا يبدأ وبصح ان يكون من بدا مستهلا
وقرا ابو عمرو وعيسى الثقفي بادئ الرأي بالهمز من بدأ يبدأ **قال**
القاضي وفي القراءتين اختلاف في المعنى يعطيه التدبر فتركب التطول
يبسطه والعرب تقول اما بادئ بدء فاني احمد الله واما بادي بدي
يعبرهم فيهما وقال ـــــــــــ الراجز

وقد علتني ذرة بادي بدي

وقرا الجمهور بهمزه الرأي وقرا ابو
عمرو بترك همزه وبادي نصب على الظرف وصح ان يكون اسم الفاعل
ظرفا كما يصح في قرب ونحوه وفعيل ونحوه وفعيل وفاعل متعاقبان
ابدا على معنى واحد في المصدر كقولك جهد نفسي اجب كذا وكذا
وتعلق قوله بادي الرأي بحتمل ستة اوجه احدها ان يتعلق بنراك
اي وما نراك باول نظر واقل فكره وذلك هو بادي الرأي لا متبعوك
أراذلنا والثاني ان يتعلق بقوله اتبعك اي وما نراك اتبعك بادي الرأي
الا لاراذل يحتمل على هذا قوله بادي الرأي معنيين احدهما ان يريدوا اتبعك
في ظاهر امرهم وعسى ان يواطنهم ليست معك والثاني ان يريدوا اتبعوك
باول نظر وبالرأي البادي دون تعقب ولو تثبتوا لم يتبعوك وفي هذا
الوجه دم الرأي الغير مروي والوجه الثالث من تعلق بقوله بادي
الرأي ان يتعلق بقوله أراذلنا اي الذين هم اراذل بادي الرأي وصفا منهم لنوح
عليه السلام كانت بليغة دالة على المعنى القائم بنفسه وهذا هو
المفهوم من هذه العبارة العربية وهذا استقام ان يقال كذا وكذا
اذا القول ما افاد المعنى القائم بالنفس وقوله على بنو راى على امرين
جلي وخفي بينه للمبالغة كعلامة ونسابة وإنما واحد هو
علامة للبينة والمشار اليه بهذا دلالة النبوة والشرع وقوله من عنده
تاكيد كما قال يطير بجناحيه ونحوه وفائدته رفع الاشتراك ولو
الاستعارة وقرا جمهور الناس فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما
خفيت ومن ذلك يقال للسحاب الغمام لانه يخفي ما فيه كما يقال له
الغمام لانه يغمه ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله قبل

أي

وقال الاصمعي يقال بادي بدي وصار للعجل السامري وبدي

أي تدعي علما وانت مكشوف الاي لاحصانه لك ونصبه على الحال او على
الصفة لبشر ويحتمل ان تكون اعتراضا في الكلام للنبي عليه السلام ويحيى
جمع هذا سنة معان ويجوز التعلق في هذا الوجه بنعال ومعنى
وما نرى لكم علينا من فضل اي ما تم شيء يستحقون به الاتباع والطاعة ثم
قالوا بل نظنكم كاذبين فيحتمل انهم خاطبوا نوحا وحده بهذا الخطاب
فيكون من باب قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ويحتمل ان يخاطبوا
نوحا ومن آمن معه من قومه اي انتم كاذبون في تصديقكم لهذا
الكاذب وقولكم انه نبي مرسل **قوله تعالى** قال يا قوم أرأيتم
ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها
وانتم لها كارهون هذه الاية كانه قال أرأيتم ان هداني
الله واصلكم أأجبركم على الهدى وانتم كارهون له معرضون عنه
واستفهامه في هذه الاية اولا واخرا على جهة التقرير وعبارة نوح
عليه السلام كانت بليغة دالة على المعنى القائم بنفسه وهذا هو
المفهوم من هذه العبارة العربية وهذا استقام ان يقال كذا وكذا
اذا القول ما افاد المعنى القائم بالنفس وقوله على بينة اي على امرين
جلي وخفي بينه للمبالغة كعلامة ونسابة وإنما واحد هو
علامة للبينة والمشار اليه بهذا دلالة النبوة والشرع وقوله من عنده
تاكيد كما قال يطير بجناحيه ونحوه وفائدته رفع الاشتراك ولو
الاستعارة وقرا جمهور الناس فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما
خفيت ومن ذلك يقال للسحاب الغمام لانه يخفي ما فيه كما يقال له
الغمام لانه يغمه ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله قبل

أن يخلق الاشياء فعلا والمعنى الثانى ان يكون الارادة فعبّر بالتم عنها لكنه
قلب كما تقول العرب ادخلت القلنسوة فى راسى ومنه قول الشاعر
ترى التور فيه مدخل الظل راسه وسايره باد الى الشمس اجمع
قال ابو على وهذا مما يقلب اذ ليس فيه اشكال وفى القرآن فلا الحين
الله يحلف وعلى رسله وقرا حفص وحمزه والكسائى فعمت بضم العين
وشد الميم على بناء الفعل للمفعول وهذا انما يكون من الاحفاء ويحتمل
القلب المذكور وقرا الاعمش وعبره فعماها عليكم قال ابو على روى
الاعمش عن ابن وثاب وعميت بالواو وخفيفة وقوله ان الزمكموها
يريد الزام خبر كالقتال ونحوه واما الزام الاجاب فهو حاصل وقال
الحسن معناه انوحيها عليكم وقوله فى دلك خطاب وفى قرا ابى ابن كعب
ان الزمكموها من شطر انفسنا ومعناه من تلقاء انفسنا وروى عن
ابن عباس انه قرا ذلك من شطر قلوبنا وقوله ويا قوم لا اسالكم عليه
مالا الاية الضمير فى عليه عايد على التبليغ وقوله وما انا بطارد
الذين امنوا يقتضى انهم طلبوا منه طرد المضعفاء الذين بادروا الى
الايمان به فى الحين ما افترحت قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطرد تباعه بمكة الذين لم يكونوا من قريش وقوله انهم ملاقوا ربهم
تنبيه على المعاده الى الله ولقاء جزايه المعنى فيوصلهم الى حقهم ان
ظلمتهم بالطرد ثم وصفهم بالجهل فى مثل هذا الاقتراح ونحوه وقوله
ويا قوم من ينصرنى من الله الاية هو استفهام بمعنى التقرير والتوقيف اى
لا ناصر يدفع عنى عقاب الله ان ظلمتهم بالطرد عن الخير الذى قد
هم وفهم بقوله أفلا تذكرون وعارض عليهم النظر المودى الى صحه

التحاس

الاصحح

الاحتجاج **قوله تعالى** ولا اقول لكم عندى خزاين الله ولا اعلم الغيب
ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يوتيهم الله خيرا
الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين قوله ولا اقول عطف على قوله
لا اسالكم عليه مالا ومعنى هذه الايه انى لا امنوه عليكم ولا اتعاطى
غرما اهلنى الله له فلست اقول عندى خزاين الله يريد القدره التى
يوجد بها الشى بعد حال عدمه وقد يمكن ان يكون من الموجودات
كالريح والماء ونحوه مما هو كثير بابداع الله تعالى له فان سمى ذلك على
هذه التحوز محقرنا فتشبيه الا ترى ما روى فى امر ريح عاد انه فتح
عليهم من الريح قدر حلقة الخاتم ولو جاز على قدر منخر الثور لاهلك
الارض وروى ان الريح غلت على الملايكه الموكلين بتقديرها فلذلك
وصفها الله تعالى بالعتو وقال ابن عباس وغيره عبث على الخزان فهذا
ونحوه يقضى ان ثم خزاين ثم قال ولا اعلم الغيب الخطب عظيم
فقال ولا اقول انى ملك وظاهر هذه الايه فضل الملك على البشر
وعلى النبى منهم وهى مساله خلاف وظواهر القران على ما قلناه

قال القاضى وان احدنا قوله ولا اقول انى ملك على حد أن لو
قال ولا اقول انى كوكب ونحوه ذا النظر بعد التفصيل والكل الظاهر
هو ما قلناه وتزدرى اصله تزترى تفتعل من زرى يزرى ومعنى
تزدرى تحتقر والخير ها هنا يظهر فيه انه خير الاخره اللهم الا ان يكون
اردا أو لهم من جهة الفقر فيكون الخير المال **قال القاضى** وفى
هذا الكلام تحامل والذى يريده ان يقال انه حيث ما ذكر الخير فان
المال يدخل فيه وقوله الله أعلم بما فى انفسهم تسليم لله تعالى أن ليست

وفى بعض النسخ صح ما ذكرناه

أحكم عليهم شئ من هذا وانما احكم عليهم بذلك وبحرج حكمه الى حسن
الوجود الله تعالى الذى يعلم ما فى نفوسهم ويجازيهم بذلك وقال
بعض المتاولين فى رد على قولهم انعك اراد لنا على ما نظهر منهم قال
القاضى رضى الله عنه حسب ما تقدم فى بعض نا ويلات تلك الايه
لفظا والمعنى ليست احكم عليهم بان لا يكون لهم خير لظنكم بهم ان بواطنهم
ليست كظواهرهم الله عز وجل اعلم بما فى نفوسهم ثم قال انى لو فعلت
ذلك لكنت من الظالمين الذين يضعون الشئ فى غير موضعه وقوله تعالى
فالوا يا نوح الايه معناه قد طال مسك الجدال وهو المراجعة فى
فى الحجه والمخاصمه والمقابله بالاقوال حتى يقع العلبه وهو ماخوذ
من الجدل وهو شده الفتل ومنه حبل مجدول اى مفتول ومنه قيل
للصقر اجدل لشده بنيته وقيل اعضابه والجدال فعال مصدر
فاعل وهو نفع من اسين ومصدر فاعل نحو على فعال وفعال ومفاعله
فتركت التاء من فعال وارفضت ومن الجدال ما هو محمود وذلك
اذا كان الجدال مع كافر حرص على منعته ويطمع بالجدال ان يهتدى
ومن ذلك هذه الايه ومنه قوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن الى
غير ذلك من امثله ومن الجدال ما هو مكروه وهو ما نفع من المسلمين
بعضهم لبعض فى طلب علل الشرايع وقصور ما لحيز الشرع به من قدره
الله تعالى وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وكرهه العلماء والله
المستعان وقد ابن عباس قد جدلتنا فاكثرت جدلنا بعد الفهم
الحليم ذكره ابو حاتم والمراد بقولهم ما تعدنا ولما كان الكلام يقضى
العذاب جاز ان يستعمل فيه الوعد قوله تعالى قال انما ياتيكم
به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان

كان

العذاب والهلاك والمعنى لا ان يعذبكم

معجزين ربما يعجز

كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون المعنى ليس بيدى ولا الى
توفيقه وانما ذلك بيده وهو الذى به ان شاء واذا شاء ولستم من
المنعه بحال من يغلبنا ويحتصم بمحى وانما امتم بيد القدره وتحت دله
التملك وليس لكم بنافع ولا ارادتى الخير لكم مغنيه اذا كان الله تعالى
قد اراد بكم الاغواء والاضلال والاهلاك والشرط الثانى اعتراض
بين الكلام وفيه بلاغه فى اقتران الارادتين وان ارادة البشر غير مغنيه
وتعلق هذا الشرط هو بنصحى وتعلق الاخر هو بلا ينفع والنصح هو
سد خلل الراى للمنصوح وترفعه وهو ماخوذ من نصح الثوب اذا
خاطه والمنصحه الابره والخيط يقال له منصح ونصاح وقالت فرقه
معنى يغويكم يضلكم من قولهم غوى الرجل يغوى ومنه قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

واذا كان هذا معنى اللفظه ففى الايه حجه على المعتزله القايلين ان
الضلال انما هو من العبد وقالت فرقه معنا قوله يعوكم يهلككم
والغوى المرض والهلاك وفى لغه طى اصبح فلان غاويا اى مريضا
والغوى بسم الفصيل قاله يعقوب فى الاصلاح وقيل فقده اللبن
حتى يموت جوعا قاله الفراء وحكاه الطبرى يقال منه غوى يغوى
وحكا الزهراوى انه الذى قطع عنه اللبن حتى كاد يهلك ولما هلك
بعد فاذا كان هذا معنى اللفظه زال موضع النظر من اهل السنه
فى المعتزله ويبقى الاحتجاج عليهم بما هو بين من هذه الايه لقوله
تعالى لمن يريد الله ان يهديه الايه ونحوها قال القاضى رضى
الله عنه وملى رحمه الله اعبد ان المعتزله تعلقا وحجه بالغه هذا

التاويل فرد عليه وافرط حتى انكر ان يكون الغوى بمعنى الهلاك موجودا فى لسان
العرب وقوله ربكم تنبيه على المعرفة بالخالق وقوله واليه ترجعون اخبار
فى ضمنه وعيد وتخويف **وقوله** ام يقولون افتراه قال الطبرى وغيره
من المتاولين المولفين فى هذا التفسير ان هذه الايه اعترضت فى قصة نوح.
وهى فى شان محمد عليه السلام مع كفار قريش ودلك انهم قالوا افترى القران
وافترى هذه القصة عن نوح فترلت الايه فى دلك **قال القاضى**
وهذا لو صح بسند لوجب الوقوف عنده والا فهو محتمل ان يكون فى شان
نوح عليه السلام وسيق انساق الايه مطردا ويكون الضمير فى قوله افتراه
عائدا على العذاب الذى توعدهم به او على جميع اخباره واوقع الافتراء
على العذاب من حيث نفع على الاخبار به فالمعنى ام يقول لقاولا الكره
افترى نوح لهذا التوعد بالعذاب وارادا الارتقاب علينا بدلك ثم
تطرد باقى الايه على السداد ام هى التى بمعنى بل يقولون واجرام مصدر
اجرم الجريم اذا جنا يقال جرم واجرم بمعنى ومن دلك قول الشاعر

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدى وجنا لسانى

قوله تعالى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا
تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون قرا ابو البر تشتيم واوحى بفتح
الهمزة على اسناد الفعل الى الله تعالى انه بكسر الهمزة وقيل لنوح
هذا بعد ان طال عليه كفر القرن بعد القرن به وكان يائسا الرجل
بابنه فيقول يابنى لا تصدق هذا الشيخ لكذا عهده الى وجدى كذا ابا
بحنونا رواه عبيد ابن عمير وغيره وهذه الايه التى ايست نوح عليه
السلام من قومه وروى انه لما اوحى اليه ذلك دعا فقال رب لا تذر

على

على الارض من الكافرين ديارا او تسيس تفعل من الناس ومعناه لا تحزن نفسك
ومنه قول الشاعر فى مأتم كنعاح صارت بيتيس بالقينا
ضاره موضع قال القاضى وفى امر نوح عليه السلام بدافع فى ظاهر
الايات والاحاديث ينبغى ان يلخص القول فيه وذلك ان ظاهر امره
عليه السلام انه دعا على الكافرين عامة من جميع الامم ولم يخص قومه
دون غيرهم وظاهر الروايات وكتب التفاسير بان العرف بان الا
وعم الله بها قال ابن عباس وغيره ويوجب ذلك امر نوح بحمل اهل الا
زواج من الحيوان ولولا خوف فناء جميع اجناسها من جميع الارض
ما كان لذلك فلا سبيل لنا ان نقول انه لم يكن فى الارض غير قوم نوح
فى ذلك الوقت لانه يجب ان يكون نوح بعث الى جميع الناس وقد صح
ان هذه الفضيلة خاصة للنبى عليه السلام بقوله اوتيت خمسا لم يؤتهن
احد قبلى فلا بد ان يقدر كثيرا من الامم كان فى ذلك الوقت واذا كان
ذلك فكيف استحقوا العقوبة فى جميعهم ونوح لم يبعث الى كلهم ولكنا
نعلم قطعا ان الله تعالى قد بعث اليهم رسلا قبل نوح فكفروا بهم
واستمر كفرهم ولولا انا نجد الحديث سطورا بوقوع اول الرسل
الى اهل الارض ولا سبيل لنا ان نقول عدنان ولا ادون ولا اله ونحن نجد
فى القران وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والتاويل المخلص من
هذا كله ان يقال ان نوحا عليه السلام هو اول رسول بعث الى الكفار
من اهل الارض ليصلح الخلق ويبالغ فى التبليغ وتحمل المشقة من الناس بحسب
ما ثبت فى الحديث ثم نقول انه بعث الى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء
والتنبيه وبقى امم كثيرة من الارض لم يكلف القوم لهم فنصح الخاصة لمحمد

عليه السلام نقول ان الامم التي بعث لخاطبها اذا كانت بحال كفر وعناد
أو ان كانت الادلة على الله تعالى منصوبة معترضة للنظر وكانوا
ممكنين من النظر مرجى ادراكهم وكان الشرع بعث نوح موجودا استقرا
فقد وجب عليهم النظر وصاروا التوكد بحال من يجب تعديه فان بعدا
رسول مبعوث وان لم يبعث اليهم معينين الا ترى ان لفظة الاد انما
هو وما كان معد بن حتى بعث رسولا حتى يوحد لان بعثه الانبيا الى
قوم مخصوصين انما هو في القتال والشدة واما من جهة بدل النصيحة
وقول من قال ان الناس اجمع في ذلك سوا ونوح قد لبث الف سنة الا
خمسين عاما يدعوا الى الله فغير ممكن ان لم يسلم نبوته والقريب والبعيد
وحي تعذيب الكل بالغرق وبعد بعثه رسول وهو نوح عليه السلام
ولا تعارضنا مع هذه الاويلات شيء من الحديث ولا الآيات والله الموفق
للصواب **قوله** تعالى واصنع الفلك عطف على قوله تبتئس والفلك
السفينة وجمعها ايضا فلك وليس هو ايضا لفظا للواحد والجمع وانما هو
فعل فلك وجمع على فعل ومن حيث جاز ان يجمع فعل على فعل كاسد واسد
جاز ان يجمع فعل على فعل وظاهر لفظ الجمع فيها كظاهر لفظ الواحد
وليس به بل الدليل على ذلك وجود التثنية التي بينهما لانك تقول فلك
وفلكان وفلك والحركات في الجمع تظهر ضمة الصاد وادناذت يا
منصوفر حمت على لغة من يقول ياحار بالضم فان ضمة الصاد
هي في اللفظ كضمة الاصل وليست بها في الحكم وقوله باعيننا ممكن
فيما تاول ان يريد به مرأى منا ويحتمل ان يكون العبارة عن الادراك

قلب

هي في اللفظ كضمة الاصل وليست بها

والرعاية

والرعاية والحفظ وكون جميع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال تعالى
فنعم القادرون يرجع معنى الاعين في هذه الاية وغيرها الى معنى
عين في قوله تعالى ولتصنع على عيني وذلك كله عبارة عن الادراك
واحاطته بالمدركات وهو تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف
لا رب غيره ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على
مواضع حفظك ومعونتك وكون الجمع على هذا للتكثير وقرأ طلحة ان
مصرف باعيننا مدغمة وقوله ووحينا معناه وعلمنا لك صورة
العمل بالوحي وروي ذلك ان نوحا عليه السلام لما جهل صنع السفينة
اوحى الله ان يصنعها على مثال جوجو الطائر الى غير ذلك مما علمه
نوح عليه السلام من عملها فقد روي ايضا انها كانت مربعة الشكل
طوله في السما ضيقة الاعلا وان العرض منها انما كان الحفظ لاسرعة
الجري والحديث الذي يضمن انها كجوجو الطائر اصح ومعناه اظهر
لانها لو كانت مربعة لم تكن فلكا بل كانت وعا فقط وقد وصفها
الله بالجري في الموج وفي الحديث كان زاز سفينة نوح عليه السلام
جبريل والزاز القيم بعمل السفن ومن فسر قوله باعيننا ووحينا
اي بامرنا لك ورد ضعيف لان قوله واصنع الفلك يعين عن ذلك والذين
ظلموا هم قومه الذين اعرضوا عن الهداية حتى عمتهم النقمة قال ابن
جريج وهذه الاية تقدم الله فيها الى نوح ان لا يشفع فيهم **قوله**
تعالى ويصنع الفلك وكل ما مر عليه ملا من قومه سخروا منه
قالوا ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم التقدير فشرع يصنع فحكيت
حال الاستقبال اذ في حال الصنع وقع مرورهم وقال ابن عباس صنع

نوح الفلك سقاع دمشق واحد عوده من الساج وان يوحا عتر سه
حتى لبرى اربعين سنه وروى طول السفينه الف ذراع ومائتا ذراع
وعرضها ستمائه ذراع ذكره الحسن ابن ابى الحسن وقيل طولها ثلاث
مائه ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا
ذكره قتاده وروى نحو هذا مما لم يثبت فاختصرت ذكره وذكر الطبرى
حديث احيا عيسى ابن مريم لسام ابن نوح وسؤاله اياه عن امر السفينه
وذكر انها ثلاث طبقات طبقه للناس وطبقه للبهائم وطبقه للطير
الى غير ذلك من حديث طويل والملأ هنا الجماعات وسخروا منه
استجهلوه ونحو هذا الاستجهال ان كان الامر كما روى انهم لم يكونوا قبل
ذا وسفينه ولا كانت فوجه الاستجهال واضح ويدل على ظاهرة
التفاسير وان كانت السفائن جنيد معروفه فاستجهلوه فى اتخاذها
فى بريه لا قرب لها من البحر وروى انهم كانوا يقولون له صرت نجارا
بعد النبوه وقوله فانا نسخر منكم قال الطبرى يريد فى الاخره قال
القاضى رضى الله عنه ويحتمل الكلام بل نقول الاولى ان يريد انا نسخر منكم
الان اى نستجهلكم لجهلنا بما انتم عليه من الغرر مع الله والكون بمرأى
عذابه ثم حاق بهم فسوف تعلمون تهديدا والسخر الاستجهال مع
استهزاء مصدره سخرى بضم السين والمصدر من السخره والتسخير
سخرى بكسرها والعذاب المخزى نحو الغرق والمقيم نحو عذاب الآخرة
وحكى الزهراوى انه يقرأ وحل بضم الحاء ويقرأ وحل بكسرها
بمعنى وجب ومن فى موضع نصب تعلمون وجايز ان يكون تعلمون
بمثابه تعرفون فى التعدى الى مفعول واحد وجايز ان تكون التعديه
الى مفعولين واقتصر على الواحد وقوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآيه

الامر

الامر ها هنا يحتمل ان يكون واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدر أمر
بمعنى امرنا التماسا بالفور ان او للسحاب بالارسال وللملائكه بالتصرف
فى ذلك ونحو هذا فما يقدر فى النازله وفار معناه انبعث بقوه
واختلف الناس فى التنور فقالت فرقه وهى الاكثر منهم ابن عباس
ومجاهد وغيرهما هو تنور الخبز الذى يوقد فيه وقالت فرقه كانت هذه
اماره جعلها الله لنوح اى اذا فار التنور فاركب فى السفينه ويشبه
ان يكون وجه الاماره ان مستوقد النار اذا فار بالماء فغيره اشد
فورانا واجرى بذلك وروى انه كان تنورا لادم عليه السلام خلص
الى نوح وكان يوقد فيه وقال الفراء اسم المستوقد التنور بكل لغه
وذكر نحو هذا ابن قتيبه فى الادب عن ابن عباس قال القاضى وهذا
بعيد وقيل ان موضع تنور نوح كان بالهند وقيل فى موضع مسجد
الكوفه وقيل كان فى ناحيه الكوفه قاله الشعبى ومجاهد وقيل كان
فى الجهه الغربيه من قبله المسجد بالكوفه وقال ابن عباس وعكرمه
التنور وجه الارض يقال له تنور الارض وقال قتاده التنور اعالى
الارض وقالت فرقه التنور عين بناحيه الجزيره وقال الحسن ابن
ابى الحسن السور مجتمع ماء السفينه فار منه الماء وهو بعيد فى البيس
وقالت فرقه التنور الفجر المعنى اذا طلع الفجر فاركب السفينه وهذا
قول روى عن على ابن ابى طالب الا ان التصريف يضعفه وكان يلزم على
هذا ان يكون التنور وقالت فرقه الكلام مجاز وانما اراد غليه الماء وظهور
العذاب كما قال عليه السلام الحرب حمى الوطيس والوطيس ايضا
مستوقد النار فلا فرق بين حمى وفار اذ يستعملان فى النار قال تعالى
سمعوا لها شهيقا وهى تفور ولا فرق بين الوطيس والتنور وقرا حفص

عن عاصم من كل زوجين بتنوين كل وقرأ الباقون من كل زوجين
باضافة كل الى الزوجين فمن قرأ بالتنوين حذف المضاف اليه التقدير
من كل حيوان ونحوه واعمل الحمل في زوجين وحثا قوله اثنين تاكيدا
كما قال الهين اثنين ومن قرأ بالاضافة فاعمل الحمل في قوله اثنين وجا
قوله زوجين بمعنى العموم اى من كل ما له ازدواج بعد امعنى قوله
من كل زوجين قاله ابو علي وغيره ولو قدرنا المعنى احمل من كل زوجين
حاصلين اثنين لوجب ان يحمل من كل نوع اربعة والروح يقال في
مشهور كلام العرب للواحد مما له ازدواج يقال لهذا زوج هذا
وهما زوجان وهذا هو المهيع في القرآن في قوله ثمانية ازواج ثم فسرها
وكذلك هو في قوله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى قال ابو
الحسن الاخفش في كتاب الحد وقد يقال في كلام العرب للاثنين زوج
ومن ذلك قول ـــــــ لبيد

﴿ من كل محفوف نطل عصيدة زوج عليه كلله وقرامها ﴾

ولهذا كذا ياخذ العددون والزوج في كلام العرب النوع لقوله وابتنا
فيها من كل زوج بهيج وقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها الى غير ذلك
وروي في قصص هذه الاية ان نوحا عليه السلام كان يتعاهد انواع الحيوان
فضع يمينه على الذكر ويساره الانثى وروي ان اول ما ادخل في السفينة
الذر وآخر ما ادخل الحمار فتمسك الشيطان بذنبه فزجره نوح فلم
ينبعث فقال له ادخل ولو كان معك الشيطان قاله ابن عباس ليتم
بهذه الكلمة على لسانه فدخل الشيطان حينئذ وكان في كون السفينة
اى عند موخرها وقيل كان على ظهرها وروي ان نوحا عليه السلام اذاه

المبيع

متن الزبل

فتن الزبل والعذرة فاوحى الله اليه ان امسح على ذنب الفيل ففعل فخرج
من الفيل وقيل من انفه خنزير وخنزيره فكفيا نوحا واهله ذلك الاذى
وهذا يحمى منه ان نوع الخنازير لم يكن قبل ذلك وروي ان الفار اذى الناس
في السفينة نقرص حبالها ونحو ذلك فامر الله نوحا ان يمسح على جبهة
الاسد فخرج منه هر وهرة فكفاهم الفار وروي ايضا ان الفار خرج
من انف الخنزير قال القاضي رضي الله عنه وهذا كله قصص
لا يصح الا بواسطة والله اعلم كيف كان وقوله واهلك عطف على ما
عمل فيه احمل والاهل هنا القرابة ويشترط من امن منهم حصص شريفا
ثم ذكر من امن وليس من الاهل واختلف في الذي سبق عليه القول
فقيل ابنه يام وقال القفاس اسمه لنعان وقيل هو امراته فالله اعلم
اسمها بالعين غير منقوطة وقيل هو عموم فمن لم يومن من اهل نوح وعشيرته
والقول لها هنا معناه القول بانه يعذب وقوله ومن امن عطف على
قوله واهلك ثم قال اخبارا عن حالهم وما امن معه الا قليل واختلف
في ذلك القليل فقيل كانوا ثمانين رجلا وثمان امراة وقيل كانوا جميعهم
ثلاثة وثمانين وقيل كانوا ثمانين في الكل قاله السدي وقيل عشرة
وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله اعلم وقيل كانوا في السفينة
جزءهم وقيل لم ينج من الغرق احد الا عوج ابن عنق وكان في السفينة
مع نوح ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وعرق يام وروي عن النبي
عليه السلام انه قال سام ابو العرب ويافث ابو الروم وحام ابو الحبش

قوله تعالى

وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي
لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في
معزل عنه اركب معنا ولا تكن مع الكافرين المعتا وقال نوح حين امر

بالحمل في السفينة لمن امن معه اركبوا فيها فانت الضمير اذ هي سفينة لان
الفلك المذكور مذكر وفي مصحف ابي على اسم الله وقوله بسم الله يصح
ان يكون في موضع الحال من الضمير الذي في قوله اركبوا كما تقول خرج زيد
بثيابه وبسلاحه اي اركبوا متبركين بالله تعالى ويكون قوله مجراها ومرساها
ومرسيها ظرفين اي وقت اجرابها وارسائها كما تقول الحرب الحديد الله
اسراركم واعلانكم وخفوق النجم ومقدم الحاج فعند ظرفية زمان
والعامل في هذا الظرف ما في قوله بسم الله من معنى الفعل ويصح ان
يكون قوله بسم الله في موضع خبر وفي مجراها ومرساها ابتدا مصدر
ان كانه قال اركبوا فيها فان بركة الله اجراها وارساؤها وتكون
الجملة على هذا في موضع الحال من الضمير في قوله فيها ولا يصح ان يكون حالا
من الضمير في قوله اركبوا لانه عائد في الجملة يعود عليه وعلى هذا التاويل
قال الضحاك ان نوحا كان اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله فتجري
واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتقف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم في رواية ابي بكر وابن عامر مجراها ومرساها بضم الميم على معنى
اجرابها وارسائها وبعده قراه مجاهد وابو رجا والحسن والاعرج
وشيبة وجمهور الناس ومن ذلك قول لبيد
وعمرت حوشا قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود
وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مجراها ومرساها بفتح الميم فيهما
وذلك من الجري والرسو وهذه ظرفية ايضا كان ومن ذلك قول عنترة
فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع
واختار الطبري مجراها ومرساها بفتح الميم الاولى وضم الثانية
بقوله تعالى وهي تجري بهم ولم يقرا احد الجواري وفي قراءة ابن مسعود

انصا

وفي قراءة ابن مسعود مجراها ومرساها

ايضا رواها عنه ابو وايل ومسروق وقرا ابن وثاب وابو رجا العطاردي
والنخعي والحدري والكلبي والضحاك ابن مزاحم ومسلم ابن جندب واهل
الشام مجريها ومرسيها وهما على بعده القراءة صفتان لله عائدتان على ذكره
في قوله بسم الله وقوله ان ربي لغفور رحيم تنبيه لهم على قدر نعمة الله
عليهم ورحمته لهم وستره عليهم وعفرانه لهم ذنوبهم بتوبتهم وانابتهم
وقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال روي ان السما امطرت ماحولها
حتى لم يكن في الهوا حاجب الا مطر فيه وتفجرت الارض كلها ماء نبع فهذا
كان معنى الالتقا وروي ان الما علا على الجبال واعالي الارض اربعين ذراعا
وقيل خمسة عشر ذراعا واثار الرياح وعلى ان الما انطق بما السما
بما الارض فصار الكل كالبحر قال القاضي وبعد اضعف وان كان
الموج كالجبال على بعدا لم ليف استقامة حياه من في السفينة على بعد
وقرات فرقه ابنه على اضافة الابن الى نوح وهذا قول من يقول هو ابنه
لصلبه وقد قوم الله ابن قريب له ودعاه ابنوه حنانا منه وتلطفا
وقرا ابن عباس ابنه بسكون الها وهذا على لغة لابي بالشراه ومنه
قول الشاعر وتضواي مشتاق ان له ارقان وقرا السدي ابناه
قال ابو الفتح ذلك على النداء وذهبت فرقه الى ان ذلك على جهة التبديد
بحليه وقراعروه ابن الزبير وعلى ابن ابي طالب ابنها وبا ولو ذلك انه
دعى ان امراته الكافره اذ قد تقدم ذكرها في قوله واهلك وعلى هذه
القراءة مدخل تاويل من قال كانت خائنة فيه وسياتي ذكر هذا بعد
وقرا علي ابن ابي طالب وعروه ابن الزبير ايضا وابو جعفر وجعفر ابن
محمد ابناه على تقدير ابنها بحذف الالف تخفيفا ومن ذلك قول الشاعر
أما تحذر بها شاة فتاكلها ذئب ان يبيعه في بعض الاراكيب وانشد ابن

لعده

قال

الاعرابى على هذا فلست دلالوانى بمدرك ما فات منى بلهف ولا بليت
يريد بليتنى قال العاصى وحطأ الناس ابو حاتم فى حذف هذه الالف وليس
كما قال وقرأ وليع ابن الجراح وناذى نوح ابنه بضم النون قال ابو حاتم
يعنى لحنه سوء لا يعرف وقوله فى معزل اى فى ناحية فيمكن ان يريد فى
معزل فى الدين ويمكن ان يريد فى معزل فى بعده عن السفينة واللفظ
يحتملهما وقال مكى فى المشكل ومن قال معزل بكسر الزاء اراد الموضع
ومن قال معزل بفتحها اراد المصدر فلم يصح انها قراءة ولكن يعنى ذلك
لفظه وقرأ السبعة يابنى بكسر الياء المشددة وهى ثلاث ياءات اولها
ياء التصغير وحقها السكون والثانية لام الفعل وحقها ان تكسر بحسب
الاضافة اذا ما قبل ياء الاضافة مكسور والثالثة ياء الاضافة فحذفت
ياء الاضافة اما لسكونها وسكون الزاء واما اذا هى بمنابة التنوين فى الاعلام
وهو تحذف فى النداء فكذلك بالاضافة والحذف فيها كثير فى كلام العرب
تقول يا غلام ويا عبى وبنى بالكسرة دالة على ما ذهبت اليه السالمة فى الياء
المكسورة وقد روى ابو بكر وحفص عن عاصم يا بنى بفتح الياء المدة
وذكر ابو حاتم ان المفضل رواها عن عاصم ولذلك وجهان احدهما ان
يبدل من ياء الاضافة الفا وهى لغة مشهورة تقال يا غلاما ويا عبا
فانفتحت الياء التى قبل الالف لم حذفت الالف استخفافا ولسكونها وسكون
الواو من قوله اركب والوجه الثانى ان الياءات لما اجتمعن استثقلت
اجتماع المماثلة فخفف ذلك الاستثقال بالفتح اذ هو اخف الحركات
وهذا مذهب سيبويه وعلى هذا حمل قوله عليه السلام وحواريى
الزبير وروى عن ابن كثير انه قرأ فى سورة لقمان يابنى لا تشرك بحذف
ياء الاضافة وسكون الياء خفيفة وقرأ الثانية يابنى انها لعرق الجماعة

وقرأ

وقرأ الثانية يابنى اقم ساكنة كالاولى وقوله ولا تكن مع الكافرين يحتمل
ان يكون نبيا محضا مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون خفى عليه كفره فناداه
ان لا ستى وهو مؤمن مع الكفره فيهلك هلاكهم والاول ابين **قوله**
تعالى قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من
امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ظن ابن نوح
ان ذلك المطر والماء على العاده وقوله لا عاصم قيل فيه انه على النسب
فاعل وقوله الا من رحم يريد الا الله الراحم فمن كنى به عن اسم الله تعالى
المعنى لا عاصم اليوم الا الذى رحمنا فمن فى موضع رفع وقيل قوله الا
رحم استثناء منقطع كانه قال لا عاصم اليوم موجود للكن من رحم
الله موجود وحسن هذا من جهة المعنى ان نفى العاصم يقتضى نفى
المعصوم فهو حاصل بالمعنى واما من جهة اللفظ فمن فى موضع نصب
على حد قول النابغة الا الاواى ولا حوارى يكون فى موضع رفع
على حد قول الشاعر وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير
والا العيس ادا هذا انيس ذلك الموضع القفر والمعصوم هنا ليس
بعاصم بوجه وقيل عاصم معناه ذو اعتصام فعاصم على هذا فى معنى
معصوم ومحل الاستثناء مستثنيا ومن فى موضع رفع واليوم ظرف
وهو معلق بقوله من امر الله او بالخبر الذى يقدره كان اليوم ولا يصح
تعلقه بعاصم لانه كان يجب بناء لا عاصما اليوم يرجع الى اصل النصب
لان الرجع للاسم اشيا واحدا وانما العامل ان يكون للشيئين واحدا
وقد جاء فيه ومثال النحويين فى هذه المسالة لا امرأ يوم الجمعة لك وان
كان قد عملت اليوم لك قلت لا امر وبينهما بون بين نوح وبين ابنه فكان الامر

من غرق وقوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك الايه بنا الفعل للمفعول ابلغ
في التعظيم والجبروت وكذلك بنا الافعال بعد ذلك في ساير الايه وروى
ان اعرابيا سمع هذه الايه فقال هذا كلام القادرين والبلغ هو الجرع
الشئ وازدراده فشبه قبض الارض للماء وتشربه فيها بذلك وامرت
من الشبيه واضافة الماء اليها اذ هو علها وحاصل فيها والسماء في هذه
الايه اما السحاب المظله واما السحاب والاقلاع عن الشئ تركه والمعنى اقلعي
عن الامطار وغيض معناه نقص واكثر ما جاء فيما هو بمعنى جفوف كقوله
وغيض الماء وكقوله وما تغيض الارحام وما تزداد واكثر المفسرين على
ان ذلك في الحصر لذلك قال [illegible] الاسود ان يعفر ما غيض من نضرى
ومن احلادى ودلك ان الانسان المهزوم انما ينقصه جفوف وفظاظه
وقوله وقضي الامر اشاره الى جميع القصه ويعني الماء واهلاك الامم والحاق
اهل السفينه وروى ان نوحا عليه السلام ركب في السفينه من عشر وذه
بالشام اول يوم من رجب وفي العاشر منه وقيل في الخامس عشر وقيل
في السابع عشره استوت السفينه على الجودي في ذي الحجه واقامت
على الجودي شهرا وقيل له اهبط في يوم عاشورا فصامه وصامه من معه
من ناس ووحوش وذكر الطبري عن ابن اسحق ما يقتضي ان نوحا ركب
السفينه الى يوم عاشورا فصمه استوت على الجودي فصامه نوح ومن معه
معه وروى ان نوحا لما طال مقامه على الماء بعث الغراب ليأتيه بخبر
الغرق فوجد جيفة طافيه فبقي عليها ولم يرجع بخبر فدعا عليه نوح
فسود بدنه وخوف من الناس فهو لذلك مستوحش يبعث في
الحمام فجاء بورق زيتونه في فمها ولم يجد ترابا تضع رجلها عليه ثم

بقي

بقي اربعين يوما ثم بعثها فوجدت الماء قد انحسر عن موضع الكعبه
وهو اول بقعه انحسر الماء عنها فمشت الطين برجلها وجاءت فعلم
ان الماء قد اخذ في التصوب فدعا لها فطوقت وانست فهي لذلك تالف
الناس ثم اوحى الله الى الجبال ان السفينه ترسى على واحد منها فتطاولت
كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل في ناحيه الجزيره لم يتطاول تواضعا
لله فاستوت السفينه بامر الله عليه وبقي عليه اعوادها وفي الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد بقي منها شئ ادركه اوايل هذه الامه
وقال الزجاج الجودي هو ناحيه آمد وقال قوم هو عند باقردي
وروى ان السفينه لما استقلت من عين وردة جرت حتى جاءت
الكعبه فوحدها قد نشرت من الارض فلم يسلها غرق فطافت بها
اسبوعا ثم مضت الى اليمن ورجعت الى الجودي **قال القاضي** والقصص
في هذا المعاني كثيره صعب ان يستوفى فاشرت منه الى ما يدخله
الاختلاف كما ترى في امر الكعبه والله اعلم كيف كان واستوت معناه
تمكنت واستقرت وقرا جمهور الناس على الجودي بكسر الياء وشدها
وقرا الاعمش وابن ابي عبله على الجودي بسكون الياء وهما لغتان وقوله
وقيل بعدا احتمل ان يكون من قول الله تعالى عطفا على وقيل الاول يحتمل
ان يكون من قول نوح والمومنين والاول اظهر وابلغ **قوله تعالى**
ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين
قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم
اني اعظك ان تكون من الجاهلين هذه جمله معطوفه على اني قيلها ودون ترتيب
مضمون ذلك بعد القصه كان في اول ما ركب نوح في السفينه وبظهر من كلام

اللهم صل على المختار السند وكل اصحابه عدد ما على الوجود
صلى الله عليه وسلم ان نوحا ركب في السفينه اول يوم من رجب وصام
وصام السفينه اجمع وصدر يوم

الطبرى اذ لك لعدو فى الابن وهو محتمل والاول ابين وهذه الاية
احتجاج من نوح عليه السلام وذلك لان الله امره بحمل اهله وابنه من اهله
فينبغى ان يحمل فاطمر الله له ان المراد من امن من الاهل ممن حسن المخاطبه
بقوله وان وعدك الحق وبقوله وانت احكم الحاكمين وان هذه الاقوال
معينه فى حقه وهذه الاية تقضى ان نوحا عليه السلام ظن ابنه مومن
وذلك اسد الاحتمالين وقوله تعالى قال يا نوح اهبط المعنى قال الله يا نوح
وقال فرقه المراد انه ليس بولد لك وزعمت انه كان لغيبه وان امرانه
الكافره خانته فيه هذا قول الحسن وابن سيرين وعبيد ابن عمير قالوا
ترى انما انما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش من اجل ان
نوح وخلف الحسن انه ليس بابنه وحلف عكرمه والضحاك انه ابنه قال
العاصى رضى الله عنه عول الحسن على قوله تعالى انه ليس من اهلك وعول
عكرمه والضحاك على قوله تعالى ونادى نوح ابنه وقراءة الحسن ومن
تاول تاويلهما انه عمل غير صالح على هذا المعنى وهى قراءة السبعه سوى
الكسائى وقراه جمهور الناس وقال من خالف الحسن ابن ابى الحسن المعنى
ليس من اهلك الذين عنهم الوعد لانه ليس على دينك وان كان ابنك بالولاد
ومن قرا من بعده الفرقه انه عمل غير صالح جعله وصفا له بالمصدر على
جهه المبالغه فى وصفه بذلك كما قالت الخنسا بصخر نا قد دهى عا ولدها

ترتع ما غفلت حتى اذا ذكرت فانما هى اقبال وادبار

اى ذات اقبال وادبار وقرا بعض هذه الفرقه انه عمل غير صالح وهى
قراه الكسائى وروت ضد هذه القراه ام سلمه وعائشه عن النبى صلى
الله عليه وسلم ذكره ابو حاتم وضعف الطبرى هذه القراه وطعن الحديث
بانه من طريق شهر ابن حوشب وهى قراه على وابن عباس وعائشه وانس

ابن مالك وروحها ابو حاتم وقرا العصم انه عمل عملا غير صالح وقال فرقه
الضمير فى قوله عملا غير صالح على قراه جمهور السبعه عائد على سوال نوح
الذى يضمنه الكلام وقد فسره اخر الايه وقوى هذا التاويل ان فى
مصحف ابن مسعود انه عمل غير صالح ان تسالنى ما ليس به علم وقالت
فرقه الضمير عائد على ولد نوح الذى يضمنه سوال نوح المعنى
ان ولد الكافر مع المومن من عمل غير صالح وقال ابو على ويحتمل ان يكون
التقدير ان كونك مع الكافرين وتركك الركوب معنى عمل غير صالح قال
القاضى وهذا ما ويل لا يتجه من جهه المعنى ولا هذه الفرق قالوا ان
القول بان الولد كان لغيه وولد فراش خطا محض وقالوا قد روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما زنت امراه نبى قط قال القاضى
رضى عنه وهذا الحديث ليس بالمعروف وانما هو من كلام ابن عباس رضى
الله عنه ولعضده معناه لشرف النبوه وقال فى قوله عز وجل فى محاتها هاء
ان الواحده كانت تقول للناس هو مجنون والاخرى كانت تقول على الاضياف
واما خيانه غير هذا فلا وهذه مثارع ابن عباس وتحذه وهو قوله وقول
الجمهور من الناس وقرا ابن ابى مليكه فلا تسلنى بتخفيف النون واسقاط
الياء وبالهمز فلا تسالن وقرا ابو جعفر وشيبه بكسر النون وشدها
والهمز واثبات الياء فلا تسالنى وقرا نافع فلا تسالن دون ياء فلا تسالن وقراء
ابن كثير وابن عامر فلا تسئلن بفتح النون المشدده وهى قراه ابن عباس
وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزه والكسائى فلا تسئلن خفيفه النون ساكنه
اللام وكان ابو عمرو يثبت الياء فى الوصل وحذفها عاصم وحمزه فى الوصل
والوقف ومعنى قوله فلا تسلنى ما ليس لك به علم اى ادوعدك فاعلم بغيتا

اند لاخلاف في الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحل بار الواجب عليك ان يقف
ولعلم ان لك الحق واجب عند الله **قال القاضي** ولكن يوحا حمله
شفقه النبوه وسجيه البشر على التعرض لنفحات الرحمه والتدكير
وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء لطف وترفق في قوله اني اعظك
ان تكون من الجاهلين وقد قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن ولذلك
سأل بحسب الامر الذي عوتب فيه وعظمته فانه لضيق صدره بتكاليف
النبوه والاقتقر ان محمدا عليه السلام افضل البشر واولاهم بلين الخطبه
ولكن هذا بحسب الامرين لا بحسب النبس وقال قوم انما وقر نوح لسنه
وقال قوم انما حمل اللفظ على محمد صلى الله عليه وسلم حامل الانسان على
المختص به الحبيب الله **قال** القاضي هذا دليل ضعيف ويحتمل قوله فلا
تسألني ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني امرا لا تعلم المصلحه فيه علم يقين ويحتمل
الى بعد قول اي على الفارسي وقال انه يجوز ان يتعلق بلفظه علم كما قال الشاعر
كان جزاي بالعصا ان اخلدا ويجوز ان يكون به عمرا له فيه فتتعلق الباء
بالمستقر **قال** القاضي واختلاف هذين الوجهين انما هو لفظي والمعنى
في الآيه واحد وروى ان هذا الابن انما كان ربيبه وهذا ضعيف وحكى
الطبري عن ابن زيد ان معنى قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين في ان
تعتقد اني لا اوفي لك بوعد وعدتك به وهذا تاويل بشع وليس في الالفاظ
ما يقتضي ان نوحا اعتقد هذا وزياده انا لله وغايه ما واقع نوح عليه
السلام ان راى ترك ابنه معارضا للوحي فذكر به ودعا بحسب الشفقه
ليكشف له الوجه الذي استوجب به الترك في الغرق **قوله تعالى**
قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك

وامم

وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم هذه الايه فيها انابه نوح وتسلمه
لامر الله تعالى واستغفاره والسوال الذي وقع النهي عنه والاستعاذه
والاستغفار منه وهو سوال العزم الذي معه محاجه وطلبه ملحه فيما
قد حجب وجه الحكمه فيه واما السوال في الامور على جهه التعليم والاسترشاد
فليس بداخل في هذا وظاهر قوله فلا تسألني ما ليس لك به علم النهي من
من السوال فلذلك نبهت على ان المراد احد هذا دون الاخر والخاسرين هم
المغبونون حظوظهم من الخير وقوله قيل يا نوح اهبط سلام منا هذا عند
نزوله من السفينه مع اصحابه للانتشار في الارض والسلام هنا السلامه
والامن ونحوه البركات والخير واليمن في كل الجهات وهذا العده تعم
جميع المومنين الى يوم القيامه قاله محمد ابن كعب القرظي وقوله ممن معك
اي منزلا به من معك ومن نسلهم ممن على هذا الابتدا الغايه اي منزلا ولا
تكون هذه الامم ومن موصوله وصلتها معك وما بعده معها نحو قولك
ممن استقر معك ونحوه ثم قطع قوله وامم على وجه الابتداء اذ كان امرهم
مقطوعا من امر الاول ونفاولا يعم الكفار الى يوم القيامه **وقوله**
تلك من انباء الغيب الايه اشاره الى القصه اي بعده من الغيوب التي
قد تقادم عهدها ولم يبق عليها الا عند الله تعالى ولم تكن علمها وعلم اشباهها
عندك ولا عند قومك ونحن بوحيها اليك لتكون لك هذه ايه واسوه
فيما لقيه غيرك من الانبياء وتكون لقومك مثالا وتحذيرا الا يصيبهم
اذا كذبوا مثل ما اصاب هؤلاء وغيرهم من الامم المعذبه **قال**
القاضي رضي الله عنه وعلى هذا المعنى يظهر فصاحه قوله فاصبر ان
العاقبه للمتقين اي فاحتمل في التبليغ وجد في الرساله واصبر على الشدايد

واعلم ان العاقبه لما كانت لنوح فى هذه القصه وفى مصحف ابن مسعود
من قبل هذا القوان **قوله تعالى** والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم
اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والى عاد عطف
على قوله والى قومه فى قصه نوح وعاد قبيله كانت عربا فسيذكر
وهود عليه السلام منهم وجعله اخاهم بحسب النسب والقرابه فان
فرضناه ليس منهم فالاخوه بحسب المنشا والمساكن والجيره واما
قول من قال هى اخوه بحسب النسب الادمى فضعيف وقراجمهور
الناس يا قوم بكسر الميم وقرا ابن محيصن يا قوم بالرفع وهى لغه حكاها
سيبويه وقراجمهور الناس غيره بالرفع على البدل والنعت من
موضع قوله من اله وقرا الكسائى وحده بكسر الراى حملا على لفظ
الله ودلك ايضا على النعت والبدل ويجوز غيره نصبا على الاستثناء
ومفترون معناه كاذبون والمفترى الكذب فى جعلكم الالوهيه لغير الله
تعالى والضمير فى قوله عائد على الدعاء الى الله تعالى والمعنى ما اجرى
وجزائى الا من عند الله ثم وصفه بقوله الذى فطرنى فجعلها صفه
زادة عليهم فى عباداتهم الاصنام واعتقادهم انها تفعل فجعل الوصف
بذلك فى درج كلامه منبها على افعال الله تعالى وانه هو الذى يستحق
العباده وفطر معناه اخترع وانشا وقوله افلا تعقلون توقيف على
محال القول بان غير الفاطر الله ويحتمل ان يريد افلا تعقلون اذ لم اطلب
عرضا من اعراض الدنيا انى انما اريد النفع لكم والدار الاخره والاول
اظهر والاستغفار طلب المغفره وقد يكون ذلك بالتنسيان وقد يكون
بانابه القلب وطلب الاسترشاد والحرص على وجود المجد الواضح

على

وهذه

ولعله احوال يمكن ان يقع من الكافر فلهذا قال لهم اطلبوا غفران الله
بالانابه وطلب الدليل فى نبوتى ثم توبوا بالايمان من كفركم فمحى الذنب
على هذا مستقيما والاحتياج فى ترتيب التوبه بعد الاستغفار الى
تحيل كثير فاما ان يكون توبوا امرا بالدوام والاستغفار طلب المغفره
بالايمان والى هذا ذهب الطبرى وابو المعالى فى الارشاد التوبه فى
اصطلاح المتكلمين هى الندم بعد ان انهاى اللغه الرجوع ثم ركب على هذا
ان قال ان الكافر اذا امن ولم يات بالتوبه وانما توسط بالندم بعد والذى
اقول ان التوبه عقد فى ترك المتوب منه وسلبها علم بفساد المتوب
منه وصلاح ما يرجع اليه ويقترن بها الندم على فارط المتوب منه
لا ينفك منه ولعو من شروطها فاقول ان ايمان الكافر توسط من كفره
لانه هو بنفس رجوعه وتاب فى كلام العرب معناه رجع الى الطاعه
والمثلى من الامور وتصرف اللفظ فى القران الى هذين انهاى الرجوع
لا الندم وانما الندم لاحق لازم للتوبه كالفسا وحقيقه التوبه ترك
مثل ما تاب منه عن عزمه معتقده على ما فسرناه والله المستعان
ومدرارا اهو بنا مكثر وكان حقه ان يلحقه تا لكن حذف على نيه
السبب وعلى ان السما المطر نفسه وهو من در يدر ومفعال قد يكون
من اسم الفاعل الذى هو من ثلاثى ومن اسم الفاعل الذى هو من رباعى
وقوله من قال انه الزم الرباعى غير لازم ويروى ان عادا كان الله تعالى
قد حبس عنها المطر ثلاث سنين وكانوا اهل حرث ونساتين وثمار
وكانت بلادهم شرقى جزيره العرب فلهذا وعدهم بالمطر ومن ذلك
فرحهم حين راوا العارض وقولهم هذا عارض ممطرنا وحصهم على استنزال

المطر الايمان والانابة وتلك عادة الله في عباده ومنه قول نوح عليه
السلام استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ومنه
فعل عمر رضي الله عنه حين جعل جميع قوله في الاستسقاء ودعائه استغفارا
فسقي فسئل عن ذلك فقال لقد استنزلت المطر بمجاديح السماء وقوله ويزدكم
قوة الى قوتكم ظاهره العموم في جميع ما يحسن الله تعالى فيه الى العباد
وقالت فرقة ان الله تعالى قد حبس نبيهم بمعنى قوله ويزدكم قوة
الى قوتكم اي الولد ويحتمل ان خص القوة بالذكر اذ كانوا اقوى العالم
فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولي عن الحق والاعراض
عن امر الله وحرمن حال من اصر على التولي فقولوا قوله تعالى قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان
نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني
بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت
على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط
مستقيم المعنى ما حيتنا ما به نضطرنا الى الايمان بك ونفوا ان يكون
معجزا تأيد بحسب ظنهم وعماهم عن الحق كما حملت فرس الغرار سحرا
وشعرا ونحو هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا
وقد اوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر الحديث فهذا يقضي ان
هودا وغيره من الرسل لهم معجزات وان لم يعين لنا بعضها وقولهم عن
قولك اي لا نكون قولك سبب تركنا اذ هو بمجرد عن آية وقولهم ان
نقول الا يعتريك معناه ما نقول الا بعض الالهة بإساءتها وصلك عندها
اصابتك بجنون فقال عريض واعتراه يعتريه اذا ألم به ومنه الحمى تعتاد جاءهم

هود عليه السلام بالتبري من أوثانهم وحصهم على كيدهم واصنامهم ويذكر
ان لعده كانت لهم معجزة ودلك انه حاجاءهم عليه مع انفراده وقومهم
وكثرتهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظرون معناه توخرون اى عاجلوني
بما قدرتم عليه وقوله تعالى اني توكلت على الله الذي هو ربي وربكم مع
صعفي وانفرادي وقوتكم وكثرتكم يمنعني منكم ويحرسني وينكم وصف
قدره الله تعالى وعظم ملكه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وغير
عزيز لك بالناصية اذ هي في العرف حيث تقبض القادر المالك ممن يقدر
عليه كما يقاد الاسير والفرس ونحوه حتى صار الاخذ بالناصية عرفا
في القدرة على الحيوان وكانت العرب تجز ناصية الأسير المنون عليه
لتكون ذلك علامة انه قد قدر عليه وقبض على ناصيته والمراد جميع
الحيوان وخص بالذكر اد هو وصف المخاطبين والمتكلم وقوله ان ربي
على صراط مستقيم يريد ان افعال الله عز وجل هي في غاية الاحكام وقوله
الصدق ووعده الحق ومجاز الاستقامة في كل ما ينضاف اليه عز وجل
وعبر عن ذلك بقوله ان ربي على صراط مستقيم على تقدير مضاف **قوله**
تعالى فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما
غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ قرا الجمهور تولوا بفتح
التاء واللام على معنى تتولوا وقرا عيسى الاعرج والمفضل تولوا بضم التاء
واللام وان شرط والجواب في الفاء وما بعد تقامن قوله فقد ابلغتكم
والمعنى انه ما على كل منكم ان تتولى فقد برئت ساحتي بالسلم وانتم
اصحاب الذنب في الاعراض عن الايمان ويحتمل ان يكون تولوا فعلا ماضيا
ويحي في الكلام رجوع عن غيبة الى خطاب اي فقل قد ابلغتكم وقرا الجمهور

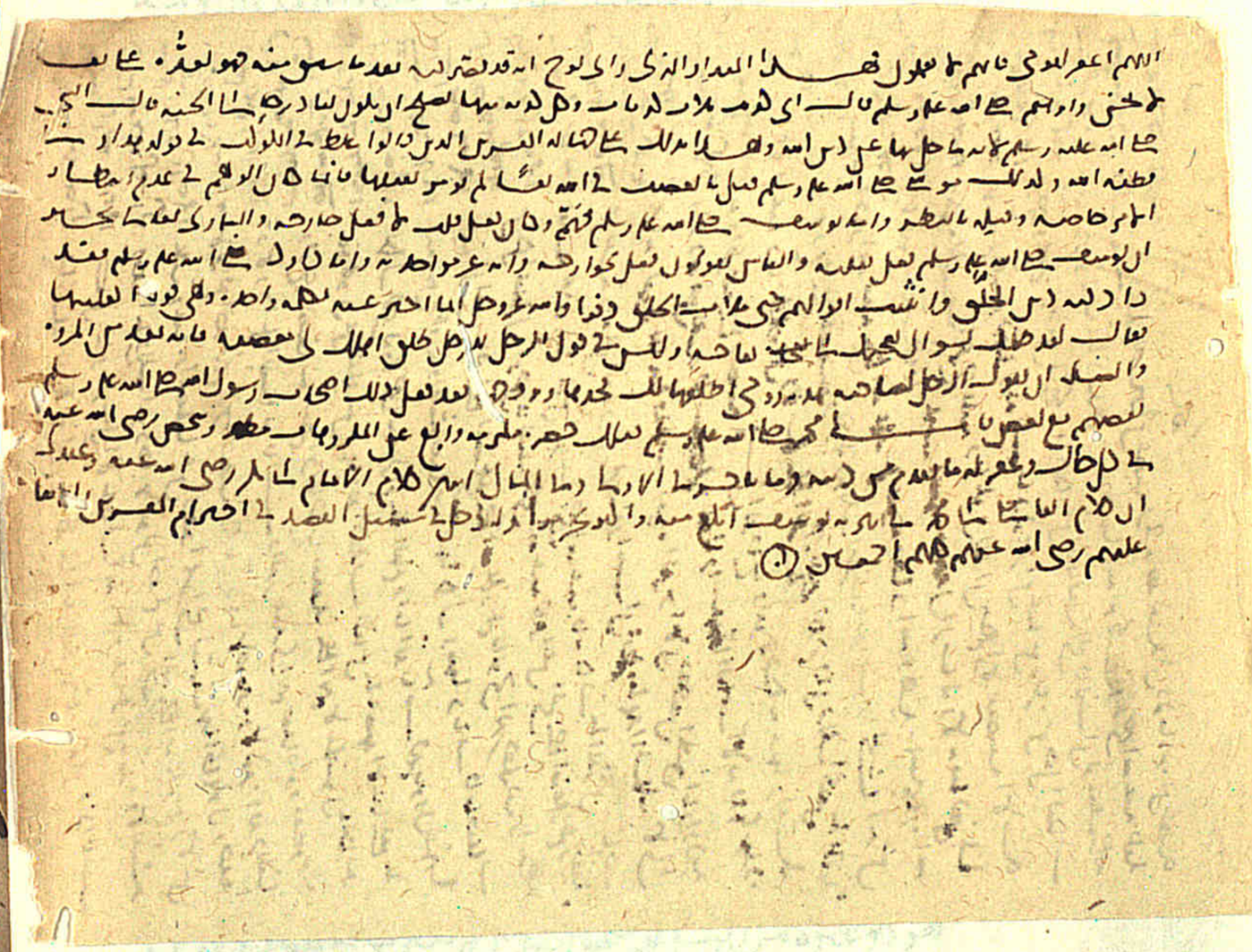
اللهم اعز لنبي ناصرهم ما تقول فهذا الذي راى نوح انه قد تقرر له بعد ما سمع منه فهو لغته عما يعلم
لا يخفى وارادهم صلى الله عليه وسلم ان كيدهم لا يضر الا نفسهم ولكن قد يتوهم ان يقول لما ذكر صلى الله عليه وسلم
ما حل بها على ذي الله وهذا مما لك صلى الله عليه وسلم ان يقول لما اعطاه الله تعالى له قوله بعد ان
وطنه الله ولذلك موسى صلى الله عليه وسلم قبل ما لعصف الله تعالى له ان يقول ما قال الواقع في عدم اعطاء
المراد خاصة وقيل بالنظر وانه يوسف صلى الله عليه وسلم فتح وكان يقول لك ما فعل جارحه والباري لعالم بحاله
ان يوسف صلى الله عليه وسلم قبل للملك والناس يقولون فعل بجوارحه وانه عز جواهره وانما كان ذلك صلى الله عليه وسلم قصد
دلالة ذي الخلق وانشب ابوالهيثم حتى علامات الخلق وذكر واسه عز وجل انما اخبر عنه بكلمة واحدة وهي قوله فعلها
تعالى لقد طلبت لبيد المجد حتى ملامات الخلق وذكر واسه عز وجل انما اخبر عنه بكلمة واحدة وهي قوله فعلها
والمعنى ان يقول الرجل لصاحبه قد رددت اطلبها لك فجدها وقد فعل ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبعضهم بعض ما صلى الله عليه وسلم لملك حصر ملوك وابلغ على الملوك ما قد رضي الله عنه وعبد
في كل حال وعرفه ما لله في نفسه وما يجوز الاوما لها وما المال اسير كلام الامام لما رضي الله عنه وعبد
ان كلام الله تعالى له الذي به يوصف ابلغ منه والوجود اولى دخل في مسئلة القصد الى اخراج العرس الى ما
عليهم رضي الله عنهم كلهم اجمعين ①

ويستخلف بضم الفاء على معنى الخبر بذلك وقرا عاصم فيما روى بصيره عن حفص
عنه ويستخلف بالجزم عطفا على موضع الفاء من فولد فقد وقوله ولا
يضرونه شيئا يحتمل من المعنى وجهين احدهما ولا يضرونه بشيء ولعلا كلم
شيئا اى لا ينتقص ملكه ولا يختل امره وعلى هذا المعنى قرا عبد الله ان
مسعود ولا ينقصونه شيئا والمعنى الاخر ولا يضرونه اى لا يقدرون
اذا اهلكم على اصراره بنى ولا على الانتصار منه ولا يعاملون بحلمه
بكم سيئ احبرهم ان ربه حفيظ على كل شيء عالم به وفي ترديد هذه الصفات
ونحوها تنبيه وتذكير والامر واحد الامور وقوله برحمة اما ان يكون
اخبارا مجردا عن رحمة من الله لحقتهم واما ان يكون قصدا الى الاعلام
ان النجاة انما كانت بمحض رحمة الله لا باعمالهم وقولوا الامة على في معنى قول
رسول صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة وقوله ونجيناهم
من عذاب غليظ يحتمل ان يريد عذاب الاخرة ويحتمل ان يريد وكانت النجاة
المتقدمة من عذاب غليظ يريد الريح فيكون المفصل على هذا التعديل النعمة
ومشهور العرب بالريح لعلوانها كانت تحملهم فتهدم مساكنهم وتنسفها
وتحل الطعينة كما هي ونحو هذا وحكى الزجاج انها كانت تدخل في افواههم
وتخرج من ادبارهم وتقطعهم عضوا عضوا وتعدى جحدوا بالحرف حرف
لما نزل منزلة كفروا او انعكس ذلك في الاية بعد هذا وقوله وعصوا
رسله شنعة عليهم وذلك ان في تكذيب رسول واحد تكذيب سائر الرسل
وعصيانهم اذ النبوات كلها مجمعة على الايمان بالله والاقرار بوحدانيته
ويحتمل ان يراد هود وادم ونوح والعنيد وعيل من عند اذا عتا ومنه
قول الشاعر اني كبير لا اطيق العندا اي الصعاب من الابل وكان الخبر

والعناد من حلق عاد لقومهم وقوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة الاية حلم
عليهم بهذا الحكم لكفرهم واضرارهم حتى حل العذاب بهم واللعنة الابعاد
والحزي وقد يكون ان يمادوا ولا يوافوا على الكفر فيلعن الحافر الموافي على الكفر
ولا يلعن معين حي لان كافر ولا من فاسق ولا من بهيمة دل ذلك مكروه
بالاحاديث ويوم ظرف معناه ان اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيامة
ثم ذكر العلة الموجبة للعنهم وهي كفرهم بربهم وبعدي كفروا بعد حرف
الجزاء وهي بمعنى جحدوا كما تقول شكرتك وشكرتك ولغر بعدا ولغر
نعمته وبعدا منصوبان بفعل مقدر وهو مقام ذلك الفعل قوله
تعالى والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره
هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان
ربي قريب مجيب التقدير وارسلنا الى ثمود وقد تقدم القول في هذا وفي
معنى الاخوة في قصة هود وقرا الجمهور والى ثمود بغير صرف وقرا
ابن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف حيث وقع وقد مر على ارادة
القبيلة والعاشرة على ارادة الحي وبعده الالتفات الدال عليه الجموع ما
يكثر فيه ارادة الحي كقريش وتقيف وما لا يعامل فيه معاملة فلان وفيها ما
تكثر فيه ارادة القبيلة كتميم وثعلب الاترى انهم يقولون ثعلب ابنه
وائل وقال الطرماح اذا نهلت منه تميم وعلت وقال الاخر تميم
ابن مر واشياعها ولنده حولي جميعا صبر وفيها ما يكثر فيه الوجهان
كثمود وسبا فالقرانان فيها فصيحتان مستعملتان وقرات فرقة عن
يونس الرفع او قرا الكسائي غير مكسوا لرأى وقد يتقدم انفا واسألم
من الارض اي اختر عكم وأوجدكم ودلك باختراع ادم عليه السلام

فكان انشأكم من الارض وجعلكم عمارها يقول استكنت
واستعمل وذهب قوم الى انها من العمر اى عمركم وقد تقدم مثل قوله
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب اى اجابته وعفرانه فرب
ممن امر وانا ب ومجيب معناه شرط المشيه والظاهر الذى حكاه الجمهور
من المفسرين مرجوا معناه مسئودا نؤمل فيك ان تكون سيدا سادا
مسد الاكابر ثم قرروه على جهة التوبيخ فى زعمهم فقالوا انتهانا وحكا
القاش عن بعضهم انه قال معناه حقيرا قال القاضى رضى الله
عنه فاما ان يكون لفظ مرجوا معنى حقير فليس ذلك فى كلام العرب
وانما تجد ذلك على جهة التفسير للمعنى ودلك ان القصد بقولهم مرجوا
يكون لقد كنت فينا سهلا امرك قريبا ردا امرك ممن لا نظن ان يستحل
من امره مثل هذا فمعنى مرجوا اى نرجوا اطراحه وغلبته ونحو هذا
فكون ذلك على جهة الاحتقار فلذلك فسر بحقير وبين هذا المعنى
قول ابى سفيان لقد امر امر ابن ابى كبشة الحديث ثم حكى قولهم انتهانا
على جهة التوعد والاستبشاع ولهذه المقالة منهم ومما بعدها ونا
يريد الاصنام والاوثان ثم اوجبوا انهم فى شك من امره واقاويله
وازد ذلك الشك يرتابون فيه زايدا الى مرتبة من الشك قال القاضى
ولا فرق بين هذه الحال وبين حالة التصميم على الكفر ومريب معناه ملبس
مهم ومنه قول الشاعر، ياقوم مالى رابنى وريب كنت اذا
اتيته من عيب يشم عطفى ومس ثوبى كانى ارثه بريب قوله تعالى
قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة فمن ينصرنى من
الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير قوله ارايتم كقوله من رويه القلب

اى

اى ايد برتم والشرط الذى بعده وجوابه يسد مسد مفعولى ارايتم
والبينة البرهان والبقين والهمانية للمبالغة ويحتمل ان يكون
هاء تانيث والرحمة فى هذه الاية النبوة وما اضاف اليها وفى الكلام
محذوف تقديره انصرنى ان تركتم اوعكننى طاعتكم ونحو هذا مما يليق بمعنى
الاية وقوله ما تزيدونني غير تخسير معناه فما تعطونى فيما افضيته
منكم من الايمان واطلبكم به من الاتابة غير تخسير لانفسكم وهو من
الخسارة وليس التخسير فى هذه الاية الا لهم وفى حيزهم واضاف الزيادة
الله من حيث هو مقصى لاقوالهم موكل باعمالهم كما تقول للرسول يوصيه
انا نريد سرا لكن من حيث كنت يريد خبرا به وتقتضى ذلك حسن
ان يضيف الزيادة الى نفسك وقوله تعالى ويا قوم هذه ناقة الله
لكم الاية اقتضت فى هذه الاية ذكر اول امر الناقة ودلك انه روى
ان قومه طلبوا منه اية تضطرهم الى الايمان فاخرج الله لهم جلت
قدرته الناقة من الجبل وروى انهم اقترحوا تعيين خروج هذه الناقة
من تلك الصخرة فروى ان الجبل تمخض كالحامل وانصدع الحجر وخرجت
منه ناقة بفصيلها وروى انها خرجت عشرا ووضعت بعد خروجها
فوقفهم صالح وقال هذه ناقة الله لكم اية ونصب اية على الحال وقرات
فرقة تاكل بالجزم على جواب الامر وقرات فرقة تاكل على طريق القطع
والاستيناف او على ابدال من الضمير فى ذروها وقوله ولا تمسوها
بسوء عام فى النحر وغيره وقوله فياخذكم عذاب قريب هذا امر
من الله اليهم ان قوما اذا عقروا الناقة حاق بهم عذاب قريب المدة من
وقت المعصية وهى الايام الثلاثة فيها صالح عليه السلام من رعاة الفصيل

التى ء

هذه الوصية التى وصاه بها صالح عليه السلام

على جبل الغارة واضاف العقر الى جميعهم لان العاقر كان منهم وكان عن
رضى منهم وتمالى وعلا عقرها قدار او روى في خبر ذلك ان صالحا اوحى
الله اليه ان قومك سيعقرون الناقه وينزل بهم العذاب بعد
ذلك فاخبرهم بذلك فقالوا عياذا بالله ان يفعل ذلك فقال ان لم
تفعلوا انتم ذلك اوشك ان يولد منكم من يفعله وقال لهم صفة عاقرها
احمر اشقر ازرق فجعلوا الشرط مع القوابل وامرهم بتفقد الاطفال
فمن كان على هذه الصفة قتل وكان بالمدينة شيخان شريفان عزيزان
وكان لهذا ابن ولهذا ابنة فتصاهرا فولد بين الزوجين قدار على الصفة
المذكوره فهم الشرط بقتله فمنع منه جداه حتى كبر فكان الذي عقرها
بالسيف في عراقيبها وقيل بالسهم في ضرعها وهرب فصيلها عند ذلك
فصعد على جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهذا امتعدوا ثلاثة
ايام للعذاب وامرهم قبل رغا الفصيل ان يطلبوه عسى ان يصلوا اليه
فيندفع عنهم العذاب به فراموا الصعود اليه في الجبل فارتفع الجبل
في السماء حتى ما تناله الطير وحينئذ رغا الفصيل وقوله في داركم
لفوجع دارة كما تقول ساحة وساح وسوح ومسد قول امية ابن ابي الصلت

لله داع بمكة مشمعل ... وآخر عند دارته ينادي

يمكن سمي جمع مسكن الى دارا والثلاثة الايام تعجيز قاس الناس عليه الاعذار
الى المحكوم عليه ونحوه وذلك عندي مفترق لانها في المحكوم عليه والعادم في
الفقه ونحوه توسعة وفي نصا توقيف على الجزي والعذاب وروى
قتاده عن ابن عباس انه قال لو صعدتم على القاره لرايتم عظام الفصيل
قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز الامر جايز ان يريد به

المصدر

المصدر من امر وجايز ان يريد به واحد الامور وقوله برحمة منا يحتمل ان
يقصد ان ينجيه انما كانت مجرد الرحمة ويحتمل ان يكون وصف حال فقط
اخبر انه رحمهم في حال النجاه وقوله منا الظاهر انه متعلق برحمة ويحتمل
ان يتعلق بقوله نجينا وقرات فرقه ومن خزي يومئذ بتنوين خزي وفتح
الميم من يومئذ وذلك انه بحور فيه ان تكون فتحة الميم اعرابا وبحوز
ان تكون بنا الظرف لما اضيف الى غير متمكن واستفاد منه البنا وذلك
ان الظروف اذا اضيف الى غير متمكن فانت مخير في الوجهين والروايتان في
قول الشاعر على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ومن خزي يومئذ باضافه خزي
وكسر الميم من يومئذ وهذا توسع في الاضافه المصدر الى الظرف كما
قال مكر الليل والنهار وبحوهذا وقاس بعده القراء ان يقال سير علمه
يومئذ برفع الميم وهذه قراتهم في قوله تعالى ومن عذاب يومئذ ولهم
من رفع يومئذ وقرا عاصم وحمزه كذلك الا في قوله والم من فزع يومئذ
فانهما نونا العين وفتحا الميم واحلف عن نافع في كسر الميم وفتحها وهو
يضيف في الوجهين وقرا الكسائي ومن خزي يومئذ بترك التنوين وفتح
الميم من يومئذ وهذا جمع بين الاضافه وبنا الظرف وقرا وهم من
فزع كعاصم وحمزه واما اد فحقها ادسا كنده الا من حيث ان تلاها الحمل
فلما حذفت لها بقيا نصا الحمله عوضت بالتنوين والاشارة بقوله
يومئذ الى يوم البعث وقوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحه الايه العذاب
وروى ان صالحا عليه السلام قال لهم حين رغا الفصيل ستصفر وجوهكم
في اليوم الاول وتحمر في الثاني وتسود في الثالث فلما كان ذلك يكفنوا في

في الانطاع واستعدوا للهلاك واخذتهم صيحة فيها من كل صوت مهول
صدعت قلوبهم واصابت كل من كان منهم في شرق الارض وغربها الا رجلا
كان في الحرم فمنعه الحرم منه ذلك ثم هلك بعد ذلك ففي مصنف ابي داود
قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال ابو رغال **قال** العاصي وفي هذا
نظر وخلافه في السير وذكر الفعل المنذر الى الصيحة اذ هي بمعنى الصياح
وتانيثها غير حقيقي وقيل جاز ذلك وهي مؤنثة لما فصل بين الفعل وبينها
كما قال حضر القاضي اليوم امراة والاول اصوب والصيحة انما تحق
مستعملة في امر العذاب لان فعله تدل على مرة واحدة شاذة والصياح
يدل على مصدر متطاول وشذ في كلامهم قولهم لفيته لقاه واحدة والقياس
لقية وجاء من اي تاركين قد صعق بهم وهو مشبه بجثوم الطير وبذلك
شبه جثوم الاناسي وجثوم الرماد ويقنوا مضارع من غنى في المكان
اذا اقام فيه وفي حفص عنش وهي لغات وقرا حمزة وحده الا ان ثمود
وكذلك في الفرقان والعنكبوت والنجم وصرفها الكسائي كلها وقوله
الا بعدا لثمود غير مصروف وقرا الباقون الا ان ثمود افصرفا الا
بعدا لثمود غير مصروف والفرقان فصحان وكذلك صرفوا في الفرقان
والعنكبوت والنجم **قوله تعالى** ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل
اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
الرسل الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وقال فرقة بل اسرافيل
عزرائيل ملك الموت وروي ان جبريل منهم كان مختصا باهلاك قرى لوط وميكائيل

بالنشر

بالتشديد ابراهيم باسحاق واسرافيل بالجانبين ومن بعده **قال** العاصي رحمه
الله ولعله الاية تقتضي اشتراكهم في البشارة باسحاق وقال فرقة وهي
الاكثر البشرى هي باسحق وقال فرقة البشرى هي باهلاك قوم لوط وقوله
سلاما نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر من لفظه كانه قال
اسلم سلاما ويصح ان يكون سلاما حكاية لمعنى ما قالوه لا للفظهم قاله
مجاهد والسدي فلذلك عمل فيه القول ما يقول الرجل قال لا اله الا الله
فلت حقا واخلاصا ولو حكيت لفظهم لم يصح ان يعمل فيه القول وقوله
قال سلام حكاية لفظه وسلام مرتفع اما على الابتدا، والخبر محذوف
تقديره عليكم واما على خبر ابتدا محذوف تقديره امري سلام وهذا
كقوله فصبر جميل اما على تقدير فامري صبر جميل واما على تقدير فصبر
جميل امثل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم قالوا سلاما
قال سلام وقرا حمزة والكسائي قالوا سلما قال سلم وذلك لا اختلافهم
في سورة الذاريات ودلك على وجهين يحتمل ان يريد السلام بعينه كما
قالوا حل وحلال وحرم وحرام ومن ذلك قول الشاعر

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

اكتل الخدا اكليلا ونحو هذا قال الطبري وروي ما انكل ويحتمل السلم
ضد الحرب يقول حرب لسلم لكم وكان سلام الملائكة دعاء مرجوا فلذلك
نصب وحتى الجليل باحسن مما حيتي وهو الثواب المقرر فلذلك حامر رفعا
وقوله فما لبث ان جاء يصح ان تكون ما نافية وفي لبث ضمير ابراهيم وان جاء
في موضع نصب اي بان جاء ويصح ان تكون ما نافية وان جاء تاويل المصدر
في موضع رفع بلبث اي فما لبث مجيء ضمير ابراهيم ويصح ان تكون ما بمعنى

الذى وفى لبث ضمير ابراهيم وان جاخبر ما اى فلبث ابراهيم مجيئه بعجل
حنيذ وفى ادب الضيف ان يجل قراه من هذه الايه والحنيذ بمعنى
المحنوذ ومعناه يعجل بضخ مشوى بقطر ماوه وهذا القطر بفصل الخنيذ
من جمله المشويات ولكن هذه المحنوذ فى اللغه الذى يعطى بالحجاره او رمل
محمى او حايل بينه وبين النار يعطى به والمعرض من الشوى الذى يعرض
على الجمر والمضبب الذى بينه وبين النار حايل يكون الشوا عليه اجل
لئلا يتصبب عرقه وقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه الايه روى
انهم كانوا ثلثون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل ايديهم اليه وفى
هذه الايه من ادب الطعام ان لصاحب الضيف ان ينظر من صنفه هل
ياكل ام لا قال القاضى رضى الله عنه وذلك يسعى ان يكون بتلطف
ومسارقه لا بتحديد النظر وروى ان اعرابيا اكل مع سلمان ابن عبد
الملك فراى سلمان فى لقمه الاعرابى شعره فقال ارى الشعره من لقمتك
فقال له انظر الى بطن من يرى الشعره فى لقمتى والله لا اكلت معك
ونكرهم على ذكر كثير من المفسرين معناه انكرهم واستشهد لذلك بالبيت
الذى تحله ابو عمرو ابن العلا الاعشى وانكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا وقال بعض الناس نكر بمعنى
مستعمل فيما يرى بالبصر ونكر وانكر بمعنى مستعمله فيما لا يقر من
المعانى فكان الاعشى قال وانكرتنى مودتى او دينى ونحوه ثم جا بنكر
فى الشيب والصلع الذى يرى بالبصر ومن هذا قول ايوب
فتنكرنه فتعرفن وامترست به غوجا هادية وهاد حرشع
والذى خاف منه ابراهيم عليه السلام ما يدل عليه امتناعهم من الاكل فعرف

الشوى

من جا

من حا اشتراه لا ياكل طعام المنزول به واوجس معناه احس فى نفسه
خيفه منهم والوجس ما يعترى النفس عند الحذر واوايل الفزع وامنوه
بقولهم لا تخف وعلم انهم الملايكه حرحت الايه الى ذكر المراه وبشارتها
فقالت فرقه قايمه حلف ستر تسمع محاوره ابراهيم مع اضيافه وقالت
فرقه قايمه فى صلاه وقال الذى قايمه معناه يخدم القوم وقرا ابن
مسعود وهى قايمه وهو جالس وقوله فضحكت قال مجاهد معناه حاضت
واستدل على ذلك وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الخوف يوم اللقا
وهذا القول ضعيف قليل التمكن وقد انكر بعض اللغويين ان يكون فى
كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقرره بعضهم ان يقال ضحك الحوض
اذا امتلا وفاض ورد الزجاج قول مجاهد وقال الجمهور هو الضحك
المعروف واختلفوا لم ضحكت فقالت فرقه ضحكت من تامينهم لابراهيم
بقولهم لا تخف وقال قتاده ضحكت هزوا من قوم لوط ان يكونوا على
غفله وقد تغفل فيهم امر الله ما تغفل وقال وهب ابن منبه ضحكت من
البشاره باسحق وقال هذا مقدم بمعنى التاخير وقال ابن قتيبه
ضحكت لظنها فيهم انهم يسلمون عمل قوم لوط قال العامرى رضى الله عنه
وهذا قول خطا لا ينبغى ان يلتفت اليه وقد حكاه الطبرى وانما ذكرته
لمعنى التنبيه على فساده وقالت فرقه ضحكت من فزع ابراهيم من ثلاثه
وهى تعهده يغلب الاربعين من الرجال وقيل المايه وقال الذى ضحكت
من ان تكون تخدم وابراهيم يخبز ويسقى والاضياف لا ياكلون وقيل ضحكت
سرورا بحسن ظنها لانها كانت تقول لابراهيم انه لابد ان ينزل العذاب
بقوم لوط وروى ان الملايكه مسحت العجل فقام حيا فضحكت لذلك

اللغويون من

من

تصدق

وقرأ محمد ابن زياد فضحكت بفتح الحاء وامرأة ابراهيم هذه هي ساره بنت
هارون ابن ياخور وهو ابراهيم ابن آزر ابن ناخور فهي ابنة عمه وقيل اخت
لوط **قال القاضي** وما اضر ذلك الا اخوة القرابة لان ابراهيم
هو عم لوط فما روى وذكر الطبري ان ابراهيم لما قدم العجل فالوا انا لا
ناكل طعاما الا بثمن فال لهم ثمنه ان تذكروا الله عز وجل عليه في اوله وتحمدوه
في اخره فقال جبريل لصاحبه بحق الحمد الله هذا خليلا وقوله فبشرناها
اضاف فعل الملائكة الى ضمير اسم الله تعالى اذ كان ذلك بامره ووحيه
وبشرى الملائكة ساره باسحق وبان اسحق سيلد يعقوب ويسمى ولد
الولد الولد من الوراء وهو قريب من معنى ورائي الطرف اذ هو ما يكون
خلف الشيء وبعده ورأى ابن عباس رجلا معه شاة فقال له من هذا
فقال له ولد ولدي فقال هو ولدك من الوراء فغضب الرجل فذكر
له ابن عباس الآية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائي ويعقوب
بالرفع على الابتداء والخبر المقدم وهو على هذا داخل في البشرى وقالت
فرقة رفعه على القطع بمعنى من وراء اسحق حدث يعقوب وعلى هذا
لا يدخل في البشارة وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالنصب واختلف
عن عاصم فمنهم من جعله معطوفا على اسحق الا انه لم ينصرف واستسهل
هذا القائل ان فرق بين العطف والمعطوف بالمجرور وسيبويه لا يجيز
هذا الا على اعادة حرف الجر وهو كما تقول مررت بزيد اليوم وامس عمرا
فالوجه عندي وامس بعمرو اذا البعد ففيه قبح والوجه في نصبه
ان ينتصب بفعل مضمر يدل عليه البشارة وتقديره ومن وراء اسحق
وهبنا وهذا رجحه ابو علي **قال القاضي** وروي ان ساره كانت
في وقت هذه البشارة بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة

وهذه الآية تدل على ان الذبيح هو اسماعيل وانه اسن من اسحق وذلك ان
ساره كانت في احد ام الملك الجابر هاجر ام اسماعيل امراه شابة جميلة
حسب ما في الحديث فاتخذها ابراهيم عليه السلام ولدا فغارت منها ساره
فخرج بها وبابنها اسماعيل من الشام على البراق وجاء من يومه مكة فتركها
حسب ما في السير وانصرف الى الشام من يومه ثم كانت البشارة باسحق
وساره عجوز متجالة وانما وجه دلالة الآية على ان اسحق ليس بالذبيح
فهو ان ساره لما بشرت ابراهيم باسحق وانه يولد له يعقوب ثم امر بالذبح
حين بلغ ابنه معه السعي فكيف يؤمر بذبح ولد قد بشر قبل انه سيولد
لابنه ذلك وايضا فلم يقطع قط في اثر ان اسحق دخل الحجاز واجماع ان امر
الذبح كان بمنا ويؤيد هذا الغرض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا ابن الذبيحين يريد اباه عبد الله وجده اسماعيل ونؤيد ما نزع به مالك
رحمه الله من الاصحاح بترتيب سورة الصافات فانه بعد ان امر
الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين **قال القاضي** رضي الله عنه
وهذا وكله معارضات لقابل القول الاخر ان الذبيح هو اسحق لكن هذا الذي
ذكرناه هو الراجح **قوله تعالى** قالت ياويلتى الد وانا عجوز وهذا
بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت انه حميد مجيد **اختلف** الناس في الالف التي في قوله
ياويلتى واظهر ما فيها انها بدل من ياء الاضافة اصلها ياويلتي كما تقول
يا غلاما ويا غوثا وقد ترد هذه الالف ياء في الكلام ولم نقرأ بها
واما بعد الالف عاصم والاعمش وابو عمرو ومعنى ياويلتى في هذا
الموضع العبارة عما دهم النفس من العجب ولا ده عجوز واصل هذا الدعاء

بالويل ونحوه في النجع لشدة ومكروه يدهم النفس ثم استعمل بعد في
عجب يذهم النفس وقال قوم اغا قالت يا ويلتى لما مر بفكرها من الم
الولاده وشدتها ثم رجعت بفكرها الى التعجب ونطقت بقولها الد
وانا عجوز الايه وقرات فرقه آالد بحقيق الهمزتين وقرا فرقه بتخفيف
الاولى وتحقيق الثانيه وفي النطق بهذه عسر وقرات فرقه بتحقيق
الاولى وتخفيف الثانيه والتخفيف لها قياسا بدليل وقد حكى بعض الناس
ان العرب تقول عجوز والبعل الزوج وشيخا نصب على الحال وهي حال
من مشار اليه لا تستغني عنها لانها مقصود الاخبار وهي لا تصح الا اذا
لم يقصد المتكلم التعريف في الخبر دون الحال مثل ان يكون المخاطب معرفة
واما اذا قصد التعريف به لزم ان يكون التعريف في الخبر قبل الحال
وهي الحال على بابها مستغنى عنها ومثال قولك هذا زيد قائما اذا اردت
المتكلم ان زيدا ثبت له القيام ما دام قائما والكلام لا يحوز وقرا الاعمش هذا
بعلي شيخ قال ابو حاتم في مصحف ابن مسعود ورفعه على وجوه منها
انه خبر بعد خبر كما تقول هذا حلو حامض ومنها ان يكون خبر ابتداء
مضمر تقديره هو شيخ وروى ان بعض الناس قراه وهو على هذا شيخ
وهذه القراءه شبيهه بهذا التاويل ومنها انه بدل من بعلي ومنها ان
يكون وليا بعلي بدلا من هذا او عطف بيان عليه ويكون شيخ خبر هذا
ويقال شيخ وشيخه وبعض العرب يقول في المونث والمذكر شيخ وروى
ان ساره كانت وقت هذه المقاله من تسع وتسعين سنه وقيل من تسعين
قاله ابن اسحق وقيل من ثمانين ولذلك قيل في سن ابراهيم انه كان مايه
وعشرين سنه وقيل مايه سنه وغير ذلك مما صاح الى سند والصحيح

في

هذا من كلام من نصب على المدح

وقراءة من رفع

في قوله قالوا اتعجبين من امر الله يحتمل ان يريد واحد الامور اي
من الولاده في هذا السن ويحتمل ان يريد مصدر امر يامر اي مما امر الله
به في هذه النازله وقوله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يحتمل اللفظ
ان يكون دعاء وان يكون اخبارا وكونه اخبارا اشرف لان ذلك يقتضي حصول
الرحمه والبركه لهم وكونه دعاء انما يقتضي انه امر يترجى ولا يحصل بعد
ونصب اهل البيت على الاختصاص هذا مذهب سيبويه وذلك جعل هذا
والنصب على المدح بان يكون المنتصب لفظا تضمن نفسه مدحا كما تقول
هذا زيد عاقل قومه وجعل الاختصاص ان لم تتضمن اللفظه ذلك كقوله
انا معشر الانبيا وانا نفعل **قال القاضي** رضي الله عنه ولا
يلزم الاختصاص الا مدح او ذم لكن ليس في نص اللفظه المنصوبه
وهذه الايه تعطي ان زوجه الرجل من اهل بيته لانها خوطبت بهذا
تعوى القول لان زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ما هن من اهل بيته
الذين اذهب الله عنهم الرجس بخلاف ما ذهب اليه الشيعه وقد
قاله ايضا بعض اهل العلم قالوا اهل بيته الذين حرموا الصدقه
والاول اقوى وهو ظاهر جلي من سوره الاحزاب لانه ما دام الكلام
يانسا النبي لم يقوله اهل البيت **قال القاضي** ووقع في الحاكم
عن ابن عباس قال اهل بيته الذين حرموا الصدقه بعده فاراد
ابن عباس اهل بيت النسب الذين قال رسول الله صلى الله عليه فهم
ان الصدقه لا تحل لاهل بيتي انما هي اوساخ الناس والبيت في هذه
الايه وفي سوره الاحزاب بيت السكنى ففي اللفظه اشاره الى ان
ان تحسس اليه فاطمه رضي الله عنها من اهل بيت محمد صلى الله عليه

وسلم بالوحى وعلى رضى الله عنه بالواحد وزوجاته بالاخر واما
الشيعة فيدفعون الزوجات بخصامهن عايشة رضى الله عنها وحميد
فى افعاله اى ينبغى ان يحمد يحيد اى منصف باوصاف العلو ومجد الشئ
اذا حسنت اوصافه **قوله تعالى** فلما ذهب عن ابراهيم الروع
وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لاواه منيب يا ابراهيم
اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود الروع
والفزع الجفنة التى تقدم ذكرها وكاردها باخبارهم اياه انهم
ملايكة والبشرى هنا يحتمل ان يريد الولد ويحتمل ان يريد البشرى بان
المراد غيره والاول ابين وقوله يجادلنا فعل مستقبل جايز ان يسئل
عن المانع الذى يصلح للجواب لما لا سيما والاشكال يرتفع بمضى زمن
الامر ومعرفة السامعين بذلك ويحتمل ان يكون ظرفا واخذ ونحوه
يجادلنا لحذف واختصارا لدلالة الكلام عليه ويحتمل ان يكون قوله
يجادلنا حالا من ابراهيم او من الضمير الذى فى قوله جاءته ويكون جواب
لما فى الاية الثانية فلنا يا ابراهيم اعرض عن هذا واختار هذا ابو على
والمجادلة المقاتلة فى القول والحجج وكانها اعم من المخاصمة فقد يجادل
من لا يخاصم كابراهيم فى هذه الاية ووصف ابراهيم عليه السلام بالحلم
قبل انه لم يغضب قط لنفسه الا ان يغضب لله والحلم العقل
اذا انضاف اليه اناة واحتمال والاواه معناه الخايف الذى
يكثر التاوه من خوف الله تعالى وروى ان ابراهيم عليه السلام كان
سمع وجيب قلبه من الخشية كاتسمع اجنحة النسور وللمفسرين
فى الاواه عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته وتلزمه والمنيب الرجاع
الى الله تعالى فى كل امر وصوره جدال ابراهيم عليه السلام حاث

ان قال ابراهيم ان كان فيهم مايه مؤمن اتهلكونهم قالوا لا قال افتسعون
قالوا لا قال افثمانون فلم يزل كذلك حتى بلغ خمسة ووقف عند ذلك
وقد علم فى بيت لوط وامرانه فوجدهم خمسة بها فطمع فى نجاتهم ولم يشعر
انهما من الكفرة وكان ذلك من ابراهيم حرصا على ايمان تلك الامة ونجاتها
وقد كثر اختلاف رواة المفسرين لهذه الاعداد فى قول ابراهيم عليه
السلام والمعنى كله نحو مما ذكرته وكذلك ذكروا ان قوم لوط كانوا اربع
مايه الف فى خمس قرى وقالت فرقة المراد بجادلنا فى مومنى قوم
لوط وهذا ضعيف وامره بالاعراض عن المجادلة يعصى انها كانت
فى الكفرة حرصا عليهم والمعنى قلنا يا ابراهيم اعرض عن المجادلة فى
هذا ولا القوم والمراجعة فيهم فقد نفذ فيهم القضاء وقد جاء امر ربك
والامر هنا واحد الامور يقرنه وصفه بالمجى فان جعلناه مصدرا من امر
قدرنا حذف مضاف اى فرجا مقتضى امر ربك ونحو هذا وقوله انهم
عذاب ابتدا وخبر جملة فى موضع خبر ان وقيل انهم خبر ان فهو
اسم فاعل معتمد وعذاب فاعل باتيهم وهذه الاية مقتضية ان
الدعا انما هو ان الله بوفق الداعى الى طلب المقدور واما الدعا فى
طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع **قوله تعالى** ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه
يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء
بناتى هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى الس منكم رجل
رشيد الرسل هنا الملايكة الذين كانوا اضياف ابراهيم وذلك انهم
لما خرجوا الى بلد لوط وبينه وبين قرية ابراهيم غانيه اميال وصلوه

فقال وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تسقي ماء من بئر
سدوم وهي اكبر حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على من يضيفهم
ورأت هيئتهم فخاف عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم ودهبت الى
ابيها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا له نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم
اوما سمعتم بعملها ولا القوم فقالوا وما علمهم قال اشهد بالله
لهم شر قوم في الارض وقد كان الله عز وجل قال للملائكة لا تعذبوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما قال لوط هذه المقالة قال
جبريل لاصحابه لعله واحده وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة
اربع مرار ثم دخل لوط بهم المدينة وحينئذ سيئ بهم اى اصابهم سوء
وهو فعل بني للمفعول والذرع مصدر ماخوذ من الذراع ولما
كان الذراع موضع قوة الانسان قيل في الامر الذي لا طاقة له به ضاق
به الامر ذراعا فلان وذرع فلان اى حيلته بذراعه وتوسعوا
في هذا حتى قالوه فقالوا فلان رحب الذراع اذا وصفوه باتساع
القدرة ومنه قول الشاعر

يا سيدا ما انت من سيد موطأ الاكناف رحب الذراع

وقوله هذا يوم عصيب اشار به الى ما كان يخوفه من تعدي قومه
على اضيافه واحتياجه الى المدافعة مع ضعفه عنها وعصيب
اسم فاعل معناه تعصب الناس بالشر كما تعصب الخابط السلمة
اذا اراد حبطها ونقص ورقها ومنه قول الحجاج في خطبته
ولاعصبنكم عصب السلمة فهو من العصابة كثر وصفهم باليوم
بتعصيب ومنه قول الشاعر وكنت

وكنت اذا خصمك لم اعرد وقد سكوه في يوم عصيب

ومنه قول الاخر فانك لا عرض بكر ابن وابل يدل لك يوم بالعراق
فعصيب بالجملة في موضع شديد وصعب الوطاة واشتقاقه كما
ذكرنا وقوله تعالى وجاءه قومه الاية روى ان امراة لوط الكافرة لما رات
الاضياف ورات جمالهم وهيئتهم خرجت حتى اتت مجالس قومها فقالت
ان لوطا قد اضاف الليلة فتية ما رأى مثلهم جمالا ولدا ولدا حتى يصبرن
للحرب والجز هي مشية الاسير الذي يسرع به والطامع المبادي الامر
يخاف فوته ونحو هذا يقال لسرع الرجل والفرس عدو طمع اوعدو اوخوف
ونحوه والقراءة المشهورة يهرعون بضم الياء اى يسرعهم الطمع وقرات
فرقة بفتح الياء من هرع ومن هذه اللفظة قول منخل

فجاؤا يهرعون وهم اسارى تقودهم على رغم الانوف

وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات اى كانت عادتهم اتيان الفواحش
في الرجال فجاءوا الى الاضياف لذلك فقام اليهم لوط مدافعا وقال هؤلاء
بناتي قالت فرقة اشار الى بنات نفسه وندبهم في هذه المقالة الى النكاح
ودلك على ان كانت سنتهم جواز نكاح الكافر المومنة او على ان في ضمن
كلامه ان يؤمنوا وقالت فرقة انما كان الكلام مدافعة لم يرد امضاءه
وهذا القول عندي بعيد وهو ضعيف وهذا كما يقال لمن ينهى عن
مال الغير الخنزير احل لك من هذا وهذا لا يقطع لسن من كلام الانبياء
صلوات الله عليهم وقالت فرقة اشار بقوله بناتي الى النساء جملة اذ
نبي القوم اب لهم ويقوي هذا ان قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمومنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم واشار ايضا لوط في هذا

وصل الى الساح وقرأ ابن قطن الجمهور بنصب اطهر برفع الراء على خبر الا
الابتداء وقرأ الحسن وعيسى بن عمر ومحمد بن مروان وسعد بن جبير
اطهر بالنصب قال سيبويه هو لحن قال ابو عمرو بن العلا اخشى فيه
ان مروان في لحده ووجهه عند من قرأ به النصب على الحال بان يكون
ثاني اثنين او هن خبره والجملة خبر لقالوا **قال القاضي** رحمه الله
وهذا اعراب مروي عن المبرد وذكره ابو الفتح وهو خطأ في معنى
الآية لانه فهم اللفظ فقط والمعنى انما هو في قوله اطهر وذلك قصد
المخبر به في حال لا يستغني عنها بما تقدم في قوله وهذا بعلي شيخا
والوجه ان يقال لقالوا لا بنائي ابتداء وخبر وهن فصل واطهر حال
وان كان شرط الفصل ان يكون بين معرفتين لفصل الكلام من النعت
الى الخبر فمن كان الخبر هنا في اطهر شاع القول بالفصل ولما لم يستمع
ذلك ابو عمرو ولا سيبويه لحنا ابن مروان وما كان ليدفعا عليها
ما ذكرا بوا الفتح والضم مصدر توصف به الواحد والجماعة
والمذكر والمؤنث بهم ويحهم بقوله اليس منكم رجل رشيد اي يزعكم
ويردعكم وقوله لقد علمت ما لنا في بناتك من حق الآية روي ان قوم
لوط كانوا قد خطبوا بنات لوط فردهم وكانت سنتهم ان من رد في
خطبته امراته لم تحل له ابدا فلذلك قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق الآية **قال القاضي** ويعد ان لا يكون لهذه الخاصية
توجد الكلام انا ليس لنا الى بناتك تعلق ولا لهم قصدنا ولا لنا عادة
نطلبها في ذلك وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما
رأى لوط استمرارهم في غيهم وغلبتهم وضعفه عنهم قال على وجه

التعجب

التعجب والاستكانة لو ان لي بكم قوة اي في موضع رفع بفعل مضمر
تقديره لو ثبت لي قوة او وقع ونحو هذا وقيل المطرد في ان التابعة للو
وجواب لو محذوف وحذف مثل هذا الملح لانه يدع السامع ينتهي
الى البعد لجلالته والمعنى لفعلت بكم ما اكره او كذا وقرأ الجمهور او اوي بسكون
الياء وقرأ شيبة وابو جعفر أو آوي بالنصب التقدير ان أوي فيكون
أن مع أوي بتأويل المصدر كما قال ميسون بنت محدول للسن عباءة
وتقر عيني ويكون ترتيب الكلام لو ان لي بكم قوة أو أيوا أو آوي
معناه الحاء وانضوى ومراد لوط عليه السلام بالركن العشيرة
والمنعة بالكنوة وبلغ به قبح فعلهم الى هذا مع علمه بما عند الله تعالى
فروي ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمة وقالوا ان
ركنك لشديد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا
لقد كان يأوي الى ركن قال فما بعث منه لما استكان **قال القاضي**
وهذا تقدير لان لفظ هذه الالفاظ والاحوال التي صلى الله
عليه وسلم وقت طروح سيلا الجزور ومع اهل الطايف وفي غير
ما موطن بعض مقاله لوط ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم اطمئن
شيء من ذلك عزائمه منه وتحوة وانما حنين لوط ان يمنعهم الله
اولئك العصاة حتى يعصوه في الاضياف كما امهلهم فيما قبل ذلك
من معاصيهم فمتى ركبوا من البشر بعاجلهم به وهو يعلم ان الله
تعالى من وراء عقابهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبعث
الله تعالى بعد لوط نبيا الا في ثروة من قومه اي في منعة وعز
قوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك

يقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فقرعوا الباب وقالوا اضمر المدبر ويروى ان لوطا لما غلبوه وهو بالكسر الباب وهو مسكه قالت له الرسل تنح عن الباب فتنحى وانفتح الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجاء النجاء فعند لوط قوم سحره وتوعدوا لوطا ففزع حينئذ من وعيدهم فحينئذ قالوا انا رسل ربك فامن ذكر هذا القياس وفي تفسير غيره ما يقتضي ان قولهم انا رسل ربك حال قبل طمس العيون ثم امروه بالسرى واعلموه ان العذاب نازل بالقوم فقال لهم لوط فعدبوهم الساعة قالوا ان موعدهم الصبح اي بهذا امر الله ثم انسوه في قلقه بقولهم اليس الصبح بقريب وقرا نافع وابن عامر فاسر من سرا يسرى اذا سار في اناء الليل وقرا الباقون فاسر اذا سار اول الليل والقطع القطعة من الليل ويحتمل ان لوطا اسرى بأهله من اول الليل حتى جاوز البلد المقلوع ووقعت فجاءته بسحر فتجتمع هذه الآية مع قوله الا ان لوطا لحينهم بسحر وبيت انا بخ جمع بين الفعلين في قوله اسرت عليه مع الجوزا سارية ترجى الشمال عليه حامد البرد فذهب قوم الى ان سرى واسرى بمعنى واحد واحتجوا بهذا البيت واقول اني لست احتمل ايهما لمعنيين اظهر عندي لانه قصد وصف هذه الدية وانها اسدات من اول الليل وقت طلوع الجوزا في السما وقرا ابن كثير وابو عمرو ان العلا الا امرأتك بالرفع على البدل من احد وهما بمعنى واحد اذا استثنى من منفي كقولك

من اسرى

احد الا زيد وهذا هو الاستثناء من المتلفتين وقرا الباقون الا امرأتك بالنصب وزات ذلك فرقة من النحاة الوجه في الاستثناء من منفي اذا الكلام المنفي في هذا مستقل بنفسه كالموجب فاذا هو مثله في الاستقلال فحكمه حكمه في نصب المستثنى وتاولت فرقة ممن قرا الا امرأتك بالنصب ان الاستثناء وقع من الاهل كانه قال فاسر بأهلك الا امرأتك وعلى هذا التاويل لا يكون الا بالنصب وقال ابو عبيد القاسم ابن سلام لو كان الكلام ولا يلتفت برفع الفعل لصح الرفع في قوله الا امرأتك ولكنه نهي فاذا استثنيت المراة من احد وجب ان تكون المراة ايجابا لها الالتفات فيفسد معنى الآية **قال القاضي** وبعد الاعتراض حسن يلزم الاستثناء من احد رفعت البتة او نصبت والانفصال عنه بترتب كلام على عن المبرد وهو ان النهي اذا قصد به لوط وحده ولا التفات منهي عنهم فالمعنى ان لا يدع احدا من تقاولا يلتفت وهذا كما تقول لرجل لا تقم من تقاولا احدا الا زيدا وليك لم يسعوك فالمعنى لا تدع احدا منهم يقوم والقيام بالمعنى منهي عن المشار اليهم

قال القاضي وحمله بعدا ان لفظ الا بعد هو لفظ قولنا لا يقم احد الا زيد ونحن نحتاج ان يكون معناها معنى قلنا لا يقم احد الا زيد ودلك اللفظ لا يرجع الى هذا المعنى الا بتقدير ما حكيناه عن المبرد فتدبره ويظهر من مذهب ابي عبيد ان الاستثناء انما هو من الاهل وفي مصحف ابن مسعود فاسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وسقط قوله ولا يلتفت منكم احد ويظهر في التفات انها

ما صاحبهم
بامرهم التفات البصر وقاله وفوه هي من لفت الشي يلفته اذا ذهب به
ولواه فمحاه ولا يتبط وهذا اسناد مع صحته وفي جاب الزهراوي
ان المعنى ولا يلتفت احد الى ما خلفه بل الخرج مسرعا مع لوط عليه
اللام وروى ان امراة لوط لما سمعت الهده ردت بصرها فقالت
واقوماه فاصابها حجر فقتلها وقرات فرقه الصخ بضم التاء
قوله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها
حجارة من طين مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد روى
ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقلعها
ورفعها حتى سمع اهل السما صراخ الدبله ونباح الكلاب ثم
ارسلها معكوسة واتبعهم الحجارة من السما وروى ان جبريل عليه
اللام احدهم بخوافي جناحيه وروى ان مدينة منها حيث كانت
محتصدة بلوط يقال لها زغر وامرنا في هذه الايه يحتمل ان يكون
مصدرا من امر وتكون في الكلام حذف مضاف تقديره مقتضى امرنا
ويحتمل ان يكون واحد الامور والضمايرى قوله عاليها سافلها للمدائن
واجرى وامطرنا عليها الذلك والمراد على اهلها وروى ان الحجاره
اسنوفت منهم كل من كان خارج مدنهم حين قلبهم اجمعين وروى
انه كان في الحرم منهم رجل ففتى بحجره معلقا في الهوى حتى خرج من
الحرم فقتله الحجر وامطر ابدا انما يستعمل في المكروه ومطر يستعمل
في المحبوب هذا قول ابي عبيدة وليس كذلك وقوله تعالى وما هذا
عارض ممطرنا يرد هذا القول لانهم انما طنوه معنادا لوجده وقوله
من سجيل اختلف في معنى طين فقيل سجيل اسم سما الدنيا قال القاضي

ضعف وبرده وصفه منضود وقالت فرقه هو ما يجود
قط السجيل اي هي من امر كتب عليهم هذا بعيد وقالت فرقه هو
ماخوذ من اسجل اذا ارسل الشي كما يرسل السجل وما يقول مالها
مسجله وهذا اصعف وبرده وصفه وقالت فرقه من سجل من
جهنم لانه يقال سجل وسجين حفظ فيها بدل النون لاما كما قالوا
اصيلال واصيلان وقالت فرقه سجيل معناه معناه شديد
واستدل الطبري في ذلك ضربا تواصى به الابطال سجيلا والبيت في
قصيده نوبيه سجينا وقالت فرقه سجيل اللفظه اصلها غير عربيه
عربت اصلها سنج وجل وقيل غير هذا في اصل اللفظه ومعنى هذا
اللفظ ما وطين هذا قول ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمه
والسدي وغيرهم وذهبت هذه الفرقه الى ان الحجاره التي رموا بها
انها كانت كالاجر المطبوخ كانه من طين قد تحجر ص عليه الحسن
قال القاضي وهذا قول يشبه وليس الصواب الذي عليه الجمهور
وقالت فرقه معنى سجيل حجر مخلوط بطين ان حجر وطين وقال القاضي
ويمكن ان يرد هذا الى الذي قبله لان الاجر وما جرى مجراه يمكن ان يقال
فيه حجر وطين لانه قد احد من كل واحد منهما الحظه وفي طين من حيث
اصلها وحجر من حيث صلبت ومنضود معد بعضه فوق بعض
اي يتابع وهو صفه لسجيل وقال الربيع ان الله يصده الذي السما
منضود معد بعضه فوق بعض ومسومه معناه معلمه بعلامه
قال عكرمه وقتاده انه كان فيها بياض وحمره ويحكى انه كان في كل
حجر اسم صاحبه وهذا اللفظ من يستعمل الاعلا ومده قول الذي صلى

الله عليه وسلم يوم بدر سوموا فان سومت الملايكه ويحتمل ان يكون منسوما
تعالى اسما بمعنى مرسله وسوما من المعبوط وقوله وما هي الا ذكرى
الحاره والطاملون قيل يعني برسنا وقيل بريد عموم كل من اتصف بالظلم
وهذا هو الاصح لانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يسكون في
امتي خسف ومسخ وقذف بالحاره وقد ورد انصا حديث ان
بعد الامه نجاه من ذلك وقيل يعني بهم المدن وبلون الاعلام
بان بعد البلاد قريبه من بلده والاول ابين وروى ان بعد البلاد
كانت بلن المدينه والشام وحكى الطبري في تسميه بعد المدن صيغه
وصعده وعمره ودومًا وسدوم وهي القريه العظمى **قوله تعالى**
والى مدين اخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الد غيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط بالتقدير والى ارسلنا اخاهم شعيبًا **واختلف** في لفظه
مدين فقيل هي بقعه والتقدير على هذا والى اهل مدين كما قال واسال
القريه وقيل كان هذا القطر في ناحيه الشام وقيل مدين اسم رجل
كانت القبيله من ولده فسميت باسمه ومدين لا تصرف في الوجهين
وحكى الفراء ان مدين بن لوط ولد ابراهيم الخليل لصلبه قال القاضي وهذا
بعيد وقد قيل ان شعيبًا عربي فكيف يجتمع هذا وليس للعرب اتصال
بابراهيم الا من جهه اسماعيل فقط ودعا شعيب الى عباده الله يقتضي
انهم كانوا يعبدون الاوثان ودلك بين في قوله فيما بعد ولفرهم
هو الذي استوجبوا به العذاب لا معاصيهم فان الله لم يعذب قط
امه الا لكفرها [illegible] معصيه كانت تابعه واعني بالاكفر

عذاب

استيصال العالم وكانت مبعوثه بعد الامه السنيعه انه
توا ان ياخذوا ممن يرد عليهم من عالمهم وافيًا ويعطى ناقصًا في وزنهم
وكيلهم فنهاهم شعيب فوحى الله تعالى عز ذلك وطهر من كان الرجل
انهم كانوا تواصوا بينهم بان يحسن بعضهم بعضًا ويحرفوا ابن عباس
معناه في اخص من الاسعار وعذاب اليوم المحيط هو حلول الغلا
الملك وسطر هذا التاويل الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم
المكيال والميزان الا ارتفع عنهم الرزق وقل فوله بخير عام وجبر نعم
الله تعالى وعذاب اليوم هو الهلاك الذي حل بهم في اخر وجميع ما قيل
في لفظ خبر منحصر فيما قلنا ووصف اليوم بالاحاطه وهي من صفه
العذاب على جهه التحوز اذ كان العذاب في اليوم وقد يصح ان يوصف
اليوم بالاحاطه على تقدير محيط شره ونحو هذا وكرر عليهم الوصيه
في الكيل والوزن تاكيدًا وبيانًا وعطفه لان لا تنقصوا انهوا وفوا
بمعنى لكنهما مختلفان الى معنى واحد **قال القاضي** ويحدى الى
رضي الله عنه انه سمع ابا الفضل ابن الجوهري على المنبر بمصر يخط
الناس في الكيل والوزن فقال اعلموا اني ان لا استعمل اذا رفع لي
بالميزان فامدت اصابعه الثلاثه والتقا الابهام والسبابه على
ما صيره الميزان حامن شكل اصابعه صوره المكتوبه فكان الميزان
يقول الله الله **قال القاضي** وهذا وعظ ملبح مذكر والقسط
العدل والبخس النقصان وبعثوا معناه تكونون في فساد وكرر
مفسدين على جهه التاكيد يقال عثا يعثوا وعثى يعثى وعث يعث
وعاث يعيث اذا افسد ونحوه من المعنى العثه الدوده التي

تفسير تاب الصوف وقوله يعيشون عن ابن عباس معناه الذي
شيء لكم من اموالكم بعد قولكم الكيل والميزان خير لكم مما تستأثرون
اتم به على غير وجهه **قال القاضي** وهذا التفسير يلوى لفظ
الاية وقال مجاهد معناه طاعة وقال ابن عباس ايضا معناه رزق
الله وهذا كله لا يعطيه لفظ الاية وانما المعنى عندي اتقوا الله عليكم
ان اطعتم وقرا اسماعيل ابن جعفر عن اهل المدينة بحفص اليا ولي
لخذ وقوله ان كنتم مومنين شرط في ان يكون البقية خيرا لكم واما مع
الكفر فلا خير لهم في شيء من الاعمال وجواب هذا الشرط متقدم والحفيظ
المراقب الذي يحفظ احوال من يرقب والمعنى انما انا مبلغ والحفيظ
المحاسب الذي يجازيكم بالاعمال **قوله تعالى** قالوا اصلوتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت
الحليم الرشيد قرا جمهور الناس اصلوتك بالجمع وقرا ابن وثاب اصلاتك
بالافراد وكذلك قرا في براءة ان صلاتك وفي المومنين على صلاتهم كل
ذلك بالافراد **واختلف** في معنى الصلاة هنا فقالت فرقة اراد
الصلوات المعروفة وروي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة
وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل
اراد وا اقرائك وقيل اراد وا امساجدك وقيل اراد وا ادعواتك
قال القاضي واقرب هذه الاقوال الاول والرابع وجعلوا
الامر من فعل الصلوات على جهة التحوز وذلك ان كل من حصل في رتبة
من خير او شر ففي الاكثر يدعوه رتبته الى المزيد من ذلك النوع فمعنى هذا
لما كنت مصليا تحوزت الى ما هو شرعنا وحالنا فكان حاله من الصلاة حسنا

على

على ان فقيل امرته وقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وقيل ان تترك ما يعبد اباؤنا ونا صر على ان كانوا يعبدون غير الله وقرا
جمهور الناس يفعل وتشاؤن الجماعة فيهما وقرا الضحاك ابن قيس نشا
وتفعل تنا الحاطبة فيهما وروت عن ابن عباس وما من قرا بالنون
فيهما فان الثانية عطف على ما الاولى لان المعنى يصير اصلواتك تامرك
ان نفعل في اموالنا ما نشاء وهذا قلق ما قصدوه واما من قرا بالتاء
فصحيح عطف ان الثانية على ان الاولى وقال بعض النحويين ويصح على ما
ينتظم المعنى في الوجهين **قال القاضي** رحمه الله ويحتمل ترك في الاولى
معنى نرفض وفي الثاني معنى يقدر فيتعدى عندي لهذا الوجه لما ذكرته
من تنوع الترك لا على الحكم اللفظي او على حذف مضاف اي ان الترك في
قرا من قرا بالنون في الفعلين انما هو معنى الرفض غير متنوع واما من
قرا بالنون في نفعل وبالتاء في تشاء فان معطوفة على ان الاولى ولا يجوز
ان تنعطف على ما لان المعنى ايضا ينقلب فتدبره وظاهر فعلهم هذا
الذي اشاروا اليه نخس الكيل والوزن تقدم ذكره وروي ان الاشارة
هي الى نقصهم الدينار والدرهم واجرى ذلك مع الصحيح مجرى التدليس
قال محمد ابن كعب القرظي وغيره وروي عن سعيد ابن المسيب انه قال
قطع الدينار والدرهم من الفساد في الارض فتاول ذلك هذا المعنى
المتقدم وتاول ايضا معنى انه تبديل السكك التي يقصد فيها اكل اموال
الناس **واختلف** في قولهم انك لانت الحليم الرشيد فقيل انما كانت
الفاظهم انك لانت الجاهل السفيه فكنى الله تعالى عن ذلك وقيل بل هذا
هو لفظهم بعينه الا انهم قالوه على جهة الاستهزاء كما قال ابن زيد وابن

صرح وقيل المعنى انك لانت الحليم الرشيد المتفسل وقيل قالوه على
جهة الحقيقة وانه اعتقاد فيه فكانهم قيدوه ان حلم ورشد
فلا تبعى لك ان تامرنا بهذه الاوامر وشبه بهذا المعنى قول اليهود من
قريظة حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخوة القرده قالوا يا
محمد ما علمناك جهولا **قال القاضي** والشبه من الامرين انما
هو المناسبة بين كلام شعيب وتلطفه وبين ما بادر به محمد عليه السلام
بني قريظة وقوله تعالى قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي الايه
بعد مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعاء رفيق وبهذه الايه
ونحوها من محاورة شعيب عليه السلام قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك خطيب الانبيا وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي
محذوف تقديره أضل كما ضللتم او اترك تبليغ الرسالة ونحو هذا مما
يليق بهذا الحاجد وبينه يحتمل ان تكون بمعنى بيان او بين ودخل الهاء
للمبالغة كالعلامة ويحتمل ان يكون صفة لمحذوف فلون الهاء انما ثبت
وقوله ورزقني منه رزقا حسنا يريد الحلال من الفساد الذي ادخلتم
في اموالكم بما كان لهم ولست اريد ان افعل الشيء الذي ينهيكم عنه من
بخس الكيل والوزن فاستاثر للمال بنفسي وما اريد الا الاصلاح للجميع
وانيب معناه ارجع واتوب واستند **قوله تعالى** ويا قوم لا يجرمنكم
شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما
قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود
لا يجرمنكم معناه لا يكسبنكم يقال جرم ذنبا وجرما واجرمه اذا اكسبه
يقال كسب والسين ومر دلك قول الشاعر

ولقد
وقد
الجمهور بجرمنكم بفتح الياء وقرا الاعمش وابن وثاب بجرمنكم بضمها
شقاقي معناه مشاقتي وعداوتي وان مفعوله بجرمنكم وكانت قصة قوم
لوط اقرب القصص عهدا بقصة قوم شعيب وقد يحتمل ان يريد وما
منازل قوم لوط منكم ببعيد فكانه قال وما قوم لوط منكم ببعيد في
المسافة وتتضمن هذا القول ضرب المثل لهم بقوم لوط وقرا الجمهور مثل
بالرفع على انه فاعل يصيبكم وقرا مجاهد والحدري وابن ابي اسحق مثل
بالنصب ودلك على احد وجهين اما ان يكون مثل فاعلا وفتحه اللام فتحة
بناء لما اضيف الى غير متمكن فان مثل قد يجري مجرى الظروف في هذا الباب
وان لم يكن ظرفا محضا وانما تقدر الفاعل بحدوث فاقتضى المعنى وبلوغ
مثل منصوبا على النعت لمصدر محذوف لتقديره اصابه مثل وقوله
واستغفروا الايه تقدم القول في مثل هذا من ترتيب هذا الاستغفار
قبل التوبة ودود معناه ان افعاله ولطفه بعباده لما كانت في
غاية الاحسان اليهم كانت كالفعل من يتودد ويود المصنوع له وقوله
تعالى قالوا يا شعيب الايه لفقد معناه بفهم وهذا نحو قول فرعون
قلوبنا في اكنة ومعنى ما نفقه ما نقول اي ما نفقه صحة لفظك واما
فقههم لفظه ومعناه فمتحصل وروى عن ابن جبير وشريك القاضي في
قولهم ضعيفا انه كان ضرير البصر اعمى حكاه الزهراوي وابن جبير يقول الاعمى
ضعيف كما يقال له ضرير وقيل كان ناحل البدن زمنه **قال القاضي**
وهذا كله ضعيف لا تقوم عليه حجة لضعف بصره او بدنه والظاهر
من قولهم ضعيفا انه ضعيف الاستظهار والقدرة وان لفظة الكفر كانوا

يتصم به

برا اعجه رفيه والرهط جماعه الرجل ومنه الراهطان البربوع للذكر وقاله
كانفعل الرجل برهطه ولرهطاك فعل معناه بالحاره وهو الطاهر
ابن زيد وقيل المعنى لرحمناك بالكسب وبه فسر الطبري ولهذا ايضا
تستعمله العرب ومنه قوله لا رحمنك والهجرى مليا قولهم بحر براى يبك
منعه وعزه ومنزله ونفوسنا وقوله تعالى قال يا قوم ارهطى الطهرى
الشى الذى يكون وزرا الظهر وقد يكون الشى وزرا الظهر بمعنى في الكلام
واما بان يطرح كانقول جعلت كلامى وراء ظهرك وذبرا ذنك ومنه قول
الفرزدق ثميم ابن مرة لا تكونن حاجتى بظهر لا يعيى على جوابها
واما بان يستند اليه ويلجا ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه
والجات ظهرى اليك فقال جمهور المتاولين فى معنى هذه الاداه والخذم
الله ظهريا اى غير مراعا وزرا الظهر على معنى الاطراح ورجحه الطبرى
وهو عندى على حذف مضاف ولا بد وقال بعضهم الصمير فى قوله والخذتموه
عايد على اقرار الله تعالى وشرعه اذ تضمنه الكلام وقالت فرقه المعنى
اتزرون انطى اعز عليكم من الله وانتم تحدون الله سند ظهوركم وعادا لكم
قال القاضى رضى الله عنه فقول الجمهور على ان قوم شعيب كان تحدا
بالله تعالى وجهلا به وهذا القول الثانى على انهم كانوا يقرون بالخالق
الرازق ويعبدون الاصنام وسايطا ووسايل ونحو هذا وهذان
الفرقتان موجودتان فى الكفره ومن اللفظه الاستظهار بالبينه وقد
قال ابن زيد الظهرى الفضل مثل الحمار يخرج معه بابل طابعريه بعدها
اراح اليها والا فهى فضله قال القاضى هذا كله مما يستند اليه وقوله
ان ربى بما تعلون محيط خبر فى ضمنه توعد ومعناه محط علمه وقدره

كفدم

تنعموا

ورعيا

قوله تعالى ويا قوم اعلوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب على مكانتكم معناه على
حالتكم وهذا كما تقول مكانه فلان ليسعد ومن البقاع الى المعانى وقرا
الحسن وابو عبد الرحمن وعاصم مكاناتكم بالجمع والجمهور على الافراد وقوله
اعلوا تهديد ووعيد وهذا نحو قوله اعلوا ما شيتم وقوله من ياتيه يجوز
ان يكون من مفعوله تعلمون والثانيه عطف عليها قال الفرا ويجوز ان
تكون استفهاما فى موضع رفع بالابتدا قال القاضى والاول احسن
لانها موصوله ولا توصل فى الاستفهام ويقضى بصلتها ان المعطوف عليها
موصوله لا محاله والصحيح ان الوقف فى قوله اى عامل ثم ابتدا الكلام
بالوعيد ومن مفعوله تعلمون وهى موصوله وقوله وارتقبوا كذلك
تهديدا ايضا وقوله ولما جا امرنا الايه الامر هاهنا يصح ان يكون
مصدر امر ويصح ان يكون واحد الامور وقوله برحمه منا اما ان يقصد
الاخبار عن الرحمه التى لحقت شعيبا لنبوته وحسن عمله وعمل متبعيه
واما ان يقصد ان التنجيه لم يكن الا بمحرد الرحمه لا بعمل من اعمالهم واما
الصيحه فهى صحه جبريل عليه السلام وروى انه صاح صحه خشم
لها كل واحد منهم فى مكانه حيث سمعها ميتا وقد تقطعت تحجب قلبه
والخشوم اصله فى الطاير اذا ضرب بصدره الى الارض ثم يستعمل فى
غيره اذا كان منه بسببه وقوله كان لم يغنوا فيها الايه الصمير فى قوله
فيها عايد على الديار ويغنوا معنا يقيمون بنعمه وحفض عيش ومنه
المغانى وهى المنازل المعموره بالاهل وقوله تنبيه للسامع وقوله
الا بعدا مصدر دعا به وهذا كما تقول سقيا لك وسحقا للكافر ونحو هذا

ورعيا

وفارقه لان هذا كانه اعتذار عن شئ قد وجب وحصل وتل انما يقول
دعا مترجى ومعنى البعد قرأه من قرأ بعدت بكسر العين اى
وهى قراءة الجمهور ومنه قول خنساء تبكى صخرا
لا يبعدن قومى الذين هم سم العداة وآفة الجزر
ومنه قول ملك ابن الزبير يقولون لا تبعد وهم يدفنونى
وابن مكان البعد الامكانيا واما قول من قرأ بعدت بضم العين فهو السلمى وابو
حيوة فهو من البعد الذى ضده القرب ولا يدعى به الا على مبغوض
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه
فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد الآيات العلامات والسلطان
البرهان والبيان فى الحد وقيل هو مشتق من التليط الذى يستضاء به
وقيل من انه مسلط على كل جبار ومخاصم والملا الجمع من الرجال والمعنى
ارسلناه اليهم ليؤمنوا بالله تعالى فصدهم فرعون واتبعوا امره ولم يؤمنوا
وكفروا بهم اخبر تعالى عن امر فرعون انه ليس برشيد اى ليس بمصيب
فى مذهبه ولا مفارق للشقاوة وقوله يقدم قومه يوم القيامة
الاية اخبر الله تعالى فى هذه الاية عن فرعون انه يأتى يوم القيامة مع
قومه المعروفين بعده وهو يقدمهم الى النار واوقع الفعل الماضى فى
اوردهم موقع المستقبل لوضوح الامر وارتفاع الاشكال عنه ووجه
الفصاحة من العرب فى انها تضع احيانا الماضى موضع المستقبل لان
الماضى ادل على وقوع الفعل وحصوله والورود فى هذه الاية هو
ورود الدخول وليس بورود الاشراف على الشئ والاسقاء كقوله تعالى
ولما ورد ماء مدين وقال ابن عباس فى القرآن اربعة اوراد وان منكم الا

وارد

وارد هذا قوله وتسوق المجرمين الى جهنم وردا هذه فى مريم وفى الانبياء
الا من سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون مردود الله حصب جهنم انتم لها واردون قال وهى
كلها ورود دخول لم ينج الذين اتقوا والمورود صفة لمكان الورود على ان المورودة
التقدير وبئس مكان الورود وقيل المورود ابتدا والخبر مقدم والمعنى
والمورود بئس الورود وقوله وفى هذه يريد دار الدنيا والملعونا بما
بالغرق والاستيصال وقبح الذكر غابر الدهور وقوله ويوم القيامة
اى يلعنون ايضا بخولهم فى جهنم قال مجاهد فلهم لعنتان ودهب قوم
الى ان التقسيم بمعنى ان لهم فى الدنيا لعنة ويوم القيامة بئس ما يردون به
فهى لعنة واحدة اولى وقبح ارفاد اخر وقوله بئس الرفد المرفود
اى بئس العطاء المعطاهم والرفد فى كلام العرب العطية وسمى العذاب
رفدا لان هذا هو الذى حل لهم محل الرفد وهذا كما تقول يا فلان لم
يكن خيرك الا ان تضربنى اى لم يكن الذى تحل الخير منك والارفاد المعونة
ومنه وفادة قريش معونتهم لفقرا الحج بالطعام الذى كانوا يطعمونه
فى الموسم وقوله ذلك القرى الاية ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر
العقوبات النازلة بالامم المذكورة والانباء الاخبار والقرى يحتمل ان يراد
بها القرى التى ذكرت فى الايات المتقدمة خاصة ويحتمل ان يريد القرى
عامة اى هذه الانباء المقصوصة عليك هى عوابد المدن اذا الفروا
فيدخل على هذا التاويل فيها المدن المعاصرة وبحى قوله منها قائم وبحى
حصيد منها عامر ودائر وهذا قول ابن عباس وعلى التاويل الاول فى
انباء تلك القرى المخصوصة يكون قوله منها قائم وحصيد بمعنى قائم الجدران
ومنهدم لا انزله وهذا قول قتادة وابن جريج والاية تحملها متضمنة

التجويف وضرب المثل للحاضرين من أهل مكة وغيرهم **قوله تعالى** وما
ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وما اغنت عنهم الهتهم الذين يدعون من دون
الله من شئ لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب المعنى وما وصحب
عندهم من التعذيب ما لا يستحقونه لانهم ظلموا انفسهم بوضع الكفر
موضع الايمان والعباده في جنبه الاصنام فما نفعتهم تلك الاصنام
ولا دفعت عنهم حين جاء عذاب الله والتتبيب الخسران ومنه تبت
يدا ابي لهب ومنه قول جرير

غرابه بين بقيه قوم لوط الا تبا لما فعلوا تبابا اي خسارا

وصوره زياده الاصنام التتبيب انها بتصويرها بان تاملها والنقه
رها والنفع في عبادتها شغلت نفوسهم وصرفتها عن النظر والنتبع
وعاقتها فلحق عن ذلك غبن وخسران واما بان عذابهم على الكفر يزاد
اليه عذاب على مجرد عبادة الاوثان وقوله ولذلك لاشاره الى ما ذكر
من الاحذان في الامم وقد تعم قرى المومنين فان ظالمة اعم
من كافره وقد يمهل الله تعالى بعض الكفره واما الظلمه في الغالب فمعاجله
اما انه يملي لبعضهم وفي الحديث من رواية ابي موسى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمه الايه وقرا انور جا العطاردي وعاصم
الجحدري ربك اذ اخذ القرى والجمهور الاعظم قرا انهم اذا اخذوا ونحى
الطبري على قراءة عاصم لفظه وقراءة ابن مصرف ولذلك اذ اخذ ربك
اذا اخذ القرى وهي قراءة مملنه المعنى ولكن قراءة الجماعه تعطي بقاء
الوعيد واستمراره على الزمان وهو الباب في موضع المستقبل موضع

الماضي قوله تعالى ان في ذلك لاية المعنى ان في مرهده القرى وما حل باهلها
وعادها اعتبارا لمن خاف امر الاخره وتوقع ان ينا وله عذابها فنظر وتامل
فان نظره يوديه الى الايمان بالله تعالى ثم عظم الله امر يوم القيامه بوصفه
بما لسن باجنبي منه للسبب المتصل بينهما ويعود الضمير عليه والناس
على هذا مفعول لم يسم فاعله ويصح ان يكون الناس رفعا بالابتداء ومجموع
خبر مقدم ولهذا لايه خبر عن الحشر ومشهود عام على الاطلاق يشهده
الاولون والاخرون من الانس والملايكه والجن والحيوان في قول الجمهور
وفيه اعني الحيوان الصامت اختلاف وقال ابن عباس الساهد محمد عليه
السلام والمشهود يوم القيامه وقوله وما نوخره الا لاجل معلوم وما
نوخره يوم القيامه عجزا عن ذلك لكل القضا السابق وقد يفعل فيه
باجل محدود لا يتقدم عنه ولا يتاخر وقرا الجمهور نوخره بالنون
وقرا الاعمش يوخره بالياء وقرا عاصم وابن عامر وحمزه ياتي بحذف
الياء من ياتي في الوصل والوقف وقرا ابن كثير باثباتها في الوصل والوقف
وقرا نافع وابو عمرو والكسا باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف وروت
الخاله لذكوان عن ابن كثير والياء ثابته في مصحف ابي بن كعب وسقطت في امام
عثمان وفي مصحف ابن مسعود يوم باتون وقرا الاعمش ووجد حذفها
في الوقف تشبيه بالفواصل واثباتها في الوجهين هو الاصل ووجه حذفها
في الوصل التخفيف كما قالوا لا ابال ولا ادر واشد الطبري

كقال لف ما يلقين ذهابها جودا واجرى لحمه بالسيف الدما

وقوله لا تكلم نفس يصح ان يكون جمله في موضع الحال من الضمير الذي في ياتي
وهو العايد على قوله ذلك يوم ولا يجوز ان يعود على قوله يوم ياتي لان اليوم

والمضاف الى الفعل لا يكون فاعلا لذلك الفعل اذا المضاف متعرف
اليه والفعل متعرف بفاعله ولس في نفسه شيئا مقصودا مسندا فلا
دور الفاعل وقولهم سيد قومه ومولى اخيه وواحد امه مفارق لما
يستقبل فلذلك جازت الاضافة فيها ويكون قوله على بعد اليوم يأتي في
موضع الرفع بالابتدا وخبره ممن شقي وسعيد وفي الكلام على هذا
عائد محذوف تقديره لا تكلم نفس فيه الا ويصح ان يكون قوله لا تكلم نفس
صفة لقوله يوم يأتي وقوله ذلك يوم يراد به اليوم الذي قبله ليلته
وقوله يوم يأتي يراد به الحين والوقت لا النهار بعينه وهو كما قال عثمان
اني قد رأيت ان لا اتزوج يومي هذا وكما قال الصديق رضي الله عنه فان
الامانة اليوم في الناس قليل ومعنى قوله لا تكلم نفس الا باذنه وصف لهيبة
يوم القيامة وذهول العقل لهول القيامة وما ورد في القرآن من ذكر
كلام اهل الموقف في التلاوم والتسائل والتجادل فاما ان يكون بإذن واما
ان يكون بعده محتصة في التكلم لشفاعة او اقامة حجة فمنهم عائد على الجمع
الذي تضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع **قوله تعالى**
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد قوله الذين شقوا على بعض
التاويلات في الاستثناء الذي في آخر الآية يراد به كل من يعذب من
كافر وعاص وعلى بعضها على كل من يخلد وذلك لا يكون الا في الكفر خاصة
والزفير صوت شديد خاص بالمحزون او الموجع او المعذب ونحوه
والشهيق ذلك كله بعمل الباكي الذي يصعد خلال بكائه وقال ابن عباس
الزفير صوت حاد والشهيق صوت ثقيل وقال ابو العالية الزفير من
الصدر والشهيق من الحلق وقيل بالعكس وقال قتادة الزفير اول

صوت الحمار والشهيق آخره فصياح اهل النار كذلك وقيل الزفير
مأخوذ من الزفر وهو الشد والشهيق من قولهم جبل شاهق اي عال
فهما على هذا المعنى واحد او متقارب والظاهر ما قال ابو العالية
فان الزفير هو الذي يتعتع معه الصدر والحوف والشهيق هو الواقع
الآخر من الصوت المندفع معه النفس احيانا فعدد سهو المختصر
والشهيق المعتنى عليه واما قوله ما دامت السموات والارض فقيل معناه
ان الله تعالى جعل السماء والارض يوما وجعل الارض مكانا لجهنم والسماء
مكانا للجنة ويتأبد ذلك فصارت الابد خلودا ولا انقطاع بعده وروي
عن ابن عباس انه قال ان الله خلق السماء والارض ثم يردها الى ما كانت عليه
فلهما بقاء دائم وقيل معنى قوله ما دامت السموات والارض العبارة عن
ما يريد دون به طولا من غير نهاية فافهمهم الله تعالى الخلود الكفر بذلك
وان كان قد اخبر بزوال السموات والارض واما قوله الا ما شاء ربك فقيل
فد ان ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع الى استعماله في كلام
وهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين استثنى في واجب
وهذا الاستثناء هو في حكم الشرط كانه قال ان شاء الله فلس يخاج الى
ان يوصف بمتصل ولا منقطع وتؤيد هذا قول عطاء عن مجاهد وقيل
هو استثناء من طول المدة ودلك على ما روي ان جهنم تخرب وبعدم
اهلها وتخمد ابوابها فهم على هذا مخلدون حتى يصيروا من نعم الى لا شيء
قال القاضي وهذا قول متحل والذي روي ونقل عن ابن مسعود
وغيره ان ما تخلص من النار انما هو الدرك الاعلا المختص بعصاة المؤمنين
وهو الذي يسمى جهنم ويسمى الكل بذلك تجوزا وقيل انما استثنى ما يلطف الله
تعالى به من

يوم القيمة

الناس ما عدا
ارادة ان
الله عز وجل
وما دامت
السموات
والارض
وكل هذا
ما دامت
السموات
والارض

والعصاه من المومنين في اخراجهم بعد مدده من النار فجي قوله الا ما شاء ربك لقوم متاوهذا قول قتاده والضحاك وابو سنان وغيرهم وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا عاما في الكفره والعصاه كما قدمنا ويكون الاستثنا من خالدين وقيل الا بمعنى الواو ومعنى الايه وما شاء زايدا على هذا ونحو هذا قول الشاعر

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

قال القاضي وهذا البيت يصح الاستشهاد به على معتقدنا في قتاء الفرقدين وغيرهما من العالم واما ان كان قايله مرد بعرفه العرب فلا محله فقه اديرى ذلك موبدا فاحرى الاعلى باهاوقيل الا في هذه الايه بمعنى سوى والاستثنا منقطع كما تقول لعبدك الذي اهدى الا الالف التي كنت أسلفتك بمعنى سوى تلك فعانده قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء الله زايدا على ذلك وتويد هذا التاويل قوله بعد عطاء غير مجذوذ وهذا قول الفرا يقدر الاستثنا المنقطع بسوى وسنويد بقدره بلكن وقيل سوى ما اعده لهم من انواع العذاب مما لا يعرف كالزمهرير ونحوه وقيل استثنى من مده السموات والارض المده التي فرطت لهم في الحياه الدنيا وقيل في البرزخ من الدنيا والاخره وقيل في المسافات التي بينهم في دخول النار اذ دخولهم انما هو مرورا بعد مرور وقيل الاستثنا من قوله ففي النار كانه قال الا ما شاء ربك من تاخير قوم عن ذلك وهذا قول رواه ابو نصره عن جابر او عن ابي سعيد الخدري ثم اخبر متبها على قدره الله تعالى بقوله ان ربك فعال لما يريد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم في روايه ابي بكر سعدوا

بفتح السين وهو فعل لا يتعدى وقرا حمزه والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وهي شاذه ولاحقه في قولهم مسعود لانه مفعول من اسعد على حذف الزياده كما تقول محبوب من احب ومحنون من احنه الله وقد قيل في مسعود انما اصله الوصف للمكان يقال مكان مسعود فنقل الى التسميه به وذكر ان الفرا حكى ان بعضهم يقول سعده الله بمعنى اسعده وضم السين وقرا ابن مسعود وطلحه ابن مصرف وابن وثاب والاعمش والاقوال المترتبه في استثنا الايه الى قبل هذه تترتب لها ايضا الا تاويل من قال هو استثنا المده التي تخرب فيها هنم فانه لا ترتيب عنده في هذه الايه ونزيد هنا قولا ان يكون الاستثنا في المدة التي يقيمها العصاه في النار وقوله عطاء غير مجذوذ نصب على المصدر والمجذوذ المقطوع والجذ القطع وكذلك الحز قوله تعالى فلا تك في مريه منه يعبد هؤلا ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص لفظ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى له ولامته ولم يقع لاحد شك يقطع عنه نهي ولكن من فصاحه القول في بيان ضلال الكفره اخراجه من هذه العباره اي حالهم اوضح من ان تترى فيها والمريه الشك وهاولا اشاره الى كفار العرب عبده الاصنام ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل المعنى انهم مقلدون لا برهان عندهم ولا حجه وانما عبادتهم تشبيها منهم بابايهم لا بصيره وقوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص عن على ان على الاول لكفلا من كفر الاخرين وقرا الجمهور لموفوهم بتخفيف الواو وشد الى بعضهم بالتشديد وهي لغه في عنى وقوله غير منقوص

هذا ما وجدته

وذكر قصة موسى مثلا له اى لا عظم عليك امر من كذبك فهذه هى سيرة الامم
فقد جاء موسى بكتاب فاختلف الناس عليه وقوله ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اخر الاية يحتمل ان يريد به امة موسى ويحتمل ان يريد به معا
محمد عليه السلام وان نعمهم اللفظ احسن عندى ويؤيد ذلك قوله وان كلا
والكلمة ههنا عبارة عن الحكم والقضاء ومعنى ليقضين بينهم اى ليفصلن بين
المومن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف السك بالمريب تقويه
لمعنى الشك وقرا الكسائى وابو عمرو وان كلا لما بتشديد النون وتخفيف
الميم فى لما وقرا ابن كثير ونافع بتخفيفهما وقرا حمزة بتشديدهما ولدلك
حفص عن عاصم وقرا عاصم فى رواية ابى بكر بتخفيف النون وتشديد الميم
فى لما وقرا الزهرى وسليمان بن ارقم وان كلا لما بتشديد الميم وتنوينها
وقرا الحسن بخلاف عنه وان كل لما بتخفيف النون ورفع كل وتشديد لما ولدلك
قرا ابان بن تغلب الا انه خفف لما وفى مصحف ابى وان مسعود وان كل
الا ليوفينهم اعمالهم فاما الاولى فان فيها على بابها وكلا اسمها وغرضها ان
يدخل على خبرها لام وفى الكلام قسم يدخل لامذا ايضا على خبر ان فلما اجتمع
لامان فصل بينهما بما هذا قول ابى على والخبر فى قوله ليوفينهم ورجح الطبرى
هذا واختاره اما انه يلزم القول ان يكون ما موصوفة اذ هى بكره كما قالوا
مررت بما معجب لك وينفصل بان قوله ليوفينهم بقوم معناه مقام الصفة
لان المعنى وان كلا الخلق موفى عمله واما من خففها وهى القراءة الثانية فى
ترتيبها فحكم ان وهى مخففه حكمها مثقلة وذلك لعمد فصيحة حكى سيبويه
ان الثقة اخبره انه سمع بعض العرب يقول ان عمرا المنطلق وهذا
كقول الشاعر ووجه مشرق اللون كان تدبيه حقان

وهى قراءة الاعمش والوصاف الذى فى مصحف ابن مسعود
وقرا بعض الحجازيين وصنف

رواه ابو زيد ويكون القول فى فصل ما بين اللامين حسب ما تقدم وبدخلها
القول الاخر من ان يكون ما خبرا ان واما من شددها او خففها وسلدد
لما فى قراءتهما اشكال ودلك ان بعض الناس قال ان لما بمعنى الا كما تقول
سالتك لما فعلت كذا وكذا بمعنى الا فعلت قال ابو على وهذا ضعيف اصلها
لان لما هذه لا تفارق القسم وقال بعض الناس المعنى لمن ما ابدلت النون
ميما وادغمت فى التى بعدها فبقى لما فحذفت الاولى لاجتماع الامثال
كما قرا بعض الناس والبغى يعظم يحذف الياء مع الياء وكما قال الشاعر
واشمت العداة بنا فاصبحوا كالدر يباشرون بالقنا
قال ابو على وهذا ضعيف وقد اجتمع فى هذه السورة ميمان اكنون من هذه
فى قوله امم ممن معك ولم يدغم هنالك فاجرى ان لا يدغم هنا قال القاضى
رضى الله عنه وقال بعض الناس اصلها لمن ما فمن خبر ان وما زايدة وفى
التاويل الذى قبله لمن ما فما هى الخبر دخلت عليها من على حد دخولها فى
قول الشاعر وانا لمن ما يضرب الكبش ضربة على راسه تلقى اللسان من الفم
وقال قوم لما اصلها لما منونة والمعنى وان كلا عاما حصرا شديدا
فهو مصدر لم يلم كما قال وتاكلون التراث اكلا لما اى شديدا قال
ولكنه نزل تنوينه وصرفه وبنى منه فعلا كما فعل فى تترى فقرئ تترا
قال القاضى وفى هذا نظر حكى عن الكسائى انه قال لا اعرف وجه
التثقيل فيما قال ابو على واما من قرا لما بالتنوين وشد الميم فواضح الوجه
كما بينا واما من قرا وان كل لما بتخفيف النون وشد الميم فوجهها فى اكثر
لسان العرب ان يرتفع ما بعدها ولما بها بمعنى الا كما قرا جمهور القراء
ان كل نفس لما عليها حافظ ومن قرا الا مصرحة بمعنى قراءة واضح وهذا

الآيه وعبد وقرا الجمهور يعلمون بيا على ذكر الغايب وقرا الأعرج بتا
على محاطبه الحاضر **قوله تعالى** فاستقم كما امرت ومن تاب معك
ولا تطغوا اى بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار
وما لكم من دون الله من اولياء لا تنصرون امر النبى صلى الله عليه وسلم
بالاستقامه وهو عليها انما هو امر بالدوام والثبوت وكانا مر
انسانا بالاكل والشرب ونحوه وهو متلبس به والخطاب بهذه الايه
للنبى عليه السلام واصحابه الذين تابوا من الكفر ولساير امته بالمعنى
وروى ان بعض العلماء راى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له يا رسول
الله بلغنا عنك انك قلت شيبتنى هود واخواتها فما الذى شيبك من
هود قال له قوله تعالى فاستقم كما امرت **قال** القاضى والتاويل
المشهور فى قوله عليه السلام شيبتنى هود واخواتها انها اشارة الى
ما فيها مما حل بالامم السالفه فكان حذره على بعده مثل ذلك شيبه
عليه السلام وقوله امرت لمخاطبه تعظيم وقوله ومن معطوف على الضمير
فى قوله فاستقم وحسن ذلك دون ان يوكد لطول الكلام بقوله كما امرت
ولا تطغوا معناه ولا تجاوزوا حدود الله تعالى والطغيان تجاوز الحد
ومنه قوله طغا الماء وقوله فى فرعون انه طغا وقيل فى هذه معناه ولا
تطغيكم وهذا كالاول وقرا الجمهور تعلمون بالتاء وقرا الحسن والاعمش
يعلمون بالياء من تحت وقرا الجمهور ولا تركنوا بفتح الكاف وقرا طلحه ابن
مصرف وقتادة والاشهب العقيلى وابو عمرو فيما روى عنه هارون
بضمها وهى لغه يقال ركن يركن ومعناه السكون الى الشى والرضا به قال ابو
العاليه الركون الرضى قال ابن زيد الركون الادهان **قال القاضى**

والركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره والنهى يقتضى الزجر من معنى الركون
على الميل اليهم بالشرك معهم الى اول الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدره
والذين ظلموا هاهنا الكفره وهو النص للمتاولين ويدخل بالمعنى اهل
المعاصى وقرا الجمهور فتمسكم وقرا يحيى ابن وثاب وعلقمه والاعمش
وابن مصرف وحمزه فيما روى عنه فتمسكم بكسر التاء وهى لغه فى كسر العلامات
التى هى الثلاث دون الياء الى للغايب وقد حاى الياء بخل وبقى وعلل تلك لغه
بان الياء ولبت الاولى ردتها الى الكسر **وقوله** تعالى واقم الصلاه
الايه لم يحلف احد فى ان الصلاه فى هذه الايه يراد بها الصلوات المفروضه
واختلف فى طرفى النهار وزلف الليل فقيل الطرف الاول الصبح والثانى الظهر
والعصر والزلف المغرب والعشا قاله محمد ابن كعب القرظى وروى ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المغرب والعشا هما زلفا الليل وقال الطرف
الاول الصبح والثانى العصر قاله الحسن وقتاده والضحاك والزلف المغرب
والعشا وليست الظهر والعصر فى هذه الايه على هذا القول بل هى فى
غيرها وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس والحسن ايضا
والزلف العشا وليست الظهر والعصر فى الايه وقيل الطرفان الظهر
والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح **قال** القاضى كان قايل
هذا القول راعى جهر القراه والاول احسن هذه الاقوال عندى ورجح
الطبرى الطرفين الصبح والمغرب وهو الظاهر الا ان عموم الصلوات
الخمس بالايه الاولى وقرا الجمهور زلفا بضم اللام وقرا طلحه ابن مصرف
وعيسى ابن ابى اسحق وابو جعفر زلفا بضم اللام كانه اسم مفرد
وقرا زلفا بسكون اللام مجاهد وقرا الضاز لفى على وزن فعلى وهى قراه

طيء ان محيض والزلف الساعات القرب بعضها من بعض ومنه قول الحاج
ناج طواة الأين مما وجفا طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا
وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب الجمهور من المأولين من الصحابة
والتابعين ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذا ذهب ابو عثمان
رضي الله عنه عند وضوءه على المقاعد وهو تأويل مالك وقال مجاهد
الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال
القاضي هذا حله انما هو على جهة المثال في الحسنات من اصل الصلوات
الخمس هي اعظم الاعمال والذي يظهر ان لفظ الابد لفظ عام في الحسنات خاص
في السيئات بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكبائر وروي ان هذه الاية
نزلت في رجل من الانصار قيل هو ابو اليسر ابن عمرو وقيل اسمه عتاد
حلابا مراة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء الى عمر فسئل اليه
فقال قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فاتى ابا بكر
فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصلى معهم احسنه وقال اصبت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلها زوجة غاز في سبيل الله قال نعم فوبخه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ما ادري فنزلت هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلاها عليه فقال معاذ ان رجل اله يا رسول الله خاصة فقال بل للناس
عامة وروي ان الاية قد كانت نزلت قبل ذلك واستعملها رسول الله صلى
الله عليه وسلم في ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حكى عن معاذ **قال** القاضي
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس
ورمضان الى رمضان كفارة ما بينهن ان اجتنبت الكبائر **اختلف** اهل السنة

في تاويل

في تاويل هذا الشرط في قوله ان اجتنبت الكبائر فقال جمهورهم هو شرط في معنى
الوعد فله ان اجتنبت الكبائر كانت العبادات المذكوره كفاره للذنوب وان
لم تجتنب لم تكفر العبادات شيئا من الصغائر وقالت فرقة معنى قوله
ان اجتنبت اي نهي الى ان تحطها العبادات فانما شرط ذلك ليصح بشرطه عموم
قوله ما بينهما وان لم تجتنب لم تحطها العبادات وحطت الصغائر قال
القاضي وهذا اقول وهو مقتضيه حديث خروج الخطايا مع قطر
الماء وغيره وذلك كله بشرط التوبة من تلك الصغائر وعدم الاصرار
عليها وهذا نص الحذاق من الاصوليين وعلى التاويل الاول يحتمل ان يكون
في مجتنبي الكبائر فقط وقوله ذلك اشاره الى الاخبار بان الحسنات
يذهبن السيئات فتكون لفظة الذكرى مختصة على الحسنات ويحتمل ان تكون
الاشاره الى جميع ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه السورة وهو
تفسير الطبري وامره تعالى بالصبر وحث لفظة الاباء على نمط واحد
اعلمنا الله تعالى انه يوفي جميع الحالين اعمالهم المحسن والمسيء ثم امره
بالاستقامة والمومنين معه ثم امره باقامة الصلاة ووعد على ذلك
ثم امره بالصبر على التبليغ والمكاره في ذات الله تعالى ثم وعد بقوله
ان الله لا يضيع اجر المحسنين **قوله تعالى** فلولا كان من القرون من
قبلكم اولوا بقيه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين لولا هي التحضيض
لكن يقتضي بها ضمنا التفجع والتاسف الذي يسعى ان يقع من السامع
على هذه الامم التي لم ينهض احد لحوقوله باحسوه على العباد والقرون
من قبلنا هم قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره والقرن من الناس

صلى الله عليه وسلم ومعنى كذكرى اي هي

المفترون في زمان طويل اكثره فما حد الناس مايه سنه وقيل ماتون وقيل عبر
ذلك الى ثلاثين سنه والاول ارجح لقول النبي صلى الله عليه وسلم اعماركم بين الستين
الى السبعين فان الى راس مايه سنه منها لا تسقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد
قال ابن عمر يريد انها تخرم ذلك القرن والبقيه هنا يراد بها النظر والعقل
والحزم والثبوت في الدين وانما قيل بقيه لان الشرايع والدول ونحوها
فوتها في اولها لانها لا تزال تضعف فمن بقي في وقت الضعف فهو بقيه الصدر
الاول وقرات فرقه تخفيف اليا وهو زنة فعيله الى فعله وقرا ابو جعفر
وشيبه بقيه بضم الباء وسكون القاف وزن فعله والفساد في الارض
هو الكفر وما اقترن به من المعاصي وهذه الايه فيها تنبيه لامه محمد وحض
على تغيير المنكر والنهي عن الفساد في الارض ثم استثنى الله تعالى القوم
الذين لحاهم مع اتيانهم وهم قليل بالاضافه الى جماعتهم وقليلا نصب على
الاستثنا وهو منقطع عند سيبويه والكلام عنده موجب وغيره يراه
منفيا من حيث معناه اذ لم يكن فيهم اولو ابقيه وقراجمهور الناس واتبع
على بنا الفعل للفاعل وقرا جعفر ابن محمد واتبع على بنايه للمفعول وروت
عن ابي عمرو وما اترفوا فيه اي عاقبه ما نعموا به هذا بنا الفعل للمفعول
والمترف المنعم الذي شغلته ترفته عن الحق حتى يهلك ومنه قول الشاعر

يحن ذوو المترفين الصداد الى امير المؤمنين المساد

يريد المسؤول يقال ماده اذا ساله وقوله بظلم يحتمل ان يريد بظلم منه
لهم تعالى عن ذلك قال الطبري وقيل يحتمل ان يريد بشرك منهم وهم مصلحون
في اعمالهم وسيرهم وعدل بعضهم في بعض اي انهم لابد من معصيه تقرن
بكفرهم قال القاضي وهذا ضعيف وانما ذهب قايله الى الخبر ما قيل ان

الله تعالى

الله تعالى يمهل الدول على الكفر ولا يمهلها على الظلم والجور ولو عكس
لكان ذلك منحها اي ما كان الله ليعذب امه بظلمهم ومعاصيهم وهم
مصلحون في الايمان والاحتمال الاول في ترتيبها اصح ان شا الله **قوله**
تعالى ولو شا ربك لجعل الناس امه واحده ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمه ربك لاملان جهنم من الجنه والناس
اجمعين المعنى لجعلهم امه واحده مومنه قاله قتاده حتى لا يقع منهم
كفر ولا تنزل بهم مثله لكنه عز وجل شا فهم لا يزالون مختلفين في
الاديان والآرا والملل هذا تاويل الجمهور وقال الحسن وعطا ومجاهد
وغيرهم المرحومون المستثنون هم المومنون ليس عندهم اختلاف وقالت
فرقه لا يزالون مختلفين في السعاده والشقاوه هذا اقرب المعنى من الاول
اذ هي ثمره الاديان والاختلاف فيها ويكون الاختلاف على هذا التاويل
يدخل فيه المومنون اذ هم مخالفون للكفره وقال الحسن ايضا لا يزالون
مختلفين في الغنى والفقر **قال الفقيه** رضي الله عنه وهذا قول
ضعيف بعيد معناه من معنى الايه ثم استثنى الله عز وجل من الضمير
في يزالون من رحمه من الناس بان هداه ووفقه وقوله ولذلك خلقهم
اختلف فيه المتاولون فمن الى فرقه ولشهود اليوم المشهود
المتقدم ذكره خلقهم وقالت فرقه ذلك اشاره الى قوله فمنهم شقي
وسعيد اي لهذا خلقهم قال وهذان المعنيان وان صحا فهذا العود متباعد
ليس بجيد وروى اشهب عن مالك انه قال ذلك اشاره الى ان يكون فريق
في الجنه وفريق في السعير **قال القاضي** فحات الاشاره بذلك الى
الامرين الرحمه وقد قاله ابن عباس واختاره الطبري ويحتمل ان يعود الضمير

للايمان م

الاختلاف م

وخلقهم للضنهس وقال مجاهد وقتادة ذلك عايد على الرحمة التي قضها
قوله الا من رحم اي وللرحمة خلق المرحومين قال الحسن وذلك اشارة الى
الاختلاف الذي في قوله ولا يزالون مختلفين **قال** القاضي ويعترض
بعد ان يقال كيف خلقهم للاختلاف وهل معنى الاختلاف هو المقصود
بخلقهم فالوجه في الانفصال ان يقول ان قاعدة الشرع ان الله عز وجل
خلق خلقا للسعادة وخلقا للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا
نص في الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف في الدين على الحق
هو امارة الشقاوة وبه على العقاب ويصح ان يحمل قوله هذا وللاختلاف
خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عليه من الشقاوة ويصح ان يجعل
اللام في قوله ولذلك لام الصيرورة اي وخلقهم ليصير امرهم الى ذلك
وان لم يقصد بهم الاختلاف **قال** القاضي ومعنى قوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون اي لامرهم بالعبادة وايجابها عليهم فعبر
عن ذلك بثمرة الامر ومقتضاه وقوله وتمت كلمة ربك لاملئن اي نفذ
قضاؤه وحق امره واللام في لاملئن لام قسم اذ الجملة تتضمن القسم والجن
من لغطه جمع لا واحد له وهو من اجن اذا استتر والهاء في الجنة للمبالغة وان
كان الجن يقع على الواحد والجنة جمعه **قوله تعالى** وكلا نقص عليك
من انباء الرسل ما نثبت به فوادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى
للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا
انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون قوله وكلا مفعول
مقدم ونقص وقيل هو منصوب على الحال وقيل على المصدر وهذا ان

ضعيفان

ضعيفان وما بدل من قوله وكلا ونثبت به فوادك اي نؤنسك فيما
تلقاه ونحمل لك الاسوة فمن تقدمك من الانبياء وقوله في هذه قال
الحسن هذه اشارة الى دار الدنيا وقال ابن عباس الى السورة والاية
التي فيها ذكر قصص الامم وهذا قول الجمهور **قال القاضي** رحمه الله
ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها الحق والقرآن كله حق ان ذلك
تضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبيه للناظر اي حال في هذه السورة
الحق الذي اصاب الامم الظالمة وهذا كما يقال عند الشدايد جاء الحق
وان كان الحق يأتي في غير شديدة وغير ما وجه ولا يستعمل في ذلك جاء
الحق ثم وصف ايضا انما تضمنته السورة هو موعظة وذكرى للمؤمنين
وهذا يؤيد ان لفظة الحق انما تختص بما تضمن من وعيد الكفرة وقوله
تعالى وقل للذين لا يؤمنون الاية هذه اية وعيد اي اعملوا على حالكم
التي انتم عليها من كفركم وقرأ الجمهور على مكانتكم واحدة دالة على جمع
والفاظ هذه الاية تصلح للمواعدة وتصلح ان تقال على جهة الوعيد المحض
والحوب قاعد وقوله تعالى ولله غيب السموات والارض الاية هذه اية
لعظم وانفراد بما لا يحط المخلوق فيه ونعوت علم الغيب وبين ان الخير والشر
وجليل الاشياء وحقيرها مصروف الى احكام مالكهم امر البشر بالعباد
والتوكل على الله تعالى وفهاز ذلك بحمده وصلاحه ووصوله الى رضوان
الله وقرأ السبعة غير نافع يرجع الامر على بنايه للمفعول وراواها
ابن ابي الزناد عن اهل المدينة وقرأ تعملون بالتاء من فوق نافع وابن عامر
وحفص عن عاصم وهي قراءة الحسن والاعرج والجعفران وشيبة وعيسى
ابن عمر وقتادة والحذري واختلف عن الحسن وعيسى وقرأ الباقون

وقرأ ابو حيوة وحفص عن عاصم بالياء على الغيبة

تعلمون يا ايها على كنه الغايب والله اعلم وصل على سيدنا محمد واله

تفسير سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله
هذه السوره مكيه وبروى ان اليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قصه يوسف فنزلت السوره بسبب ذلك وبروى ان اليهود امروا كفار
مكه ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى احل بنى اسرايل
مصر فنزلت السوره وقيل سبب نزولها تسليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما يفعله به قومه مما فعل اخوه يوسف بيوسف وسوره
يوسف لم تكرر من معناها فى القران شئ ما تكررت قصص الانبيا فيها
حجه على من اعترض بان الفصاحه تمكنت بترداد القول وفى تلك القول
حجه على من قال فى حده لو كررت لعثرت فصاحتها قوله تعالى الر
تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص
عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن
الغافلين تقدم القول فى فواتح السور والكتاب القران ووصفه
بالمبين قيل من جهه احكامه وحلاله وحرامه وقيل من جهه مواعظه
وهداه ونوره وقيل من جهه بيان اللسان العربى وجودته اذ فيه
ستة احرف لم تجتمع فى لسان واروى هذا القول عن معاذ ابن جبل
ويحتمل ان يكون مبينا لنبوه محمد صلى الله عليه وسلم باعجازه والصواب
انه مبين لجميع هذه الوجوه والضمير فى انزلناه للكتاب والانزال
اما معنى الانبات واما ان تتصف به الملايكه او العباده وقال الزجاج
الضمير فى انزلناه يعود على خبر يوسف عليه السلام وهذا ضعيف وقوله
لعلكم تعقلون يحتمل ان تتعلق بانزلناه اى انزلناه لعلكم ويحتمل ان تتعلق

بقوله

بقوله عربيا اى جعلناه عربيا لعلكم تعقلون اذ هو لسانكم وقرانا حالا
وعربيا صفه له وقيل ان قرانا بدل من الضمير وهذا فيه نظر وقيل قرانا
تواطيه للحال وعربيا حال وهذا كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا
وقوله تعالى نحن نقص عليك روى ابن مسعود ان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ملوا ملله فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت
هذه الايه ثم ملوا ملله اخرى فقالوا لو حدثتنا يا رسول الله فنزلت
الله نزل احسن الحديث كتابا والقصص الاخبار بما جرى من الامور كان
الاتباع تتبع بالقول وتقتص بالاخبار كما تقتص الاثر وقوله بما اوحينا
اليك اى بوحينا والقران نعت لهذا وجوز فيه البدل وعطف البيان
وهو ضعيف وان الخفيفه من الثقيله واللام فى خبرها لام التاكيد وهذا
مذهب البصريين ومذهب اهل الكوفه ان ان بمعنى ما واللام بمعنى الا
والضمير فى قبله للقصص العام لما فى جميع القران منه ومن الغافلين
اى عن معرفه هذا القصص ومن قال ان الضمير فى قبله عائد على القران
جعل من الغافلين فى معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى عن
غير طريق هذا الدين الذى بعثت به ولم يكن عليه السلام فى ضلال الكفار
ولا فى غفلتهم لانه لم يشرك قط وانما كان مستهديا ربه عز وجل موحدا
والسايل عن الطريق المتحير يقع عليه فى اللغه اسم ضال قوله تعالى
اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لى ساجدين العامل فى اذ فعل مضمر تقديره اذكروا ويصح
ان يعمل فيه نقص كان المعنى نقص عليك الحال اذ وحكى ان العامل
فيه لمن الغافلين وهذا ضعيف وقراطلع ابن مصرف يوسف بالضم
وفتح السين وفيه ست لغات يوسف بضم الباء وسكون الواو

وفتح السين وبضمها وبكسرها ولذلك الهمز وقرأ الجمهور بابت بكسر
التاء وحذف الياء من ابتى وجعلت التاء بدلا منها قاله سيبويه
وقرأ ابن عامر وحده وابو جعفر والاعرج بابت بفتحها وكان ابن
كثير وابن عامر يقفان بالهاء فاما قراءة ابن عامر بضم التاء فلها وجهان
اما ان يكون بانا بنى حذف الالف تخفيفا وبقيت الفتحة دالة على
الالف واما ان يكون جاريا مجرى قولهم يا طلح اقبل اخموه ثم ردوا
العلامة ولم يعتدوا بها وقرأ ابو جعفر والحسن وطلحة ابن سليمان
احد عشر كوكبا بسكون العين لتوالى الحركات وليظهر ان الاسم قد
جعلا واحدا وقيل انه راى كواكب حقيقة والشمس والقمر فاولها
بيعقوب واخوته وابويه ولهذا قول الجمهور وقيل الاخوة والاب والخالة
لان امه كانت ميتة وقيل انما كان راى اخوته وابويه فعبر عنهم بالكواكب
والشمس والقمر ولهذا ضعف توجيه به الطبري اخل عن عباده والضحاك
وغيرهما كلاما فصيحا ان يكون كما ترجم وان يكون مثل قول الناس
المفسرون للقمر ابوه ولليلة الاب والشمس ابوها الام فانتزع بعض الناس
من تقديمها وجوب بتر الام وزيادة على بتر الاب وحكى الطبري عن
جابر ان عبد الله ان يهوديا يسمى بسنانة جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن اسماء الكواكب التي راها يوسف
صلوات الله عليه فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل
جبريل عليه السلام فاخبره باسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهودي فقال هل انت مؤمن ان اخبرتك بذلك قال نعم قال جريان
والطارق والذيال والممزح والكنعدان والفيلق وذو الكتفين والوثاب وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفدوح والقابس والوثاب والفرغ فقال

اليهودي

وقيل السين وبضمها وبكسرها ولذلك الهمز وقرأ الجمهور بابت بكسر التاء وحذف الياء من ابتى وجعلت التاء بدلا منها قاله سيبويه وقرأ ابن عامر وحده وابو جعفر والاعرج بابت بفتحها وكان ابن كثير وابن عامر يقفان بالهاء فاما قراءة ابن عامر بضم التاء فلها وجهان اما ان يكون بانا بنى حذف الالف تخفيفا وبقيت الفتحة دالة على الالف واما ان يكون جاريا مجرى قولهم يا طلح اقبل اخموه ثم ردوا العلامة ولم يعتدوا بها وقرأ ابو جعفر والحسن وطلحة ابن سليمان احد عشر كوكبا بسكون العين لتوالى الحركات وليظهر ان الاسم قد جعلا واحدا وقيل انه راى كواكب حقيقة والشمس والقمر فاولها بيعقوب واخوته وابويه ولهذا قول الجمهور وقيل الاخوة والاب والخالة لان امه كانت ميتة وقيل انما كان راى اخوته وابويه فعبر عنهم بالكواكب والشمس والقمر ولهذا ضعف توجيه به الطبري اخل عن عباده والضحاك وغيرهما كلاما فصيحا ان يكون كما ترجم وان يكون مثل قول الناس المفسرون للقمر ابوه وليلة الاب والشمس ابوها الام فانتزع بعض الناس من تقديمها وجوب بتر الام وزيادة على بتر الاب وحكى الطبري عن جابر ان عبد الله ان يهوديا يسمى بسنانة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن اسماء الكواكب التي راها يوسف صلوات الله عليه فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل عليه السلام فاخبره باسمائها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهودي فقال هل انت مؤمن ان اخبرتك بذلك قال نعم قال جريان والطارق والذيال والممزح والكنعدان والفيلق وذو الكتفين والوثاب وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفدوح والقابس والوثاب والفرغ فقال

اليهودي

اليهودي اي والله انها لاسماؤها وكررا بتهم لطول الكلام وحرى ضمائر
هذه الكواكب في هذه الاية مجرى ضمائر من يعقل لما كانت لما وصفت
بافعال هي خاصة بمن يعقل وروى ان رويا ليوسف جاء ليلة القدر
ليلة جمعة وانما خرجت بعد اربعين سنة وقيل بعد ثمانين سنة قوله
تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان
للانسان عدو مبين يعني ان يعقوب عليه السلام كان يحسن من بنيه
حسد يوسف وبغضته فنهاه عن قص الرؤيا عليهم خوف ان يستعمل
بذلك غل صدورهم فيعملوا الحيلة على هلاكه ومن هنا ومن تعليم يوسف
الذي يأتي ذكره يظهر انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت ووقع في جامع الطبري
لا من بنيامين كانوا انبياء وهذا يرده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد
الدناوي وعن عقوق الاباء وتعريض مؤمن للهلاك والتوامر في قتله
ثم اعلم ان الشيطان للانسان عدو مبين اي صريح يظهر في ذلك وتحضهم
عليه واما قال الكسائي رؤياك والرؤيا حسنة وقرأ رؤياك بالهمز
همزة وهي لغة اهل الحجاز ولم يملها الكوفيون حيث وقعت والرؤيا مصدر
كثرة وقوعه على هذا التخيل في اليوم حيث جرى مجرى الاسماء كما فعلوا في
الدرى في قولهم لله دره فارسا من حيث اعمل المصادر وكسروها وروى
بمنزلة طلم والمصادر في اكثر الامر تكسر وقوله وكذلك يجتبيك الاية
معناه يختارك ويصطفيك ومنه جبيت الماء في الحوض ومنه جباية
المال وقوله ويعلمك من تاويل الاحاديث قال مجاهد والسدي
هي عبارة الرؤيا وقال الحسن علم الاشياء وقيل انه كذلك
ولغيره من النعماء وقوله ويتم نعمته عليك بالنبوة وما انضاف اليها

من سائر النعم وقوله أل يريد في هذا الموضع الاولاد والقرابة التي هي
من نسله اي لجعل فيهم النبوة ويروى ان ذلك انما علمه يعقوب من دعوة
اسحق عليه السلام له حين نشيد له بيعصوا والقصة كاملة في كتاب
النقائض لكني اختصرتها لانه لم ينيل الفاظها وما اظنه انتزعها الا
من كتب بني اسرايل فانها قصة مشهورة عندهم وباقي هذه الايديين والنعمة
على يوسف كانت بتخليصه من السجن وعصمته والملك الذي ناله وعلى
اسرائيل يعقوب هي الهداية خليلا وعلى اسحق فديته بالذبح العظيم مضافا
ذلك كله الى النبوة وعلم حكيم صفتان مناسبتان لهذا الوعد قوله
تعالى لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين اذ قالوا ليوسف
واخيه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قرا
الجمهور ايات بالجمع وقرا ابن كثير وحده ايه بالافراد وهي قراءة مجاهد وشبل
واهل مكة والاولى على معنى ان كل حال من احواله ايه لجمعها والثانية
على انه يحتمل انه وان يفصل بالمعنى ووزن ايه فعلة او فعلة او فاعلة
على الخلاف فيه وذكر الزجاج ان في غير مصحف عثمان عبرة للسائلين قال
ابو حاتم هي في مصحف ابي ابن كعب وقوله للسائلين يقتضي حضا للناس
على تعلم هذه الاشياء لانه انما اراد ايه للناس فوصفهم بالسائلين اذ كل
احد ينبغي ان يسال عن مثل هذه القصص اذ هي مقر العبر والاتعاظ
ويحتمل ايضا ان يصف الناس بالسؤال لما حدث كان سبب نزول السورة
او ان يكون سؤالهم وتعجبهم يدلون بديانتهم ويحاضعون
من يوسف ويقال له النبيا مين وقد كان شقيق يوسف وكانت امهما

ماتت

ماتت ودل على انهما شقيقان تخصيص الاخوة لهما باخوة وهي دلالة
عرفا طبعة وكان حب يعقوب عليه السلام ليوسف وبامن سبب جمعهما
وموت امهما وهذا من حب الصغير هي من فطر البشر وقد قيل لابنه
الحسن اي بنيك احب اليك قال الصغير حتى يكبر والغايب حتى يقدم
والمريض حتى يفيق وقولهم ونحن عصبة اي ونحن جماعة نضر وننفع
ونحمي ونحامي اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة والعصبة في اللغة وقيل الجماعة
من العشرة الى خمس عشرة وقيل من عشرة الى اربعين وقال الزجاج
العشرة وكوهم وقال الزهراوي الثلاثة نفر فاذا زادوا فهم رهط
الى التسعة فاذا زادوا فهم عصبة ولا يقال لاقل من عشرة عصبة
وقولهم لفي ضلال اي لفي ابتلاف وخطا في محبة يوسف واخيه هذا
هو معنى الضلال انما تصغر قدره ويعظم بحسب الشيء الذي يقع فيه الا
تلاف ومبين معناه يظهر للمتامل وقرا ابو عمرو وعاصم والبزي عن ابن عامر
وحمزة مبين اقتلوا بكسر النون في الوصل لالتقاء الساكنين النون
والقاف وقرا نافع وابن كثير والكسائي مبين اقتلوا بكسر النون وضم
النون اتباعا لضمة التاء ومراعاة لها وقوله تعالى اقتلوا يوسف
الاية كانت بعد مقالة بعضهم او المحكوه معناه ابعدوه ومنه قول عروة
ان الود المعلول ومن تك ذا عيال ومقتر من المال يطرح
نفسه كل مطرح والنوى المطروح البعيدة وارضا مفعول بان
باسقاط حرف الجر لان طرح لا يتعدى الى مفعول به الا بحرف وقال
فرقة هو نصب على الظرف ويدل على ذلك ان الظرف ينبغي ان يكون مبهما
وهذه هنا ليست كذلك بل هي ارض مقيد بها بعيدة او قاصية ونحو

ذلك فذلك يزيل ابهامها ومعلوم ان يوسف لم يحل من الكون في
ارض فهل انهم اراد وا ارضا بعيدة عنا التي هي فيها قريب من ابيه
وقوله يخل لكم وجه ابيكم استعارة اي اذا فعلتم يوسف رجعت
محبته اليكم ونحو هذا المعنى قول نعامة الغنوي حين احتبسه امه
لما قتل اخوته وكانت قبل لا تحبه التكل ارأمها اي عطفها علي والصمير
في بعده عايد على يوسف وقتله او طرحه وصالحين قال السدي ومقاتل
ان سلمان انهم اراد وا اصلاح الحال عند ابيهم بعد ان تبين ان يكون قصدهم
في تلك الحال ولم يكونوا حينيذ انبيا وقال الجمهور صالحين معناه بالتوبه
وهذا هو الاظهر من اللفظه وحالهم ايضا بعطيه لانهم كانوا مومنين
سواء على عظيمه وعللوا انفسهم بالتوبه والقايل منهم يهوذا وقيل اسنهم
قاله قتاده وابن اسحق وقيل شمعون اشجعهم قاله
مجاهد ولا اعطف منه على اخيه لا محاله ولما اراد الله تعالى من انقاد
قصاه والغيابه ما غاب عنك من الاماكن او غيب عنك شيا اخر
وقرا الجمهور غيابه وقرا نافع وحده غيابات وقرا الاعرج غيابات
الجب بتشديد الياء قال ابو علي هو اسم جاء على فعاله كان اباعل يلحقه
بما ذكره سيبويه من الغيا ونحوه وجدت انا من ذلك التيار للموج
والبحار للخرف قال القاضي رضي الله عنه وفي شبه غيابه
بيده الاشاره نظر لان غيابه جارحه افعل وقرا الحسن في غيبه الجب
على الافراد وذلك لدلاله خطب ومصحف ابن كعب ومن لدنه اللفظة قول
وقرا انا نوما غيبتني يابتي وسيروا سيري في العشيره والاهل
والجب البير التي لم تطو لانها حفيرة من الارض يقطر وقرا الجمهور يلتقطه

بعض يايا من تحت على لفظ بعض وقرا الحسن البصري ومجاهد وقتاده وابو
رجا تلتقطه بالتا، وهذا من حيث اضيف البعض الى المشاره فاستفاد
منها انيث العلامه ومن هذا قول الشاعر
اري مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار من الهلال
وقول الاخر
اذا مات منهم سيد قام سيد قليل به اهل القرى والكتايب
وقال كعب ذلت لوقعتها جميع نزار حين اراد بنوار القبيله وامثله
هذا كثيره وروى ارجاعه من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام
والسيارة جمع سيار وهو نبات مبالغه وقيل في هذا الجب انه بيربيت
المقدس وقيل غيره وقيل لم يكن به حين طرحوه ماء ولكن احرجه الله
فيه حتى قصده الناس للاستقاء وقيل بل كان فيه ماء لكن نضب يوسف
فتشر حجر من اسفل البير حتى تبعت ليوسف عليه وروى انهم رموه
بحبل في الجب فتماسك ببدنه حتى ربطوا يديه ونزعوا قميصه ورموه
حينيذ وهموا بعد برضخه بالحجاره فمنعهم اخوه المستبر بطرحه من
ذلك قوله تعالى قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له
لناصحون ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون الايه الاول
يقتضي ان ابا لهم قد كان علم منهم ما اضمنته الحبيثه في جهه يوسف وهذه
علموا لهم منه بحله ذلك وقرا الزهري ولا ابو جعفر لا تامنا بالادغام
دون اشمام وروا لها الحلواني عن قالون وقرا السبعه بالاشمام للضم
وقرا طلحه ان مصرف لا تامنا وقرا ابن وثاب والاعمش لا تيمنا
العلامه وغدا ظرف امر بعد وكلوم غير منصرف وفي الفعل والغدوه
اشهر من الغداه قال النضر ابن شميل اما من الفجر الى الاسفار يقال

فيه عدوة ومكرة وقرا ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما
واسكان العين والباء ونرتع على بدا من الرتوع وهي الاقامة في الخصب
والمرعى والاكل وشرب ومنه قول ـــــ الخضبان ابن القعثر
العيد والمزتعد وقلة التعتعة ومنه قول ـــــ الشاعر
وتعد عطايا لمأيه الرتاعا ولعلهم يعودا خل في اللعب المباح كاللعب
بالخيل والرمي ونحوه فلا وصم في ذلك عليهم وليس باللعب الذي هو ضد الحق
وقرن اللهو وقيل لابي عمرو ابن العلا كيف يقولون نلعب وهم انبياء قال
لم يكونوا حينيذ انبياء وقرا ابن كثير نرتع ونلعب بكسر العين وحزم الباء
وقد روي عنه ويلعب بالياء وهي قراءة جعفر ابن محمد ونرتع على بدا
من رعاية الابل وقال مجاهد من المرعاة اي نراعي بعضنا بعضا ونحرسه
وقرا عاصم وحمزة والكسائي يرتع ويلعب بالياء باسناد ذلك كله الى
يوسف وقرا نافع يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين وحزم الياء فيرتع
على بدا من رعي الابل قال ابن زيد المعنى يتدرب في الرعي وحفظ المال وفي
الارتعاء قول ـــــ الشاعر ترتعي السفح فالكثيب فذاقا فروض
القطا فذات الرمال قال ابو علي وقرا ابن كثير ونافع نرتع بالنون
ويلعب بالياء فنزعها حسن لاسناد ينظر في المال والرعاية اليهم واللعب
الى يوسف لصباه وقرا العلاء ابن سيابة نرتع ونلعب برفع الياء على القطع
وقرا مجاهد وقتادة نرتع بضم النون وكسر التاء ونلعب بالنون والجزم
وقرا ابن كثير في بعض الروايات عنه يرتعي باثبات الياء وهي ضعيفة لا تجوز
الا في الشعر قال ـــــ
ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد
وقرا ابو رجاء نرتع بضم الياء وجزم العين ويلعب بالياء والجزم وعللوا

طلبه والخروج به بما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب
والنشاط وقوله تعالى اني ليحزنني الاية قرا عاصم وابن كثير والحسن والاعرج وعيسى وابو عمرو وابن محيصن ليحزنني بفتح الياء وضم الزاء قال
ابو حاتم وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاي في جميع القران وان الاولى فاعلة
والثانية مفعوله باخاف وقرا الكسائي وحده الذيب دون همز وقرا
الباقون بالهمز وهو الاصل ومنه جمعهم اياه على ذؤبان ومنه تذأبت
الريح الرباب اذا اتت من نواحيها وتواحيها وروى ورش عن نافع الذيب
بغير همز وقال نصر سمعت ابا عمرو لا يهمز قال واهل الحجاز يهمزون
وانما خاف يعقوب الذيب دون ما سواه وخصصه لانه كان الحيوان
العادي المنبث في القطر وروي ان يعقوب كان راى في منامه ذيبا
يتسلط على يوسف قال القاضي وهذا ضعيف لان يعقوب لو راى
ذلك لكان وحيا فاما ان يحرج على وحيه وذلك لم يمكن واما ان يعرف
يعقوب لمعرفته بالعباره منال هذا المرءى فكان يتشكاه لعينه اللهم
الا ان يكون قوله اخاف ان ياكله الذيب معناه اخاف ان يصيبه مثل ما
رات من امر الذيب وهذا بعيد وكذلك قول الربيع ان ضيع
والذيب احساه انما خصصه لانه كان حيوان قطره العادي ويحتمل
ان يخصه يعقوب عليه السلام لصغر يوسف اي اخاف عليه هذا
الحقير فما فوقه وكذلك خصه الربيع لحقارته وضعفه في الحيوان
وباقي الايه بين وقوله ـــــ هذا هو بوابة الايه اسند الطبري
السدي قال لما صوابوه وربطوه في الجب اخذ ثوبه فلطخه بالدم وجاء
ابوه عشاء وحمل الصبي فيه فيستعمل بالاخر فيضربه

ان ضربه وحملي واحسي الرياح والطراء

فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول
يا اباه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنوا الاماء فقال لهم يهودا
الم تحطوني موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فجعلوا يدلونه فيتعلق
بالشفير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي
اتوارى به في الجب فقالوا دع الشمس والقمر والكواكب تؤنسك فدلوه
حتى اذا بلغ نصف الجب القوه ارادة ان يموت فكان في الجب ماء فسقط
فيه ثم قام على صخرة يبكي فنادوه فظن انهم رحموه فاجابهم فاراد وا
ان يرحموه بصخرة فمنعهم يهودا وكان يأتيه بالطعام وجواب لما
محذوف لتقديره فلما ذهبوا به واجمعوا اجمعوا او اذ امذهب الخليل
وسيبويه ويعضد الثاني قول امرئ القيس فلما أجزنا ساحة
الحي وانتحى ومثل هذا قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وقال بعض
النحاة في مثل هذا ان الواو زايدة وقوله مردود لانه ليس في القرآن شئ
زايد لغير معنى واجمعوا معناه عزموا واتفق رايهم عليه ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم في المسافر ما لم يجمع مكثا على اجماع الواحد قلده
تفرد بمعنى العزم والشروع تصور ذلك في اجماع اخوته يوسف وفي
سائر الجماعات وقد يجيء اجماع الجماعة فيما لا عزم فيه ولا شروع ولا
تصور ذلك في اجماع الواحد والضمير في انه عائد على يوسف وقيل
على يعقوب والاول اصح واكثر ويحتمل ان يكون الوحي حينئذ الى يوسف
برسول ويحتمل ان يكون في المنام او الهاما وكل ذلك قد قيل وقال الحسن
اخبره الله بما يصنعون وهو في الجب قال القاضي رضي الله عنه وهذا بعيد
وقرأ الهمزة ولتنبئنهم بالتاء على خطاب اخوته يوسف وقرأ سلام
بالنون وكذا ما في العلاء الى قوله ولهم لا يشعرون قيل

ان جرير وقت التنبيه انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحينا
اليه قال القاضي فيكون قوله وهم لا يشعرون على التاويل الاول واوحى
اليه وعلى القول الثاني جبر الله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وجاءوا
اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند
متاعنا فاكله الذيب وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين قرات فرقه
عشا اي وقت العشاء وقرا الحسن عشا على مثل دحى اي جمع عاش قال
ابو الفتح القياس عساة كقاض ومشاة ولكن حذفت الهاء تخفيفا كما حذفت
من مالكة وقال عدي ابلغ النعمان عني مالكا انه قد
طال حبسي وانتظاري قال القاضي ومعنى ذلك اصابهم عشا من البكاء
او شبه العشاء ادلك لكي يصله عن البكاء لانه يتعاشى ومثل سرح في
امراته بكت وهي مبطله بكاء مثل لعاء ولاء وقرا الابه وروي ان يعقوب
لما سمع بكاءهم قال يا ابانا لكم اجرى في الغنم شئ قالوا لا قال فاين يوسف قالوا
ذهبنا نستبق فبكا وصاح وقال ابن قميصه وسيأتي قصص ذلك ونستبق
معناه على الاقدام اي نجري غلابا وقيل بالرمي اي نتصايد وهو نوع من المسابقة
قال الزجاج وقولهم وما انت بمومن لنا اي بمصدق ومعنى الكلام انا لو كنا
صادقين وقيل المعنى لو كنت لا تعتقد ذلك فينا وفي جميع اقوالنا قديما لما
صدقتنا في هذه النازلة خاصة لما الحقك فيها من الحزن ونالك من المشقة
ولما تقدم من بعدك لنا قال القاضي وهذا قول ذلوه الزجاج وغيره ويحتمل
ان يكون قولهم ولو كنا صادقين بمعنى وان كنا صادقين وقال المبرد
اخبروا عن انفسهم انهم ما كانوا يقولون كذبا قط فلما كذبوا في هذا
وتكون قد قالوا اولا ولو كنا كاذبين وان كانا كاذبين قال القاضي وفي هذا

المثال عندى نظر ولحبط الرمانى فى هذا الموضع وقال الزموا اباهم ونحو
هذا مما لا يلزم لانهم لم يقولوا وما انت بمصدق لنا ولو كا حادقين فيما
يعتقد الانبيا عليهم السلام صدق الكاذب وكذب الصادق مما لم يوح
اليهم فانما هم بشر كما قال عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الى فلعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع الحديث فهذا
يقتضى انه جوز على نفسه ان يصدق الكاذب ولذلك قد صدق عليه
السلام عبد الله ابن ابى حين حلف له على مقالة زيد ان ارقم وكذب زيدا
حتى نزل الوحى فظهر الحق فى كلام اخوة يوسف انما صنعنا لطفا ومحاجة لا الزام
عناد وقوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب الابه روى انهم اخذوا
سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف وقالوا ليعقوب هذا
قميصه فاخذه ولطخ به وجهه وبكى تاملة فلم ير خرقا ولا اثر ناب
فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذئب حليما ياكل يوسف
ولا يخرق قميصه قص هذا القصص ابن عباس وغيره واجمعوا انه استدل
على كذبهم بصحة القميص واستدل الفقهاء الى هذا فى اعمال الامارات فى
مسايل كالقسامة بما قول مالك الى غير ذلك قال الشعبى كان فى القميص
ثلاث ايات دلالة على كذبهم وشهادة فى قده ورد بصر يعقوب به
وروى انهم ذهبوا فاخذوا ديكا فلطخوا فاه بالدم وساقوه وقالوا
ليعقوب هذا اكل يوسف فدعاه فجعل يذبحه فاقعى وتكلم فكذبهم ووصف
الدم بكذب اما على معنى بدم ذى كذب وامّا ان يكون بمعنى مكذوب عليه
كما جاء المفعول بدل الفعل فى قول الشاعر حتى اذا لم يتركوا
لعظمه لحما ولا لفؤاده معقلا فدل بحال الذئب على كذب
قال القاضى رضى الله عنه هذا كلام الحبرى ولا
عندى لان نبى المعصوم يقتضى

عندى وصف بالمصدر على جهة المبالغة وقرا الحسن بدم كذب بدال غير
معجمة ومعناه الطرى او نحوه وليست هذه القراءة قوية ثم قال لهم
يعقوب لما بان كذبهم قال بل سولت لكم انفسكم اى رضيت وحملت سولا
ومرادا امرا اى صنعا قبيحا بيوسف وقوله فصبر جميل رفع اما على
حذف الابتدا واما على حذف الخبر واما على تقدير فشانى صبر جميل واما
على تقدير فصبر حمل امثل وذكر ان الاشهب العقيلى وعيسى ابن عمر قرا
بالنصب فصبرا جميلا على اضمار فعل ولذلك هى فى مصحف ابى ومصحف
ابن مالك وهى قراءة ضعيفة عند سيبويه ولا يصلح النصب فى مثل
هذا الامع الامر ولذلك يحسن النصب فى قول الشاعر
صبرا جميلا فكلانا مبتلى وينشد ايضا بالرفع وهو ضعيف ويروى
صبرا جميل على ابتداء الجمل المذكور فى قوله شكا الى جملى طول السرى
يا جملى ليس الى المشتكا صبرا جميل فكلانا مبتلى وانما يصح قراءة النصب
على ان تقدر ليعقوب عليه السلام رجع الى مخاطبة نفسه اثناء مخاطبة
بنيه وحمل الصبر الا نفع للشكوى الى بشر وقال النبى صلى الله عليه وسلم
من يتصبر يصبره الله وقوله صبرا جميلا وقوله والله المستعان على ما تصفون تسليم
لامر الله تعالى وتوكل عليه والتدبر على احتمال ما تصفون قوله تعالى
وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه
بضاعة والله عليم بما يعملون قيل ان السيارة جاءت فى اليوم الثانى من طرحه
فى الجب والسيارة جمع سيار كما قالوا تعال وتعالة وهذا بعكس قولهم
تمرة وتمر والسيار تبنا سابغة للدين يرد دون السبيل ويروى
لهذه السيارة كانوا قوما من اهل مدين وقيل يوم عرفات الوارد
قولهم انت لما لست منه لحقت والوارد يطلق على واحد

وعلى حاءه وروى أن مدلى الدلو كان يسمى مالك ابن ذعر ويروى ان هذا
الجب كان بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ويقال ادلى الدلو اذا
القاه فى البير ليستقى الماء ودلاه يدلوه اذا استقاه من البير وفى الكلام
هنا حذف تقديره فتعلق يوسف بالحبل فلما بصر به المدلى قال يا بشرى
وروى أن يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين وبرح هذا الغلام
فانه ما بين الحولين الى البلوغ فان قلت فما بين ذلك وعلى اصحاب الحال
ونحوز وقيل ابن سبع عشرة سنه وهذا بعيد وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو يا بشراى باضافة البشرى الى المتكلم وفتح الياء على ندائها كانه
يقول احضرى فهذا وقتك وهذا نحو قوله يا حسرة على العباد وروى
ورش عن نافع يا بشراى بسكون الياء قال ابو على وفيها جمع بين ساكنين على
حد دابه وشابه ووجه ذلك انه يجوز ان يحتمل ما الالف لزيادة المد
الذى فيها على المد الذى فى احييها كما اختصت القوافى بالتاسيس واختصت
مع تخفيف الهمزة لحو هياه ولس شى من ذلك فى الباء والواو وقرا ابو الطفيل
والحدرى وابن ابى اسحق والحسن يا بشرى بقلب الالف ياء ثم تدغم فى ياء
الاضافه وهى لغه فاشيه ومن ذلك قول ابى ذويب

" سبقوا هوى واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع "

واسند ابو الفتح وغيره فى ذلك

" تطوف الى ظعن بمعدٍ وتطعن بالمثلث فيتا "

اراد هواى ومعاى وصلاى

وقرا احمد والحسن يا بشرى بسكون الياء وقراءة الجماعه اولى لان الالف
الا انه يفتح ما قبل واشتراه فى ما بعد القرا

كان

كان فى اصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل
هو على ندا البشرى كما قدمنا والضمير فى قوله واسروه لما صار الايه
اذ لو زاد الماء ماله بجا بعد وقال ابن خشوا من تجار الرفقه ان قالوا
وجدناه ارتسار كوهم فى الغلام الموجود قال القاضى بعد ان كانوا
فسقه ومنعوهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا منهم ان يقولوا
بضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعه حال من قولهم بعضهم اى قطعت
وقيل انهم اسروا فى انفسهم انهم يتحدونه بضاعه لانفسهم اى متجرا ولم
يخافوا من اهل الرفقه شيا لم يكن الضمير فى قوله وشروه لاصحاب الدلو
ولى شروه لاخوة يوسف لاحد عسر وقال ابن عباس الضمير فى اسروه
وشروه لاخوه يوسف قال القاضى ودلك انه روى ان اخوته
لما رجعوا الى ابيهم واعلموه رجع بعضهم الى الجب ليتحققوا امر يوسف
ويقفوا على الحقيقه من فقده فلما علموا ان الوارد قد اخذوه جاروهم
فقالوا هذا عبد ابق لنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم فغاربهم يوسف
على هذه المقاله خوفا منهم ولنفذ الله امره فحينيذ اسر اخوته اذ
حدوا اخوتهم فاسروها والحدوه بضاعه اى متجرا لهم ومكسبا
وشروه بثمن بخس اى باعوه وقوله والله عليم بما يعملون ان كانت الضمائر
لاخوة يوسف ففى ذلك توعد وان كانت الضمائر للوارد ين ففى ذلك تنبيه
على ارادة الله تعالى الى يسلك وسوق الاقدار بحسب بنا حاله فهو
حينيذ بمعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم يربط ابن ادم والقضا تضحك
وفى الايه ايضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما الحرى عليه من حرص
قومه على ايمانهم وهم معاندون للحق متباعدون عن اتباعه والمتاطره وشروه بخس باعوه

كان فى اصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو على ندا البشرى كما قدمنا والضمير فى قوله واسروه لما صار الايه اذ لو زاد الماء ماله بجا بعد وقال ابن خشوا من تجار الرفقه ان قالوا وجدناه ارتسار كوهم فى الغلام الموجود قال القاضى بعد ان كانوا فسقه ومنعوهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا منهم ان يقولوا بضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعه حال من قولهم بعضهم اى قطعت وقيل انهم اسروا فى انفسهم انهم يتحدونه بضاعه لانفسهم اى متجرا ولم يخافوا من اهل الرفقه شيا لم يكن الضمير فى قوله وشروه لاصحاب الدلو ولى شروه لاخوة يوسف لاحد عسر وقال ابن عباس الضمير فى اسروه وشروه لاخوه يوسف قال القاضى ودلك انه روى ان اخوته لما رجعوا الى ابيهم واعلموه رجع بعضهم الى الجب ليتحققوا امر يوسف ويقفوا على الحقيقه من فقده فلما علموا ان الوارد قد اخذوه جاروهم فقالوا هذا عبد ابق لنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم فغاربهم يوسف على هذه المقاله خوفا منهم ولنفذ الله امره فحينيذ اسر اخوته اذ حدوا اخوتهم فاسروها والحدوه بضاعه اى متجرا لهم ومكسبا وشروه بثمن بخس اى باعوه وقوله والله عليم بما يعملون ان كانت الضمائر لاخوة يوسف ففى ذلك توعد وان كانت الضمائر للوارد ين ففى ذلك تنبيه على ارادة الله تعالى الى يسلك وسوق الاقدار بحسب بنا حاله فهو حينيذ بمعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم يربط ابن ادم والقضا تضحك وفى الايه ايضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما الحرى عليه من حرص قومه على ايمانهم وهم معاندون للحق متباعدون عن اتباعه والمتاطره وشروه بخس باعوه

كان فى اصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناداه واعلمه بالغلام وقيل هو على ندا البشرى كما قدمنا والضمير فى قوله واسروه لما صار الايه اذ لو زاد الماء ماله بجا بعد وقال ابن خشوا من تجار الرفقه ان قالوا وجدناه ارتسار كوهم فى الغلام الموجود قال القاضى بعد ان كانوا فسقه ومنعوهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا منهم ان يقولوا بضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعه حال من قولهم بعضهم اى قطعت وقيل انهم اسروا فى انفسهم انهم يتحدونه بضاعه لانفسهم اى متجرا ولم يخافوا من اهل الرفقه شيا لم يكن الضمير فى قوله وشروه لاصحاب الدلو ولى شروه لاخوة يوسف لاحد عسر وقال ابن عباس الضمير فى اسروه وشروه لاخوه يوسف قال القاضى ودلك انه روى ان اخوته لما رجعوا الى ابيهم واعلموه رجع بعضهم الى الجب ليتحققوا امر يوسف ويقفوا على الحقيقه من فقده فلما علموا ان الوارد قد اخذوه جاروهم فقالوا هذا عبد ابق لنا ووهبته لنا ونحن نبيعه منكم فغاربهم يوسف على هذه المقاله خوفا منهم ولنفذ الله امره فحينيذ اسر اخوته اذ حدوا اخوتهم فاسروها والحدوه بضاعه اى متجرا لهم ومكسبا وشروه بثمن بخس اى باعوه وقوله والله عليم بما يعملون ان كانت الضمائر لاخوة يوسف ففى ذلك توعد وان كانت الضمائر للوارد ين ففى ذلك تنبيه على ارادة الله تعالى الى يسلك وسوق الاقدار بحسب بنا حاله فهو حينيذ بمعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم يربط ابن ادم والقضا تضحك وفى الايه ايضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما الحرى عليه من حرص قومه على ايمانهم وهم معاندون للحق متباعدون عن اتباعه والمتاطره وشروه بخس باعوه

وقد يقال شرى بمعنى اشترى ومن الاول قول يزيد ابن مفرغ

وشريت بردا اليتني من بعد بردكت هامه

بردا اسم غلام له ندم على بيعه والهمر يحتمل الوجهين المنقدمين والبخس مصدر وصف به الثمن وهو بمعنى النقص يقال اسهر معانيد فكانه القليل الناقص وهو قول السعدي وقال قتاده البخس هنا بمعنى الظلم ورجحه الزجاج من حيث الحر لا يحل بيعه وقوله دراهم معدوده عباره عن قلته الثمن لانها دراهم لا تبلغ ان توزن لقلتها وذلك انهم كانوا لا يوزنون ما كان دون الاوقيه وهي اربعون درهما واختلف في مبلغ ثمن يوسف عليه السلام فقيل باعوه بعشرة دراهم وقال ابن مسعود بعشرين وقال مجاهد باثنين وعشرين اخذ منها اخوته درهمين درهمين وقال عكرمه باربعين درهما دفعت ناقصه خفافا فهذا كان بخسها وقوله وكانوا فيه من الزاهدين وصف يترتب في وزاد المآل اي كانوا الاعرفون قدره مهم لذلك فليل اغتباطهم به لكنه ارتب في اخوه يوسف ادحقيقه الزاهد في الشي اخراج حبه من القلب ورفضه من اليد ولعله كانت حال اخوة يوسف في يوسف واما الوراد فتمسكهم به ولحرصهم بمانع زهدهم الاعلى الحوز وقوله فيه ليست بصله للزاهدين قاله الزجاج وفيه نظر لانه يقضي وصفهم بالزهد على الاطلاق وليس مقصد الايه هذا بل قصدها الزاهد الخاص في يوسف والظروف يحوز فيها من التقدم مالا يحوز في سايرا الصلات وقد تقدم القول في عود ضمير الجماعه

وقال الحكم وهو معنى الحلم وهذا

الى بعض افراده وشروه قوله وقال الذي اشتراه من مصر لامرانه اكرمي متواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا ولنعله من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون

أن

ان مبتاع يوسف هو الوارد من احونه او الناجر من الوارد حسب ما تقدم من الخلاف والمراد بمصر البلد المعروف وذلك لا ينصرف وعرصه في السوق وكان اجل الناس فوقعت فيه مزايده حتى بلغ ثمنا عظيما فقيل وزنه من الذهب وقيل من فضه ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان صاحب الملك وخازنه واسم الملك الريان ابن الوليد وقيل مصعب ابن الريان ابن الوليد وهو احد الفراعنه وقيل فرعون موسى عاش زمانه قال القاضي وهذا ضعيف وذلك ان ظهور يوسف عليه السلام لم يكن في مده كافر لخدمه يوسف واسم العزيز المذكور قطفير قاله ابن اسحق وقيل ريحه وقيل زليخا وظاهر امر العزيز انه كان كافرا ويدل على ذلك كون الصنم في بيته حسبما تقدم ذكره في البرهان الذي راى يوسف وقال مجاهد كان العزيز مسلما والمثوى مكان الاقامه والاكرام انما هو لدى المثوى ففي الكلام استعاره وقوله عسى ان ينفعنا اي بان يعيننا في ابواب ديانا وغير ذلك من وجوه النفع وقوله او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان فيما يقال لا ولد له ثم قال وكذلك اي وكما وصفنا مكانه ليوسف في الارض ولنعلمه فعلنا ذلك والاحاديث الرويا في النوم قاله مجاهد وقيل احاديث الامم والانبياء والضمير في امره يحتمل ان يعود على يوسف قاله الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون اخبارا منبها على قدرة الله تعالى وليس في شان يوسف خاصه بل عاما في كل امر وكذلك الاحتجاج في قول الشاعر

رايت ابا بكر وشبهت به اغر يبغي الخلافه بالنمر

والمراد بالدين نفي العلم بالكفره وفهم الدين زهدوا في يوسف

وغيرهم من جهل أمره وروى عن عبد الله ابن مسعود انه قال أصح الناس
فراسة ثلاثة العزيز حين قال لامرأته اكرمي مثواه وابنة شعيب التي قالت
استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وابو بكر حين استخلف عمر
ابن الخطاب **قال القاضي** وفراسة العزيز انما كانت في نفس خايبة
يوسف الا انه تفرس الذي كان كما في المثالين الاخرين فانما الفراسة خرج
بعينه والاشد استكمال القوة وسائر بينه الانسان وهما اشدان اولهما
البلوغ والثاني الذي يستعمله العرب وهو من ثماني عشرة سنة الى ستين
سنة قال القاضي وهذا قول ضعيف وقيل الاشد بلوغ الاربعين وقيل
بل ستة وثلاثين سنة وقيل ثلاثة وثلاثين وهذا أظهر الاقوال فيما الحسنة
وهو الاسبوع الخامس وقيل عشرون سنة وهذا ضعيف وقال الطبري
الاشد لا واحد له من لفظه وقال سيبويه الاشد جمع شدة نحو نعمة
ونعم وقال الكسائي اشد جمع شد نحو قد وأقد وشد النهار معظمه
وحيث يستكمل قوته وقوله حكما يحتمل ان يريد الحكمة والنبوة وهذا
اشبه ان كانت قصة المراودة بعد هذا وعلما يريد تأويل الاحاديث
ويحتمل ان يريد بقوله حكما اي سلطانا في الدنيا وحكما بين الناس بالحق
وتدخل النبوة وتأويل الاحاديث وغير ذلك في قوله علما ولذلك جزى
المحسنين العائط فيها وعد النبي عليه السلام لا بهولنك فعل الكفرة بك اي ء
وعتوهم عليك والله تعالى يصنع للمحسنين احمل صنيع **قوله تعالى**
وراودته الى هو هي بنتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت
لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون المراوده
المدافعة في السوق الى غرض واكثر ما تستعمل اللفظة اما هو في هذا
المعنى الذي بين الرجال والنساء واشبه ان [illegible] من ادبر [illegible]

لاحتبار

لاحتبار الارض والمراعي فكان المراود لحنبرا بدا ما قوله بلفظه حال
المراود من الاجابة والامتناع وفي مصحفي وفرعت الابواب ولذلك
روي عن الحسن والى هو في بنتها عن نفسها امر العزيز وقوله عن نفسه
كناية عن غرض الموافقة وقوله وغلقت تضعيف مبالغة لا تعديه وظاهر
هذه النازلة انها كانت قبل ان ينبأ عليه السلام وقرا ابن كثير واهل مكة
هيت بفتح الهاء وسكون الياء وضم التاء وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق
وابن محيصن وابو الاسود ومجي بفتح الهاء وكسر التاء وقرا ابن مسعود
والحسن والبصريون هيت بفتح الهاء والتاء وسكون الياء وروي عن
ابن عباس وقتادة وابي عمرو قال ابو حاتم لا نعرف اهل البصرة عربها
وهم اقل الناس غلوا في القراءة قال الطبري وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر هيت بكسر الهاء وسكون الياء
وفتح التاء وهي قراءة الاعرج وشيبة وابي جعفر وهذه الاربعة معنى
واحد واختلفت باختلاف اللغات فيها ومعناه الدعاء اي بعالي واقبل
على هذا الامر قال الحسن معناها تهيأت لك وحسن ان تصل بها لك ادخلت
عن قولها اقبالا او قربا لحرب محرى سقيا لك ورعيا لك ومن هذا
قول الشاعر يخاطب عليا بن ابي طالب رضي الله عنه

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق اذا اتينا ... الاخرى قول طرفه

ان الاعراف واهلك عنك اليك مهيت لبتا ... ومن ذلك على اللغة

لنس قومي بالاعدين [illegible] قال داع من العشيرة لبيت

ومن هذا ايضا قول [illegible] شاعر

[illegible] الكرى [illegible] ولا عدل يعني بها المنايا

اسكت دخل في سكوب وهيت معناه قال هيت كما قالوا افق اذا اسكت
قال الفراء ومنه سكخ وكبر ودعدع اذا قال داع داع والتاء على هذه
اللغات كلها مبنية فهي في حال الرفع كقبل وبعد وفي حال الكسر على الباب
في الكسر لالتقاء الساكنين وفي حال النصب كحيث ونحوها قال ابو
عبيدة وهيت لاثنين ولاجمع تقول العرب هيت لك وهيت لكما وهيت
لكم وقرا هشام عن ابن عامر هئت بكسر الهاء والهمز وضم التاء وهي قراءة
علي ابن ابي طالب والي وايل والي رجا ومجي ورويت عن ابي عمرو وهذا
يحتمل ان يكون من هاء الرجل يهيء اذا حسن هيئته على مثال جاء يجيء ويحتمل
ان يكون بمعنى تهيأ كما يقال فيت وتفيأت بمعنى واحد قال الله تعالى
تتفيؤا ظلاله وقال حتى تفيء الى امر الله وقرا ابن اسحق ايضا هئت بتسهيل
الهمزة من بعده القراءة المتقدمة وقرا ابن عباس ايضا تهيئت لك وقرا
الحلواني عن هشام بهيت لك بكسر الهاء والهمز وفتح التاء قال ابو علي الطاهر
بعد القراءة وهم لانه كان ينبغي ان يقول هئت لي وسياق الاية يخالف هذا
وحكى الخاسر انه يقرأ هيت بكسر الهاء وسكون الياء وكسر التاء ومعناه
نصب على المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله منك قال انه ربي فيحتمل ان يعود
الضمير في انه على الله عز وجل ويحتمل ان يريد العزيز سيده اي فلا
يصلح لي ان اخونه وقد اكرم مثواي وابتغى قال مجاهد والسدي ربي
معناه سيدي وقاله ابن اسحق قال القاضي واذا احفظ الادمي
لاحسانه فهو عمل زاكي واحرى ان يحفظ ربه ويحتمل ان يكون الضمير
للامر الشان فقط وقد حكى بعض النحويين ان يوسف عليه السلام انه لما
قال معاذ الله دافع الامر الى الله تعالى ثم

راهم به ولو قال لاحول ولا قوة الا بالله ودافع بعنف وتغيير لم يهم بشئ
من المكروه وقرا الخدري منوي وقرا ابن كثير انه ربي وروى
عن النبي عليه السلام ممن تبع هدى وقوله ولقد همت به الا انه لا شك
ان هم زليخا كان في ارتوافعها يوسف واختلف في هم يوسف عليه السلام
فقال الطبري قالت فرقة كان مثل همها واختلفوا كيف ينفع ذلك من مثل
يوسف وهو نبي فقيل ذلك ليريه الله تعالى موقع العفو والكفاية
وقيل الحكمة في ذلك ان يكون مثالا للمذنبين لئلا ان توبتهم مرجع بهم الى
عفو الله كما رجعت بمن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب وهذا
كله على ان هم يوسف بلغ فيما روي هذه الغرفة الى ان حل بين رجلي
زليخا واخذ في حل ثيابه وتكته ونحو هذا وهي قد استسلمت له قال ابن
عباس وجماعة من السلف وقال قوم هي بعد انما الخطرات القلب التي
لا يقدر البشر ان يحفظ منها وتقع عند ذلك ولم تجاوزه فلا يبعد هذا
على مثله عليه السلام وفي الحديث ان من هم بسيئة ولم يعملها فله عشر
حسنات وفي حديث اخر حسنة فقد يحل بيوسف في الصنفين وقال
فرقة كان هم يوسف بصرها ونحو هذا قال القاضي وهذا
ضعيف البتة والذي اقول في هذه الاية ان لو لم يوسف نبيا في وقت
هذه النازلة لم يصح ولا يطابق به رواية فاذا كان كذلك فهو مؤمن
اولى حكما وعلما ونحو عن هذا العزم الذي ارادة الشيء دون مواقعته وان
تستصحب الخاطر الردي في ذلك من الحطيد وان رضا نفسه في
ذلك الوقت فلا الحوف عليه عن هذا العزم الذي هو الخاطر ولا صح
عليه ما ذكر من حاله ويحمد ذلك لان العصمة النبوة وما

روى انه قيل له تكون في ديوان الانبيا وتفعل فعل السفها فما معناه
العدة بالنبوه فيما بعد والهم بالشي مرتبتان فالواحده الاولى لخوز عليه
مع النبوه والثانيه الكبرى لا يقع الامن غيرني لاستصحاب خاطر
المعصيه والتلذذ به معصيه فكيف وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله تجاوز لامتي ما حدثت به نفوسهم ما لم تنطق به او تعمل معناه من
الخواطر واما استصحاب الخاطر فمحال ان يكون مباحا فهو خطيئه من
الخطايا لكنه ليس كسائر واقعه المعصيه التي فيها الخواطر ومما يؤيد ان
استصحاب الخاطر معصيه قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان حريصا
على قتل صاحبه وقول الله تعالى ان بعض الظن اثم وهذا منتزع من غير موضع
من الشرع والاجماع منعقد ان الهم بالمعصيه واستصحاب التلذذ بها غير
جايز ولا داخل في التجاوز **واختلف** في البرهان الذي راى يوسف فقيل
نودي واختلف فيما نودي به فقيل ياداه جبريل يا يوسف يكون في ديوان
الانبيا ويفعل فعل السفها وقيل نودي يا يوسف لا تواقع المعصيه
فتكون كالطاير الذي عصى فتساقط ريشه فبقي ملقى يادآه بذلك يعقوب
وقيل عبر هذا بما هو في معناه وقيل كان البرهان كانا راه مكتوبا فقيل في
جدار المجلس الذي كانا فيه وقيل بزعيني زليخا وقيل في خرج من الارض
دون جسد واختلف في المكتوب فقيل قوله تعالى افمن هو قايم على
كل نفس بما كسبت وقيل قوله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشه وساء سبيلا
وقيل عبر هذا وقيل كان البرهان انه راى يعقوب عاضا على انامله وقيل
في البيت عاضا على ابهامه وقيل على سبابته وقيل بل انفرج السقف
فراه كذلك وقيل ان جبريل قال له هذه واقعة المعصيه لا محو من ديوان
الانبيا وقيل ان جبريل اخذ بحلقه فاخرج شهوته على انامله ذلك

العاصي وهذا ضعيف وقيل بل كان البرهان فكرته في عذاب الله ووعيده
على المعصيه وقيل بل كان البرهان الذي انتظم بداره لها قالت له مكانك
حتى استر هذا الصنم لصنم كان معها في البيت فاني استحي منه ان يراني على
هذه الحاله وقامت فسترته بثوب فانتظم يوسف فقال من يستر لي انا
من الله القايم على كل شئ واداكث انت تفعلين بعد الما لا يعقل فانا اولى
ان استحي من الله تعالى والبرهان في كلام العرب هو الشي الذي لا يعطى القطع
واليقين كان مما تعلم ضرورة او لخبر قطعي او قياس نظري فهذه التي رويت
فيما راى يوسف براهين وان في قوله لولا ان راى في موضع رفع التقدير
لولا رويته برهان ربه وهذه لولا التي يحذف معها الخبر تقديره لفعل
أولا ارتكب المعصيه وذهب قوم الى ان الكلام تم في قوله ولقد همت به وان
جواب لولا في قوله وهم بها وان المعنى لولا ان راى البرهان لهم بها فلم يهم
عليه السلام وهذا قول مردود لسان العرب واقوال السلف قال الزجاج
ولو كان الكلام ولهم بها لولا لكان بعيدا فكيف مع سقوط اللام والكاف من
قوله كذلك متعلقة بمضمر تقديره جرى افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف
ويصح ان تكون الكاف في موضع رفع بتقدير عصمنا الله كذلك لنصرف وقرا
الجمهور لنصرف بالنون وقرا الاعمش ليصرف بالياء على الحمل على الغايب
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والحسن وابو رجا المخلصين بكسر اللام
في كل القران وقرا عاصم وحمزه والكسايي ونافع وجمهور من القرا المخلصين
بفتح اللام ومخلصا كذلك في كل القران وقوله واستبقا الباب الا ذكره سابقا
سابق رجل واحد منهما صاحبه الى الباب هي لتردده الى نفسها وتوليه
عليها فشقت في دبر القميص من خلفه فتخرق القميص عند طوقه ونزل
التخريق الى اسفل القميص والقد القطع الكثير ما يستعان فيه كان طولا والقط

يستعمل ما كان عرضا ولذلك نفى اللفظه في قول المانعه نقد السلوقي
فان قوله وتوقد بالصفاح يقتضي ان القطع بالطول والفيا وجلا
والسيد الزوج قاله زيد ابن ثابت ومجاهد وروى انهما وحدا العزيز
ورحلا من قرابة زليخا عند الباب الذي استبقا اليه قاله السدي
فلما رات الفضيحه فزعت الى مطالبه يوسف والبغي عليه فاراد العزيز
ان يوسف اراد ها وقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذابا اليما وتكلمت في الجزاء اي ان الذنب ثابت منقرر وهذه الايه
تقتضي تعظيم موقع السجن من النفوس لاسيما دون الاقدار اقترن بالم
العذاب والله اعلم

اخر

اخر الجزء الرابع والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

كمل معارضا بالمسجد الاقصى
الشريف في سوالم بتاريخ كذا

يتلوه الجزء الخامس ان شاء الله تعالى بتفسير قوله تعالى قال
هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها الاية احسن الله العاقبه